



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

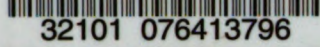
Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>



32101 076413796

Library of



Princeton University.

الروسية ولا نخاف القول ان اتفاقنا مع الروسية ربما كان اقل ضرراً بنا من معادتها لها
بعد التجارب التي جربناها في العصر الماضي سواء كنا منردين او معضدين
من ذول اخرى

ومعلوم ان الروسية لا تجهل غايات انكلترا ولهذا ايدت مركزها العسكري
في منشوريا واتفقت مع فرنسا على السياسة العمومية والخصوصية في الشرقين
وفي اوروبا الامر الذي لا يجمله المانيا ولا اوستريا ايضاً وقد لا تنتظر طويلاً
حتى نسمع كيف تمزق الروسية شمل سياسة انكلترا في البلقان بتأييد اتفاقها
مع اوستريا على احترام الحالة الحاضرة في تلك الانحاء فتخرج انكلترا فشلة
ويزداد الخلاف بينها وبين الروسية في الشرق الاقصى وانكلترا لا تجهل اية
الدولتين تكون الظافرة هناك هي ام الروسية

اما نحن فغاية ما نتمناه ان لا تبس حقوقنا الثمانية اخلت الروسية
واوستريا او اتفقتا واننا في ثقة من تحقيق اماننا هذه لاعتقادنا ان الجانب
السلطاني ساهر على مصالح الامة وحقوق الدولة واعظم برهان لدينا هو
ما نراه من حشد الجنود واقامة المقاتل وتمهين الذخائر لدرء كل ملعة وتمزيق
شمل كل مفاجيء حفظه الله بعنايته وايده برعايته انه السميع المجيب



الأوستري الروسي واشغال الروسية في البلقان عن الشرق الأقصى لكفى
ثم ان انكترا لا تجبل ان اهتمام الدولتين اوستريا والروسيا في البلقان
يضطر العثمانية الى أن تكون مع انكترا ايضا فتزيد مصائب الروسية في
الشرق القريب

ومعلوم ان هذا الاتفاق اذا افلحت به انكترا واستمات اوستريا اليها
اشترطت النمسا تحقيق امانها من املاكنا في سالونيك وغيرها ونيل اوستريا
ذلك يساعد انكترا على تمضيد اغراض المانيا في اوستريا الالمانية
هذا ما تسمى اليه انكترا وتعمل على انفاذه وتحقيقه ولهذا اجتمع ملك
اليونان بملك رومانيا ووقف سفير انكترا واوستريا على دخائل ذلك الاجتماع
وابحائه

وقد فصلنا في هذه المقالة غايات انكترا من سياستها البلقانية لابقصد
النحو الى هذه الدولة بل للاخبار بانها لو لم تكن لها مثل هذه المصالح
لما قالت بهذه السياسة فهي باتفاقها مع اوستريا تريد الاضرار بالدولة العثمانية
بحمايا اياها على تمضيد اوستريا كما انها لا تريد من جهة اخرى تمضيد امان
اليونان والذلاخ والبندناف بل معارضة الروسية ولو اضر ذلك بالدولة
العلية

قلنا هذا لنبرهن على ان لا مصلحة للعثمانية ان تميل مع دولة دون
اخرى بل ان تلزم الحياد مباشرة بنفسها حماية حقوقها والذود عن
مصالحها وقد ارتنا الحوادث في الماضي انه مهما تباينت مشارب الدول
خصوصا كان اتفاقهم ضدنا اقرب من اختلافهم ولا سيما بعد حوادث
سنة السبعين وعليه فلا مصلحة لتركيا بالاتحاد مع اوستريا او انكترا ضد

ولكن انكثرتا لم ترض عن ذلك الاتفاق الاوستري الروسي لما ترتب عليه من مزاحمة الروسية لها في الشرق الأقصى وحرب الترنسفال قد غلت ايديها وحالت دون اغراضها وأشغلتها عن كل شاغل غيرها وقد هاجت المسألة الصينية بمظاهرها الاخيرة خواطر الانكليز فأثروا ما أثوره في المسألة المنشورية من معارضة الروسية وأملوا ان تميل المانيا اليهم ضد جارتها فلم يفلحوا في مساعيهم هذه فحولوا انظارهم الى المسائل البلقانية لعرفانهم ما هنالك من تباين الاغراض والمصالح سواء كان بين الشعوب البلقانية او بين الروسية وأوستريا

فظهرت بالرغم عن اتحاد اوستريا والروسية وعن استعداد الدولة العثمانية لدرء كل طارئ بلقاني وبالرغم عن مشورات ونصائح امبراطور الروسية لحكومة البلقار المسألة البلقانية في المظهر الذي أرادته الانكليز وكان ما كان من اعمال تلك الجمعيات في مكدونيا وغيرها من بلاد الدولة العلية مما ساعد انكثرتا على انفاذ مآربها اذ اتجهت اميال الروماني واليوناني ضد البلقاري وما عرف ذلك حتى نشرت التيمس ان الروسية عقدت مع سربيا اتفاقاً عسكرياً ولم تقصد من اشاعة ذلك إلا اغار صدر حكومة أوستريا ضد الروسية مع ان الخبر كذب لاصحة له وقد ساعدتها الظروف على ارجوقتها عقب موت الملك ميلان وتظاهر سربيا بالميل الى الروسية وكانت كأنها امارة اوسترية

ولم تقف سياسة انكثرتا عند هذا الحد بل شجعت اليونان والفلاخ والبغدان ايضاً كأنها تقول ان باتفاق هذين الشعبين ما يحول دون اطماع البلقاريين والسربيين ايضاً ولو لم تنل من هذه السياسة الا تمزيق الاتفاق

والعالم السياسي لا يعتقد ان حكومة اليابان مهما عظمت مصالحتها في الشرق الاقصى لا مصلحة لها من محاربة روسيا مادام بوسع الدولتين ان تتفقا في المسائل الصينية اتفاهما في المسألة الكريدية ولا يفوت اليابان انه مهما كان من انكثرا وسياسها حتى ولو اتفقت معها ضد الروسية فكل هذا لا يزيد الاخيرة إلا نقوذاً في الصين وتحقيقاً لامانيها في منشوريا ولهذا لا يكون حظ انكثرا من دفع اليابان الى معاداة الروسية إلا حظها من المانيا وأميركا والدول الاخرى وبمعنى اوضح فشل السياسة الانكليزية وفوز الروسية

وكتب في ١٥ مايو عن الدول البلقانية وهي آخر مقالة له

ان حركات الجمعيات البلقانية وسياسة جميع الشعوب البلقانية وآارب بعض الدول الكبيرة لا تخرج واحدة منها عن مرامي طمع خصوصنا فينا واتفاقهم على التهام حقوقنا ولو اختلفوا بينهم واسطة وسياسة وهي حقيقة عرفها رجال السلطنة كل المعرفة فقاموا بواجب الدفاع عن حقوق البلاد امتثالا لامر الجنب السلطاني الساهر على مصلحة أمته ووطنه والذي توصل بدهائه السياسي الى حمل بعض الدول على مناهضة اطماع الشعوب البلقانية ولهذا اتفقت الروسية وأوستريا على احترام الحالة الحاضرة في الإنحاء البلقانية فساعد ذلك الروسية على زيادة الاهتمام بمسائل الصين واليابان فكانت الخدم والحالة هذه متبادلة بين العثمانية والروسية

فرنسا وجهت همتها الى استمالة اميركا فلم تفجح ايضاً فلم يبق امامها الا الدولة اليابانية بعد ان خابت ضنونها في الصين

ومعلوم ان انكلترا كانت قد أملت غلبة الصين على اليابان فمالت مع الاولى ضد الثانية ولما رأت العكس وأرادت ان تكون مع اليابان قامت في وجهها فرنسا والروسية والمانيا فخسرت في الامرين وتضعضعت احوالها وأخذت ترقب فرصة حدوث خلاف مع دولة واحدة من الدول البحرية لاظهار بطشها واستعاضة ماخسرتة من نفوذها فلم توفق الى مرغوبها لان الدول ادركت مانوته السياسة البريطانية الى ان بدت مسألة الترنسفال وكان ماكان من فضيحة النظام العسكري الانكليزي باعتراف القائد العام واكابر القواد والكتاب الحربيين وجدال البرلمان الاخير برهان دامغ وحجة راهنة ولو خالف المكابرون

ولما عرفت انكلترا ان لا مقدرة لها على معارضة السياسة الاوروبية الجديدة حاولت ان تتفق مع بعض الدول لتعارض البعض الآخر لانه لا يحلو لها ان تتقاسم الدول مرافق السياسة الاستعمارية وقد ذقت هي وحدها حلاوة فوائدها ولكنها لم تفلح مع المانيا ولم تفلح ايضاً مع اميركا وقد علمت ان الدولة العالمية كانت اول دولة رفضت مقدماتها هذه فلم يكن امامها الا اليابان لتستخدمها في سبيل اغراضها في الشرق الاقصى استخدام الدولة العثمانية في سابق العهد في الشرق الادنى ولهذا نرى ما نراه من ضوضاء الجرائد الانكليزية وجمجمة كتبها ولو اصنى القارى اليها لقال ان الحرب على الابواب وليكن من عرف الغاية من هذه الحرب القلمية لم يعبأ بأنوالها الا الذين لا يرون بنير العين الانكليزية وهؤلاء معذورون لانهم مسيرون غير مخيرين

البلقانية ودسائس الجمعيات فرأينا أوستريا وهي حليفة ألمانيا والروسية وهي حليفة فرنسا منفقتين على احترام ما اتفق عليه قيصر الروميا وامبراطور أوستريا في شبه جزيرة البلقان كما رأينا أن أوروبا قد تداخلت في الحرب اليونانية للحيلولة دون انقراض الدولة اليونانية للمساندتها وهذا أيضاً يؤيد قولنا أن ضالة أوروبا هي مصالحها السياسية بقطع النظر عن المبادئ، المذهبية والعنصرية

ومعلوم أيضاً أن حوادث الشرق الأقصى لم تغير من اتفاق أوروبا على تأييد السلام في أنحاء تلك القارة فلم يتفق بعضها دون البعض أيام الحرب اليابانية ولم تتفق كلها أيام الحوادث الصينية إلا عملاً بما قرره من تأييد السلام بين الدول الأوروبية مع المحافظة على حقوقها في الخارج إما متفقة أو منفردة وكل هذه حقائق راهنة لا يختلف فيها أثنان

ولكن هذه السياسة الجديدة كما يعلم القراء لم ترض أنكترا مطلقاً لأن هذه الدولة تحب الحرب ولا لأنها مستعدة لمحاربة دولة قوية ولكن لأنها الدولة التي راجت سلعتها وعظمت كلمتها بسبب تحارب الدول وطحن بعضها بعضاً بينا تكون أنكترا هي الزائفة الخافرة بلا حرب ولا قتل والتاريخ اصدق شاهد على هذا القول وقد كانت أكثر حوادث القرن الثامن وحروبه في سبيل خدمتها وهو مادعا أوروبا الى تغيير سياسة التماذي الاولى بالاتفاق على تأييد السلام

ولا ننكر أن الفضل في تمكين هذه السياسة للروسية وألمانيا لأن أنكترا أرادت أن تلعب ألمانيا دور فرنسا في المدة الأخيرة بأن تنهى بأوروبا عن كل سياسة خارجية تخاف ظنها ولما يئست من ألمانيا بعد أن انفصلت عن

وهذا مقام به البنك الاهلي بما اتاه من تسليف الفلاحين والثاني نظارة زراعية وهو مالا تمل من طلبه وهذان الاصلاحان اذا أنفذا كما يجب خدما البلاد اشرف خدمة وحق للمصلحين ان يفتخروا بهما فيعترف لهم بالفضل الوطنيون عن بكرة ابيهم وتتقدم البلاد تقدماً بيناً من جميع الوجوه والله يوفق الى تحقيق أمانينا هذه بمنه وكرمه



وكتب في ٤ ابريل عن سياسة الدول

عرف القراء الكرام من مقالاتنا السابقة ان الدول الاوروبية مهما تباينت غاياتها واختلفت مقاصدها فهي آمنة شبوب الحرب بينها واذا كانت حرب فقد تكون منها جميعها او من بعضها ضد الشعوب الاخرى ولا نقول هذا القول مجازفة وضرباً بالظن بل عن اعتقاد وخبرة ومعرفة وبرهاننا ان اكبر الدول مصلحة في اوروبا وهي المانيا واكثر الدول مصلحة في توسيع نطاقها الاستعماري وهي الروسية لاترضيان بحرب اوروية لانها تكون ضد مصالحها الحيوية ولهذا اتفقت الروسية وأستراليا على حفظ الحالة الحاضرة في البلقان كاتفاق الروسية والمانيا على عدم مساس الحالة الاوروبية الحاضرة واشترطت الروسية ان المانيا لاتعارضها في اعمالها الاستعمارية مطلقاً ولا سيما في الشرق الاقصى

ومعلوم ان جميع الحوادث التي حدثت في الشرقين الاقصى والادنى منذ بضع سنين حتى اليوم قد أيدت هذه المبادئ بالرغم عن الحركات

مع أنهم يعتقدون اعتقادنا ان النظارة الزراعية ليست فقط اهم ما يجب انشاؤه
 لخدمة الزراعة والبلاد بل هي النظارة الوحيدة الضرورية دون سواها على ما
 يعرفه مستشاروهم من احوال النظارات الاخرى التي اشغالها في ايديهم

فاذا كانت اهمية وجود هيئة نظار مصريين محصورة في وجود هيئة
 وطنية لا عمل لها ولا رأي لاربابها وهذا ما يطلق على كثيرين من كبار
 الموظفين في امثال هذه النظارات فالعدل يقضي والحالة هذه باقتصاد المبالغ
 اللازمة لانشاء وزارة زراعية من رواتب اولئك العمال الذين لا عمل
 لهم بل وهم من اموالهم في غنى عن كل راتب ولعلمهم اذا كانوا
 احراراً دون تقييد بخدمة ينفعون البلاد من ابواب اخرى ويفيدون
 ويستفيدون واذا كان بقاء هؤلاء العمال لازماً ثم قيل انه لادرهم لدينا فلماذا
 لا نطلب من صندوق الدين اعطاء الدراهم اللازمة للنظارة الزراعية مع ما في
 ذلك من خدمة البلاد واصحاب الديون معاً

ومعلوم انه لولا جمعية المحاصيل في الاسكندرية التي قامت بفضل تجار
 الثمر ولولا الجمعية الزراعية العمومية في القاهرة التي لم تقم إلا بفضل بعض
 الافراد لما عرف عن زراعتنا شيء البتة مع ان خدم هذين القلماين
 محدودة لا يختلف فيها اثنان ومن الخرق في الرأي ان نكل الشؤون الزراعية
 والتجارية اليهما

وعليه فلا مندوحة للبلاد عن انشاء نظارة زراعية يكون مرجع المزارعين
 والمتجرين اليها في صدق اخبارها وتحسين احوالنا الزراعية وذلك بأن تنتخب الاكفاء
 العارفين بالخيرين للقيام بهذه المهام فتنال هذه الغاية وقد طالما قلنا ان اهم
 الاصلاحات اثنان اثنان بنك زراعي يستدين منه المزارع الكبير والصغير

بحفظها سواء باقامة السدود او بانشاء الخزانات ولكن ذلك غير كاف لخدمة البلاد وقد انحصرت اكثر اشغال المتعاملين والتجارين بالقطن المصري متاجرة او مضاربة

ومعلوم ان تلك الفائدة التي استفادتها مصر من تحسينات الري لا توازي الملايين الكثيرة التي ذهبت خسارة لامن جيوب المضاربين فقط بل من جيوب المزارعين ايضاً لعدم وقوفهم على حقيقة اخبار المحصول القطني في البلاد او لتناقض اخبار الاشغال واختلاف مصادرها حتى شك الجميع وكانوا مصيبين في ما يشكون باعتراف رؤساء نظارة الاشغال انفسهم

فالاهتمام بمياه النيل وحدها اذاً غير واف بالتعرض المقصود بل علينا ان نهتم بشؤون الزراعة سواء كان بتحسين ما نزرعه او بادخال زروع جديدة مع الاهتمام بتحسين حالة الاطيان تحسيناً يستعيب معه الزارع عما يفقه علاوة على نفقته مضطراً الى مخالفة السنة الزراعية حتى رايناه يزرع نصف ارضه فاكثر قطعاً ومن زرع ثلثها فقط فقليل عددهم او هم نادرون

ومن المواد الحيوية للزراعة ان يكون هنالك قلم احصائي يعتمد عليه في تقاريره وتفاصيله وهذا القلم كان في اوروبا ولا يزال قاعدة كل اصلاح ولا سيما في الامور الزراعية ولهذا كانت اميركا وفرنسا الضعيفين الزراعيين وقس عليهما غيرهما من كل بلاد زراعية

وفوائد القلم الاحصائي كفوائد التحسينات الزراعية لاجود لها في بلادنا لعدم اهتمام أولي الامر بهذا الشأن الخطير مع انه اهم الامور وبه حياة البلاد وقوامها المالي والاقتصادي والسياسي ممّا ولا يهذر المصلحون بقولهم انه لا مال لديهم وهم يتصرفون بأموال الخزانة تصرف المالك المطلق

انكثرا الى ان تترف لالمانيا بحقوق كانت هي منفردة بها في منطقة
نفوذها الصينية وما ذلك إلا نتيجة حرب الترنسفال
اما هذا الاتفاق فانه لم يس مطلقاً مصالح الدول الاخرى بل لانعجب
اذا وافقن عليه لانه لا يخرج في جوهره عما اشارت به روسيا في منشورها
وعما قالت به فرنسا في كتابها الاخير الذي امسى القاعدة الرئيسية للمفاوضات
الدولية مع الصين
وكل ماتمناه ان تحل المشكلة الصينية قريباً فيتأيد السلام وتروج الاعمال
التجارية وتتقاسم الشعوب حسنات السلام والله الموفق

صمم

سنة ١٩٠١

كتب في ١٦ مارس بعنوان نظارة الزراعة

كثيراً ما كتبنا في مقالات سابقة عن ضرورة انشاء نظارة زراعية في
قطرنا وايدنا قولنا بالبراهين السديدة والحجج الدامنة وقد اتفقت جرائد
البلاد على تأييد هذا المطالب الوطني اتفاقاً على التنديد بتعدد الحكومة
واحجام مستشاريها ولا نرى الان وقد دارت رحى المضاربات في انحاء البلاد
الا ان نريد الكرة لعلنا نال هذه المرة ما لم نلّه في الماضي فنقول
ان البلاد زراعية وحياتها الزراعة وروح زراعتها انيل المبارك نعم انا
لا ننكر على مصلحة الري اهتمامها بمياه النيل وبمعدالة توزيعها وزيادة الاعتناء

مفترين بذلك اغترارهم السابق في خلاف الدول فيهملون الاصلاحات التي هي وحدها السور الحائل دون مطامع خصومنا وأعدائنا ونحن اليوم نذكرهم بتلك الاقوال وقد رأوا من اتفاق الدول ما ايد اقوالنا وبدد شمل غرورهم لعلهم يستفيدون

ولنرجع الى المسألة الصينية فنرى ان منشور فرنسا هو الذي نال اتفاق الدول جمعا وكان لمندوبي الدول في بكين عاصمة الصين المحور الدائرة عليه المفاوضات مع مندوبي حكومة الصين ويسرنا ذلك لانه ايد اتفاق اوروبا وبهذا الاتفاق خدمة السلام ولانه كان انذاراً كافياً لحكومة الصين التي رأت ان لامناص لها من قبول ما قرره اوروبا اي دفع الغرامة اللازمة ومعاينة المجرمين ومنع ارسال الاسلحة الى الصين والذخائر واقامة حرس دولي لامبراطور الصين في عاصمة بلاده وفتح اكثر من مدينة وولاية لتجارة اوروبا وللاجانب وهذه الشروط وان تكن ضربة عنيفة على الصين الا اننا نراها ضربة اخف ويلاً وضرراً مما لو اصررت ورفضت مطالب اوروبا لانه مهما كان من تساهل الصين فهو لا يضر باستقلالها ضرره ببلاد ثانية يسهل على اوروبا احتلالها في اكثر من جهة اما الصين فيمكنها مع هذه المطالب القادحة ان تنهض من سقطتها اذا قام رجالها بواجباتهم الوطنية خير قيام واقتدوا بجارتهم اليابان علماً ومدينة وهو ما ننتظره من نهاء هذه الامة الذين اشاروا اليوم على امبراطورهم بقبول هذه الشروط ولهذا نقول ان لنا ملء الثقة بحل المشكلة الصينية حلاً سلمياً مهما اختلفت غايات الدول وتباينت اغراضها

اما الاتفاق الانكليزي الالماني الذي طبنت به جرائد انكلترا وتخوفت منه بعض جرائد اوروبا فهو ظفر بين لسياسة غليوم الثاني اذ اضطر

وكتب في ٧ نوفمبر تحت عنوان المسألة الصينية

إذا تذكر قراؤنا الكرام ما كتبناه عن هذه المسألة ونحن بين لندرا وباريز عرفوا ان ما قلناه نقلاً عن الثقات كان الحقيقة التي لم تغيرها الحوادث الاخيرة مطلقاً رغمًا عما كان من منشورات روسيا والمانيا وفرنسا واتفاق انكاترا والمانيا اخيراً ونحن نعيد في مقالة اليوم خلاصة ذلك ثم نستوفي البحث

قلنا انه مهما تباينت اغراض الدول واختلفت مقاصدهن فلا خوف من حدوث خلاف بينهما اولاً لان الاتفاق وان كان قليل الفائدة فنتيجته اضمن للمستقبل من نتيجة الخلاف ولو كان طفيفاً ثم ان المسألة الصينية جاءت مؤيدة لما سبقنا فقلناه وهو ان اوروبا اقرب الى الاتفاق منها الى الاختلاف في كل مشكلة سياسية تحدث خارجاً عن اوروبا وعن البلاد المتحدة لان جميع الدول على اتفاق في وجوب تأييد السلام في ربوعها ثم قلنا ان هذا الاتفاق قد لا يشوبه خلاف ابدًا حتى في المسائل الاستعمارية مازال في امكان الدول ان يقبضن اثمان ذلك من جيوب الشعوب الاخرى وهذا قد يطرد امره الى ان تتآخم الدول بعضها بعضاً في كل جهة وصوب وعند ذلك فاما ان يكون الخلاف كما كان في السابق بين دول اوروبا في اوروبا او ان تغلب المدنية على الحمجية وتتآخى الشعوب في مستعمراتها وأملاكها الشاسعة الخارجية تأخيرها اليوم في اوروبا بفضل المدنية والعلم والمعارف والذي يحملنا على ترديد هذه المقدمة هو خدمة حكام المشرق عموماً الذين أرادوا ان يروا في مسألة الصين حاجزاً دون اغراض خصومنا فينا

مفترين بذلك اغترارهم السابق في خلاف الدول فيهلون الاصلاحات التي هي وحدها السور الحائل دون مطامع خصومنا وأعدائنا ونحن اليوم نذكرهم بتلك الاقوال وقد رأوا من اتفاق الدول ما ايد اقوالنا وبدد شمل غرورهم لعلهم يستفيدون

ولنرجع الى المسألة الصينية فترى ان منشور فرنسا هو الذي نال اتفاق الدول جماء وكان لمندوبي الدول في بكين عاصمة الصين المحور الدائرة عليه المفاوضات مع مندوبي حكومة الصين ويسرنا ذلك لانه ايد اتفاق اوروبا وبهذا الاتفاق خدمة السلام ولانه كان انذاراً كافياً لحكومة الصين التي رأت ان لامناص لها من قبول ما قرره اوروبا اي دفع النرامة اللازمة ومعاقة المجرمين ومنع ارسال الاسلحة الى الصين والذخائر واقامة حرس دولي لامبراطور الصين في عاصمة بلاده وفتح أكثر من مدينة وولاية لتجارة اوروبا وللجانب وهذه الشروط وان تكن ضربة عنيفة على الصين الا اننا نراها ضربة اخف ويلاً وضرراً مما لو اصررت ورفضت مطالب اوروبا لانه مهما كان من تساهل الصين فهو لا يضر باستقلالها ضرره بلاد ثانية يسهل على اوروبا احتلالها في أكثر من جهة اما الصين فيمكنها مع هذه المطالب القادحة ان تنهض من سقطتها اذا قام رجالها بواجباتهم الوطنية خير قيام واقتدوا بنجارتهم اليابان علماً ومدينة وهو ما نتظره من نهاء هذه الامة الذين اشاروا اليوم على امبراطورهم بقبول هذه الشروط ولهذا نقول ان لنا ملء الثقة بحل المشكلة الصينية حلاً سلمياً مهما اختلفت غايات الدول وتباينت اغراضها

اما الاتفاق الانكليزي الالماني الذي طنطننت به جرائد انكارتا وتخوفت منه بعض جرائد اوروبا فهو ظفر بين سياسة غليوم الثاني اذ اضطر

وكتب في ٧ نوفمبر تحت عنوان المسألة الصينية

إذا تذكر قراؤنا الكرام ما كتبناه عن هذه المسألة ونحن بين لندرا وباريز عرفوا ان ما قلناه نقلاً عن الثقات كان الحقيقة التي لم تغيرها الحوادث الاخيرة مطلقاً رغماً عما كان من منشورات روسيا والمانيا وفرنسا واتفاق انكترا والمانيا اخيراً ونحن نعيد في مقالة اليوم خلاصة ذلك ثم نستوفي البحث

قلنا انه مهما تباينت اغراض الدول واختلفت مقاصدهن فلا خوف من حدوث خلاف بينهنّ اولاً لان الاتفاق وان كان قليل الفائدة فنتيجته اضمن للمستقبل من نتيجة الخلاف ولو كان طفيفاً ثم ان المسألة الصينية جاءت مؤيدة لما سبقنا فقلناه وهو ان اوروبا اقرب الى الاتفاق منها الى الاختلاف في كل مشكلة سياسية تحدث خارجاً عن اوروبا وعن البلاد المتحدة لان جميع الدول على اتفاق في وجوب تأييد السلام في ربوعها ثم قلنا ان هذا الاتفاق قد لا يشوبه خلاف ابداً حتى في المسائل الاستعمارية ما زال في امكان الدول ان يقبضن اثمان ذلك من جيوب الشعوب الاخرى وهذا قد يطرد امره الى ان تتآخم الدول بعضها بعضاً في كل جهة وصوب وغند ذلك فاما ان يكون الخلاف كما كان في السابق بين دول اوروبا في اوروبا او ان تغلب المدنية على الهمجية وتتآخى الشعوب في مستعمراتها وأملأكها الشاسعة الخارجية تأخيرها اليوم في اوروبا بفضل المدنية والعلم والمعارف

والذي يحملنا على ترديد هذه المقدمة هو خدمة حكام المشرق عموماً الذين أرادوا ان يروا في مسألة الصين حاجزاً دون اغراض خصومنا فينا

انصاره ومريديه لانه اذا كان سمود قد قال بوجود توثيق عرى العلائق التجارية بين البلدين فهو قد اراد منع سوء التفاهم الذي كان حاصلًا قبلًا بسبب وشايات خصوم مصر واعدائها وفضلاً عن ذلك فان الجنب الخديوي يقدر حقوق السلطنة حق قدرها وهو قد سعى اكثر من كل خديوي قبله الى تأييدها وسيحضر احتفال العيد القضي السلطاني لهذه الغاية وهو لايجعل ايضاً مالاوروبا من المصلحة في مصر والسودان وانه وان اخلص له الانكيز فليس من مصالحته ومن مصلحة الامة الاسلامية عموماً ان يبعد عنه الجنب السلطاني واوروبا اذ لولاهما لقضي على مصر من زمان طويل وقد تعين عليه ايضاً مع محافظته على مصر ان يمنع صيرورتها سبباً لخسارة غيرها من بلاد الشرق لان الدول لا تترك مصر لانكيزا دون عوض

واما المحافل السياسية غير الانكليزية فقد اثرت فيها زيارة الجنب الخديوي تأثيراً حسناً لانه لم يقل في كلامه الرسمي الا ما عرف عنه فهو بذلك ايد حقوق مصر وحقوق السلطنة وحقوق الدول وما دامت تلك مبادئه فلن ينال الانكيز منه تحقيق رغائبهم سواء في مصر او في الاستانة وبالتالي فانه ليس من الحكمة ان تترك مصر كل امل في نفسها وفي

سلطانها وفي اوروبا وتلقي بنفسها بين مغالب الاسد الانكليزي فيفتربها هذا ما استطعت ان اعرفه عن تأثير هذه الزيارة وسوف يكشف لنا المستقبل حقيقتها . على اننا نكرر اليوم ما قلناه مراراً وهو انه من مصلحة الانكيز ان لا يعبثوا بمصلحة مصر وان يوجهوا عنايتهم الى استمالة الامة المصرية واميرها اليهم وذلك لا يكون الا اذا اعتدلوا في سياستهم واحترموا حقوق الحضرة الخديوية وراعوا مصالح الامة المصرية

ذلك الرجل الذي يرميه بعض الانكايين بالسنتهم الحداد وقد أثبت بالخطاين
الذين ألقاهما في قاعة جلدهول بلندرا انه مصري وسياسي مع ان حضرة
المحافظ ضمن خطابه تلميحات سياسية وتصريحات لا يخفى معناها على التطن
الليب ولكن الجنب الخديوي أجابه جواباً بسيطاً ولكنه سياسي اما بساطته
فلأنه لم يذكر فيه تلميحات المحافظ بكلمة وأما كونه سياسياً فلأنه تكلم
فيه عن بلاده كأنها مستقلة يود تقدمها ونجاحها بازدياد الصلات التجارية
بينها وبين انكلترا. هذا ما كان من مخاطبة الخديوي الرسمية وأما زيارته
للورد سالسبري فاننا وان كنا لم نحضرها غير اننا لانستغرب ان يكون سموه
قد قال له تليحاً « ها قد عرفتموني الآن وأنا عالم ما قاله ضدي بعض
رجالكم وبعض رجالى المصريين وهو كلام يسهل تفنيده فانكم لا يمكنكم ان
تقولوا انكم تحبون مصر وخير مصر اكثر منى فاذا كانت مشاريعكم لفائدتنا
فانا اول معضد لها وإلا كنت مصيباً في معارضتها ولدي براهين عديدة
على صحة قولي هذا وهو ان كثيراً من تلك المشاريع التي انفذتموها
رغمًا عن قولي لرجالكم انها غير مفيدة قد اضطرتكم تجربتها الى الفاشا
بعد ان تحمل الاهالي ضررها » هذا دون شك كان منزى حديث
الخديوي ولو لم نسمعه ولو لم يصرح سموه به ولكن اللورد سالسبري
واخوانه فهموه وأدركوه فاذا كان ذلك املنا ان يتبدل رجال الاحتلال
في معاملتهم للمصريين ولا سيما في المشاريع التي لها علاقة بالشرعية الزراء كما
قال سموه للسير جون سكوت عند ما تشرف بمقابلته في لندرا

وعليه فلا يجب ان نصدق ما اشاعه بعض الانكايين من ان الخديوي
ورجاله الذين كانوا اشد خصوم الاحتلال اصبحوا بعد هذه الزيارة من

الدولة العلية في لندرا وهكذا كان فان الجنب الخديوي قبول مقابلة الملوك وحضر جميع الاحتفالات التي اقيمت له سفير الدولة العثمانية وودع سموه كما قبول ومن المعلوم ان الحكومة الانكليزية لا يمكنها ان تسأل الجنب الخديوي أمراً سياسياً لان مصر جزء من السلطنة ولان لاوروبا مصالح مهمة فيها ولكن حوادث الترنسفال الاخيرة وما انتاب انكثرا من حوادث تخوم الهند ومعرفة الانكيز ان المصريين والسودانيين غير راضين عن الاحتلال الانكليزي مهما كانت حسناته وطموح اوروبا الى الاستعمار ومزاحمتها لانكثرا في ميدان السياسة والتجارة كل ذلك يضطرها الى مسالة خديوي مصر لانه اذا كان راضياً ولو في الظاهر قلل نفور الامة المصرية من الانكيز وقد رأوا ان سموه أيد في حوادث الخرطوم الاخيرة سلامة نيته وصفاء سريره وإلا لما وقف الامر عند الحد الذي وقف عنده سواء كانت تلك الحادثة صحيحة او من عنديات الانكيز انفسهم

ومعلوم ايضاً ان الانكيز ادركوا مبلغ الخسارة التي خسروها في بلاد الدولة العلية بسبب احتلالهم لمصر وأيقنوا انهم اذا استمالوا سمو الخديوي اليهم فقد يمكنهم ان يستخدموا ميله في سبيل اغراضهم في الاستانة ولهذا أرادوا هذه الزيارة وعملوا لتحقيقها لان السياسة الانكليزية ترمي الى بعيد والوقت حليفها فلا تياس من الانتظار والانكيز اذا فازوا بذلك حسنوا علائق المصريين معهم وكان لهم بمصر ما يزيد نفوذهم في الاستانة كيفما أرادوا ان يصبوا سهام سياستهم على ما تقتضيه اغراضهم وما ربههم

أجل هذه هي الغاية التي يسعى الانكيز الى تحقيقها ولكن الجنب الخديوي بزيارته لجلالة الملكة ومقابلته لرجال حكومتها برهن على انه ليس

وكتب في ٢٢ يوليو من لندن عن تأثير زيارة الجناب الخديوي لتلك العاصمة

تكلمت جرائد مصر على سفر الجناب الخديوي ونتائجه قبل ان غادر سموه مصر وبعد ان زار جلالة ملكة انكلترا وتكلمت بعض الجرائد الانكليزية في الموضوع نفسه وأجمعت على أن خديوي مصر جاء الى انكلترا واعترف بفضل الاحتلال وأنه رأى بعد التردد تارة والمعارضة تارة أخرى ان يخلص الاتفاق مع رجال الاحتلال لتعميم الاصلاح في القطرين المصري والسوداني ذلك منزى اقول جرائد انكلترا وأما اقوال جرائد مصر فقد عرفها القراء ولهذا انحصر كلامي في هذه الرسالة في ايراد ما يقوله رجال الانكليز هنا عن هذه الزيارة وعن تأثيرها في المحافل السياسية غير الانكليزية ان الانكليز الذين يستمدون رأيهم من جرائدهم يتقدمون ان زيارة سموه عبارة عن اعترافه بفضل الاحتلال وأنه ما حضر الى لندن إلا ليبرهن لحكامها على أنه ليس ذلك الرجل المعارض لهم الذي لا يود ان يسير وإياهم على وفاق واتحاد

وأما محافل لندن الرسمية فنقول ان الجناب الخديوي ما زار لندن إلا مجاملة لجلالة الملكة وأنه قرر زيارتها في زمن كانت فيه احوال انكلترا في الترانسفال بالغة حد الاضطراب وأنه من مصلحة انكلترا ان تهتم باستمالة خديوي مصر اليها وما دامت الزيارة قد تقررت وجب ان يقابل سموه المقابلة الرسمية الواجبة بقطع النظر عن وجود احتلال انكليزي في مصر ونقرر ايضاً حفظاً لحقوق السلطنة العثمانية ان يشهد الاحتفال حضرة سفير

مهما اوروبا حتى لاتراها شوب الشرق بالعين التي تنظر بها الى المانيا
وغيرها وحتى لا تكون اقل نفوذاً من روسيا

وأنا لا أقول ذلك تحاملاً على ساسة الانكليز بل هي الحقيقة التي
لا ينكرها علي رجالهم انفسهم ولا بحث مع انكليزي الا وهو يرى هذا الرأي
ايضاً ولو غارضه من بعض الوجوه ليبر سياسة بلاده

واوروبا اليوم في مسألة الصين لا ترى لها خصماً سوى البوكسر سوا
اشتركت الحكومة الشرعية في الثورة اولا لانها بذلك تتوصل الى إخماد
الثورة بطريقة اسهل وهذا لا يمنحها حينما يعود الامن ان تطالب تلك
الحكومة الشرعية بانفاذ مطالبها واجراء رغائبها ليس فقط فيما يتعلق بماملة
الاجانب على اختلاف مللهم ونحلهم بل باجراء الاصلاحات الواجبة في الولايات
الصينية ولا سيما مد الخطوط الحديدية والاسلاك التلغرافية تقرباً للابناد
حتى يسهل على كل دولة اوروبية ان تسير جيشاً تقمع كل ثورة تشب
نارها في جوار منطقة نفوذها لان اوروبا ستضع في تلك الجهات قوات
كافية تداركاً لمثل هذه الثورة والتجارب خير وائظ ومؤدب

والذي نستنتجه من حوادث الشرق انها تقضي كل حرب عن اوروبا
وبين دول اوروبا وانها توحد كلمتها وتؤيد اتفاقها في المسائل الاستعمارية
عموماً وفي مسائل الشرق خصوصاً وان انكثرت يد ان كانت منفردة طلقة
اليدين خارج اوروبا أمست واحدة من المجموع الدولي وهي أمور مهمة
سنعود الى البحث فيها قريباً

وقد ارادت انكلترا الآن ان تستخدم المسألة الصينية وسيلة لارجاع نفوذها الاول الى تلك الاصتماع فسألت اميركا ان تتفق معها ومع اليابان على تأديب الصين فأبى الاتفراد وسألت الاشتراك مع سائر الدول ذات المصاحبة هنالك فلم يصف ذلك عزم انكلترا بل اقترجت تأييد اليابان وطلبت من المانيا ان تقنع روسيا بذلك وحجتها ان قرب اليابان مع الصين يمكنها من قمع الثورة الصينية وحدها دون معونة اوروبا في اقرب وقت ولكنها فشلت في طلبها لان المانيا اجابتها بخطاب عنيف التهجة وهو الخطاب الذي لفظه الامبراطور غيلوم وأبرق فيه وأرعد على الصين وصب عليها صواعق الغضب والسخط وقد أبى المانيا ايضاً ان تشير على روسيا بقبول طلب انكلترا اولاً لانتقادها ان روسيا ترفض الطلب وثانياً لان المانيا لا يروق لها ان يأخذ بثار سفيرها ياباني او انكليزي ولهذا قالت جرائد المانيا الشبيهة بالرسمية ان غيلوم الثاني قال بسياسته هذه حتى لا يكون آلة لانفاذ اغراض الانكليز وكانت نتيجة المفاوضات الدولية اشتراك أكثر الدول في مقاتلة الصين وأن تسمح لليابان بان تشاركها كاحدى الدول ليس إلا وهكذا كان وكانت انكلترا في المسألة لا تختلف عن فرنسا واليابان وغيرها وبمعنى اوضح ان ذلك المجتمع الاوروبي صاحب الكلمة النافذة والقول الفصل في اوروبا هو صاحب الكلمة والقول الفصل في الشرق الاقصى ايضاً وتلك نتيجة اضرت جداً بنفوذ انكلترا السياسي في الشرق الاقصى لانها مع قربها منه في الهند وأفريقيا لا تقدر على ارسال قسم من عساكرها الى تلك الانحاء ولهذا اكدت بارسال عدد قليل من حامية الهند ولكن لولا حرب الترانسفال لما احجمت عن ارسال قوات عظيمة ولو اشتركت

في سائر جهات آسيا وحمل المانيا نفسها على ان تفضل ممالاة روسيا على
ممالاة انكلترا وهي حقائق يعترف بها اقطاب الدولة الانكليزية وان تكن
جارحة ولكنهم يقولون ان ذلك كان لابد منه فيجب علينا ان نرضى
بأفريقيا ملكاً لنا وهو عذر الضعيف ولو ان نتيجته مضرة بنا نحن العثمانيين
عموماً وللمصريين خصوصاً

ولما ظهرت المسألة الصينية في مظهرها الجديد المخيف رأينا انكلترا
مغلولة اليدين تمنعها حربها الظلمة في الترانسفال من الظهور في تلك الانحاء
بالمظاهر التي تتطلبها مصلحتها السياسية ومراقبتها المالية . نعم ان انتصارها على
الترانسفال كان منتظراً ولها في تلك الجمهورية من العساكر جيش يزيد عدده
على عدد سكان الترانسفال الضعيفة ولكن ذلك النصر لا يعتبر الآن نهائياً
لان البوير لا يرضون بالذل كنيرهم ولا يحنون رقابهم للنير الانكليزي بل ان
انكلترا مضطرة ان تخصص جيشاً عظيماً لحفظ الامن في تلك البلاد التي
قد تهب للاخذ بالثار في اول حرب تقع بين انكلترا وبين دولة اوروبية عظيمة
ولا يخفى ان الصيني والياباني والهندي لم يكونوا يعرفون في حياتهم
السياسية سوى الانكليزي الى ان تغلبت اليابان على الصين وكان ماكان من
اتفاق روسيا والمانيا وفرنسا على صد مطامع اليابان ومعاكسة سياسة انكلترا
ففرغ أولئك الشرقيون ان في العالم الاوروبي دولاً ثانية مما اضعف نفوذ
انكلترا وان يكن هذا الضعف ناشئاً عن تحالف دول ثلاث ضدها وقد
عرفنا ما ترتب على تداخل هذه الدول من فتح ابواب الصين وتحديد
مناطق نفوذ كل منها في بعض املاك مملكة ابن السماء وقد رضيت به
انكلترا صاغرة منقاداً

شهرآء مالم يعرفه ناظر او مدير بعد قضاء العمر فيها على انهم لو رأوا فينا مثل اجتهادهم وثباتهم لما لأونا وحاسنونا كما يفعلون مع اهل كندا او استراليا ولكن لو كانت تلك صفاتنا لما احتلوا بلادنا وتداخلوا في أمورنا وقبضوا على أزيمة ادارتنا وحلوا بسلطتهم محل سلطتنا

على اننا مع اعترافنا بهذا الامر، لانيأس من المستقبل ولكن على شرط ان نعمل عملهم ونقتدي بآثارهم وتتخذ صفاتهم لنعمل لمصلحتنا كما يعملون لمصلحتهم لانهم وان كانوا اصحاب القوة والامر إلا ان أمامهم من الحوادث الاستعمارية والمشاكل الاوروبية ماقد يساعدنا على تحقيق امانينا وصيانة حقوقنا والله وليّ التوفيق

وكتب في ١٥ لوليو من باريس عن انكلترا والمسالمة الصينية

كانت افريقيا ولم تزل حبر عثرة في طريق سياسة انكلترا وقد ايدت حوادث الصين الاخيرة هذا القول كل التأيد واليك البيان عرف القراء ان احتلال انكلترا لمصر ونكثها ليهودها ووعودها نفر منها الشرق وشعوبه وأبعد دولتنا العلية عنها وقربها من خصوم الانكايز القدماء وغلّ يدي انكلترا في جميع المسائل الاوروبية وأمست دولة من الدول بعد ان كانت بمثابة اوروبا كلها تقول وتفعل ماتشاء فلولا مصر لما حالقت فرنسا روسيا وأنت اعلم بما ترتب على هذا التحالف من الانقلاب السياسي الذي أيد روسيا في سياستها المخالفة لسياسة انكلترا في الشرق الاقصى بل

قصدا اية مدينة شرقية لا يمكنها اجنبي رأينا كثيراً من اصناف المسكرات
يستعملها الاهالي ولا يعرفها الاجنبي فمن اوجد العرق في دمشق ومن
اوجد الحشيش في مصر والافيون في الهند

لا يد للاجنبي في ذلك كله ولا لوم على اوروبا لانها هي نفسها تشكو
استعمال امر المسكرات في بلادها ولكن هو التيار العام لا تقف في وجهه
قوة ولا يحول دونه حاجز وعليه وجب ان تتخذ المبادئ الدينية والصحية
سلاحاً لمحاربة هذا الداء وقطع دابرهِ كما تحارب اوروبا

وبعد فلنفرض اننا نحن الشرقيين 'خلقنا من طينة غير طينة الاوروبي
اي لا نقيسة عندنا وان ذلك الاجنبي دخل بلادنا بمساوئهِ ومحاسنه فلماذا
لا ننبذ مساوئهِ ونقتبس محاسنه في حين اننا نفعل عكس ذلك بل نحن نرى
ان اكثر الذين تعلموا في اوروبا من ابناء الشرق هم الذين تصيهم آفات
الغرب وهم الذين ينقلون مساوئهِ اليها فهل يجب ان نقضي على الاجانب
لأننا نعلمنا منهم رذائل فريق منهم وعمينا عن حسنات مجموعهم مع اعتقادنا
بانهم اغنى منا وأعلم وان دولهم وحكوماتهم هي صاحبة الامر المطلق في
بلادها والكامنة المسدودة في بلادنا

لهذا نرى ان الحكمة وصواب الرأي يتضيان علينا بأن ندعو اغنياء
الامة الى اقامة المدارس وانشاء الشركات الاقتصادية النافعة وان نقتبس احسن
صفات الاجنبي ومناقبهِ ونستلم منه مبادئ الاقدام والحزم والثبات والاثبات
وان يكن عدواً لنا وخصماً. نحن ضد سياسة انكسار التي احتلت مصر
لتبتلعها مع السودان ولكن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بفضل بعض الافراد
من ابنائها وكم مرة رأينا الواحد منهم عرف في ادارته بعد ان استلم زمامها

والغريب عن عاداتنا مع اعتقادنا اننا لولاه لاستحال علينا ان نجهر برأي
ونفاخر بعرفان فهو اذا اضر باليمن أفاد باليسار فالواجب علينا ان نصطفي
الحسن من اخلاقه وعاداته وتنشبه به في اجتهاده وثباته لا ان نفوقه في فنون
الغاب الورق وشرب الخمر وسائر ما يخالف الدين والمصلحة ولا نتعلم منه
كيف يقتصد ويكتسب او كيف يجتهد ويتعلم وأين ترددنا من حزمه او
اين ثباته من ضعفنا وأين تألف قلوب الاجانب من تفرق قلوبنا وتشتت
كلماتنا

لماذا نلوم هذه الدولة او تلك الامة لانها تجرد جيوشها لتفتح بلاد
ثانية واستثمارها واستثمار اراضيها . هل كانت اسباب الفتوحات في السابق
عند العرب والجم والترك والرومان واليونان غير اسبابها اليوم . هل تمكن
الوهم منا الا لاضف عزيتنا . ألم يقل سعيد باشا الصدر الاسبق يوم ضمت
بلغاريا الرومي الشرقية اليها بوجوب النارة على تلك الامارة وتأديها عبدة
لها ولسواها فماذا كانت نتيجة حزمه . كانت ابعاده عن منعة الاحكام ولزومه
منزله كأنه اذنب الى وطنه والى أمته بل نقول انه لولا بعض دول اوروبا
لما أقدمنا على محاربة اليونانية مع ان قوادنا جهرُوا بأنهم يقدرُون على سحق
اليونانية في مدة قريبة ولكن استسلام الامة واستماتة كبار رجالها واشتغال
اكثرهم بمصالحهم الخصوصية أمور مكنت الاجنبي منا وكان هو صاحب الامر
المطلق في حركاتنا وسكناتنا فاللوم إذاً يجب ان يقع علينا لانه هو يشتغل
لمصلحته اما نحن فنعاكس مصالحنا بانفسنا

ثم اننا نذم انتشار الاشربة الروحية الواردة من اوروبا وحكامنا يجتهدون
ان يسهلوا ورودها لتزيد ايرادات الخزينة وينكرون علينا هذا الاجتهاد واذا

سنة ١٩٠٠

كتب في ١٣ مارس عن اتحاد العناصر العثمانية على اختلافها وهي أمنية كل محب

لشرق

رضينا بما ارتآه بعض الكتاب الشرقيين من تأليف القلوب بين جميع العناصر العثمانية وامتدحنا تلك النهضة الادبية من الكتاب المسلمين الذين قاموا أخيراً يناقشون الأمة وحكامها الحساب لاننا رأينا في هذه النتيجة تعزية خصوصية لنا بعد ان ناديناهم وأنذرناهم اعواماً طوالاً في صفحات الاهرام وزاد سرورنا تعزidium لمبادئنا وتأيدهم لسياستنا اي وجوب توسيع نطاق المعارف وتعميم العلوم المصرية وهي خطة شريفة ومبادئ وطنية نبيلة نرجو من اصحابها ان يثابروا عليها ويشبتوا فيها وأن لا يأسوا اذا لم يروا تلك النتيجة التي يؤملونها في وقت قصير فان الطفرة محال وهم يعلمون اننا صبرنا ربع قرن ولم نياس بالرغم عما لاقيناه من المعارضات الرسمية واستسلام رجالنا ولا يخفى ان النهضة العلمية الحالية ليست سوى مقدمة نتائج مفيدة للبلاد سواء في الاقتصاد والادارة والسياسة ولنا بما اتاه اعيان المنوفية من تشييد المدارس ما يبرهن على ان المصري شعر بواجبه الوطني نحو أمته وبلاده

على ان هذا الشعور لا يجب ان يضلنا عن الطريق المثل الواجب اتباعها والسير عايتها مندفعين بنزق الشباب ودعوى المعرفة ضد الاجنبي عن بلادهم

الثانية التي يبلغ ثمن مجموعها السنوي بضعة عشر ملياراً مما أيد ما قاله أحد الاقتصاديين من أن العامل الأول في رواج الأعمال هو رواج الصناعة والمعادن الذهبية هي العامل الثاني

أما رواج الأسواق الصناعية مع كثرة الاختراعات الحديثة فلم يضر بالعامل والصانع على الإطلاق بل إن حالته اليوم أحسن مما كانت عليه في السنين الغابرة وقد قال الاقتصادي الأميركي فلانت في هذا المعنى ماثوداه « لقد حلت قوة الرجل المضوية محل القوة الآلية فامسى يشتغل بعقله وجسمه وهو يزداد همة واجتهاداً يوماً عن يوم ولهذا زادت حرته وراح يتمتع بفوائد العصر الجديد تتمتعاً لم يعرفه السابقون الذين كانوا ينامون في سرايب تحت الأرض لا منفذ للهواء إليها ولا يرون النار في البرد القارص ولا يذوقون اللحم مرتين في الشهر. أما عامل اليوم فيعيش عيشة أعيان القرون الماضية ويمتاز عنهم بالحرية والفضل في ذلك لكبار العقول وفطاحل الرجال كفولتون وفرانكلن وغيرهما من نوابغ هذا العصر »

أما نحن فلم نقصد بما ذكرناه عن أحوال التجارة والصناعة في أوروبا وأمريكا وعمّا بلفته الأهم الغربية من النجاح والتقدم إلا استنهاض همم أبناء الشرق لا إلى مسابقة أوروبا ومزاحمة أميركا في اختراعاتها بل إلى التشبه بها في العلم والمدنية لنعرف كيف نستفيد من تلك الاختراعات ونشترك مع ابنائها في فوائد علومها وفنونها وبعد ذلك يسهل علينا أن نزاحمها في أرضنا وأن نناظرها في البلاد الثانية لأن المصري أحق بمكاسب السودان من سواه وأولى من غيره بخيرات بلاده وبركات قطره

الشركات وتكثير اموالها فساعدتها ذلك على تقايل النفقات واستطاعت ان تستخرج المعادن برجالها ومالها وان تنقلها على مركباتها وسككها وتصنعها في معاملها ثم تشحنها الى اوروبا على سفنها فكيف بعد ذلك لا تقوى على مزاحمة الصناعة الاوروبية عموماً والانكليزية خصوصاً ليس فقط في السودان حيث بنت كبري المطبرة بل في انكلترا نفسها

ولا ننكر ان تلك الشركات يمتور بعضها الخلل الذي يؤدي الى ضياع اكثر اموالها كما جرى في اوروبا واميركا منذ عشرين سنة مما حمل المالبين على استثمار اموالهم بشراء سندات الحكومة وغيرها من القراطيس ذات الايراد الثابت ولو كان قليلاً ولكن رواج الصناعة الحالي يقضي بالمضاربة واندفاع الناس الى المضاربة لا يخلو من الخطر الا انه خطر لا يذكر بازاء الارباح العظيمة التي يربحها المؤسسون والمساهمون والخزانة

اولا نرى ان الشعب الاميركي قد وضع نحو ٥٠٠ مليون جنيه في البنوك الاقتصادية وان ريع السكك الحديدية والسفن النقالة في البحار والانهار قد زاد كما زاد ريع سائر المشروعات النافعة ولولا اعتقاد اووربا بان اراضي امريكا تسع ستة اضعاف سكانها الحاليين فتزداد حاجات معاشها اضعافا خافت كثيراً شراً مزاحمة اميركا ومناظرتها

وقد علمنا ان كثرة الشركات المالية حصلت بسبب اتساع نطاق الصناعة ولهذا باع المالبين سندات الحكومة املا منهم بزيادة الارباح فنزلت اثمان الرانت الفرنسية وغيرها ذات الايراد الثابت كما علمنا ان استخراج كمية من الذهب ثمنها مليار فرنك لا يفي وحده بحاجات الصناعة مادام ثمن الحديد وحده ملياراً اي بقدر ثمن الذهب فضلاً عن المعادن

وقد تمكنت اميركا بما اخترعته من آلاتها ان تستخرج ١٢ مليون طن من القصدير والحديد بعد ان كانت تستخرج ستة ملايين طن ويقدر ان ماتستخرجه في هذه السنة يبلغ نحو ٢٠ مليوناً ثم انها كانت تستورد من الخارج سبعة اضعاف ماتستورده انكثرا فأمست الآن تصدر مليوناً زائداً وبعد ان كانت انكثرا تصدر اربعة ملايين صارت لاتصدر الا ثلاثة ارباع المليون وبذلك ضربت مزاحمة اميركا تجارة انكثرا ضربتين شديتين الاولى ان انكثرا اصبحت محتاجة الى واردات خارجية والثانية ان صادراتها امست تصادف مزاحمة في الاسواق الاجنبية وكانت انكثرا تستخرج نحو ٢٠٠ مليون طن من الفحم الحجري فأخذت اميركا تستخرج الآن ١٨٠ مليوناً منه وبذا لاثبت ان تراحها في صادراتها كلها مما جعل اوبرت هيل الاقتصادي الاميركي يقول

« اننا نحن الاميريكيين اتقننا متعجبون من هذا النجاح والازدهار ولو انهما ثمرة اهتمامنا واجتهادنا اعواماً طويلاً قامت الامة في خلالها كرجل واحد وكان كل فرد منها كأنه الامة بأسرها يسعى الى رفع شأن الشعب وتعزيز جانبه والله اعلم بما ستكون نتيجة ذلك في السنين الآتية مادامت الكهرباء والديناميت يساعدان رجالنا على التنين في الاختراع والابداع ولذلك فنحن واثقون بالتغلب على خصومنا وتذليل كل عقبة سياسية او اقتصادية »

وكنى بمثل اقوال هذا الاقتصادي برهاناً على مهمة الاميريكيين واقدامهم وحدث ولا حرج عن شركاتهم الحالية فان رأسمال اصنرها يبدل ثروة شركات دولة اوروبية وقد اضطرهم اتساع نطاق الصناعة الى توسيع نطاق

وكتب في ٣٠ اغسطس عن الصناعة في اميركا

بحثنا في مقالة سابقة في احوال اوروبا الاقتصادية ورواج اسواق التجارة والصناعة فيها ووعدنا بنشر مقالة خاصة عن اميركا ونحن منذ زون اليوم ما وعدنا به فنقول

ان نوع حكومة هذه البلاد جعل كل فردٍ من ابنائها يهتم بأعماله كأنه هو الأمة كلها وصاحب تلك القارة بأسرها ولهذا تسابق الاميريكيون الى الاكتشاف والاختراع واستخراج المعادن وبث هذا الاجتهاد في صدر كل فردٍ روح المنافسة والمناظرة فتنافس في البداية سكان كل ولاية على حدة ثم اخذت الولايات تزامم بعضها بعضاً ثم كان من تلك الولايات المتحدة انها اتحدت على مزاحمة اوروبا ودارت رحى الحرب التجارية والصناعية بين العالم الجديد والعالم القديم

وقد جاهد الاميريكي ولا جهاد الابطال حتى توصل بصبره وثباته وعلمه واختراعه الى نيل أكثر حاجاته الخاصة والعامة من ارضه وبلاده ولهذا امتازت اميركا على سائر الدول بكون صادراتها تزيد عن وارداتها وزاحمت اوروبا في آسيا اولاً وفي القارة الاوروبية ثانياً ولم تحمل دون واردات اوروبا الا لانها باختراعاتها الحديثة خفضت اثمان البضائع والصنائع وجعلت تبيعها في اوروبا نفسها بثمن أقل من اثمان المعامل الاوروبية وهو امر لم تسبقها اليه دولة الا انكثرتا ولكن ايام لم تكن اوروبا مهتمة بالصناعة اما اميركا فقد فعلت ذلك ودول اوروبا تراحمها واحداها تناظر الاخرى

الصين ومصر والسودان واكثر انحاء افريقيا لوضع يدها على تلك الاراضي الشاسعة تعزيزاً لتجاريتها وصناعاتها. على انها لا تجهل ما يمكنه لنا المستقبل من مزاحمة روسيا وهنا عقدة المسألة

ولا نذكر سكة حديد روسيا الممتدة الى الصين ونغني بها سكة حديد سيبيريا ولا مشروعها السياسي الذي اشار به الاسكندر الثالث وأيده تقولا الثاني وهو انشاء خليج من بحر البلطيك الى المحيط الاطلنطي فالبحر المتوسط وبه تقرب الابداء بين داخلية بلادها والبحر الاسود فتصبح الاولى في الشرق الادنى بخليجها كما ستكون الاولى في الشرق الاقصى بسككها الحديدية بل نذكر تقدمها الاقتصادي في الصناعة والتجارة فقد ثبت ان هذه الدولة قد خففت كثيراً وطأة الصادرات الاجنبية وانها قدمت في الربع الاخير من هذا القرن تقدم غيرها في قرن كامل واذا بقيت سالكة خطها الحالية تمكنت في ربع قرن ثانٍ ليس فقط من نيل الاستقلال الصناعي بل من مزاحمة انكارتا المزاحمة القوية في الشرقين الادنى والاقصى فتسي حينئذٍ الخصم الال للنعصر السكسوني في السياسة وفي الاقتصاد

هذا ما اردنا تعليقه اليوم على حركة اوروبا الصناعية وسنبعث قريباً في حركة اميركا التي فاقت الاوائل والاواخر وانما يدؤنا ان لا نذكر عن احوالنا الشرقية الا الاستسلام من حكامنا والاستماتة من شعوبنا ولا سيما في زمن قد حلق فيه الاجانب الى بلادنا وعمدوا الى مناصبتنا في السياسة والاقتصاد مما اصبح معه الاستسلام جرماً سياسياً والاستماتة ذنباً وطنياً

وتقارير معتمديه في كل جوة ومكان مما جعل ساسة اليوم يعتقدون انه
يستحيل الاتفاق بين المانيا وانكلترا بسبب مزاحمة البلادين الصناعية ومنافستهما
الاقتصادية

وقد اقتدت فرنسا اخيراً بالمانيا ولكن ببطء ولا غنى لها عن اطراد
هذه الخطة مادامت الصناعة قاعدة اوروبا في اشغالها وأعمالها والذي يدنا
على ذلك ليس فقط اهتمام الشركات بتناجها بل سفر الالوف من المالين
والمهندسين الى التونكين واسبانيا ومدغسكر وخصوصاً الى روسيا للاشتغال
بالصناعة وتوسيع نطاقها

وما نراه في فرنسا نراه ايضاً في ايطاليا حتى في اسبانيا بالرغم عما
خسرت في الحرب الاخيرة ولا ننسى ايضاً بلجيكا تلك الامة الصغيرة التي
نافست اعظم أمم الارض وكان لها في الصناعة والتجارة والاقتصاد شأن
يذكر فانها سبقت المانيا وغيرها وناظرت ولا تزال تناظر انكلترا وأميركا
واذا قابلنا بين نتيجة حركة تجارتها وحركة اعظم دولة تجارية كانت هي
النائزة بالنظر الى عدد شعبها القليل وعدد الشعوب الثانية الكثير

اما الدولة العظيمة انكلترا فلا تزال الى الآن في مقدمة دول العالم
القديم صناعة واقتصاداً لان انكلترا هي التي ترسل الى قسم عظيم من الدنيا
النعم الحجرية وهي التي حصرت الصناعة القطنية في معاملها وهي التي
بسمها التجارية المديدة تستورد وتشحن ما تحتاج اليه وتبيعه وتحمل الى الدول
الثانية ايضاً أكثر صادراتها ووارداتها ولا تزال مع مزاحمة اوروبا لها اخيراً
في طليعة الدول الاقتصادية لان ما خسرت في اوروبا قد استعاضت عنه في
مستعمراتها الواسعة وهذا مادعاها الى الجري على سياستها الحاضرة في جهات

الثاني بعد الصناعة واذا قابلنا بين ما استخرج من الذهب والفضة في سنة ٩٨ وقيمته ملياران من الفرنكات منها نصف مليار فضة وبين ما استخرج من معادن الحديد والقصدير والفحم والبتروول وغيره مما بلغت اثمانه في سنة ٩٨ اضعاف ثمن الذهب والفضة وجدنا ان العامل الاول في رواج الاشغال هي الصناعة والعامل الثاني هي المناجم الذهبية والفضية على ان الثاني لا يفيد شيئاً اذا لم يستوعبه الاول ولكن الاول يفيد ولو نقص معدل استخراج الذهب لان الحركة الصناعية التجارية قد تستغني عن الذهب والفضة ولكنها لا تستغني عن الفحم والحديد والقصدير والنحاس وسائر المعادن. ثم لاختلاف ايضاً في ان وفرة المال لم تؤثر في اثمان المعادن بل ان هذه زادت اثمانها لرواج سوقها كما هي اليوم حال الحديد وغيره مما يؤيد اقوال الاقتصاديين المحققين بان الصناعة حياة الاشغال وروح المعاملات

وقد قلنا في مقالة سابقة ان كل دولة من دول اوروبا صرفت عنايتها بعد استقلالها السياسي الى ان تنال استقلالها الاقتصادي اي ان تتخلص من مكوس واردات البلاد الثانية وهكذا حصل اذ كانت نتيجة المناظرة في اوروبا تحقيق هذه الأمنية تقريباً الى سنة السبعين اذ رفعت عن عاتقها النير الانكليزي الاقتصادي الذي كان يجبي من اوروبا عموماً اموال شعوبها ونيل اوروبا هذه الحرية قد دفعها الى المناظرة الصناعية في اوروبا وخارجها وهو ما قامت به المانيا بعد حرب السبعين في طليعة دول اوروبا الشمالية والمتوسطة ونجحت نجاحاً غريباً تهددت به انكلترا ليس في البلاد المستقلة عنها فقط بل في جميع مستعمراتها ايضاً وفي لندرا نفسها وبقية جزرها حتى كان ماكان من ثورة الرأي العام الانكليزي في جرائده وخطب زعمائه

لا يكثرثون بخدمة اخوانهم لجهلهم المبادئ الاقتصادية الحققة وان المضاربين سيثابرون على اتباع خطتهم الحاضرة اما عن غرور قد دفعهم اليه ربح قليل وإما عن أمل باسترجاع ما خسروه كما يطرد اصحاب المشروعات اعمالهم لاستغراق الاموال الموفرة عندنا الى ان يذوق المضاربون مرارة الخسارة فتحدث تلك الازمة التي نخافها وهناك الطامة الكبرى اذ يقف دولاب الاشغال والاعمال وتنهال الخسائر لا على المتعاملين والمتجرين فقط بل على الزراع ايضاً وفي مقدمتهم الاغنياء والموسرون لانه اذا استفاد من الرواج افراد فان الازمات المالية تسبب خسائر عامة تناول جميع طبقات الاهالي وتساوي بين الاواخر والاوالي



وكتب في ٢٣ اغسطس عن الصناعة في اورولا

لا خلاف في ان التجارة كانت العامل الاول في اتساع نطاق الاعمال وتسابق ارباب الاختراع والاجتهاد حتى كان ما كان من انتشار تلك الحركة التجارية اولاً والصناعية ثانياً في العالمين القديم والجديد ثم في سائر انحاء الكرة الارضية ولا يستبعد ان تحدث الكهرباء في القرن العشرين انقلاباً اعظم وأهم في عالم الاعمال والاشغال ولربما اخترع ابناء ذاك القرن اختراعاً آخر يفوق كل اختراع سابق والله في خلقه شؤون

وقد اثبت الاقتصاديون المحققون ان للصناعة اليد الطولى في رواج التجارة واتساعها سواء كثرت معادن الذهب او قلت لان الذهب هو العامل

لنتمنى على حثيثة اعمالهم قولاً وعملاً كما فصّلنا ذلك تفصيلاً في جميع أبحاثنا الاقتصادية

ولم نشترط هذا الشرط الأولي الا لنحول دون تهور البعض لغايات ذتية وأغراض شخصية اذ يظنون هذا المشروع ويؤيدون الثاني ويمارضون الثالث على ما تقتضيه أهواؤهم وأمياهم وحتى لا تنحصر ايضاً تلك الاعمال في افراد معدودين من السماسرة وأرباب المشروعات العظيمة وحتى لا تكون غزارة اموال الاجانب سبباً في اندفاع بعض الوطنيين الى المضاربات البورسية لما يترتب عليها من ضياع المال وغيره فان حكم دؤولاء المضاربين حكم الابطاء المبذرين المسرفين الذين ورثوا الاموال الطائلة فبددوها واضاعوها

ولهذا وجب على الحكومة ان تراعي في الشركات التي تتألف ان المصري مبتدئ في هذه الاشغال وان تجعل نفسها ازاءه كالأثم الحنون فيجب عليها ان تتخذ جميع التحوطات التشريعية حتى لا تكون الاشغال المشار اليها سبباً في ضياع حقوق المصري ويتعين على الاغنياء من المصريين ان يزاحموا الاجانب في تأليف الشركات لينفاسوا الزوائد معهم وليحولوا ايضاً دون المضاربات البورسية مادام يستحيل علينا لاسباب عديدة ان نستغل شركاتنا مالا ونكتسب فنون الادارة لقلّة الاول وندورة وجود الاقتصاديين بيننا ولا يجب ان ننتر مطلقاً بما تستفيد العامة من كثرة المشروعات فان ما ترجمه البلاد في سنة يخسره المضاربون في شهر كما ثبت ذلك من مضاربات الاشهر الاخيرة للذين اندفخوا الى الاشغال البورسية في القطن والبذرة والاسهم والسندات

على اننا واثقون بان الحكومة لا تهتم بهذا الواجب المقدس وان اغنياءنا

سنة ١٨٩٩

كتب تبوءاً بأزمة الشركات والمضاربات في مصر منذ بدئها

لامراء في ان وفرة المال من لوازم رواج الاشغال التجارية والصناعية والزراعية اذ تقام الشركات وتعم المشروعات النافعة وتخفف فوائد المال عن عواقب ارباب الاعمال عموماً والزراع منهم خصوصاً غير انه يشترط لنيل هذه الفائدة شروط اقتصادية وادارية كثيرة والا كانت اضرار وفرة المال أشد من خسارة قلته وهي في الاول حكمها حكم ذلك الشاب الذي ورث الملايين عن ابيه فبذرها تبذيراً ظناً منه انه غني مثير وأما في الثاني فحكمها حكم ذلك الشاب المجتهد الذي دفعه احتياجه الى العمل فاجتهد وجدّ ووجد ولا يخفى ان احوال القطر المصري الزراعية وغيرها تقضي مشروعات عظيمة تقام بأموال طائلة واذا كان المال موجوداً عندنا فان الاقتصاديين بيننا قلائل ولهذا انحصرت الاشغال في ايدي الاجانب فقط على انه ليس من الحكمة والحالة هذه ان نسلمهم أموالنا ليستأثروا باكثر ارباحها فقد كفانا انا نخدم اراضيها لدفع ضرائبها القادحة بين فوائد لسنداتهم ورواتب للموظفين اخوانهم فلا يجوز بعد ذلك ان يذهب مانوفره غنية لاصحاب الشركات والمشروعات ولهذا وجب استكمالاً للفائدة المقصودة اذا اشركنا بالشركات والمشروعات الجديدة ان لا تكون الشركة قسمة ضئلى بل ان يدفع الاجانب النصف من رؤوس المال وان يشركونا بالتأسيس والادارة

اتفاق مصلحة الدولتين ووجوب الموازنة السياسية والعسكرية في اوروبا وان هذا التحالف ليس الا نتيجة مظهر المانيا الجديد بعد حربي ٦٦ و ٧٠ وهي مجاورة لتخوم روسيا

اما تلك المعاهدة التي كانت بين المانيا وروسيا بالرغم عن وجود التحالف الثلاثي فقد كان النرض منها استمالة روسيا وتصافي الدولتين بعد التجاني الذي وقع بينهما بسبب مؤتمر برلين ولهذا صفا الجوؤ لروسيا في شبه جزيرة البلقان بعد احترام الحالة الحاضرة فيها ومنحت الحرية المطلقة في جهات آسية سواة في افغانستان والصين فتقدمت كثيراً هنالك في حين ان انكاترا مهتمة بالقاء بذور الشقاق في الشرق الادنى بدون نتيجة تذكر لوقوف المانيا لها بالرصاد

ولا أرى السلام إلا وطيداً راسخ الدعائم بالرغم عن جمجمة جرائد انكاترا بسبب مسألة الصين فان روسيا لا ترجع البتة عن انفاذ مشروعها هنالك ولا مناص للانكاز عن قبول ما تريده روسيا ليكون لها في الصين هند جديدة اسهل مراساً من الهند الانكليزية وأوسع ثروة وأعظم ارباحاً وسترى صدق قولي فاننا نودنا سماع مثل تلك اللهجة من جرائد انكاترا وبعض خطباء هذه الدولة كما نودنا ان تكون نتيجتها لها فشلاً فوق فشل ونتيجتها لروسيا ظراً فوق ظنر . وفي فرصة ثانية أحادثكم ملياً عن صلاتنا مع فرنسا وسياسة بسمرك الحربية اولا والسلمية ثانياً واجتماعه بالمرحوم جول فري وموعدنا قريب

والامتيازات الحقوقية والادارية والاقتصادية ولا ننكر ان لسياسة الوحدة الجرمانية فضلاً عظيماً في الامور الاقتصادية لاشتراكتنا جميعاً بحسناتها وفوائدها فان الامبراطور الحالي قد برهن بأعماله السامية على انه لا يجب الحرب وتوفق بشانه الى انشاء العمارة البحرية لتعزيد مشروعاتنا الاقتصادية وغاية ما نرجوه منه الآن ان يحترم حقوقنا الداخلية تذرغاً الى تأييد تلك الوحدة القومية

أما سياسة المانيا الخارجية فقاعدتها محاسنة روسيا لناؤمن شرها واضرار عداوتها واني لأعلم يقيناً بان غيليوم الاول اوصى حفيده غيليوم الثاني وهو على فراش الموت بان يحترم جوار روسيا وأن يهتم بان يكون حسن الصلات معها اذا استحال عليه ان يحالفها ولا ارى امبراطورنا الا عاملاً لتحقيق هذه السياسة التي ايدها الحوادث الاخيرة فعلاً وقولاً

وهنا مسألة لابأس من الالمام اليها ذلك ان بسمرك كان يقول انه لو بقي في منصة الاحكام لما قام التحالف الثنائي وبرهانه انه مع وجود التحالف الثلاثي كان بين المانيا وروسيا تحالف خصوصي ولهذا يبالغ انصار بسمرك في وصف دهائه ويطعنون على امبراطورنا الحالي على ان المقربين الى جلالة الامبراطور ينكرون كل الانكار ويقولون ان روسيا ما حالت فرنسا الا للانتقام مما فعله بسمرك مع كورتشاكوف في مؤتمر برلين اولا ومما اتاه مع اسكندر الثالث من عدم الاخلاص ثانياً وذلك امر مشهور بين الجميع وقد فضحته مقابلة القيصر لبسمرك في برلين وعليه فالتحالف الثنائي قد حصل بسبب بسمرك لاسبب سقوطه من منصة الاحكام

واني أوافق على ما نقوله من ان الذي دفع روسيا الى محالفة فرنسا

والثالثة ضد فرنسا وبعبارة اخرى ان بسمرك تذرع الى انشاء الوحدة الالمانية بالحرب وسنك الدماء اذ كان يستحيل عليه انشاؤها بنير الحرب والقتال ثم عمد الى تأييدها بالسلم اي بالمحاذنة الثلاثية التي هو ابوها ومنشئها ايضاً

وبعد ان قرر بسمرك مشروع الوحدة مع سيده الامبراطور سمي الى استمالة روسيا اليه ووثق صلاته مع غورتشاكوف واسكندر الثاني ثم باح لهما بسر مشروعه فأيداه فيه على شرطين الاول ان تبقى المانيا وأوستريا معزولين في الحرب الشرقية والثاني نسخ أكثر بنود معاهدة برلين لتنتقم روسيا عن حرب القريم من العثمانية وفرنسا ولما قفى وطره السياسي من روسيا عمل على انفاذ مشروعه تدريجاً وهو امر قد تدرنه الجميع فلا حاجة الى تفصيله

وعليه فانه كان يستحيل على غير بسمرك انفاذ ذلك المشروع ولكن كان يشك في نجاحه لو لم يعضده غلبوم الاول . اما الممالك الثانية المتحدة مع بروسيا اليوم فراضية كل الرضى عن الوحدة الالمانية وقد تتساهل كثيراً في بعض امتيازاتها الخصوصية فدى لهذه الوحدة على شرط ان لا يدفع رجال برلين كثيراً ويستأثروا بكل المنافع والارباح ولهذا لا ترى غلبوم الثاني محبوباً منا كثيراً وخواطر ابناء بافاريا والساكس وغيرها نكواطرننا في هذا المعنى الامر الذي ادركه الامبراطور الحالي فبتنا نتوقع منه ان يغير خطته حتى لا يخسر بأعماله ماسعى جده الى تحقيقه من تأييد الوحدة الجرمانية والاحوال الداخلية صعبة المراس لما هنالك من الاختلاف بين ما يريده ابن برلين ويحافظ عليه ابناء الممالك الثانية ولا سيما في القوانين العسكرية

وهذا امر طبيعي فان الاخباري اذا أم برلين فلا يعرف فيها ما يبرهنه بزيارة عاصمة بافاريا او مملكة الساكس او مملكة ورتمبرج كما ان سياسة الدول تعرف في عاصمة مثل بروكسل اكثر مما تعرف في قصبة مثل باريس او لندرا

واني لا أقول شيئاً عن نظام هذه المدينة وترتيب حكومتها فان اكثر مدن اوروبا متشابهة في النظام وترتيب الاحكام وتوفر اسباب الراحة للمسافرين بقدر تشابه مدن الشرق في التأخر والانحطاط وقد اجتمعت اتفاقاً بكثيرين من اصحاب الجرائد ورجال السياسة فعرفت منهم أموراً كثيرة أرى في نشر أهمها فائدة عظيمة لقراء الاهرام لما للمسائل العامة اليوم من الاتصال بمصالحنا الشرقية العمومية والمصرية الخصوصية

فالذي لاخلاف فيه ان ابناء هذه المملكة مهتللون فرحون مفخرون بالوحدة الالمانية معترفون بفضل بسمرك وذايوم الاول خصوصاً وقد اتفق قدومي الى هذه المدينة بعد موت بسمرك بأيام فأراد محدثي ان يشرح لي دهاء هذا الرجل وفضل سيده الامبراطور فقال

« اما بسمرك فثانية عصره في السياسة ولم يقم في اوروبا رجل مثله الا الكردينال ريشليه الفرنسي ومن حسن حظ بسمرك انه كان المانياً اذ لو وُلد فرنسويّاً لكان يستحيل عليه ان يأتي في فرنسا مثل ما أتاه في المانيا والذي زاده توفيقاً انه وجد في عصر ذايوم الاول الذي عرفه وأيد مكانته وعضده بالرغم عن قيام جميع الاحزاب ضده وهذا هو فضل ذايوم الاول وأما بسمرك فبعد ان قرر مشروعه عرضه على مولاه فرضي به واتقاً ممّا على اعلان حروب ثلاث الاولى ضد الدانمرك والثانية ضد اوستريا

والزريب اننا نرى هؤلاء الرجال مع اعتقادهم بسوء الحالة واستحالة
 البقاء عليها منخدين بحوادث اوروبا فهم يننون العلالي والقصور على زيارة
 غيلوم الثاني ويصنفون طرباً لنشوب الحرب الاميركية الاسبانية ولحوادث
 الصين لانها تحول دون تداخل اوروبا مدة من الزمن ينتم هؤلاء الموظفون
 في خلالها ما يحلو لهم من خيرات البلاد ويقضون مآربهم عجلاً
 ويسوءني وايم الحق ان أسطر مثل هذه الحقائق والامور لاني وقفت
 في هذه المرة على اشياء ما كنت لأصدقها وانا بعيد عن هذه العاصمة واني
 لاعلم والليب خبير ان نشر الحقيقة يصب وقعه في النفوس ويثقل على
 الاسماع غير اني لا انشر امراً جديداً تجهله اوروبا لانها تعلمه اكثر مني
 فرادي إذا ان ترفه الرعية حتى لا تؤخذ على غرة والترصة الحاضرة قد
 تكون الفرصة الاخيرة لنا فلا نلهون بالحاضر عن المستقبل ولا نعمدن الى
 التسويف والتأجيل . والله الهادي الى سواء السبيل

— + —

وكتب في ٢٩ اغسطس من ستوتكارت بالمانيا

رأيت قبل الذهاب الى سويسرة ان اعرج على بعض مدن المانيا
 عواصم الممالك الثانوية في الوحدة الجرمانية للوقوف على سياسة هذه الدولة
 ومعرفة الفرق بين احوالها اليوم اي بعد قيام الوحدة الالمانية وبين ما كانت
 عليه في الزمن السابق
 وقد اخترت هذه المدينة عملاً بقولهم ترفون اسرارهم من صغارهم

وغير خاف انه يستحيل اجراء الاصلاحين الاداري والمالي بنير احد امرين اما ان يكون ذلك بأمر الحضرة السلطانية مباشرة وإما بتدخل اوروبا وقد اوضحنا ما ينبج من هذا التدخل من الاضرار والشرور واني اكتفي بما يقوله الاتراك والاجانب عن الاول فأقول

نحن نعلم ان من الدول من لا تريد اصلاح شؤوننا بل هي تساعدنا على زيادة الانحطاط والتأخر لتأخذنا غنيمة باردة كما نعلم انه من مصلحة أكثر الدول ان نصلح انفسنا فنوطد بذلك دعائم الموازنة الاوروبية السياسية في الشرق الأدنى ونكون حاجزاً دون اطماع دول ثانية وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان وقد كانت في الزمن السابق ضالة سياسة عالي ورشيد وفؤاد ولا يزال رجال اليوم يحرون على آثارها ويحتذون مثالها ولكن لسوء الحظ لم يجر شيء من ذلك الاصلاح المطلوب والا لما انقلبت سياسة اوروبا علينا فرأينا أكثرها ضدنا بد ان كانت معنا ثم مالت كلها عنا وجورت بمطالبها الاجاعية وبتنا لانحادث صديقاً قديماً او جديداً الا يكون كلامه بمنى واحد وهو ان اوروبا لاثة لما بنا واننا لا نريد الاصلاح وأن لا قابلية الامة لذلك الاصلاح مادامت صامته راضية مما زاد رجال الفساد غطرسة وجوراً فأتوا ما أتوه من تخفيف معين ثروة البلاد فسادت المسكنة وخيم الفقر على البلاد وكان التأثير الغالب أكثر أولئك العمال جوراً وظلماً واستبداداً

هذا ما قاله ويقوله اصحاب المناصب عندنا امس واليوم وغداً وهو ما يتناقله الاجانب عنا فهل وتلك حالتنا لا يحق لنا الخوف من ان ذلك الاصلاح لا يثبذ ويجري إلا اذا اكرهنا عليه اكرهاً وكنا مسوقين اليه بسابق اهملنا وقصورنا

كل منصب فلا تكون تلك الانضمامات المحلة بموازنة المالية والحائلة دون كل اصلاح

واما النوع الثاني من الاصلاح فهو موازنة المالية وهذه تقوم بان تمنع عجز الدخل عن الخرج وذلك بتحديد النفقات على اختلاف انواعها وضروبها هذا امر سهل ممتنع . سهل اذا اخاضنا الخدمة وامتنع اذا لم نخالص وقد عرفنا من تاريخ احوالنا الماضية والحاضرة انه بالرغم عن وعودنا لم نقم بهذا الواجب لان العجز يزيد سنة عن سنة ويستحيل ان يمتنع العجز والنقص ما دامت الوظائف بلا روابط والرواتب بلا قواعد وضاوابط . ولكن اذا حددنا ذلك وقيدناه سهل علينا اجراء الاصلاح الذي لاحياة سياسية بدونه ولا نجاح بغيره وقد علمت بعد اجتماعي بكثيرين من رجال الاستانة انهم يمتدحون هذا الاعتقاد ولنه اذا لم تسع الدولة من تلقاء نفسها الى تحقيقه في الاقرب الماجل عرضنا انفسنا لخطرین لا مهرب من احدهما وذلك اما ان تتدخل الدول لاقامة مراقبة مالية اوروبية كما فعلت بادىء بدء في مصر واما ان تقاسم نفوذها في بلادنا كما فعلت في الصين وهذا التقاسم يضر بوجودنا السياسي فيجب ان نتداركه واما الاول اي التدخل واقامة السيطرة المالية فقد يفيدنا ويضرنا اما فائدته فاصلاح ماليتنا واما ضرره فتوطيد دعائم التدخل الاجنبي في شؤوننا وهو كداء السل الرئوي قد ينتهي بنا الى الموت السياسي ولهذا لا نرى الا دواء واحد لهذا الداء وهو ان نراقب اعمالنا بانفسنا مع استخدامنا من الاجانب رجالا ماليين نتخذهم اساندة لنا ونحسن السلوك معهم لنعاونهم على اداء هذه المهمة ونستنصر بهم معنوياً على منع التدخل الاوروبي الفعلي

السابقة تحقيق مبادئ سياستنا التي لا تخرج عن دائرة رغائب الجنب السلطاني
اي الاصلاح في الداخل والتحالف في الخارج

وكتب في ١٨ لوليو من الاسانة العلية

وعدتكم في رسالة سابقة بأن ابحت في هذه المقالة عن حليفنا الداخلي
اي الاصلاح فاقول انه نوعان اداري ومالي اما الاول فلا نرى الى اقامته
سيلاً إلا اذا وزعت السلطة اي ان تعهد أمور كل ولاية الى وال مستقيم
عادل يكون هو المسؤول عن اعمال ولايته ورجالها وأن يكون لمجلس
ادارة الولاية شأن في الاتفاق مع ذلك الوالي على اصلاح شؤون الموظفين
والعمال ويكون توزيع هذه السلطة في كل ولاية جارياً على قاعدة واحدة
لتكون الوحدة العثمانية في الوحدة الادارية وأما الامر الاهم فهو انتخاب
الرجال وهذه مسألة يجب ان يوكل امرها الى لجنة مؤلفة من افضل
افاضل المملكة علماً وخبرة ووطنية وان يكون في كل ولاية لجنة تأديبية
للموظفين الذين يقصرون او يرتشون وان تستقل الحاكم القضائية وتفصل
عن السلطة الادارية كالجاري في اوروبا المتدنة وبمضى اوضح ان تسير
الادارة والقضاء عندنا سيرتهما في اوروبا مع تطبيق قوانينهما على
عادات الاهلين واحوال البلاد لان الطفرة محال وذلك يستلزم سن قانون
وافي يضمن احترام القوانين ومصلحة الموظفين ايضاً فلا يزل محمد وينصب
عليه الا لقصور الاول وأهلية الثاني وان تعين خصائص كل عامل وراتب

في حين كان يسهل عليها جداً ان تتفق مع انكترا وتتنازع عن مصر بامصار
وأقطار ولكنها ابت ذلك من قبل ولا تزال تأبى مما لاة انكترا حتى الآن
وفي المستقبل الا اذا كنا نحن الجانبين على انفسنا باهمال واجباتنا فاننا
نضطرها حينئذ الى مالا ترضاه ويخالف تقاليدھا المألونة وعاداتها المعرونة
ونكون نحن الخاسرين دون سوانا

فقد بان مما تقدم ان المانيا لاتفيدنا الا كما اذبتنا انكترا من قبل
لانه إما ان تعمل متفقة مع بريطانيا وروسيا اولا وسواء كان الاول او
الثاني فان الخسارة واحدة لاتفاق الجميع على الاشتراك بالنائدة واقتسام
الارباح الصادرة عنا لانه اذا بقيت المانيا جارية على خطها الحالية معنا
وحصرت النائدة فيها استمات منا روسيا وانكترا وناصبتنا كاتماها الدماء
واستحال على فرنسا ان تساعدنا بل خشينا ان تتفق مع الدول المذكورة
فيكون حينئذ ذلك الاجماع الدولي الذي طالما اندرنا رجالنا به لانه اذا
تم ادى الى عرقلة اشغالنا ولا سيما وأن لا خوف من خلاف الدول في
الصين لاتفاقهن على تقاسم النائدة هنالك فاذا ناصبنا الاتفاق الحالي في
الصين خفنا وخامة عواقبه علينا في حين يجب علينا ان نتخذه انذاراً لنا
وذكرى ان كنا ممن يعقلون

على اننا اذا نسينا حوادث عصرنا الحالي بين حروبهِ وكوارثهِ وخسائره
من المال والرجال ولم ننظر إلا الى حوادث السنة الغابرة رأينا اننا اليوم
على ما كنا عليه قبل الحرب الاخيرة بل في موقف اخرج لما انتابنا من
الخسائر المالية وقد وقف دولاب اعمالنا التجارية ولانه يستحيل علينا ان
نأتي أمراً دون استشارة اوروبا والعمل برأيها ولهذا طلبنا في مقالاتنا

هذه الدولة الاقتصادية ولكن مصلحة المانيا قائمة بأن لا تحمل مشكلة مصر حرصاً على بقاء النفار مستحكماً بين فرنسا وانكلترا وبين هذه والعثمانية جرياً على مبادئ سياسة بسمارك نابعة المانيا السياسي الذي ما اختلق تلك المشكلة الا ليأمن في اوروبا كل حادث يمس بالوحدة الالمانية ونفوذ الدولة الجرمانية ولو كانت روسيا منفردة او متحالفة مع المانيا لقلنا ان عدم التقرب منها والاتحاد معها اولى ولكن تحالف فرنسا معها ضمان لنا جميل لان ما عرفناه من التقاليد الفرنسية الى الآن هو ان هذه الدولة عودت الجميع ان تعطي اكثر مما تأخذ وأعظم دليل على ذلك اننا عند ما ضاعت موازنة اوروبا بعد حرب السبعين كنا نحن اخسر الخاسرين ثم انه لو لم يكن لدينا من الادلة والبراهين على اخلاص فرنسا معنا سوى ما كبדתه في سنة السبعين لكنني به حجة ودليلاً لانه لولا مساعدتها لنا في حرب القريم ضد روسيا لما نشبت تلك الحرب السبعينية لان المانيا كانت واثقة من ان روسيا لا تدخل في غمارها بقصد ان تستقم من فرنسا كما انتقلت من اوستريا في سنة ٦٦ وبمحاربتنا اخيراً كانت خاتمة الانتقام لها

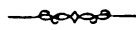
واذا بحثنا في امتيازات صلات فرنسا عندها حصرناها في حماية المسيحيين الادبية وذلك بما تنفقه من الاموال الطائلة في انشاء المدارس ونشر العلوم التي استفاد منها المسلمون ايضاً فسبقتنا في بلادنا الى اهم واجباتنا مما جعلنا نتشبه بها ونهدي هديها وقد عرفنا حق المدة ان تلك البلاد المنتشرة فيها مدارس فرنسا اكثر عثمانية من البلاد التي لا مدارس لها فيها او التي النفوذ فيها لغيرها

وقد علمنا ايضاً ان فرنسا وحدها هي التي عضدتنا في المسألة المصرية

والذي لاخلاف فيه ان فاتحة نتائج حرب السنين كانت محاربتنا لروسيا
وبعد ان كنا واياها وجهاً بآزاء وجه وأوستريا بين بين صرنا اليوم بآزاء
روسيا مباشرة تحف بنا شعوب البلقان من كل جهة وأوستريا ابداً بتنا من
ذي قبل لانها رأت ان مقاومة روسيا امر مستحيل فسعت في الماضي
بواسطة المانيا ومباشرة الآن الى التوفيق بين مصالح الامتين وكانت باكورة
خسائرنا من تنوع هذه السياسة فقد البوسنة والهرسك بنير حرب وقال
ولو اردنا ان نعدد المسائل الثانية لضاق بنا المقام وهي حوادث واقعة حسية
لايختلف عثمانيان في حقائقها والله اعلم هل كانت المانيا تشير بمحاربة اليونان
لولا ديون رعاياها ام هل كانت تشير الدول الباقية لو عارضتنا وضغظت
علينا إلا بانفاذ مطالبها ورغائبها ولهذا قلنا ان من اضر الامور بنا ان
نستخدم تبين مصالح الدول وخلافهن في سبيل مصالحنا القومية السياسية
فانه قد ثبت اليوم ان تلك الحرب الاخيرة قد دلت العالم بأسره مع ندم
احتياج جيشنا الى أدلة جديدة على ان الجيش العثماني من اشجع الجيوش
وأبسلها ومع ذلك ساء انتصارنا شوباً ونصصاً أمماً ولولا مدينة مصرنا الحالي
لفاز المتعصبون من الانكليز بأمنيتهن ضدنا واتفقت أكثر الدول علينا وأشاروا
بإعلان حروب كحروب القرون الوسطى الدينية

ولا ننكر انه يجب علينا ان نستفيد من خلاف الدول ولكن على
شرط ان نتبادل مع بعضها الفائدة الاقتصادية والسياسية وذلك غير مستحيل
علينا اذا عرفنا ان تخيير أخلص هذه الدول ولأء لنا فاذا قيل ان المانيا
أخلصن قلنا ولماذا لا تجهر بمساعدتنا في مسألة مصر ولا تعتمد الى تأييد
مطالب السلطنة بشأنها مع ما نرى من شدة منافستها لانكارتا ومقاومتها لأعمال

الاقتصادية والسياسية حاملين لها على تفضيل الاتفاق مع الدول الثلاث على اتفاقها مع انكلترا والحياد لان مصلحة اليابانيين هي ان يكونوا هم اصحاب السيطرة الاولى في الشرق الاقصى فاذا رأوا من اخوانهم الصينيين انهم سائررون في طريق الاصلاح عضدوهم ليكونوا واحداً ضد الغرباء والاجانب ولكن اذا ثبت لهم ان الصينيين خاسرون لاحالة اتفق اليابانيون والامالون على تمزيق الشعب الصيني ومقاسمة اراضيهم وأملأكه ولكن مهما تكن الفائدة من الخطوة الثانية فهي موتة قد تكون مقدمة ضباغ الياباني بينا في نجاح الاولى تناب الشرقي وظهور العصر الآتي بمظهر جديد قد تترتب عليه انقلابات عظيمة سياسية واقتصادية وقومية والله اعلم



وكتب في ٢٩ مارس انماماً للبحث السابق

اوردنا في مقالة امس نتائج حربي ٦٦ و٧٠ في الشرق الاقصى ونحن في مقالة اليوم باحثون عن تاثيرات فقدان تلك الموازنة في اوروبا عموماً والشرق الاقصى خصوصاً فيعلم القراء ان غلبة المانيا اضرت بنا مثل اضرار انكلترا في الزمن السابق واكثر لان انكلترا ارادت ان تحول بنا دون تقدم الروس وان تضعف قوانا في وقت ممأ اما المانيا فحلت محل انكلترا سياسياً وتجاوزتها اقتصادياً اذ وضعت ايديها في كل جوة من داخلتنا وهي في الوقت نفسه لاتعارض روسيا بل تجاملها وتحاسنها

اليابان وزاحتها ثم قامت اوروبا عليها سياسياً واقتصادياً فانفردت باعترافها به
ان عمت باثرها مبادئها الاستعمارية والاقتصادية

ولا يهمننا اليوم سواء انجلت اليابان عن الاراضي التي تحتلها في الصين
او تقاسمت دول اوروبا منافع تجارة تلك البلاد في وارداتها وحاصلاتها
لاعتقادنا ان مآلاته المانيا اولاً وروسيا اخيراً وما ستتاله فرنسا قريباً دون
شك متفق عليه تماماً بين الدول الثلاث سواء صدقت عليه انكثرا او
انكرته فانه مما لا شك فيه ايضاً انها سترضى به رضاها بغيره من المسائل
الثانية وهي لم تعارض فيه لمنع حصوله بل للاستعاضة ببعض الفائدة وعملا
بقولهم بعض الشر أهون من بعض

ولا نعلم ان كان اتفاق المانيا وفرنسا وروسيا سيضطر اليابان الى الجلاء
عن مرافئ الصين ام تهتم الدول المذكورة باستمالة هذا الشعب اليها فلا
يتحد مع انكثرا ضدها اذا قاومتها الدول الثلاث واذا كان الاول كان
للصينيين انفسهم في خطة اليابان ما يضمن لهم مستقبلاً حسناً أكثر مما لو
اتحدت انكثرا مع اليابان لان دخول روسيا في الصين وتمكنها من اراضيها
مع مآلديها من القوة العظيمة في البر قد يضر بالصين وباليابان اذا مالتا الى
انكثرا دون الدول الثلاث

ولكن لا بدع في ان يكون شأن اليابان في الشرق الاقصى شأن
انكثرا في الشرق الادنى اي استخدام خلاف الدول في سبيل مصالحها لان
لها بقربها من الصين منزلة مهمة على الدول الثانية ولولا روسيا لما كانت
اليابان تخاف اتفاق اوروبا عليها في شرقها وقد لا يبعد ان يكون عدم ثقتها
بسياسة بريطانيا وكوت هذه الدولة رقية عليها ومزاحمة لها في الاعمال

والمالي تحول دون انتشاب القتال واعلان الحروب رغماً عن اميال الامراء واطماع الملوك فصرنا نخاف ان تكون اغراض اصحاب هذه المصالح داعية الى الحروب وهم ذوو الرأي العام في بلادهم وأصحاب الكلمة النافذة والمشورة المسوعة لدى ملوكهم وحكامهم الا ان الخوف من مصائب الحرب لا يزال الضمان الوحيد لتأييد السلم وحفظ راحة العالم

ولم تصبح سياسة الاستعمار وجهة اوروبا عموماً الا بعد حرب السبعين لان بسمرك رأى ان لا ثبات لوحدة الجرمانية مادامت فرنسا وروسيا تهددان تخوم بلاده وانه مهما حال دون اتفاق الدولتين وتحالفهما فالحوادث ستحقق هذا الامر بالرغم عنه وهكذا حصل وأيدته المانيا في مسألة اليابان مما اضر جداً بنفوذ انكلترا وسياستها الاستعمارية

اما انكلترا فأمست منفردة ولكن في مناظرتها لاوروبا بعد ان كانت منفردة بفوائد السياسة الاستعمارية متممة باستنزاف ثروة شوب المشارق والمغرب تحمل الى هؤلاء التجارة الشرقية وتستوفي من الشرقيين ارباح الحاصلات والواردات فأمست هذه السياسة ضالة اوروبا اليوم بعد ان كانت ضالة انكلترا في السابق وذلك ان مصالحها التجارية رائد اعمالها الخارجية والاستعمارية والداخلية ايضاً وحات أهمية هذه المسألة محل كل أهمية سابقة حزبية او غيرها لان روح العمل قائمة في الثروة وهذه لا تكون الا بالاستعمار وانكلترا لم تكن فقط مكاسة الشرق بل مكاسة اوروبا ايضاً اذ كانت تقاضى المكوس والرسوم من كل شعب ومملكة ولم تستقل اوروبا اولاً حتى ثارت عاطفة الاستقلال في نفس مستعمرات انكلترا فاستقلت امريكا استقلالاً تاماً ثم استقلت استراليا وغيرها استقلالاً اقتصادياً وادارياً وأخيراً ناظرتها

ولسنا نلوم دولة دون اخرى على الحوادث السابقة والحروب المذكورة لانها لم تكن الا نتائج فساد سياسة بعض الافراد واطماع بعض الامراء فانكثرا لم تقصد باثارة الحرب بين العثمانية وروسيا الا منع اتحاد فرنسا معها واضعاف العثمانية وروسيا معاً

اما نابوليون الثالث فوافق على تلك الحرب مغروراً من الانكليز سعياً وراء الوحدة الايطالية وانتقاماً عن مبادئه البولونية فكان ماكان من حياد روسيا في عامي ٦٦ و ٧٠ ومن الحروب بعد ذلك التاريخ في جهات آسيا واوروبا الى ان انتقلت من خصومها ولو انها نقدت عن ذلك ثمناً غالياً وكل من الدول الغالبة والمغلوبة نالت نصيبها من المصائب والكوارث والمشاكل سواء في سياستها العامة او في سياستها الخاصة الا انه لم يكن بدءاً من النتيجة الحالية وهي قيام التحالفين الثلاثي والثنائي لما هنالك من شدة المناظرة بين الدول المذكورة فضلاً عن ان شعوب اوروبا اليوم اميل الى السلم منها الى الحرب ولذا كان التحالفان المذكوران ضروريين للموازنة السياسية توصلاً لحل المشاكل التي لا بد من حدوثها لما هنالك من المصالح المختلفة المتبينة للدول المذكورة

وقد كان اهم الحوادث في الشرقين الادنى والاقصى وسنفرد للاول غداً مقالة خاصة اما مقالة اليوم فموضوعها الشرق الاقصى لانه مع حوادثه لا يزال شاغلاً اوروبا في مناظرتها ومزاحمتها ولانه سيكون في المستقبل القطب الذي تدور عليه السياسة الدولية مادامت اوروبا مسيرة في اشغالها على المبادئ الاقتصادية يزاحم بعضها بعضاً وتشاطر الواحدة الأخرى حتى حمل ذلك احد السياسيين على القول انه قد كانت مصالح الزراع والمحترف

ويعمل على وجوده وهل انتفعت سلطتكم من مسلمي الهند مع كثرة عددهم فيها واني لا اسأل اذا كانت قد انتفعت بارسال الهنود عساكر او ذخائر لها بل باجبار انكلترا ادبياً على احترام حقوق دولتكم العلية»

فاذا اردنا ان نبحث في كلام هذا السياسي عرفنا بأسه منا لضعفنا واذا نظرنا في اقوال كتاب اوروبا عرفنا ان تاخرنا مسبب عن اننا لم نعمل عمل الدول المتقدمة بالتمثل بها في احوالها الخارجية والداخلية

نعم ان لنا في جيشنا العثماني درعاً منية ضد خصومنا الا ان ذلك وحده غير كاف مادام المال يوزن والديون تكتنفنا ولسنا نجد الى المال سبيلا الا اذا اصلحنا شؤوننا الداخلية وهذا لا يتم الا اذا سرنا على المبادئ المصرية وهو سهل علينا لاننا نفتقد ان الاسلام من اعظم دعائم الاصلاحات وان المسلمين يميلون اليها ميل غيرهم من الشعوب

هذا هو رأينا ولسنا نضن بشئ ما يكتبه حضرات الافاضل في هذا الموضوع وما غابتنا الا خدمة الامة والوطن والله ولي التوفيق

سنة ١٨٩٨

كتب في ٢٧ مارس بحثاً تاريخياً موجزاً في السياسة الأوروبية

لولا حوادث القريم لما نشبت حربا ٦٦ و٧٠ ولولا فقد الموازنة الأوروبية بتغلب ألمانيا في الحربين المذكورتين لما نشبت الحرب الأخيرة بين العثمانية وروسيا وطرأت الحوادث التي تلتها في جميع القارات

بعض قوانينها في الهيئة السياسية لبرهاناً سديداً على قابليتنا للاصلاحات
ولهذا وجب ان تكون خالتنا في اعمالنا كلها نشر المعارف والفنون
الاقتصادية بدرس تواريخ اجدادنا والوقوف على الاحوال المصرية واستخدام
المنيدة لنا في سبيل مصلحتنا وأن لانتسلم في اعمالنا لليأس والتقنوط فنوت
احياء وغيرنا يرزقون

ولولا قيام بعض الآحاد في فرنسا وغيرها من دول اوروبا اكانت
تلك الامم قد تقدمت وهل منع استبداد ملوكها من اطراد زعماء تلك المبادئ
خطتهم الشريفة ومالنا ولاوروبا فلنأخذ مثلاً لنا اليونانية التي استمرت السنين
الطوال تنازع حكمها في استقلالها فكم مات وقتل من بينها

ومع ذلك رأيناهم مطردين خطتهم طلباً للاستقلال الذي لا شك في
انهم لم ينالوه الا بمساعدة اوروبا ولكن لو لم تجد اوروبا في ذلك الشعب
قابلية الاستقلال لما جهرت بمساعدتها اياه بل لو لم يطلبه اليوناني لما ناله
بعد ان فقده قروناً وهكذا القول عن شوب البلقان اجمع

اما نحن فاننا نسأل كثيراً ولا نعمل شيئاً فاذا كتب احدنا عارضه
ألف واذا صبر يوماً يش عاماً حتى رأينا ان اقرب الدول مساعدة لنا
ولسنا نقول حياً بنا بل لامتزاج مصلحتها بمصلحتنا قد يثبت منا

واني اذكر قول سياسي من اعظم ساسة عصرنا قاله لي في حديث
جرى لي معه على الاحوال الشرقية وهو بحروفه

« ان الملايين من المسلمين المنتشرين على سطح الكرة الارضية لا قوة
تذكر لهم وكنا لا نشر بوجودهم لولا الخلافة العثمانية مما يدلك على ان
القوة ليست في كثرة المدد بل هي في ان يشر الشعب انه موجود

بل تناول كل الشعوب المشرقية التي تحكمها اوروبا مباشرة او التي لها عليها سيطرة اديبة

اما نحن فانا سردنا لحضرة الفاضل ما يذكره بعض الكتاب الاجانب علة لهذا الامر اذ يقولون ان تقدم المسلمين في صدر الاسلام اولاً وفي صدر خلافة بني عثمان ثانياً لم يكن الا لان المسلمين كانوا في ذلك الحين اعظم مدينة من الشعوب الاخرى ولانهم في ذلك الحين ايضاً صرفوا اهتمامهم الى الفتوحات مؤيدين اعمالهم بالمدالة واحترام الحقوق فتمكنوا من الفوز فانتشرت راية الهلال في كل بلاد ولكن هؤلاء الظافرين المنتصرين مالبثوا ان استسلموا الى ما وصلوا اليه فرضوا به واقاموا على حالتهم تلك فأغفلوا اكثر المبادئ الحسنة وتطبعوا بطباع المغلوبين في اكثر الاحيان وتغلبت تقاليد المغلوبين عليهم فلم ينفيدوا حيث ملكوا الا السلطة الدينية غالباً والسياسية احياناً وحلوا محل اولئك في الاخلاق والكسل والاهمال والاستسلام وعلى هذا القياس يقول هؤلاء الكتاب ان الاسلام ضد كل صلاح وان المسلمين غير قابلين للاصلاحات المطلوبة . نعم ان نهضة اوروبا مدينة وعالماً واقتصاداً قد ملكتها رقاب شعوب الارض طراً مباشرة بامتلاك اكثر الاراضي او مادياً بدفع الرسوم التجارية حتى انحصرت الارباح في شعوب هذه القارة ليومنا هذا وكان بدء طالع نجاح اوروبا بفصلها السلطة السياسية عن الدينية جرياً على المبادئ العصرية

ولما لم ينتبه امير شرقي لاصلاح شؤونه والتمثل بما تأتته اوروبا لم يكن لنا ان نقضي بعدم قابلية المسلمين او ان الاسلام عدو الاصلاحات العصرية فان اتخذ اكثر عادات اوروبا في بعض الهيئة الاجتماعية الشرقية واستخدام

الزمان شاكرًا مآلقنه فيها من مكارم اخلاق حكامها وأعيانها وعلمائها حافظًا
لحضراتهم في طي النؤاد ذكرًا جيلًا مضمخًا بعبير الشكر وطيب الثناء



وكتب في ٤ دسمبر بحثًا في الاسلام

قال لي احد افاضل المسلمين ترانا اليوم على عكس ماكان عليه اجدادنا
في صدر الاسلام وقد دوخوا أكثر بلاد الدنيا ونشروا رايهم في كل صقع
ولم تفتهم بلاد او جزيرة بينا ترانا اليوم مستسلمين للحوادث تقضي لبائتها
منا ويحكمنا الغريب ونحن صاغرون ولا يخفى ان المسلم في اية بلاد وأرض
على مبادئ واحدة مع اخوانه المسلمين وتلك قوة سياسية قومية وقل
ايضًا مذهبية لاتعدلها قوة غيرها وهي مسألة طالما سهرت الليالي في درسها
لاستكشاف حقائقها بمعرفة اسبابها وعلاها وولي متى توصلت الى ذلك اكتب
الابحاث الطويلة في هذا الموضوع المهم ويكون للافاضل قراء جريدتكم
الوطنية ميدان للمسابقة فيه ولست اخفي عنكم اني ادرس كتابات اعدائنا
قبل اصدقائنا لان اولئك وأن تحاملوا علينا قد ندرك بواسطتهم مواضع
الخلل فنصلحه لاننا نحن والصدق لانعرف عن انفسنا مايعرفه اعداؤنا من
مواضع الضعف والخلل فينا

تلك خلاصة حديث هذا الوطني الفاضل وهو في مقدمة الذين لا يختلف
اشنان في وطنيتهم ومعارفهم الاقتصادية والسياسية ولهذا لانعدم من اصحاب
الاقلام رأيهم في هذه الابحاث المهمة التي لاتتخصر فائدتها في المسلم فقط

بمقتضى الى قوانين جديدة بل الى حسن انتقاء الرجال الامناء، وانتخاب الممال الصادقين
 وهم كثيرون مع توزيع السلطة على المستحقين وذوي الكفاءة والقاء المسؤولية
 على عواتقهم حتى اذا احسنوا كوفئوا بالحسنى واذا اساؤوا عوقبوا. وجوزوا
 بما يستحقون وضمان مستقبل الموظف وتأمينه على راتبه ورتبته فلا يمزل
 بسبب وشاية ولا يوقف فدى لفرض وغاية وأول مايجب اصلاحه مسألة
 الاعشار والمحاكم الحقوقية ثم يتدرج الاصلاح الى غير ذلك من الشؤون
 والاحوال

هذا وقد رأيت من اهتمام حضرات الافاضل عزتو الحاج سليم افندي
 الحسيني زاده رئيس البلدية وفضيلة نائب الشرع الشريف رافعي زاده وعزتو
 اسمعيل بك الحسيني زاده مدير المعارف وعزتو مصباح افندي محرم رئيس
 محكمة الجزاء وبشارة افندي حبيب ترجمان المتصرفية في انفاذ القوانين
 بالعدل والانصاف واصلاح شؤون البلدة ماينطبق على خطة سعادة المتصرف
 واکرم بها خطة شريفة قوية ادت الى تأليف قلوب الاهلين وتوثيق صلات
 الحب والوداد بينهم وحملهم على احترام حقوق بعضهم البعض وان بلدة
 فيها مثل الاسرة الحسينية الشريفة التي عميدها رجل فاضل نبيه مثل عزتو
 سليم افندي رئيس بلدية القدس والمشهورة باخلاصها وولائها الصادق لدرش
 الخلافة الحميدية والمروفة بوطنيتها النزيهة لابدع اذا تأيدت فيها الجامعة
 العثمانية وتضافت القلوب وتحدت الارواح والالباب وامتزجت الاهالي بعضها
 ببعض مثل هذا الامتزاج الذي اعتده من اعظم اسباب الاصلاح وأعون
 الوسائل على نهضة الامة وترقيتها ورتوعها في مجامع الغبطة والتعيم
 واني أودع هذه المدينة الشريفة وفي النية العود اليها كلما سنحت فرص

بعض مجده الاول ويصبح مجداً للدين والعلم وليس ذلك بعزيز على مكارم
صاحب الخلافة العظمى اعزه الله

وقد زرت بيت لحم وغيرها من القرى المشهورة وسرني ما رأيته فيها
من انتظام طرق العجلات مما تضارع به لبنان في قرب الابعاد وسهولة
المواصلات ولم اراسهل من طرقها وانظم في ولايات سورية مما يشهد بفضل
الحكام والاهلين ولكن عسى ان لا يكون ذلك بقصد استزادة عدد
السياح والزوار فقط بل بغية الاصلاح ايضاً

اما الامن فضارب اطنابه في جميع جهات فلسطين حتى يندر ان يسمع
بسارق او قاتل وهو دليل على ان الاهلين ميالون الى احترام السلطة واستشعار
هيئة الاحكام ولهذا كان الزائر لهذه المتصرفية يحسب ان اهله من مذهب
واحد وعنصر واحد مع انها مجتمع المنافسات المذهبية والمشاحنات الدينية
فلسطين والقدس في مقدمتها مختصة بهذه الصفة اللازمة لها فلا خلاف
مذهبي او جنسي بين سكانها بل الجميع عثمانيون يدعون للسلطان بالز والناييد
ويتمتعون بمدالة القانون وهم ممتازون بهذه المبادي الشريفة عن كل بلاد
عثمانية واذا كانت الرشوة فاشية بين بعض صغار الموظفين فان هنالك
كثيرين يحسبون مثال النزاهة والاستقامة وفي طليعتهم سعادة المتصرف
النزيه العادل الذي بحبه الجميع ويلهج بمدحه كل لسان

وان الالة السائدة بين هذه الاقوام الجديدة والاجناس المختلفة لقدوة
حسنة ومثالا لسائر العثمانيين فعى ان يقتدوا بها في اعمالهم وسائر
شؤونهم المعاشية والمادية لان البلاد واحدة والقوانين واحدة وحسن
انتقاء الرؤساء ساعد على تعزيز هذه المبادئ مما يدلنا على ان الشرق ليس

يقال انه من ابداع آثار هذه المدينة واجملها واتمها نظاماً ولم ار مثل هذا الجامع في اتساعه وجمال صنعه وبداية نقشه وهندسته فاذا وقف ابن البلاد امامه تذكر مفاخر الاجداد ومآثر السلف الصالح في مظاهرهم العلمية والمدينة واختلاصة انه جامع لا تذكر في جنبه جوامع مصر وسوريا وغيرها ولكن حبذا لو التفتت اليه وزارة الاوقاف فأمرت بتخصيص النفقات اللازمة لقرشه وتنظيمه من الداخل اذ لا يدخل زائر او سائح هذه المدينة دون ان يزور هذا المقام الشريف

والغريب مع ذلك ان عدد من يحج اليه من المسلمين قليل جداً مع انه قائم في مكان متوسط من بلاد الدولة العلية وجميع البلاد الاسلامية فضلاً عن ازدياد التسهيلات في ايامنا هذه ولا سيما بعد مد الخط الحديدي بين يافا والقدس فقد تقع الزوار واهل البلاد تقعاً عظيماً خصوصاً وأن رؤساء ادارته ومديرها الحالي امناء في خدمتهم موصوفون بحسن معاملة الركاب ومجاملتهم والتساهل مع اهالي البلاد والعناية بالفقراء منهم وانتقاء جميع الموظفين من ابناء هذه الناحية وهي شركة فرنساوية ليس فيها الا فرنسويان اثنان المدير ووكيله واما الباقون فمن ابناء البلاد ولا احب ان اتعدى الكلام عن المسجد الاقصى قبل ان اسدي واجب الشكر والثناء لحضرة مفتي القدس العلامة محمد طاهر افندي لما بذل من الهمة في خدمة هذا المسجد والاوقاف عامة ايام كان مديراً لها وللمعارف

وفي هذا المقام نوجه الانظار الى انشاء مدرسة اسلامية في الجامع المذكور اشبه بالجامع الازهر في القاهرة اذ بهذه المدرسة يسترد هذا المقام

افيد جداً من المدارس الابتدائية الحاضرة وذلك بان تقام مدارس كلية وصناعية يدرس فيها ابناء فلسطين وسورية لا ان تنحصر المناقشة المذهبية في زيادة عدد الكنائس والاكتثار من بناء الصوامع والاديرة حتى لا تخطو خطوة الا وترى معبدآ او ديرآ او مقامآ ولا عذر بته لحضرات الرؤساء المشار اليهم في ان لا يقوموا بتلك المشروعات النافعة بعد امتزاجهم واختلاطهم بالالوف من الزوار الاجانب الذين لم يمنعهم علمهم من زيادة التمسك بدينهم وقد هاجر الى هذه المدينة عدد عظيم من الاسرائيليين فأصبح السواد الاعظم من سكانها منهم وهم لا ينقصون عن الخمسة والعشرين الى الثلاثين الف نفس في حين ان عدد المسلمين والمسيحيين وسائر الطوائف لا يزيد على العشرين الف نفس

ولو لم تصدر الارادة السنية بمنع تملك الاسرائيليين لاشترؤا اكثر اراضي القدس وفلسطين لانهم قوم لديهم المال متوفر وكل منهم يفضل السكنى في ارض الميعاد على كل ارض سواها . اما ذلك المنع فقد حدث على اثر تشكي الاهلين والاسباب اقتصادية سياسية كما لا يخفى

ومع كل ما هو مشتد في القدس من التنافس بين المذاهب المسيحية لاختلاف المذاهب فيها اختلافاً كان له في العالم السياسي اهبة عظيمة مما خول فرنسا حماية الكاثوليك في الشرق كما خول روسيا حماية المذهب الارثوذكسي فان الخلاف والتنافس منحصران بين خدمة الدين فقط اما اهل الطوائف فعلي غاية الامتزاج مما يدلنا على ان فلسطين غير سوريا في هذه المبادئ الحسنة العثمانية فلا تكون فيها الا جامعة واحدة سياسية عثمانية ومن معالم القدس الشهيرة الحرم الاقصى وهو ثلث الحرمين والحق

وكتب في ١٨ أكتوبر من القدس الشريف

لم اقصد بزيارة هذه المدينة. اطلع حضرات القراء على تاريخها فهو
اشهر من ناري على علم. ولا تعريفهم آثارها ومعالمها التي سال بوصفها كل
قرطاس وقلم. وكفى وصفاً لها انها لدى جميع الملل والنحل حرم يحج اليه
المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون من جميع الامصار والبلدان ولذلك
تهافت رؤساء الاديان المسيحية على امتلاك اراضيهِ ورحابه فاصبحت لا ترى
مكناً ينسب الى السيد المسيح او الرسل الكرام والاولياء العظام الا وقد
بنيت فيه الكنائس العظيمة وأقيمت عليه المقامات الرحية هذا لللاتين وذاك
للأرثوذكس والآخر للارمن وهكذا قد تسابق المحسنون وأرباب البر في
العطاء تسابق ارباب الدين في الاخذ فبعضهم يهب للمعابد وآخر للمدارس
والمستشفيات وترى القدس الشريف حافلاً بالبعيد والقريب والوطني والذريب .
واعظم مقام فيه للمسيحيين كنيسة القيامة حيث قبر السيد المسيح وعود الصليب
وقد تقاسمت المذاهب المسيحية هذه الكنيسة واختصت باكثرها
الطائفتان اللاتينية والارثوذكسية ولا اعدد هنا ما يدعو الى الخلاف والشقاق
بين ارباب هذه المقامات المقدسة فذلك لا يجمله احد كما لا يجمل ان
صلة التوفيق بين هذه الطوائف كلها عدالة الحكومة العثمانية المحافظة على
تلك الحقوق المشتركة بما فيه تأييد الامن وتوفير الراحة للقصاد والزوار
والحجاج والسياح وهي ماثرة جليلة للحكومة العثمانية والسلطنة السنية
وان ما يجمعه رؤساء الديانات المسيحية ويتبرع به الزوار في الاراضي
المقدسة لمبالغ وافرة يستطيع اولئك الذين يستولون عليها ان يأتوا بمشروعات

وهذه الحال غير خافية عن وكلاء الدول وكتاب جرائد اوروبا والاجانب
القيمين في داخلية البلاد والسياح الذين يجوسون خلال الديار ولكن قد
يفيد اخفاؤها اكثرهم اما لغايات سياسية او شخصية واذا نطق بها واحد
اسكته سكوت عشرين والضرر محصور بنا والوبال واقع على رؤوسنا
ولله الامر،

ونحن نترف انه يستحيل تعميم الاصلاح دفعة واحدة فالطفرة في
الطبيعة محال ولكن يشترط علينا ان نبدأ به فعلاً لا قولاً وانفاذاً لا كتابة
فالقوانين متوفرة لدينا والرجال موجودون فلنوجد الاولى لكثرتها ولتناقضة
بعضها البعض ولنحسن انتقاء الموظفين ولنقم محكمة عالية لمقاصد المخالفين منزم
وليوقف الوالي والمتصرف باسفاره في ولايته ومتصرفيته على احوال كل
قرية ودسكرة وليدرس احوالها الدرس المدق وليحدث اهلبا بلغتهم ولتطلق
للجرائد حرية الانتقاد على المأمورين فان الامة العثمانية التي يستطيع رجالها
ان يباروا رجال اوروبا بالاقدام والاقتصاد (كما نراه في بيروت ودمشق
حيث لا يجد الاوروبي ما يرتزق منه لانحصار الاشغال التجارية في ايدي
ابناء البلاد) يمكنهم ايضاً متى وثقوا من عدالة حكاهم ان يجاروا الاوروبي
في عمله وأدبه وفنون حضارته وعمرانه فتوفر معدات النجاح عندنا ونأمن
على مستقبلنا ويكون لنا بهذا الحليف الصادق اي الاصلاح اعظم ضمان
لحقوقنا السياسية ومصالحنا القومية

وغيرها يفيد المسلم أكثر مما ينفع المسيحي بكثير لان هذا لا يملك شيئاً فيها بل الارض وما عليها للمسلمين في معظم ارجاء تلك الولاية

نم اننا لانجهل نية الخصوم فينا ولكن هل نجهل ان الرعية شاعرة كل الشعوب بوجوب ذلك الاصلاح بل ماذا يكون عذرنا اذا طالبتنا به كما طلبته اوروبا هل نلومها حينئذ على هذه المطالبة ام هل نقدر ان نتعذر بقولنا ان للأمة غايات ضد مصالحها اشبه بغاية خصومنا الانكايز وغيرهم ألا قل ان لا عذر لنا بتهّ واننا باهمالنا وتهاوننا ألدّ عداء من اعدائنا وخصومنا واننا عاملون على ضياع وطننا بأيدينا

ويفاخر العثماني بانه اقل الناس رسوماً ومكوساً وهذه حقيقة لامراء فيها ولكنه يدفع اضعافها من طريق الرشوة والمغارم مما يفوق طاقته ويتعدى قدرته ولهذا زاد الفقر وعمّ البلاء وأخذ الناس يهاجرون مئات وألوفاً يائسين قانطين ولو لم يفلحوا في اغترابهم وأسفارهم وعليه فالخزانه لاستفيد من تلك المغارم درهماً والمستفيد منها نفر نصفهم من الموظفين والنصف الثاني من الملتزمين

وفوق ذلك فان رجال هذين الفريقين المتنفعين هم الذين اذا حادثهم شكوا سوء الحال وهم الذين يوصلون اخبار المظالم والمغارم الى خصومنا وهم هم الذين اضرروا بالبلاد في الداخل والخارج والبلاد في قبضة ايديهم وضحية اغراضهم وغاياتهم

لذلك قلّ المحترف او الفلاح او التاجر او المسكين الذي اذا سألته عن موظف قال انه مستقيم وأحسن كلام سمعته في حق موظف قولهم انه يرتشي ولكنه حازم ولا يرتشي ليضر بآخر بل لاعطاء كل ذي حق حقه

نعم لا أنكر ان لبنان لا يخلو من القصور والاهمال ولكن قد يجب
القراء اذا قلنا لهم انه مع افتقاره الى متمات الاصلاح ومع فقر أهله
وبلاده لاحسن جداً من الولايات حتى صدق القائلون بان الفرق بينه وبينها
كالفرق بينه وبين اوروبا

على انه اذا كان في ذلك دليل على ان الشرقي قادر على حكم بلاده
وانفاذ قانونه غير انه يحزننا ان يكون ذلك مخصوصاً بلبنان لا يتناول انحاء
السلطنة العثمانية مع خصب تربتها وغنى بلادها واقدام اهلها ولذلك اقول مع
العثمانيين عموماً والمسلمين منهم خصوصاً ان تعميم الاصلاح امر واجب
وضربة لازب حفظاً لحقوق البلاد المقدسة وصوناً لمصالحها القومية والسياسية
ونحن اذا شكونا من اكثر الموظفين فاننا نسال قبل كل امر سنّ
قانون عادل لهم يضمن حقوقهم وأن تزداد رواتبهم الزيادة الكافّة بجوائج
معيشتهم حتى لا يبقى لهم عذر اذا ظلموا وتلوثوا باوضار الرشوة بل حوكموا
حينئذ ونالوا قصاص ما جنت ايديهم والا فكيف يعدل او يعتدل القاضي
وراتبه لا يكفي لنفقة خادم وحاجاته تستلزم اضعاف ذلك الراتب هذا اذا
لم يكن سكيراً او مولعاً بالقمار او منغمساً في رذائل اخرى
ويسوءني ان اقول ان عدد هؤلاء كثير ولذلك عمّ الفساد وكان الضرر
ادبياً ومادياً وساءت الحال مصيراً

ثم كيف يصح ان نتعذر بقولنا ان خصومنا سواء الانكيز او غيرهم
يحولون دون اصلاحنا لانهم يسألون تحسين احوال هذه الولاية او تلك
الايالة لان عدد المسيحيين كثير فيها ونحن نرى المسلمين اشد افتقاراً الى
الاصلاحات والتحسينات ام كيف نجعل وتجاهل ان اصلاح ولاية دمشق

الحروب العظيمة لا تقتل الشعب ولا تमित الامة الحية بل قد قال الاميرال الانكليزي الذي انتصر في معركة وترلو « ابتعدوا عن الحروب الصنيرة » وهو الرجل الذي لم يكن يخاف الحروب العظيمة فاننا نخاف ان هذه الحروب الصنيرة كحوادث كريت وغيرها تقتلنا وتميتنا بينا حروبنا المتعددة مع روسيا زادتنا مجداً وعظمة

سنة ١٨٩٧

وكتب في ١٢ اكتوبر من عين صوفر بلبنان

ما أدركت قط وجوب اصلاح شؤون حكامنا وبلادنا مثل اليوم بعد وقوفي على اشياء هذه البلاد وأشخاصها ولو انني كثيراً ما طالبت بذلك الاصلاح بلجاجة وإلحاح. غير انه لم يكن ليخطر ببالي ابدأ اننا في مثل هذا الاحتياج اليه بعد معرفتنا اننا قريبون من اوروبا يهددنا خصومنا فيها ايما تهديد وانني لأراه أمراً محزناً ان اسأل ارباب الامر ان يتشبهوا بمثل دولة اليابان البعيدة عنا ونحن لاهون متغافلون . ولم أر فته احوج الى الاصلاح من فئة الموظفين الموكول اليهم امر حماية الارزاق والاعراض والاعناق . وأغرب من ذلك كله اعتقاد بعض المنورين بمناصبهم ان الحياة السياسية القومية يصح بقاؤها مع هذه الحال ومع ما نحن عليه نشجع المرتشي ونحمي الظالم ونحن للعائدين عن جادة الضدق انصار وأشباع

بأن لا يضطر ابن العراق لاقامة دتواه الى ان يتجشم مشاق الاسفار ويتحمل النفقات ليذهب الى الاستانة ولا ان تسند مهام حوران مثلاً الى ابناء دار السعادة وهم يجهلون احوال البلاد وعاداتها ولنتها بل ان نحسن انتخاب الوالي ونفرض على مجلس الادارة ان يراقبه ويكون هو والمجلس المسؤولين عن انفاذ القانون وكيفية انتخاب العمال وليس المقام فسيحاً فأتوسع في الكلام عن هذا الموضوع بل ارجو من مكاتب الاهرام اللبناني الفاضل ان يبدي رأيه فيه كما تعودناه من مبادئه الصادقة وآرائه الصائبة

وليعلم العثمانيون قاطبة انه مهما عظمت مصائبنا فأقل الاصلاح يميضنا اضعاف ما خسرنه ونحول به دون اغراض خصومنا وأعدائنا في الخارج وفي الداخل ولا يجب البتة ان نياس مادامت لنا ارادة وما دمنه تم في مستقبلنا فان الانكسار في الحروب لا يشين المنكر ابدأ أو لم نر روسيا بعد ان كانت صاحبة القول الفصل في اوروبا في ايام القيصرين اسكندر ونقولا من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٥٤ سقطت سقوطاً اندى اوروبا انها حية لان روسيا لم تهتم بعد حرب القرم الا في أمور داخلية ولم تأت سنة ٧٠ حتى نهضت نهضة الاسد الضرغام واضطرت فرنسا وانكلترا خصمها في سنة ١٨٥٤ الى ان ترضيا مع اوروبا بمطالبها اي بمحو شروط تهمة ٥٦ الحائلة دون مرور سفنها في البحر الاسود وقد تم ذلك في عاصمة انكلترا ثم تابعت الدولة الروسية الجري على خطتها حتى استعادت مقامها الذي كان لها قبل سنة ١٨٥٤ وهي اليوم الدولة التي لا تحصد شوكتها النافذة ولا تقلم اظفارها الخادشة

وقصارى القول ان المجتهد الساهر على مصلحته لا يأس ولا يقنط وان

مصر وسودانها ومسلمي افريقية قاطبة لانه فضلا عن اهتمام اوروبا بتلك الحوادث قصد التوصل الى حلها حتى لاتشب حرب دولية فهي اي اوروبا حائرة لاتدري كيف تنفق على انكاثرا وقد يلد لنا الغد ولياليه الجبالى حوادث مهمة في ولايات ثانية تقضي على اوروبا المترددة في اعمالها ان تضرب صفحا عن مبادئها الاولى وتكون مصر نصيب انكاثرا وتحقق هذه امانها فينا وفي الاسلام ويصدق قول احد رجالها بان حلفاء سياسة انكاثرا وانصارها على ضياع السلطنة العثمانية هم رجال هذه الدولة وعمل هذه الامة »

ونحن لانيأس من الاصلاح يأس خصومنا بشرط ان نبداً به وان لا يكون كما نراه من تعيين بعض العمال في الولايات والالوية او من اعمال هؤلاء العمال ثم كيف تقوم قائمة سياستنا واكثر سفرائنا لإرادة لهم ولا وطنية عندهم فهم من زملائهم ووزراء الممالك الثانية محقرين غير محترمين

على انه مادامت الامة حية فالاهلية موجودة على شرط ان لانستعمل ابناء الاستانة على الولايات بل ان نتخب الموظفين من الذين لم يتطرق اليهم فساد المبادئ ولم يتلوثوا بادران الاغراض والغايات وهؤلاء كثير عديدهم ولا يجب ان نميز بين عنصر وآخر ومذهب وثن بل فلتكن المزية هي الاهلية المؤيدة بالاخلاص فاننا نرى وكثيرون من المسلمين يرون رأينا هذا ان المرحوم رستم باشا سفير الدولة السابق في لندن يساوي باهليته وباخلاصه عشرات من ولاة سورية وغيرها

ولسنا نرى مايراه البعض من ان حياة السلطنة بالدستور بل نرى ان به خرابها وضياعها اذا كان دعاة ذلك الدستور امثال غلمان تركيا الفتاة بل الذي نسأله كما سأله مكاتبونا السوريون الافاضل مراراً هو توزيع السلطة وذلك

لا يجب ان نتجاهل انها سلاح خصومنا ضدنا وانه متى ظهرت استحال منعها ومتى حصلت قامت قيامة الانتقام على قدم وساق لان العامة عمياء لاتعرف جدالاً ولا برهاناً ولا كلمة للافراد في الدولة وهم لم يكونوا الى الآن الا اكلة الخراب وسبب الدمار وباللعار

فهل من مصلحة الامة السياسية او القومية ان تتور تلك الخواطر الثورية وتقوم في جميع انحاء البلاد كل مذهب يحارب الثاني وكل عنصر يناسب الآخر وما نتيجة ذلك الا تداخل اوربوا القلي ومقاسمة القوائد بين تلك الدول او لا نرى ان الشعوب البلقانية منفقات متحدات على اتقاذ مآربها وهل اليونانية لانتظار تلك الساعة بنافذ الصبر والجلد وهل دولة غير روسيا حائلة اليوم دون اندفاع تلك الامارات والممالك الصغيرة ضدنا إذن فلماذا يا قوم نتجاهل المخاطر المحدقة بنا وتتغاضى عن واجباتنا الوطنية المقدسة وفروضنا نحو الامة والبلاد

ويعلم الله ان المسلم لاشد افتقاراً الى الاصلاح المطلوب من المسيحي والاول هو الذي يستفيد منه اكثر من الثاني لانه السواد الاعظم في البلاد التي لاتزال ارضها ملكه والعثمانية بلاد زراعية فاذا انتشر فيها علم الاصلاح وثابتت العدالة والراحة ووشيت اعراق الحضارة والعمران اثرى اصحاب الاملاك وأخذت الخزانة نصيبها من تلك الفائدة وتمكنت عندها من ادخار الذخائر والمعدات وتحصين القلاع وتبوءت المملكة مقاماً علياً وحق لرجالها حينئذ ان يكرروا قول الملك الفرنسي والفاتح الشهير هنري الرابع القائل « حصنت مدني واكثر ذخائري وملأت خزائني مالا فمن أخاف » ولا خلاف في ان الحالة الحاضرة في تركيا مجلبة لاعظم الاضرار على

وكتب من باريس عن كريت في ٢١ لوليو

ماضنا لو رضينا بمطالب الكريتين مباشرة وأنقذنا من انفسنا وعودنا لهم مادمنا بعد الاحوال الاخيرة نرضى اليوم بما رفضناه أمس ونقبل غداً ما عارضنا بشانه اليوم وناهيك ما يترتب على مثل هذه السياسة الخرقاء من الاضرار بنا من جميع الوجوه فاننا ايذاً تداخل اوروبا في اعمالنا وبرهنا على ضعفنا بعدم ثباتنا على رفضنا. وهجنا خواطر الرعية وساعدنا الحوادث على التوسع والامتداد في ولايات اوروبا وآسيا وكابدنا النفقات الطائلة ثم اوقفنا حركة التجارة في الداخلية وجففنا موارد البلاد وولدنا الياس في قلوب الرعايا وهنالك الطامة الكبرى

ولا خسارة من كريت اذا متمناها بدستور اشبه بقانون لبنان فانه مادمنا لا أمل لنا منها بجند ولا بضرائب وجب علينا على الأقل ان نتخلص من الخسائر الناجمة عنها في المال والرجال وقد عرفنا ان العول متفقات على عقد الصلح بين الكريتين والحكومة لانه هو الحل الاوفق لها وهي لا تريد الحرب ولا ضعفة المملكة العثمانية طبق ما تريده سياسة الانكيز مما ينهم منه ان اوروبا خصمنا وصديقنا لا تسمح لنا عند حدوث ثورة بغير مسالة التاثرين كاننا حراس اغراض اوروبا وبوليس سياستها

ولا يخفى ان اطراد هذه الحالة في السلطنة يحول دون الاصلاحات الداخلية فضلاً عما فيها من مس خواطر المسلمين وهم يرون ان الثورة من النصارى تقابل بالحسنات الادارية والمالية والاقتصادية وانهم هم هم القائمون باداء المال والرجال وهم مع ذلك محرومون من الاصلاح المطلوب وهذه الامور

وكتب ايضاً في ذلك التاريخ من باريس

شهدنا في هذا اليوم الازهر . سباق باريس الاكبر الابر . وقد غشيه نحو مليون نسمة فكان زحاماً غريباً يندر مثله في هذه المدينة الزاهرة ومشهداً درة تاجه حضرة رئيس الجمهورية الذي استقبل بالاحتفال الواجب والتكريم اللائق وقد علت ضوضاء المتراهنين وبللت ارباح هذا اليوم ونفقاته ٥ ملايين من الفرنكات تقاسم الاهلون اكثرها ولهذا لم نجب من ان بلدية باريس اخرت ذاك السباق اسبوعاً بقصد خدمة المدينة وقد اضطر المتسابقون والزوار الى البقاء ريثما يشهدون السباق المذكور كما ان رجال الحكومة لم يأسفوا على بذل الدرهم بسخاء وكرم في سنبل زيادة راحة السياح والاجانب من كل الوجوه لما يترتب على رضى هؤلاء من زيادة موارد باريس ومكاسبها ورواج متاجرها وعمالها وهذا يؤيد ما طالما التمسناه لمصر وهو وجوب زيادة العناية بأمر النزلاء والسياح ولا سيما وقد اشتهرت مصر بانها سويسرا الشتاء لكل مريض وغريب وسائح وناهيك ما بذلك من خدمة القطار المصري مادياً بما ينفق الزبائن من المال وأدياً اذ يقف هذا السياسي وذلك النائب او الكاتب على حقائق البلاد فيملكون اوروبا بأحوالنا ويصنون لها شؤوننا وشجوننا ويثبون لاهلها وساستها شكاياتنا فلا تضيع حقوقنا في طي مغالطة السياسة الانكليزية وسبابس اكاذيب جرائد لندن وترهاتها

ولا يسعني ان اختتم هذه المجالة قبل ان اذكر نضل البوليس الباريسي واثني على العامة من الشعب وهنيئاً لمثل هذه البلاد وسقياً ورعياً لمثل هذه الامة الرفيعة المقام

وكثيرون من قرائنا يتذكرون ما لقيه هذا الفيلسوف المحب للانسانية من صنوف التجلة والتكريم في مؤتمر برلين الذي دعاه الى حضوره الامبراطور غليوم الثاني للمفاوضة بشأن اصلاح احوال العملة مما ساعف كثيراً على تأييد تلك المبادئ كما عادت ايضاً على تحسين صلات فرنسا والمانيا منذ ذلك الحين

وكان جول سيييون كلما كبر في السن كبر في العلم والمعرفة وزاد فلسفة وأدباً ومحبة للانسانية واعتصاماً بمبادئه الدينية وتصبناً في الاعتقاد بوجود الله خالقه وكان كلما علا منصبه وتلألاً جاهه وقوض صروح الاستبداد والظلم زاد هباماً وكلفاً بالحرية وأراد ان تكون له كما لخصومه اذ الحرية لا تتجزأ ولا تتنوع وجول سيييون سواء في عبادة الحق جل جلاله او في تأييد الحرية وتعميم فوائدها وبركاتها كانت وجهته خدمة وطنه العزيز فهكذا الرجال وهكذا الاعمال

فلا بدع إذاً بعد ذلك اذا رأينا فرنسا كاسنة البال حزينة لفقد رجلها وخادمها الامين وجهات حكومتها تفقات مشهده على خزانة الدولة وأمرت بان يكون الاحتفال به رسمياً يسير فيه الوزراء والامراء والنواب ورجال العلم والادب وكبراء باريس وعظمائها وقد ابنه كثيرون بابدع بيان. فذكروا فضله ونبله وعددوا مآثرة وافعاله الحسنات. وبكاه جميع الذين عرفوه كما بكاه الفقراء والايام والارامل الذين صار في كؤوس معاشهم المرة بعض جلاوة وطيب مذاق بفضل هذا الخادم للانسانية المخلص والفيلسوف الوطني الحر الذي اسلم روحه كما بدأ حياته بتكرار هذه الكلمات الشريفة « الله والوطن والحرية »

وهذه الوطنية وتلك الحرية قد وقفهما ايضاً على خدمة الحق سبحانه وتعالى فلم تؤثر فيه تلك الفاسنة المبللة للثائرة المنكرة كل وجود سام غير مدرك ولا منظور بل حاربها وهدد شمل كتابها وتذكرني رصانة هذا العلامة الفاضل وزكاة فكره طيش بعض ابناء المشرق الذين يجترئون بمطالبة كتاب هذا المادي ومؤلف ذلك الكافر الملحد وتصفح فصول داروين العالم الطبيعي ثم يروحون يتخذلقون ويتشدقون براء غيرهم ويفتخرون باذاعة تعاليم سواهم وهم قوم لا رأي لهم للاتباع ولا فكر ينافس بابداع بل يياهون بانهم ماديون عن فلاسفة اخريات هذه الايام ونحن نرى جول سيمون العالم المحقق والنياسوف المدقق يعبد الحق عز وجل ويخدمه ويفتخر بايمانه وبمعتقده ولم تمنه اعماله السياسية ولا واجباته العالمية والعائلية من احترام المبادي الدينية وتبجيلها واعلانها في خطبه وفي كتبه ومقالاته فكان بالحقيقة الفيلسوف الصادق والوطني الحر المخلص لدولته وبني قومه ونم الرجل هو

ثم ان هذا الرجل ابن اجتهاده وصنيعة اقدامه وثباته وقد دلتنا مؤلفاته وخطبه على انه عضد الفقير وسند العامل والمحترف وغوث الملهوف ونصير كل سبوت ضعيف وقد حرك بلسانه وبنانه جميع الحكومات والشعوب الاوروبية لمساعدة العملة على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ولا سيما القاصرين والعاجزين منهم وذلك بزيادة اجورهم واقلال ساعات عملهم وتخفيف احمال غنائهم ومشقتهم وأن تقام لهم الملاجئ والمساكن بأجور متدلة ليتسنى لهم بعض الراحة والهناء في هذه الحياة الدنيا ويكون لهم وجه شبه بالاغنياء والعظماء وهو قد فاز في هذه الحروب القلبية والمعارك الادبية فوزاً مبيناً ولقبه العملة اباهم ونصيرهم وهو محترف ما يبدعه شرف وغاية مجد ما يبدعها غاية

مات فقير الحال . ولكنه خلف ذكراً مجيداً ينفي عن كل مال . وترك صيتاً حميداً يتناقله الالبناء عن الالباء مدى القرون والالجيال وقد جعلته رحمه الله موضوع رسالتي هذه شهادة بفضل وبفضل امته وبلاده التي لا يضيع فيها احسان واجمال . وتنوياً بان الامة الفرنسية كغيرها من امم اوربا تقدر هؤلاء الرجال قدرهم ولذلك امتازت هذه الشعوب عن غيرها وفاقت نلي سواها واعتزت وكان الامر امرها في مشرق الارض ومنبرها

افتتح جول سيمون حيوته الكريمة بخدمة الدلم والحرية ندافع عن هذه دفاع الالبطل في عصر نابوليون الثالث ولم تمنه حريته هذه الشرية من التنديد بعمال الجمهورية ايام ارادوا مصادرة هذه الحرية في سياستهم وتعاليمهم لانه حسب ضالته الحرية واحدة في تصور الامبراطورية والجمهورية والملكية وانه فوق المصلحة الحزبية والغايات الشخصية ولم يتخذها كغيره سلاحاً ضد الاستبداد وضد اخوانه ايضاً وقد دحر الاستبداد وذويه بل خدم الحرية نفسها قاصدا ان يتمتع بها الجمهوري في عهد الامبراطورية وعهد الملكية كتمتع ابناء هاتين الحكومتين بها في عصر الجمهورية الحاضر

وهذه الحرية التي خدمها انما خصصها لخدمة وطنه العزيز بما وضه من المؤلفات الضخمة والمصنفات الجزلة وبما نشره في المجلات الدلمية والجرائد السيارة من المقالات المينة والاصول المنعمة وبما القاه في البرلمان وسواه من الخطب الرنانة التي كانت لها رنين ودوي في فرنسا وفي خارجها واذا كان لم يوفق الى منع حرب السبعين فانه ساعد تيرس مؤسس الجمهورية على تأييد هذه الحكومة وسلم فرنسا لاختوته ابناء هذه المملكة دولة عزيزة الشأن على المقام والجناب يتهيأ لخصوم ويتنبؤ لذكرها الرقاب

مصر وغير المصريين بتضحية اموالها ورجالها على مذابح اغراض المحتلين ونحن متيقنون ان روسيا وفرنسا لا ترضيان مطلقا بامثال هذه الاعمال وقد عرفت اوروبا ان القول الفصل للتحالف الثنائي المذكور بما كان من سياسة المانيا في جميع الحوادث الاخيرة مما يضمن لنا عدم الخوف والقلق على مستقبلنا ولا نجهل فرنسا خصوصا انها اذا تساهلت خسرت جميع ما اكتسبته في السنين الاخيرة من اميال الشرقيين عموماً وكانت بتصديقها لمقدمات بريطانيا الاخيرة عاملة على تحقيق اقوال السياسي الالماني الشهير الذي قال (ان المانيا مع مسائلنا الالزاس واللورين اسلم عاقبة لفرنسا من انكناز المازجة مقدمات تمويهها بتقارير جرائدها وخطب رجالها)



وكتب في ١٤ يونيو من باريس عن الفيلسوف جول سيمون وكان من مريديه

الله والوطن والحرية

احتفلت باريس بل فرنسا باسرها بل الفلسفة والعلم والادب والحضارة الغربية والمدنية الاوروبية بمشهد جنازة الفيلسوف العلامة السياسي الوطني الفرنسي المرحوم جول سيمون الذي مات وعمره ٨٢ سنة قضاها في خدمة بلاده ونصرة التقير والباأس وعنوان حياته الله والوطن والحرية واني لا اوفي في عجالي هذه حقوق هذا الرجل الذي يحق لفرنسا ان تفتخر به وبامثاله اولئك النوابغ والفضائل الذين شادوا صروح علمها ومعلمي مجدها وعزها وايدوا مبادئ حريتها وخدموا الضعيف والمسكين فيها وقد ضحى المرحوم جول سيمون مصلحته الشخصية في خدمة مبادئه الشريفة ومقاصد النبيلة والذاك

قالوا لو رفضنا مطالب كرومر لقبض الانكليز على جيشنا بجيشهم الاحتلالي وقتلوا الشوكة المصرية فقولوا لنا أيها المرددون اليوم للاقوال الماضية هل حالت طاعتكم العمياء وخضوعكم في مسألة الحدود دون قتل النوذ المصري في الجيش المصري الاسمي

ناشدتكم الله ايها القابضون على زمام هذا القطار السعيد المنادون بذكر هذه المخاوف كل يوم عن ضعف او عن غايات في النفس والخاضعون للمحتلين بسببها ها قد جربتم ذلك مرارا ولم تزدادوا الا خذلانا وخدمتم الاحتلال وايدتموه فبالله الا ماجرتم الرفض مرة واحدة على شرط ان لا تقبلوا ابداً لا ان ترفضوا لتقبلوا وعندها ترفون ان المسألة دولية اوروبية وانه اذا كانت اوروبا قد حالت دون اغراض انكلترا في الشرقين حتى في الترنسفال فهل تتردد عن وضع حد لاطماعها الاشعبية في مصر واقول انه لو وثق الانكليز باننا حازمون ثابتون لما عادوا كراتهم علينا حتى قتلونا واماتونا

ونرجع الى راي اوروبا والقول انه يحتمل ان تكون المانيا موافقة للحملة لخدمة حليفها ايطاليا فإثر انكلترا وانها لا تطيع اشارة برلين وامبراطورها الشاب ام قصدت ان تستميله اليها على حساب مصر المنكودة الحظ

والذي نعتقده هو انه وان تكن الحملة بتصديق المانيا فلا يؤثر ذلك في حقوق مصر السياسية لان غيلوم الثاني يعرف انه اذا تمادى في هذه السياسة اغضب فرنسا وروسيا ولا مصلحة له في ذلك بيد ان ذاق مرارة التحجب الانكليزي والجرح لا يزال جديدا داميا على انه وان ثبت هذا الراي فلا يزيدنا إلا ثباتاً في معارضة الحملة وكيف لا نعارضها وغايتها خدمة غير

قلناه قبل كل أحد سوانا وعرفنا أيضاً ان انكليز مصر عاملون ولا سيما بعد اتفاق المستر رود واللورد كرومر على وجوب فتح السودان الامر الذي اهتم به السردار كتشنر باشا كل سنة زار لندرا فيها ولكن السياسة الاوروبية العامة حالت دون مرام السياسة الاحتلالية التي لم تأسف في مخابراتها على الدرهم وغيره لاستمالة القبائل المتذبذبة تسهيلا للحملة المنوية يوم توافق انكلترا عليها مدفوعة من مصلحتها الخصوصية تحت ستار خدمة المدينة ضد الهمجية كما ذكر المستر كرزون أمس

وقد ثبت الآن ان مصر مسيرة في الحملة الاخيرة لان الامر صدر من لندرا وتقرر اولا بين حضرات اللورد كرومر والسردار وقائد جيش الاحتلال والسير الوين بالمر وعضدت هذه السياسة معارف سلاطين باشا وخبرته باحوال السودان وبعد الاتفاق النهائي أبلت حكومة مصر الامر لانفاذه

وعليه فقد كان من الواجب على كبار وجال الحكومة المصرية ان يبحثوا بحثاً مدققاً في الغاية من هذه الحملة فاذا كانت لخدمة غير مصر وجب ان لا يصدقوا على تجريدتها واذا قيل ان مصر لا قوة لها على ذلك قلنا ان لها القوة الشرعية التي مرقت بها الدولة العلية شمل أغراض الانكليز في مسألة ارمينيا واذا قيل ان انكلترا اقدر ان تنادي بحمايتها على مصر من ان تقوى على اقل تعديل في قواعد مصر الاساسية التي تنص عنها القرارات السلطانية وتؤيدها اوربا وقد عرفنا ان الاول مستحيل وهو امر لا تجهله انكلترا ورجالها هنا ورجالنا اذن كان ما تخاف منه في الامر الثاني اكثر استحالة وقد اذكرتني مخاوف رجالنا في هذه المرة مخاوفهم في مسألة الحدود وقد

والسياسيون المحنكون ولنعلم ان مصر اذا رجعت الى حالتها قبل الاحتلال خدمت الشعوب المشرقية اجمع وتمتع الافريقيون المستقلون بوجودهم السياسي ولا عذر لنا اذا عارض المحتلون زيادة ميزانية المعارف او حال رجال هذه النظارة دون بنيتنا الجليلة فانهم يعملون لمصلحتهم فلنسع نحن ايضاً في مصلحتنا وذلك بأن لانأسف لبذل الدرهم في سبيل وجودنا السياسي وان نقصي اليأس من نفوسنا وقد ثبت ان لا يأس في الحياة السياسية وان مارأيناه في هذه الآونة الاخيرة من مبادئ النهضة الاقتصادية والعامة في مصر يبشرنا بنمو تلك المبادئ وكمال هذه النهضة ومتى تعممت وانتشرت عرفنا مالنا وما علينا فطالبنا بحقوقنا الادارية والاقتصادية توصلا الى الحقوق السياسية وتمتعنا بامتيازاتنا على ما يقتضيه وجودنا السياسي وحياتنا القومية والله ولي التوفيق

وكتب في ١٨ مارس عن حملة السودان الاخيرة

إما ان تكون الحملة السودانية لخدمة مصر او لخدمة انكلترا فاذا كان الاول وجب عضدها بالمال وبالرجال واذا كان الثاني وجب رفضها وإلا عددنا المصريين القائلين بها خداماً لاغراض انكلترا لا لمصر ووطنهم ويذكر القراء يوم اوعز اللورد كرومر بسلخ السودان الى المرحوم الشريف اننا قلنا ان الغاية من سياسة انكلترا ان تكون السودان او افريقيا هندا انكليزية. نعم ان هذه الامنية لم تتحقق بعد ولكن ايدت الحوادث ما

نعم قد وفقت مصر الى ان رأيت في سمو العباس المحبوب رجلاً غيوراً
على مصالحها ميلاً الى توسيع نطاق المعارف فيها معتصماً بحبل المبادئ
الوطنية والجنسية عن علم ومعرفة مما يسمف كثيراً على الوصول الى تحقيق
أمانى سموه الوطنية ولا سيما اذا قام مجموع الامة وأفرادها قيام سموه بذلك
للبواب المقدس ويسؤنا ان لا نرى ذلك من لثيئنا اما عن بأس او عن
جهل وكلاهما نتيجة اهلاننا لهذيب اخلاقنا وتثيف عقولنا وبالتالي جهلنا
لواجباتنا نحو نفوسنا ونحو غيرنا فاستعبدنا النير وكان ما كان من استماتتنا
امامه والاستنامة لارادته واشارته

ونحن لانجمل اليوم بعد الحوادث الاخيرة ان للمصريين حصراً مجيداً
طالته جلاء الانكليز عن بلادهم ولكن ذلك لا يكون اذا اهلنا فروضنا ولم
يزن النصارى والمسلمون اننا قادرون على ان نحكم انفسنا بأنفسنا ولا يجهل
المصري انه متميز بموقعه الجغرافي عن سواه فان غيره اذا أراد ان يستقل
وجب ان يشغل وحده دون ان يساعده احد اما مصر فلها من الدول حتى
من الانكليز انفسهم عضد ونصير

نعم ان الانكليز قلوا بسياستهم السلطة الاهلية ليحولوا دون الجلاء
ولكن حزم العباس فضح سياستهم وقد ساعدته حوادث آسيا وأفريقية
فعرفت اوروبا اختلاقات السياسة البريطانية في مصر كما عرفها في الترنسفال
واليابان والبوسفور

فعلى أولى الامر والاغنياء والنجباء من الامة ان يعقدوا النية ويكونوا
يداً واحدة في نشر لواء العلم واكثار المدارس في البلاد وتنويع علومها
الادارية والاقتصادية لينبغ منها الاداريون والمجربون والاقتصاديون المعارفون

واجباته نحو نفسه فكيف يدرك فروضه نحو غيره وكيف يسعى الى تحسين احواله الشخصية باصلاح احوال منزله وتهذيب اخلاق اولاده وتبليغهم المبادئ الوطنية والاقتصادية وهو خاضع لارادة غيره وطوع اشارة سواه وقد سألت مراراً بعض افاضل المصريين ان يكتبوا في هذه المواضيع ويتقنوا في الكلام على تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول بأن ينبهوا أبناء مصر الى اصلاح ما اخلل وتقويم ما اغل يذكرون محاسن الاجنبي للاقتداء بها ويوردون فنون الاوروبيين في المبادئ الاقتصادية وغيرها حاثين على اتخاذها انموذجاً ومثالاً حتى اذا لم نحل دون اطمانهم فينا اشركنا وإياهم في فوائد الارتزاق والاكتساب

وأرى الاستاذ المتكاسل والعالم المتجاهل والقاضل المتنافل من أبناء مصر عن هذه الواجبات اكبر ذنباً وأشد جريمة من اخوانهم الذين لهم عذر بجهلهم وقد صدق احد السياسيين اذ قال في حديث دار بيننا على هذا الموضوع « ان هؤلاء الأفاضل لاشد عداءً لمصر وبنيتها من المحلّين »

ولا يخفى انه كلما زادت معارف الامة زاد عدد النباء والافاضل فيها فتنبهوا الى فروضهم وطالبوا بحقوقهم وساغفوا الهيئة الحاكمة اذا اخلست سعيها الى معارضة الرقيب وقضوا عليها اذا استماتت من جراء ضعفها وقوطها لان الامة الحية لا تدم الحياة في كثير من ابنائها يتولون أمورها ويصالحون شؤونها او لا نرى اليوم في فرنسا ان الشعب هو صاحب القول الفصل في اعماله الداخلية والخارجية سواءً نبغ بين رجالها مثل تيرس ام لم يكن عندها سياسي عظيم واداري لبيب في حين نرى الامة التي لاعلم فيها طوع ارادة فردٍ من افرادها وطلما اضر بها وبنفسه

سنة ١٨٩٦

قال في الاستقلال وأساسه نشر المعارف

الاستقلال من لوازم الحياة السياسية وهو إما طبيعي فطري كما هو استقلال أكثر القبائل الرحل المتوغلة في مجاهل افريقيا وغيرها وإما اكتسابي وهو ما توصل اليه اصحابه بفضل الاجتهاد والعلم كاستقلال شعوب اوروبا التي ينقسم استقلالها الى قسمين الاول ان يكون الشعب مستقلاً حراً ولكنه خاضع خضوعاً تاماً لارادة ملكه المطلق والثاني ان تكون الامة مشتركة مع حكامها في فوائد الاستقلال كما هي الحال في فرنسا وانجلترا بفضل آداب شعبيهما ومدنيتهما وعلمهما

ولا وجود سياسي بغير الاستقلال ولن يكون هذا بغير العلم ولا سيما في الشعوب التي تعودت الانقياد لحكامها وللدخلاء ولهذا كانت واجبات المصري بالقياس لنيره من ابناء الشرق كثيرة لأنه بخسرانه الاستقلال الاداري خسر الفوائد الثانية الاقتصادية وغيرها فاستلم زمام سياسته الاجنبي وتولى مهام ادارته الدخيل وأدار شؤون ماليته الرقيب كأنه به عبداً لسواه من كل الوجوه وهي حال تضطرننا الى مداركة اضرارها وملافاة شرها قبل استئصال أمرها بتوسيع نطاق المعارف وتنظيم مصالحها وتديم نوائدها

ويذكر قراؤنا الكرام اننا كتبنا مرات عديدة في هذا الموضوع المهم واستلقتنا انظار أولي الامر الى ذلك وسألنا الموسرين منا ان يشتركوا مع الحكومة في اقامة المدارس في كل صوب لانه اذا كان المصري جاهلاً

و ضد الحقاية مما يظهر للمصري ان المجاملة استعباد والملاينة استرقاق فانه لو فرضنا المستحيل وقلنا ان اوروبا لم تتداخل في مصر وملكت انكلترا هذه البلاد لكانت النتيجة واحدة جاملناها او عارضناها ولكن المجاملة حطة وعار والمعارضة شرف واقتزار

وهب صدق الانكليز وقصرت اوروبا من حرية المصريين بعد الجلاء فلا يكون هنالك ما يخيفنا على استقلالنا الاداري المنصوص عنه في القرمات بل تحفظ حقوق السلطنة وتؤيد امتيازات معه ويكون للمصري ميدان واسع يسابق فيه وينظر ابن اوروبا ليقندي به علما ومدنية وحرية واستقلالاً ولا تنحصر الفائدة عند ذلك في مصر والمصريين بل تمتد الى الدولة العلية والشرق بأسره

ولا نياس من الانتظار وحرب السبعين قد مضى عليها ٢٥ سنة ولم تزد فرنسا الا رفة وقوة والخلاف بين انكلترا وفرنسا على الارض الجديدة ومسائل افريقية قد عبر عليه سنون ولكن لم تياس الدولتان لامن اتفاق سيحدث ولا من المعارضات المتبادلة ثم هل انفضت الى الآن مشاكل انكلترا وروسيا في البامير وغيرها فلماذا نياس نحن واوربا ذات المصلحة مثلنا وصاحبة القوة ساهرة يقظة لاتسالنا إلا متابعة خطتنا الوطنية بمعارضة الاحتلال وطلب الجلاء والسلام

مصر وسودانها والتفريق بين مصر والاستانة وبين العربي والتركي وبين
الخليوي والسلطان وبمعنى اوضح ظهرت في مظهر خصم للدولة ملياً وسياسياً
فهل يتبعكم وتلك مبادئكم إلا الذين وطنيتهم درهمهم ومصريتهم منصبهم نعم
ايدتم ارادتكم في مصر والامر امركم واستسلم النظار طائعين ولم يعارضكم
احد ولكن ذلك التأيد لايزيدكم الا كراهية في مصر كما يزيد اوروبا ثورة
عليكم وبرهاننا حرب جرائد فرنسا وسواها ولا ننكر قوة انكثرا في الجرائد
وهي الآلة الصماء في يد الخارجية الانكليزية ولكن ثبت لاوروبا اليوم ان
اختلاف جرائد لندن ومغالطها يعادلان عظم انتشارها واتساعها او يزيدان
ولنا فيما اختلقته على مصر في الحوادث الاخيرة وما كان من احاديثها الملققة
بمد مسألة البامير وما رددته في هذه الايام على مقدونية وبلغاريا وفيما لاتزال
تنفته من السموم في المسألة الارمنية شاهد عدل على ما نقول

وسوف تضع مصر حداً لجميع هذه الامور التي فضحها الاحتلال فانكم
تطاوتم على اميرنا ورجاله وسلبتم حقوقنا الادارية والمالية وهددتم السودان
وفرقتم بين عناصر السلطنة ومستم مصالح جميع الدول ومصر طريق الشرق
الاقصى لاوروبا وأهم نقط البحر المتوسط الحربية ونحن العثمانيين لانبد زوسيا
خصماً لنا لاننا لو جاملناها كما جاملنا بريطانيا وحاربنا هذه لمصلحة القيصر
كما حاربناه لمصلحة انكثرا لكنت النتيجة لنا احسن جداً ولهذا لايجب
الانكليز من تحالف الدولة الدلية مع روسيا اذا لم تقم انكثرا بوعود الجلاء
ونحن في هذه السياسة نفتدي بفرنسا ونثق مع الدولتين على مصر
وعلى غيرها

ولست في حاجة الى ذكر ما كان من الانكليز ضد النهضة العلمية المصرية

في مصر والشرقين ولاننا نعتقد ان اقدس واجباتنا ان لا تتفق فرنسا مع انكلترا حتى لا تقوى الاخيرة على ارضائها ببديل عن مصر من املاكنا شأنها في سياستها الخارجية معنا ونحن اليوم نستعين بالمانيا وروسيا ولنا ملء الامل ان الدول الثلاث سيتفقن على طلب حياد مصر فلا تمتلكها ذولة اجنبية ابداً ولا نعجب اذا كانت مسألة مصر من قواعد التحالف الفرنسي الروسي ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ثم اننا اتفقنا معكم فأخذتم مناصبنا وامتزجنا بكم فاستلتم مقاليد أمورنا وجعلتمونا في اعين الشرقيين ضعفاء بعنا وطننا وفي أعين الغربيين أناساً بلا حمية ولا شرف ولولا تداركنا لا غلاطنا هذه خسرنا مصر وامتلكتها وما غنية باردة وانتقم منا الفرنسي فوطىء ارضاً ثانية وناصبنا الروسي ورهط آخرون

ولا يخفى عن الانكليز ان اتفاق اكثر الوزارات الفرنسية معهم على تحويل الموحد وغيره لم يقنع فرنسا مطلقاً فضلاً عن ان مصر لم تستفد من التحويل بل تقاسمه ابناء الانكليز رواتب ونفقات ودلائنا الفرق الفاحش بين ميزانية مصر الادارية قبل الاحتلال واليوم وبين المبالغ التي كان يقبضها المصري وقتئذ والتي يقبضها اليوم ولو رضي المصريون بالاحتلال لما اضروا بمصرهم فقط بل بالسلطنة قاطبة وليعلم المصري من دعاة الاحتلال انه لو تم ذلك لاضر بالوطن والامة من كل جهة فهل يلام صادق في الوطنية اذا عارض الاحتلال (ولو إنه كاه حسنات) فكيف وهو على ما هو عليه سيئات في سيئات حسبنا الله ونعم الوكيل

وقد برهنتم باعمالكم ولا سيما في السياسة العثمانية على انكم تريدون ابتلاع

ولم ائيم عواصم اوروبا للاجتماع بهذا السياسي وذاك المكاتب إلا لتعميم افكاري
والقول ان من مصلحة اوروبا ان تجلي انكثرا عن مصر وقد فاتحني اللورد
دوفرين في قصر الازمة والسير بارنغ لدى وصوله الى مصر معتمدا لدولته
فابديت رأيي لهما كما نشرته في الاهرام واقتخراني كنت منفردا في هذا
الرأي الوطني المصري مخالفا كل وزير وكل امير بينما كان الانكليز ورجال
مصر ممتزجين قلبا وقالباً وهؤلاء غير عالمين بسوء نيات المحتلين

والمصريون الرسميون مازجوا الانكليز في اكثر سني الاحتلال تقريباً
وعملوا بجميع مشوراتهم ونصائحهم على زعمهم فقبض الانكليز على كل رخيص
وغال كافي بمصر مستعمرة انكليزية ولولا ان قبض الله العباس لتولي الاركة
الخدوية لما كانت النهضة الوطنية التي استسلمت في السابق عن يأس لا عن
قناعة وهو برهان على ان مصر تموت برجل وتحييا برجل فهل رأى المصريون
بسني المجاملة عملا واحدا في سبيل تأييد الامتيازات المصرية في كل نظارة
أو كل فرع من فروعها من الحرية الى المعارف فكيف تشكون اليوم من
تور المصري واتم ثلثه وسببه

ونحن قد استنجدنا بالاستانة وافلحننا لان سياسة انكثرا في دار السعادة
حبطت وانحلت بمد احتلال مصر وعرف رجال ضفاف البوسفور معرفة
رجال ضفاف النيل ان وقوع مصر في قبضة الانكليز تؤدي الى انحطاط
السلطنة والاضرار بالملة والامة فجمعوا كلمتهم ووقفوا بين آواهم واذا لم تكن
نتيجة استجدانا بحضرة امير المؤمنين الا انها حالت دون اغراض المفسدين
فيئسوا من تحقيق أمنائهم في مصر واميرها الكني بها فائدة تذكر فتشكر
وخصصنا قرضا دون غيرها من الدول بطلب الاسعاف لما لها من المصلحة

فقط حق الاعتراض على الاعمال التي تمس نفوذنا المعنوي او تحول دون حقوقنا السياسية في مصر بما انها طريق الهند وأهم المواقع الحربية في البحر المتوسط والبحر الاحمر

ولو كنتم حقيقة من اولئك الاعراب الذين يحبون جنسهم ووطنهم لاتفقتم معنا وكان مستقبل الشرق لكم ونحن اذا كنا أخذنا أهم مناصبكم وقبضنا على كبيرات الوظائف فاننا لم نأت غير ما اتاه فاتحو مصر قبلنا من اعراب وأتراك واذا كنا استخدمنا الدخلاء واسطة بيننا وبينكم فقد فعلنا خوفاً منكم واقتداءً بالقاتحين ولكن اذا اصفيتم لنا الود واخلصتم طردنا من المناصب كل غريب وتولينا معكم كل الوظائف وتشاطرنا ميزانية الادارة

وهل عارضتمونا في شيء ونجح المعارضون وهل نظارتكم تطيع غير المستشار الانكليزي او الوكيل الانكليزي وهل ارتأى بالمر مشروعا ولم ينتشر على خصومه حتى في اوقافكم المقدسة واعلموا ان وجهتنا في نظارة المعارف هي نشر اللغة الانكليزية في مصر وفي الحقاية تسير العدالة على الخطاة السائرة عليها في هندنا ومتى تم لنا ذلك وهو امر قريب ينشتم من معارضتنا ورضيتم باحتلالنا قسراً

ثم هل تساعدكم فرنسا عن حب لكم وهل نسيتم ضربات روسيا السابقة وافضال انكاثرا عليكم فكيف تفضلون روسيا اليوم علينا

وقد علم رجال السلطنة انه اذا سهل عليهم ان يعادوا فرنسا او غيرها استحال عليهم ان يناوشوا انكاثرا وقد رأوا منها ما رأوه في مشاكلهم الداخلية فنحن الذين حلنا دون دخول تركيا في امر الرومي الشرقية فانضمت الى

بلناريا ولولانا لما قامت قيامة المسألة الارمنية فان لحكومتنا غير قواتها البحرية
والمالية والتقليدية قوة رابعة هي اليوم القوة الاولى بين قواتنا الا وهي الجرائد
فاذا أردنا امراً قامت قيامة جرائدنا عليه يعضدها جيش جرار من مكانيبيها
وطنطننت به وابرقت وارعدت وكل من استقرى المسألة الارمنية وتبع حركاتها
اعترف بفضل جرائد لن درا والتبس في مقدمتها

فهل من الحكم يا ايها المصريون ان تقاومونا واتم عاجزون عن القيام
بهمام أموركم دون معاونة غريب حتى لو انجلينا عن بلادكم (وهو مستحيل)
لنلت اوروبا ايديكم وقصرت من رداء حريتكم واستقلالكم وامتيازاتكم الادارية
لانكم لو كنتم تصاحون للحكم لما كثر دينكم واختلست حكاكم فافلستم
وخفقت راية التوضى فوق ربوعكم وقام رجال الجيش على خديويكم فاستنصر
بنا عليهم ليصون اريكته وامتيازات مصر

تلك خلاصة ما يردده الانكيز ومأجورهم في احاديثهم الرسمية وابواقهم
الاحتلالية فرأيت ان افندهما واحدة واحدة حتى لا تنطلي تمويهاتهم هذه على البسطاء
لان عقلا، الامة وفضلاءها عرفوا مثلنا فساد هذه المبادئ وغايات اصحابها
واضرارها بنا

لم اتأخر عن التنديد بتردد سياسة الباب العالي في ايام الثورة العسكرية
وكثيرا ما عرضت في سياسة الوزير فراسينه ومشورات صديقه دي اسبس وقد
احجبت فرنسا عن الاشتراك مع انكترا واعداد صدى الاهرام تضطرم غيظاً
وغيرة على سياسة الدولتين لاني خنت اثراد انكترا وتيفت سوء غايتها
وانها عاملة على امتلاك مصر وتلك كانت كتاباتي في الاهرام وفي جريدة
الديبا والريوبليك فرانسز وفي البال مال غازيت وغيرها من جرائد انكترا

اخراج الرئيس من مصر في زمن كانت لا تذكر اهميتها فيه حتى يستحيل اتفاق فرنسا والعثمانية اليوم ضدها ولا سيما في زمن كثرت فيه مسابقة الدول العظيمة وتوازنت القوات بحراً وبراً

ولهذا بتنا ننظر حدوث حوادث في جهات سرس وغيرها تضطر المحتلين الى اعلان وجوب الحملة ليقولوا لفرنسا ولا غيرها اننا مسيرون غير مخبرين لان من الواجب درء صدمات التماشي ولقد اسمعنا الاخبار الاخيرة اكثر من مرة تجهم الدراويش وما الفاية لاشاعتها إلا تمهيد سبل الحوادث المنتظرة هذا ما تستمد له وتنويه انكثرا في السودان وسنبعث في مواجب الدولة العلية ومصر وفرنسا في جملة ثانية وموعدا قريب ان شاء الله تعالى

وكتب في ١٢ اغسطس من اوستريا ما يصح الاعتبار به الى الآن

يقول رجال الانكليز لقد عبر علينا حين من الدهر في قطركم واتم تناوشونا وتعارضونا وتارة تستجدون بجلالة السلطان وتارة تستعينون بفرنسا وأوانا تعضدون بروسيا ولا يزيدنا ذلك إلا تأييداً ورسوخ قدم في مصر وقد قبضنا على ادارتها فلا يوظف فيها أحد الا بارادتنا في حين انكم لو امتزجتم معنا واتفقم لاجبرنا فرنسا وأوروبا على توحيد ديونكم وخففنا اثقال الضرائب عنكم وخصصنا مبالغ وافرة بالامور الصحية وعممنا فوائد العلم واكثرنا المدارس فيستطيع المصريون مع الزمن ان يشتغلوا بفضل احتلالنا الذي يزيدهم استقلالاً وحرية ويصبحون في بلادهم كاهل كندا يحكمونها ويديرون شؤونها ولنا نحن

اعالي النيل من رجال انكثرا والآن اما ان تجرد بريطانيا تجريدة انكليزية او مصرية فاذا كانت الاولى وقت في شئ ما تخوفته وسبقها فرنسا هذا فضلاً عن ان الرأي العام الانكليزي ضد هذه التجريدات بمساكر انكليزية ومال انكليزي ولهذا قالت بان تكون مصرية وبمال المصري المسكين

وأما التكديزات الرسمية سواء في لندن او هنا فهي من قبيل وعودها بالجلاء وعليه فلا بد من التجريدة المصرية ولا نرى حشد الرديف في طره وتبريناته المتتابة إلا استمداداً لارسال تلك القوة الى السودان كما ان الاخبار التي اخذناها عن القادمين من وادي حلنا تؤيد خبر التجريدة لان الاشغال قائمة على قدم وساق هنالك لانشاء خطين حديدين لتقريب الابداد

وهذه الغاية وحدها هي التي اوجبت انشاء خط اصوات وقنا واذا قيل واين المال فلنا ان المتوفر لدى المالية بين المبالغ الاحياطية وغيرها يقوم باكثر من هذه النفقات وماذا يمنع الانكيز من الاسبلاء على اكثر النخصات الادارية لانفاقها حيث يريدون وفي الطريقة الموافقة لاغراضهم وغايتهم فيصدق من قال انهم لا يكتفون فقط بامتلاك مصر بل هم يريدون ان يمتلكوا السودان بانباء مصر ايضاً

ثبت والحالة هذه ان انكثرا لم تساخ السودان عن مصر اولاً ولم نقل باسترجاعه ثانياً إلا لخوفها المزدوج من نقص شرفها ومن فرنسا اما الاول فانها وان احبت ابتلاع البلادين الا انها تخاف تبكيت ضميرها ولها من ابنائها كثيرون وهم الاغلبية يحافظون على القيام بعودها ووفاء عهودها

واما الثاني فلاعتقادها أن فرنسا ان تنسى اتفاق انكثرا او العثمانية على

وحينئذ قد تأتت ساعة تضامر فيها انكثرا الى الاعتراف بما انكرته اليوم حتى لا يذهب السودان من وجهة مطامعها الاشعبية فنقول بوجوب ضمه الى مصر بل استرجاعه كما قالت اليوم بسلخه « ثم أردف رحمه الله ذلك بقوله » وعندها يعرف المصريون اني استقلت لسيدى الاول ان انكثرا خالفت وعودها والثاني كي لا أعرض وطني للضياع بتمكين الانكاي من مصر وسودانها »

ونرى اليوم ان الامر ين قد تحققت فقد ثبت ان سلخ السودان لم يقصد منه الا تملكه اذا اضطرت الدول والحوادث بريطانيا لبراح مصر فتنتقم فصل السودان ذريعة لوضع يدها عليه بحجة انها لم تمس المعاهدات اذ ان مصر تركت السودان في حين ان النفقات المنصرفة في وادي حلفا وسواكن كافية لاسترجاع السودان تقريبا لو لم تكن غاية انكثرا امتلك حكمداريات الخرطوم وتوابها ثم ان انكثرا لم تقصد من التساهل مع ايطاليا في احتلال مصوع والتوغل في داخلية السودان الا الى تأييد فصله عن مصر وتزكية سياستها ولكن ما كل ما يمتنى المرء يدركه

نعم ان مصر قد لعبت دورا مهما في سياسة اوروبا الاستعمارية فبحق قول الشريف فقيدنا وقد اندفعت فرنسا والروسيا والمانيا وايطاليا الى الاستثمار في القارتين الافريقية والاسيوية اندفاعا اضطرت له انكثرا لانه تهددها في الهند من التونكين وسيام ومن افغانسان وثبت ان رجال فرنسا خصوصا لم يقولوا بتلك السياسة الا بسبب مصر لانها طريق الشرق الاقصى وباب افريقيا ولقد ارتنا الحوادث المعجائب والرائب فشهدنا بالامس الامبراطورية الروسية المطلقة متفقة مع الجمهورية الحرة الفرنسية وهو مقدمة الاتفاق بين

فرنسا والمانيا ولا سيما بعد النور الذي استحکم بين باريس ولندن بسبب المسائل الاستعمارية واستنزت الفيرة الوطنية حزب الاستعمار او بالحري فرنسا باسرها فهضت كرجل واحد مؤيدة سياسة الاستعمار معضدة حكومتها حتى قال سياسي روسي في الكلام على سياسة فرنسا في السنين الاخيرة « ان الامة باسرها هي التابضة على زمام السياسة والقائلة بالتوحات الاستعمارية والتحالف الروسي الفرنسي »

ولما رأى الانكليز ذلك قالوا بلزوم اعالي النيل لمصر وان المالك للخرطوم يقتل وادي النيل بتحويل مياهه عنها واتانا الاستعماري رود بدهائه بين خطوطه الحديدية واسلاكه البرقية ومماهداته مع قبائل افريقيا وامراتها ولكن مسألة الكونزو فضحته وحالت دون بنيته وقبضت فرنسا بحزمها على طريقه فخلت دون اغراضه حتى تخوف الانكليز من حملات ابناء فرنسا العلمية والتجارية وقالوا ان النيل مهدد وهو لمصر وأعاليه واجبة لها وهي في منطقة نفوذها وصوبت غرفة التبارة في لندن رأي الحكومة وأفراد البرلمان وكتاب الجرائد مما اضطر الوزير الفرنسي الحازم الميسو هانوتو الى القاء خطابه فوضع حداً لمزاعم الانكليز وقال ان منطقة مصر لايفهم فيها ومنها نفوذ انكلترا وانه اذا احترمت حقوق السلطنة ومصر اتفقت فرنسا وانكلترا على المسائل الثانية ولكن الوزير هانوتو لم ينكر بشة مونيتل وسواها والفاية من توغل الفرنسيين في قلب افريقيا

وعليه فلم يكن امام انكلترا الا احد امرين إما تأييد سلخ السودان وانه فوض ملكه الى الذي يقبض عليه واما انه لمصر فتخيرت الثاني لاستحالة فصله عن مصر والمماهدات صريحة فضلاً عن ان رجال فرنسا اقرب الى

وكتب في ٢٠ ابريل مذبناً باللمة التي جردت بعد ذلك على السودان واستمادته
لانكثرا كما سبق فاخبر والامر يومئذ في عالم الغيب

وان تركنا السودان فهو لا يتركنا

كانت قاعدة سياسة الاهرام وجوب المحافظة على السودان لان به
حياة مصر المادية والسياسية وطالما اثبتت لمحات السليم فقيدنا هذه القاعدة
الرئيسية مما لا يزال يرن صدهاء في آذان القراء رضي المحتلون او غضبوا
وقد نددنا اشد تنديد في مشورة جناب السير بارنغ وقتئذ لانه سأل
المغفور له شريف باشا سلخ السودان ولم نجعل على القراء بايراد ما دار بيننا
وبين المتمد الانكليزي في هذا الصدد وقد كانت سياسة سلخ السودان
فاتحة مغالطات السياسة الانكليزية وقاعدة حروبنا الكتابية ضدها ولم يبق
بعدها شك في نيات الانكليز الفاتحة وغاياتهم الاستعمارية ليكون لهم في
افريقيا هند ثانية من منبع النيل الى مصبه

رحم الله الشريف فقيد مصر فقد حادثه في السودان وأحواله فقال
« ان سلخ السودان عن مصر يضر بها سياسياً لان من يملك السودان
يملك مصر وحياة هذه نيلها ومنابها في السودان وهو يضر بنا مادياً اذا
تقطع الموارد التجارية عن مصر اما وقد غالط الانكليز سياستهم فلا اعجب
اذا اضروا بانفسهم من حيث يريدون الانتفاع لانه يستحيل على اوروبا مع
رغبتها السلمية ان تترك افريقيا لانكثرا بل لابد من المناظرة والمسايرة

الاستانة وغيرها فرأيت ان انشر خلاصته ليكون ختاماً حسناً لجلتنا هذه
وبه تأييد لسياستنا العثمانية المصرية قال

« ان حركات انكثرا في ارمينيا زادت واجباتنا نحو مصر اذ اعتقد
كل عثماني بعد ذلك ان بريطانيا خصم الدولة العثمانية سياسياً بما اتته من
احتلال املاكها وملياً بما تخلفه من سياسة التفريق في الجنسيات والنصب
المذهبية حتى اصبح كل عثماني ميثقاً ان بضائع مصر ضياع الحقوق المزدوجة
فيها وفي جميع الشرق ولمعلوم ان فرنسا مهما اعتدلت مع انكثرا وتحييت
اليها لا ترضى عن الاحتلال المصري الا اذا اعاضت عنه باحسن وهو لحسن الحظ
غير متوفر وكذا الدول الاخرى ولا يخفى ان افريقيا تقوسمت الا مصر ويستحيل الاتفاق
على الشرق الاقصى وعليه فالشرق القريب مطمع انكثرا وغيرها »

على ان اعتقادنا نحن العثمانيين بذلك زاد فروضنا لتأييد الحياتين السياسية
والمالية لاستعجال انفصال الواحدة عن الثانية ولنا في مصلحة الدول المتباينة
نصير يشد ازرننا وهذا ماوجه اليه الجنب السلطاني اهتمامه ولا سيما مع
الدولتين فرنسا والمانيا اللتين يعد اتفاقهما مع خصومنا علينا من الامور
العسيرة التصديق والفضل لدهاء جلالة السلطان عبد الحميد »

تلك خلاصة كتاب السياسي العثماني وجوهرها لاعتقاد العثمانيين اليوم
ان مصالحهم في مصر سياسية ومصلحة كما هي في كل الممالك العثمانية وغيرها وهو
امضى سلاح ضد خصوم العثمانية التي لها برغائب الدول السلمية وتبين مصالحها
الاستعمارية ووجوب احترام اليهود الدولة مايساعدها على تأييد حقوقها
وصيانة مصالحها اللهم بشرط ان يطرد رجالها سياستها الحميدية في الدولة العلية وان
يطرد رجال وادي النيل السياسة العباسية والله ولي النجاح والتوفيق

ولا يفوتنا ان اوروبا تقصد بنهضتها الاستعمارية الى امرين الاول تأييد السلام والثاني ترويج اسواق التجارة لان مسابقة اوروبا ومناظرة ابنائها وتقن مخترعيها زاد محاصيلها وبضائعها فزلت الاسعار نزولاً لم يعبده احد في الماضي وشكا العملة من قلة العمل كما شكا المليون من قلة المقطوعة فتوالت الازمات وتتابع اعتصاب العمال في اكثر عواصم اوروبا فازداد بذلك نفوذ الاشتراكية وقويت سواعدها حتى هددت مسكرات اوروبا وجيوشها وشاهدنا على ذلك ماحدث في المانيا مما اضطر الامبراطور غيلوم الى سن قانونه الجديد بعد ان كان جانحاً الى المسالة والاعتدال ودلينا انه عارض بسمرك لتطرفه في معاملة احزاب الثورة والهياج

واندفاع اوروبا الى الاستعمار اضر جداً بانكلترا وهذا بديهي فان الروسية هددتها في افغانستان والعجم وقد تاخمت الدولتين واهتزت منها عروش أمراء الهند وحكامها ولعبت في الحرب الصينية اليابانية اهم الادوار فقلت حرية انكلترا واضطرتها بعد ان نادى وبوقت بخطب رجالها وبجرائدها وهددت اليابانيين بعد ان ظفروا الى ان تعترف بأن القول الفصل لاوروبا ولاحكامها وقد رأينا من تمنع الدول وفي مقدمتها المانيا عن التداخل بين المتحاربين رغماً عن توسط انكلترا مراراً ان اوروبا ترى غير رأي بريطانيا التي رضخت لاحكام الزمان شأنها عند فشل سياستها

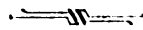
ولا حاجة الى تفصيل ماهو جار في افريقيا ولنا بمناظرة لمانيا وفرنسا لاطماع الانكليز مايدوجوه اوروبا الاستعمارية واشتراكها بالفائدة وهو مظهر جديد نرجو ان يقضي على مشروع الهند الافريقية واضاع جهاد المستر رود ودهاء اللورد كرومر والايام بيننا

ولا خلاف ان مصر كان لها الشأن الاعم في السياسة العامة الاستعمارية ولولاها لما اضطرت انكلترا الى ممالة التحالف الثلاثي واسترضاء المانيا خصوصاً ولولاها ولولا الازاس لما اتت فرنسا في سياستها أموراً تشيب لها الولدان وقوتها البحرية والبرية هائلتان مخيفتان وهي مع الروسية على اتفاق وفي فواتح صلاتها الحالية مع المانيا ما يزيد تقرب الدولتين تأييداً واتفاقاً والغاية الاستعمارية واحدة هذا فضلاً عن فتوحات فرنسا الاستعمارية التي نستنتا الجمهورية بها افتتاحات نابوليون الاول ولويس الرابع عشر وقد انت بها فرنسا دليلاً على مبادئها السلمية في اوروبا وانذاراً لما اتته انكلترا في مصر وهو أمر ادركه رجال بريطانيا السياسيون وفي مقدمتهم سالبيري ودوفرين ولاصر معلوم انه لم يبقَ من افريقيا الا مصر وسودانها وبمعنى اوضح ماهو تحت سلطة الدولة العلية ولولا تلك السلطة لقضي على جميعها وجنوح اوروبا الى الاستعمار برهان على بنفضها للحرب ورغبتها في السلام ولهذا يؤمل ان لا يترتب على المشاكل الاستعمارية قتال وكفاح وهو ما عرفناه الى الآن بالرغم عن تهيج الانكليز من احوال الشرق الاقصى والكونونو مع المانيا ومع فرنسا ولهذا لانعجب اذا اتفقت الدولتان فرنسا وانكلترا على مصر ايضا ولن يكون الاتفاق الا باحترام الوعود والعهود والا نشبت تلك الحرب التي تهم الدول مجانبها لان الخلاف لا ينحصر في وادي النيل بل يتناول جميع المسائل الشرقية والاوروبية ايضاً وهناك الحرب العامة الهائلة

وقد وقفت اخيراً على كتاب لسياسي عثماني الى سياسي اوروبي بحث فيه في احوال مصر وارمينيا وهو صدى ما يردده رجال العثمانية في محافل

ما يفعلون تأخيرهم مدة لا غير اولا نرى ان اكثر ايرادات مصر المتخلفة عن الدائن والموظف هي نصيب الدخيل الذي ما هجر وطنه إلا محتاجاً ودفعه الى الاسفار اقدمه واجتهاده وعلمه ام يجب ان يعيش المصري في عرف اولى الامر منا ذليلاً حقيراً انا لله وانا اليه راجعون

وقد عرف الاقتصادي والسياسي والاداري ان لافائدة من مشروعاتهم اذا لم يفهمها الشعب ويدرك حسناتها ولن يكون ذلك الا اذا تعمم العلم وقد قلت لاصحاب مشروع العمدة ان لاضمانه لعدالة المشروع المذكور ولا فائدة تذكر له ولغيره طالما لاعلم عند العامة ولا معارف عند مجموع الامة فعلى رجالنا ان يتدبروا هذه الحقيقة وعليم ان يدرسوها درسها الواجب عليهم يوفقون الى انفاذها ويكونون قد اتوا حسنة واحدة في تاريخ حياتهم السياسية وهي تعد مأثرة كبيرة قد تسيننا اكثر اغلاطهم الماضية وتتخذها مقدمة لسياسة الوطنية والاجتهاد والثبات والاقدام تحت راية اميرنا المحبوب ايده الله بئنه وكرمه



٩ مارس عن الاستعمار

ما اندفعت الدول الى الاستعمار الا هرباً من الحروب وما ايد السلام الا مخاوف القتال وقد توازنت قوات اوروبا سواء قبل اتحاد الروسية مع فرنسا او بعد الاتحاد لان انفصال الاولى عن التحالف الثلاثي واختيارها للحياد اثبتا تلك الموازنة ولانها قالت بلسان فقيدها الاسكندر اني سلمي أحارب الجانحين الى الحرب مما اضطر بسرك الى الاعتدال فلا اعتزال وقد قضى الاسكندر الروسي على سياسة التهديد والتهويل

الواجب حصر العلم والتعليم في بضعة اشخاص من العاصة والبنادر الكبيرة ام يقصد هؤلاء احتكار الوظائف لهم واذا كان ذلك ضرراً فلماذا عمته اوروبا وأمريكا وهل تغلبت اليابان على الصين الا به وهل كون بلاد امريكا زراعية منها من نشر المعارف ولولا الاخيرة اقامت تلك الاختراعات المدينة بها الدنيا للعالم الامريكي

ونحن نسأل تميم العلم لازيادة المترشحين للوظائف بل لمحاكمة الموظفين برأي عام مدرب معلم نعم نسأل اقامة ألوف من الكتائب واصلاح الحالية منها طبياً للمبادئ الصحية والتهدئية والاقتصادية وهو اصلاح لايتطلب الا عشرة او ١٥ الف جنيه سنوياً اولا يعلم هؤلاء المعارضون لهذه المشروعات الوطنية ان فلاسفة اوروبا وكبارها الاقتصاديين والسياسيين خرجوا من قراها وعزبها لامن مدنها وبنادرها

فنسأل تميم العلم ليقف ابن المزارع على واجباته نحو نفسه ونحو وطنه. نسأله لاصلاح ارضه وتحسين زراعتها وقد وقف من العلم على فوائد الاختراعات والتحسينات العلمية والشعب متى تعلم لا يتردد ابتاؤه عن الخدمة العسكرية وقد ذاقوا لذة الوطنية وتمتعوا بحسناتها وبفوائدها واذا ضاقت به بلاده قصد غيرها فبلاد الله واسمة واستخدم علمه واجتهاده فان العلم يزيده اقداً وثباتاً وبالمهاجرة حياة جديدة للمهاجرين أما الامي المهاجر فاذا افلح قتلحه لنفسه وفوائده محدودة وأما المتعلم فينمى بلاده وأمتة سواء اغتنى بالمال او تفنن في علومه ومعارفه

ولا نياسن من اجابة ما نسأله في خدمة الوطن تميمياً للمعارف والمدنية ولو عارضنا المحنلون ورجالهم المصريون لان تيار العلم اقوى منهم وغاية

وقد راينا ان الغايات الشخصية كان لها شأن مهم ضد مصلحة مصر
ومكنت الانكليزي منها واني اعرف عظيماً من كبار موظفي الحكومة سألته
اللورد دوفرين عند ماقبله للذرة الاولى ماهي حالة الخديوي وطبائه فأجابته
صديقه الوزير « تهدد تطع لان الخديوي ضعيف ولا حزم عنده » فهل
تؤمل مصر من امثال هذا الرجل خيراً وهل يلام المحتلون اذا عضدوا
هؤلاء الافراد وايدوهم موقفاً ليستتروا بهم امام اوربا والمصريين ويقولوا
للدول اننا نصلح مصر ويحكمها رجالها ويخاطبوا ابناء وادي النيل ان سواسكم
منكم وفيكم فلم عويلكم ومم تشكون

وهل لم يطرد بعض كبار أولي الامر خطة نصيحة ذلك الكبير لدوفرين
فيلقي لساته الانكليز مايجلو لهم ضد مواطنيه ورؤسائه وقد سمعنا كثيرين
من نهاء المصريين يرددون على رؤوس الملاء قولهم « ان اعداءنا رجالنا فهم
الذين اشاعوا التعصب عنا وهم الذين يسلقون شبانا بالسنة حداد وبرهاننا
ماعرفناه من المصادر المختلفة وطنية وأوروبية ولا نلوم اللورد كرومر على
مقالته ضدنا لانه يخدم مصلحة بلاده ولكن ما هو عذر رجالنا المدنيين
بمناصبهم وبروانهم لمصر ولا ميرها »

وهي احاديث نهاء المصريين عن اولي الامر منا فاذا صحت الرواية فلا
عجب لان القوم تعودوا وهم في مناصبهم ان يفتنوها ابدية فيذهبون مع
رياح اغراضهم وغاياتهم ولهذا قال احد الظرفاء « قضيت على الشيوخ والشبان
فن اية صبة اتم وقد جتم الامرين فهل نلام اذا قلنا وقد عرفتنا الحوادث
احوال الرجال الماضين لم لا يكون لنا رجال جدد وعصرنا عصر جديد
فاذا احسنوا فيها وإلا فانهم ليسوا باكثر ضرراً من غيرهم امس واليوم »

ونحن نكرر ما كتبناه مراراً في هذا الموضوع بان يصرف رجالنا اهتمامهم الى درس المسائل قبل فوات الفرصة لان الارجحية التي كانت لهم على المحتلين بالتجربة قد ضعفت كثيراً اذ ان الانكايك لم يدخروا درهماً او وقتاً في سبيل اكتساب فنون التجربة وقد تمكنوا (ولا معارضة لما يرتأون او لما يأمرهم) من استخدام جميع قوى البلاد لبلوغ غايتهم مما زاد مواجب رجالنا عن ذي قبل ونحن نعلم ان اهتمام المسيو بوترون في ادارة الدومين لا يمنه من الاعتراف علانية بفضل الاعضاء الوطنيين الذين لولاهم لماتت الارض وزراعتها وهل مراقبة المفتشين في الدائرة السنية تمنع الاقرار بفضل مديرها واجتهادهم وحسن ادارتهم

فلو تسلح رجالنا بمعارفهم وتجاربهم لاعتبرهم الانكايك واشركوهم في مشروعاتهم ولم ينسبوا اليهم كما هو شأن السير بالمر في مشروع تعديل الضرائب التي بح صوتنا ونحن نسأل تخفيفها من سنة ٨٢ ولكن ابنت الاغراض الاحتلالية الا ما اكتسبها لخدمة حلفائهم الدائنين اما الآن ولا خوف على مصلحة الدائن والمبالغ الاحتياطية متوفرة ولا درهم لتنزيل الضرائب مع سوء الحالة الاقتصادية فقد قرر تعديل الضرائب وبوقت به جرائده الاحتلالية ولا ننجب اذا كان ذلك قد حصل وتقرر ولم يدره رجال الحكومة الا من الجرائد اذ قرأوها او من مداولات الناس فيها وقد زارهم احدهم بل هي سياسة المحتلين وتلك هي احوال رجالنا فلا حول ولا ...

وكيف يهتم نظارنا بتعميم المعارف وقد قال بعضهم ان المعلمين يعيشون من احتراف حرفة آبائهم ولا وظائف في الحكومة اذن وجب تحديد العلم وتخفيف وطأة التمدن قلنا ان ذلك برهان من افسد ما قيل فهل من

الى تعميم حسنات علمها ومدنيتها فظهرت اليايات في مظهرها العظيم وهي
اليوم (ارادت اوروبا ام لا) دولة من الدول العظام في النفوذ والشوكة
في عالم اوروبا السياسي والحربي والاقتصادي

سنة ١٨٩٥

٢٧ فبراير

ان احتياج الانكليزي الى التجربة في مصر لاكثر من احتياج المصري
الى علومه ومعارفه واعترفنا بفضل علم الانكليزي لايمنعنا من الاقرار بفضل
علم المصري ولو ان الانكليزي اكثر اقداما منه. ولو كان لنا ثبات الاجنبي
واجتهاده واقفاه لما تمكن الانكليز منا ولو ان القوة من جانبهم لان في
وعودهم لنا ولاروبا اكبر حليفاً ضد قوتهم وهم يعلمون انهم لم يدخلوا بلادنا
دخول الفاتح وان اوروبا لاتزال تمارض احتلالهم لوادي النيل وهي امور
مهمة ادرك الانكليز شدتها فاستخدموا بعض المصريين ضدها لتأييد احتلالهم
وقد ساعدتهم الاحوال والرجال لانهم عرفوا ما يريدون وكيف يشتغلون
ولا لوم على الانكليز وقد جهروا بابتلاع مصر وامتلاكها ودليلنا اعمالهم
اولم يقل اللورد كرومر لمحضر الجرنال « ان المصري كسول لا بد له من
رئيس وهو ميل الى التدخين وشرب القهوة » مما يفهم منه ان ذلك
الرئيس هو الانكليزي وان لاهلية للمصري واما اللوم فلي رجالنا الذين
عن ضعف منهم او عن اغترار اسفوا الانكليز وايدوهم فزادوا شوكتهم
ونفوذهم وهم لا يشعرون

على ادارة البواخر الخيرية في البوسنور ولا ما يندرهما الا احد امرين اما ان الشرقي لا يحسن ادارة مصلحة او انه مرتشٍ لا يبالي الا بمصلحته ويسؤنا ان يظن الاوربي بنا كلا الامرين مع ان اهمالنا هو الدامل على تسوية ادارتنا فان الشرقي اذا آمن على مستقبله في الوظيفة والراتب استقام وأحسن ادارته والشرطان متوفران في الادارة المخصوصة عدا ان ايراداتها تزداد فلم لا نقيم فيها ولا تزال على ما كانت عليه من الاهمال منذ سنوات فهل لم يسافر احد من اعضائها الى بحيرات سويسرا او الى نهر الرين الالماني او الى الدانوب او الى السين وباريس وير كيف يكون النظام وراحة المسافرين ورضاهم فيشير بالاصلاحات الواجبة والتعديلات اللازمة حتى لاتضر امثال هذه الادارات بسمة الشرقي ويقضى عليه

نعم لا انكر ان للرشوة يدأً طويلة في مشرقنا وانها اضرت بادب العمال وبحقوق الامة والوطن ولكنها في اوروبا كما هي عندنا وان تكن اضيق دائرة والنضل في ذلك للدلم المأثر بين العنصرين ولكن قد ثبت ان الشرقي متى استوثق من وظيفته نلم يزل اكراماً لخاطر رئيس او مطاوعة لأرب رقيب وزيد راتبه كلما اثبت اعماله حسن اهليته فاذا التقى بالاوروبي في ادارة واحدة كان اقوم سيراً واحمد خطة لان حاجات مديشته قليلة محدودة ولانه ابعد من غيره عن مخاطر البورص والالامب ولا عبرة بأفراد شرقيين جنحوا عن المبادئ الصادقة فذنوبهم في رقابهم لانهم ابصروا سيئات الزريب فاتخذوها وتماهوا عن حسناته ومحسناته ولا يذنب هؤلاء الى انفسهم فقط بل الى وطنهم وهي ذنوب لاتغفر لانه كان يجب على امثالهم ان يكونوا مثال الصلاح والفلاح على ما اتاه اليابانيون الذين درسوا في اوروبا وسوا

وكتب في ١٧ أكتوبر من الاساتنة العلية

وصلت الى دز السعادة في هذا الاسبوع وهي على ماهي عليه من
المجد والعظمة تمثل لنا بكياتها وجزئياتها الدولة العلية من كل وجوها وقد
أخذت ممأما لي في تريايا على البوسنور لانها من انزد الاماكن للزرب
ولان الحر لا يزال غير مطاق وقد لقيت يوماً ذكرني باشد الحمايين
لم ير الاهلون هنا مثله منذ سنين حتى في معمان فصل الصيف ولا يزال
المنافون مقيمين في البوسنور وهم لا يودون الى المدينة الا في اواخر الجاري
وأوائل القادم لانه لا ربيع في الاساتنة وكاني بفصولها ثلاثة شتاء وصيف
وخريف والاخير ربيعها ولهذا تفضل زيارتها في هذا الفصل زيارتها في غيره
ولا ارى مثل البوسنور في جنات الارض بالرغم من محاسن سويدرا
او التيرول الاوستري وكلما رأيته قلت انه افضل المواقع والمنتزهات بائتراف
ابناء اوروبا ولا انني بهذا موقه الحربي فقط بل مناظره الطبيعية التي لو
ساعدتها يد الانسان لاصبحت رمزاً الى جنات دار النعيم ذلك بان تزرع
ارضه شجراً وتقام على ضفتيه المنتزهات وتسبل المواصلات بخطوط انترامواي
وينار بالكهربائية اذاً لحسب الراقي نفسه في جنة السماء لا في جنة الارض
ولا بد من ان يتم ذلك كله فان يد الاصلاح عاملة على تميم حسنات العلم
والمدينة وقد نشرت رايتهما في ظل حضرة سلطان الامة عبد الحميد خان
فلسنا نياس من المستقبل وقد أرشدنا الى طريق الخير وكل من سار على
الدرب وصل

ولا يسعني هنا الا ان اردد ما يشكو منه الجميع وهو القضاء المبرم

انكترا وهي لم تد في مثل مركزدا السابق قبل حرب السنين والاولى
في فرنسا عضد ونصير فلا تستطيع اثنائية ان تستخدم الدول في سبيل مصالحها
الانكليزية

وقد يحتمل ان تتوصل دول اوروبا (ولا سيما ولا باب الى نجاح دسائس
السياسة الانكليزية) الى التوفيق بين مصلحة الصين واليابان على ما يضمن
مصالح الدول الثانية المتنازرة ولا يكون ذلك الا اذا احترم المتحاربون
والمتناظرون حقوق كوريا وشعبها وايدوا بالاتفاق وجوب احترام تلك الامتيازات
ولكن اذا تغلبت الاطماع وقويت شوكة التداخل كانت كوريا لاوروبا
في تلك الاصقاع مصراً ثانياً اي شاذلاً جديداً وحجر عثرة في سبيل تاييد
السلام المرغوب فيه وصدقت حيثئذ الجريدة الالمانية لسان حال خارجية هذه
الدولة في قولها للدول تداركي مسألة كوريا والا كانت مصراً جديدة

اما روسيا فقد عرفت مما تحمات في البلقان انها في غنى عن امثال
هذه الدراقيل واما انكترا فقد ذانت مرارة احتلال مصر فلا تقدم على
احتلال امر منه وليس ما يضمن لها سكوت الروسية او رضاها عن ذلك
الاحتلال

ونحن يسرنا ما نراه في اوروبا من المناظرة التي يجب علينا ان نستخدمها
في سبيل مصالحنا وان نعتبر هذه المناظرة انذاراً مهماً ضد الانكليز في مصر
وان الدول ذوات المصلحة سواء في مصر او في الشرق الاقصى لا يتركن
انكترا وشأنها بل لا بد من ان يطالبونها بعودتها واحترام دعوها ولا سيما
وقد رأت الدول من الشرقيين نهضة سياسية وطنية تساعد على ما يصون
حقوقهم ويضمن مصالحهم والله ولي التوفيق

والذين تأملوا سيلية القيصر الحالي ادركوا مآسرها وقد بسطناد للقراء في رسائلنا البارسهرجية ذلك ان روسيا سألت اوربا المحافظة على الحالة الحاضرة في الشرق وحولت عنايتها الى اسيا فاحتلت اكثر اراضيها واستثمرتها حتى تآخت افغانستان وقد ايدت سلام اوربا واستخدمته في سبيل سياستها الاستعمارية وسرت اوربا بذلك لاهتمامها بامر السلام ولرغبتها في تايده واذا قيل تلك واسطة للتحالف الثلاثي ينتمها لمصلحته في اوربا والروسيا مضطربة البال في اسيا مشتبكة في القتال تارة مع الصين وتارة مع انكلترا قلنا ان بسمرك طالما اهتم باضرار نيران الحرب بين روسيا والصين ولكنه لم يفلح لان الاولى لها من القوى على تخوم الثانية ما يكتفيها لصد حملاتها ولو كان غير ذلك لما اتت روسيا امراً يحول دون ما تريده وترغبه في اوربا اي تاييد السلام

وعليه فلا تؤمل انكلترا خيراً في كوريا سواء اتفقت مع اليابان او مع الصين لما يحول دون دولتها من ممارسات روسيا وقد اعلنت هذه سياستها على رؤوس الاشهاد اي انها لا ترضى الا باحترام حقوق كوريا وسوف لا نراها الا ناجحة في سياستها لانه اذا كانت تلك حالها مع اوربا وقد عرفت كيف تتقم من فرنسا بمحيادها سنة ٧٠ ومن انكلترا بمناختها لافغانستان لقيام هاتين الدولتين عليها في حرب القريم فقد عرفت ايضاً كيف تتقم من المانيا سنة ٧٥ وقد منعها عن شهر الحرب على فرنسا ونراها اليوم قد تحالفت واتحدت مع هذه الدولة وهو كفارة عن شر اعمال بسمرك في مؤتمر برلين فلا يستحيل عليها ان تنال بهد ذلك مثل هذا الظفر في آسيا مع دولتين شرقيتين وليس لها من يناديها الا دولة

مادام ماهر باشا في وكالة الحربية المصرية وأخيراً رفض سموه قبول محاكمة الضباط الانكليز في الجيش المصري بمجلس عسكري من ضباط جيش الاحتلال وهذا ما كان الى اليوم والله اعلم بما سيكون
 اما نحن فلا نرى بعد الحوادث التي حصلت في الاشهر الاخيرة ولا سيما بعد مسألة الحدود الا واحداً من اثنين اما ان يكون النظار وجميع المصريين منمذين لاوامر الانكليز وهو الاستعباد ابن التملك والاسترقاق ابن الحماية الانكليزية واما ان يوقفوا بين مصالح البلاد ومصالح الانكليز وهو وحده الموافق للبلاد وللجميع والحكومة اعلم منا بحالها وأي الامرين اسهل عليها فان كان الاول وجب ان تستميل احتراماً لشرفها وخدمة للعباس وللوطن وان كان الثاني وجب ان تبرهن باعمالها على ما يضمن لنا تلك النتيجة لان البلاد ضئيلة عن تحمل وطأة سيد واحد فكيف تتحمل سيدين



وكتب في ٢٢ اغسطس من سويسرا

اهم الحوادث الحاضرة حرب الصين واليابان اولاً لشبوها بين دولتين شرقيتين وثانياً لتناظر دولتي روسيا وانكترافيا ولا يسوءنا نحن الشرقيين ارتباك بال الانكليز لانه كما زادت مشاغلهم وبلا بلهم ادركوا شدة احتلال مصر ولهذا لا ترى الانكليزي الان مسروراً باحتلال كسلا ونفوذ فرنسا اكثر من نفوذ حكومته وبحرب كوريا ولا تأمل انكترام مع مناظرة روسيا وتباين مصالحها ان تستفيد من الحرب الاسيوية لانه لا شاغل للحكومة القيصري في اوربا وفي الشرق عن الاهتمام بمسألة كوريا ولا يوافقها ان تسود بريطانيا في بحار الصين واليابان كما جرى في المتوسط

اني لا انظر في المسألة إلا الى المبادئ لا الى الشخصيات
وما اضعف البراهين التي سمعناها بقولهم واين جيوش فرنسا والدولة
العلية والروسية واين واين لكن فاتهم انه لو وجدت تلك الجيوش لخرجت
انكلترا من مصر في طرفة عين ولما اتت ماعودتنا اياه من اجراءاتها ولم
تكن جيوش الدول المذكورة عند ذلك في حاجة لدهاء رجالنا نفنا الله بحكمتهم
ولو فرضنا وكان في وسع انكلترا ضم جيشنا لجيشها الاحتلالي فهل بعد
خضوعنا الاخير وخوننا منه ما ينرق عن ذلك الانضمام وهل يعرف اليوم
الجيش نفره وضابطه بين وطني وانكليزي غير حضرة السردار عسكرياً
وجناب اللورد كرومر مدنياً وسياسياً

هذه حوادث المسألة ارفعها الى القراء وهي لسان حال الوطنيين باسره
الا الذين غفلوا عن الواجب وصموا عن سماع الحقائق واعتمت النيات فهم
لا يبصرون

اما الجناب الخديوي فلم تخاطبه عمدة النظار الا وقد رأى بذلك الاجماع
ما يعذر له لدى الرأي العام المصري والاوربي ولما اخذ الامر العسكري المرفوع
له من حكومته على ما طلبه اللورد كرومر رفض التوقيع عليه الا بعد ان
عدله التعديل الحق واشرك الجميع بمدحه الوطنيين والانكليز وهو حفظه
الله لم يأت امراً مخالفاً لما اتاه في اصوان وكروسكو وسرس وجلنا ومدحه
هذا الجاضر لا يتحو قصور الاورطة الثانية كائناً من كان نفرها وضابطها ثم
ان سموه رفض كل الرفض عزل ماهر باشا ولا نوجب اذا تعين المذكور
بمنصب مناسب عند وجود الفرصة لاخلاصه ولصدقه حتى لا تكون لسياسة
الانكليز العسكرية حجة ثانية يحركون بها عواملهم السياسية في لندن ومصر

الى عودة سدوه وهل بعد ان ارتكبت الظلمة الاولى من جهة الدودة وجب ان يذهب من النظر عمدة مخصوصة لمقابلة الخديوي والضغط عليه ليخضع لاحكام الانكليز قبل حضوره . تلك غلظة رابعة

ثم اذا امكن الانكليز ان يضموا جيشنا الى الجيش الاحتلالي امكنهم وضع الحماية على مصر وضماها الى املاكهم وهذا مستحيل حصوله او لا بد من الحرب فيه اذا اتته انكاثرا عاجلاً او آجلاً اذ لاهياة لتركيا بعد ذهاب مصر ولا شوكة للروسية في الشرقيين الاقصى والادنى وكانت المسألة المصرية اهم من مسألة الازراس لفرنسا ومن المسألة الشرقية للروسية ومن كل مسألة للدولة العلية فالتهديد والحالة هذه فاسد

واذا كان النظار رأوا بحكمته ان لانكليز اولى من المصريين بحكم بلادهم وان مصالح القطر السياسية والمالية تقضي بحماية انكاثرا وان الدول ضد هذه الغاية ولذلك قالوا بهذه السياسة تحقيقاً للحماية الانكليزية لتركوا لهم الذكر الجليل في تاريخ البلاد السياسي رضخنا لاحكامهم وخضعنا لدهائمهم السياسي الذي انفردوا فيه

ولكن يجب علينا اخلاصاً للخدمة ان نقول لهم ما يردده المصريون والاوربيون حتى الانكليز اصحابهم اليوم وهوان الحكومة قد شرت بيومها الاخير فاستنادت من الحادثة بان ضمت السلطة الخديوية لتأييد مركزها ولمرفتها ان الخديوي حازم يرفض التصديق تداركت الامر بان قالت وكررت له اننا نحن النظر نخدم سموكم ليس إلا ولو استقلنا لزادت الحالة صعوبة على سموكم لقاء تحامل الانكليز عليكم ويقول المصريون عن النظر غير ذلك كثيراً مما لا أود نشره احتراماً لمبادئ السياسة والادب وقد قلت

لندن بان اثارها ضد الخديوي وفي جرائده الاحتلالية بتعمر بان كبرت
المسألة وعظمتها وتحملت جميعها على الجنب الخديوي وحده كل التحامل
فقلت انه انكر على الجيش انه شاهاني وقصدت لقاء الشقاق بينه وبين
مختار باشا وأشأت ان قنصلي فرنسا والروسية الجنرالين ضد الامير وان
الارض زلزلت زلاها واخرجت اطفالها وان لاخلاص من ذلك الا باجابة
مطالب الانكليز وهي سياسة اكسبت اللورد كرومر معاونة نظارنا هدام
الله فكانوا والانكليز على الامير حتى صدق فيهم قول الشاعر في صدر
هذه الرسالة

افلم يكن يجب على اللورد كرومر اذا كان قصده المسألة ان يخاطب
سمو الخديوي وحكومته قبل ابلاغ لندرا وكيف يصدق النظار مما لا ته لهم
ومدحه سياستهم ودهاءهم بعد ان كبر المسألة وعظمتها وهل هم اليوم غير
اصحاب امس حتى سلقهم جرائده بالسنة حداد ولهذا فان المصريين لا يمدرون
تحامل كرومر بل زادهم نفورا من الانكليز وتلقا بخديويهم

اما الآن فنود الى حضرات النظار الذين اسأوا بان اسروا الخبر في
انفسهم وكان يجب ان يخبروا به كرومر وفي امثال هذه الحوادث يعرف
دهاء السياسيين الذين عليهم قبل كل امر ان يتداركوا الحوادث واذا حدثت
رغمًا عنهم وجب ان يتلافوا اضرارها وقد قصرت الحكومة في هذين
الامرين سامحها الله

وقد عرف النظار مطالب انكثرا وتهديدات سياسة الاحتلال فلماذا
ذلك الخوف وهل من الحكمة ان تقابل الوزارة ضغط الانكليز عليها بمثله ضد
الخديوي ليضطر الى العودة قبل الوقت المعين وماذا كان ينبغي من الانتظار

لتكون عارفة بجميع الامور واما ان تكون الحوادث علمته فاخبر نظاره ليعرفوا الحادث حتى اذا خالف كتشنر وعوده وخابروهم كرومر بالمسألة عرفوا كيف يجابون. تلك خطة الخديوي الادارية والعسكرية وهل من يقدر على التنديد بها او على غير تصويبها

اما السردار فبعد ان استرد استغفائه في حلها عاهد الخديوي على الكتمان المطلق وهو في اصوان وانه لا يود ان يكون للمسألة شأن سياسي مطلقاً وقد ظهر من ادوار المسألة انه بينما كان يعاهد الخديوي بالكتمان ابلغها الى اللورد كرومر ولكن لاندري هل ابلغها لوكيل دولته السياسي من قبيل وجوب المعرفة بالامر ولا الجهل به كما اتى سموه مع حكومته ام خالف عهوده ذلك امر هو واللورد كرومر اتعرف بخفاياه منا ونحن لانقص برسالتنا الا سرد الحادثة على علاقتها

اما اللورد كرومر فابلغها الى حكومته ولا ندري اكان ذلك بطلب السردار او انه رأى في الحادثة ما ينفيد سياسته فاستفاد منها وطبقها على ما يوافق مبادئه فكان جواب حكومته وجوب اصدار الامر الخديوي تشكراً لكتشنر ومدحاً للضباط الانكليز وعزل ماهر باشا شر عزلة ومحكمة الضباط الانكليز في الجيش المصري بتجلس عسكري انكليزي ولما وصل هذا الجواب اجتمع اللورد برياض باشا وتكران باشا وابلغهما ذلك وان روزبري يقول اذا رفضت مصر اجابة المطالب اضطررنا الى اخذ الوسائط النعالة لوضع الجيش المصري تحت قيادة قائد جيش الاحتلال وبمضى اوضح لضم الجيش المصري الى الجيش الاحتلالي ولنزع القيادة من الحضرة الخديوية واخذهم تارة بالتهديد وآونة بالوعد والوعيد ثم لعب دهاؤه السياسي ادواره في جرائم

ان الجناب الخديوي كامير لتي من الاحتفاء والاختفال ما تودهُ من
الاهلين ومن البلاد وقد ايدت سياحتهُ الصيدية ان الامة على رأيه سياسة
ووطنية ومصرية وقد ردد ابن اصوان ما قالهُ ابن الاسكندرية والارياف
نم لم تكن احتمالات مديرية الحدود لاول وهلة كاحتفال غيرها ولكن لما
رأوا العباس نسوا أوامر المحتلين وعظموا اميرهم كما عظمه اهل بقية المديريات
وقد لتي بعد ذلك سموه في جميع نقط الحدود ما لقيه في قنا واليوم ورجع
مبرزاً مكرماً محبوباً لا يرى المصري بنيره سيداً وأميراً

وأما العباس كفائد فقد استعرض جيشه المصري بين اصوان وكروسكو
وسرس وحلفا وامتدح الضباط والانفار الا الاورطة الثانية بلحنا فندد بها
واعترف نفس قومندانها الانكليزي بأحقية التصور وانه من الموسيقى مما
برهن ان العباس بامتداحه ذلك قدر نظام الجيش وقواده الانكليز قدرهم ولم
يزرق بين السوداني والمصري اذ ان في الحدود اورطاً سودانية غير الاورطة
الثانية وان باعتراف قائد الاورطة تأييداً لتدبير الخديوي الذي بعد انتهاء
الاستعراض اختلى بكتشنر السردار وكرر مدحه للجيش وللضباط الا للاورطة
الثانية اذ قال ان نظامها عار على الجيش فأجاب كتشنر مادمت انا مسئولاً والامير
غير راض فاستقيل فأجابه الخديوي اي قائد معصوم من الغلط وانا قلت
لك مارأيتهُ كمصري وكقائد الجيش اما انت فأردت استخدام القضية لنابات
سياسية وإلا فلم الاستغفاء فلم يكن من كتشنر بعد ذلك الا ان استرد
استغفاه وانتهت المسألة ولم تقض حكمة سياسة العباس الا انه ابغى حكومته
ما جرى ونم ما فعل ونحن لا نتكهن ولا نعرف سر سياسته ولكن
سموه اتى باخبار حكومته احد امرين اما اعتقاده بعود كتشنر فأبلغ النخارة

فرنسا ان تعيد له اعياداً وطنية ايدت الاتحاد وهو عند الجميع مقدمة ذلك
التحالف المرغوب فيه من الامتين
هذا وان باتفاق الروسية وفرنسا تأيد السلام ولا سيما والقيصر ارغب
الملك فيه ولا نرى في التحالف الثلاثي عاملاً مثله فضلاً عن ان الدولتين
لا تعملان على اعلان القتال ولا على اسبابه ولكنهما لاتخافانه فاذا قال التحالف
الثلاثي به قابلت فرنسا والروسية ذلك بما تقتضيه الواجب الوطنية والمعدات
البرية والبحرية والله اعلم بالواقب

سنة ١٨٩٢

لما جرت الحادثة الشهيرة بحادثة الحدود كتب فيها هذه المقالة التي دوت بها ارجاء
القطر اياماً في ذاك العهد وهي

تخذتكم درعاً منيعاً لتدفعوا سهام العدى عني فكنتم نصالحها
هذه رسالتي ختام كتاباتي السابقة في مسألة الحدود اتكلم فيها عن
سلوك الخديوي كأمير وكقائد وسلوك النظار وخطة كتشنر العسكرية ومبادئ
كرومر السياسية وأقدر بها كلاً قدره كما تقتضيه مواجبتنا الوطنية لا بقصد
التنديد المطلق او التحامل الاعمى وكفى بحرية مبادئنا هذه اكبر برهان على
صدق خدمتنا فانه لم يمنعنا مدح امس عن التنديد اليوم والاشخاص
واحدة لاننا ننظر الى المبادئ وليس الى الشخصيات وهي سياستنا حتى مع
الانكليز فاننا لانندد الا في سياستهم الاحتلالية

ما أراد وقد قال بزيارة كرونستاد فكان لها صدى ودوي في افطار الدنيا
 فتهيب تلك الزيارة خصوم الدولتين وتهل لها الشعبان وأصدقاء الامتين ورجال
 السلام وكم اهتم اعداء فرنسا بعد زيارة كرونستاد بالقاء النور بين فرنسا
 والروسية ولكن ذهبت مساعيهم عبثاً لان القيصر لم يقل بذلك الاتحاد الا
 بعد اعتقاده بأنه لسان حال الامة الروسية وانه افيد بلاده من اي تحالف
 فهو وان خدم فرنسا بتقربه منها فقد قصد قبل كل شيء خدمة الروسية
 فهل نعجب بعد هذه الادوار من احتفال فرنسا كلها بالاميرال افيلان
 وقد حضر بعد استعراضات الالزاس وزيارة ولي عهد ايطاليا الى متس وهل
 نعجب من الامة الفرنسية ان تحتفل بالامة الروسية احتفال هذه بفرنسا
 ايام كرونستاد مما يدلنا على ان هذا التحالف يرضي الامتين كيف كانت
 الحكومة ومهما تباينت الاحزاب وقد رأينا في فرنسا الاشتراكي والمتطرف
 والبولنبرتي والملكي والجمهوري واحداً في الاحتفال وتأيد ذلك الاتحاد بينا
 لم نَرَ ذلك في التحالف الثلاثي والاشتراكيون الالمانيون ضده وهم حزب
 عظيم ومثلهم قسم عظيم من شعب اوستريا وايطاليا
 وان الفرنسيين يقابلون الآن الامة الروسية بأسرها وفي هذه المزية
 من السياسة مالا يجمله الواقفون على حقائق الامور سواء اتفقت الحكومتان
 على بنود معدودة ووقعتا على تحالف ام لا وكيف لا يذكر الفرنسيون جميل
 القيصر الذي زار سنن فرنسا في مياه الدانرك بينا تحتفل طولون باميراله
 وعمارته بل كيف لاتهلل فرنسا بهذا الاتحاد وهو ترسها الذي يساعدها على
 خصومها وأين شوكة التحالف الثلاثي بعد كرونستاد منها قبلها وأين معاملة
 انكلترا بعد القطع بانشاء عمارة روسية بالمتوسط منها قبله وكل ذلك قد اضطر

وهي الآن في نجاح يضمن لها مركزاً بحرياً اشبه بانكترا وفرنسا في وقت ما
ولا اذكر العشرات من سفن الذين قصدوا طولون للاحتفال فاني اذا عدت
ذلك ضاق بي الوقت واتسع على نطلق الجريدة ومترجو الاهرام لا يتخلون
على القراء بنشر الالام منها

بل انا اذكر من هذه الزيارة اهميتها السياسية في فرنسا والروسيا واوروبا
ولست منفرداً فيما اقله فكثيراً ما سمعته من زملائي وغيرهم ونحن الشرقيين
اليوم في زمن يجب ان نرى فيه جميع المسائل الاوروبية ولا سيما
القاضية بالموازنة السياسية لما يترتب على ذلك من المصلحة لشرقنا العزيز
ولمصرنا السعيدة

يلوم المرضون فرنسا على عاطفتها الوطنية ويقولون قد بالنت في التجلة
والاكرام وانه اذا كان لابد من الحرب تمنعت الروسية عن مساعدتها والاخذ
بناصرها ولكن نسي هؤلاء ان الفرنسيين بعد ان ذاقوا مر الانكسار سنة
السبعين تهدم استبداد بسمارك مرة اخرى ولولا الاسكندر الثاني لتنابت
الامان ثانية وكان يستحيل على فرنسا بعد انكسار ثان ان تقوم من ذلك
السقوط القتال ثم نعرف ان فرنسا في جميع هذه السنين الاخيرة قد اضطرت
الى الانزواء لانفرادها يراقبها التحالف الثلاثي وتهدها الاثرة الالمانية ورأينا
في خلال هذه السنين تجديد التحالف الثلاثي وتأيدته واجتماع ملوكه ورجاله
في حفلات رسمية واستعراضات عسكرية بينا كانت فرنسا مهتمة في احوالها
تهدها المسائل الداخلية ولكنها لاتلبيها عن مواجها العسكرية والبحرية

وكان القيصر الاسكندر الثالث يناظر دول التحالف الثلاثي ويراقب
احوال فرنسا ويدرسها فأراد باتحاده معها ان يحقق اماني شعبه وكان له

وما كان صباح الجمعة ١٣ الجاري إلا ماجت طولون بعالمها كما يوج البحر انتظاراً للعمارة الروسية فوصلت عند الظاهر وحيث العلم الفرنسي فأجابتها مدافع فرنسا وصاح الالوف فلتحي الروسية فلتحي فرنسا بهتاف كالرعد القاصف اسكت اصوات المدافع تقريباً وكرره الحضور عشرات بين صدح النشيد القيصري والفرنسوي

ثم نزل الاميرال الروسي الى البر فسلم على وزير البحرية الذي حياه تحية الاخلاص وقال له 'مامعناه' « إني سعيد ان أرحب بك ايها الاميرال الشجاع ففني ماعتينا للروسية ولقيصركم من الجليل لما اتيتوه بزيارة عمارتنا كرونستاد واني باسان فرنسا ارحب بك ترحيبنا بالامة الروسية وعظمة قيصرها المحبوب » فأجابه الاميرال متشكراً ممتناً وختم خطابه بهذه العبارة قائلاً « اكتفي بان اقول انه منقوش على قلب كل روسي هاتان الكلمتان » فلتحي فرنسا « فقول كلامه باصوات التهليل والسرور وانا اكتفي بسرده دون شرحه فانه فوق كل وصف

ولا اذكر مالتي الاميرال واركان حربه من حسن الوفادة والمآدب والتشريفات والدعوات والخطب والأيالي الزاهرة بل اكتفي ان اقول انه استقبال مزرد في بابهِ اثقناً وكرماً وتهليلاً كيف لا ونحو النصف المليون من الناس يبيدون في بلدة صغيرة عيداً وطنياً يتردد صدهاء في فرنسا والروسية فيزيد أبهة ومجداً ووطنية

ولا اذكر الخمسين سفينة من المدرعات الفرنسية التي ينادي لسان حالها إني لا اخاف بحراً ولا بحرية في صيانة حقوقى والدفاع عن مصالح امتي ووطني ولا اذكر تلك العمارة الروسية التي لم تكن تذكر في الحرب الاخيرة

وعوداً فإن تلك الوعود المكررة وأين تلك الاقسام المظمة وأين وأين
ولقد عرفتم الآن ايها المصريون فضل عباسكم اميرنا المحبوب ووطنيته
ومصريته وعرفتم ايضاً سياسة الانكاز وغايتهم فيكم فكونوا واحداً في خدمة
العباس وانا الكذيل لكم بصيانة حقوقكم وحفظ امتيازاتكم واستقلال ادارتكم
ولكن معكم واحداً بالدعاء للجناب الخديوي المعظم

وكتب في ١١ اكتوبر من طولون عن استقبال الاسطول الروسي

يجز قلم الكاتب عن وصف احوال طولون في هذه الاعياد الفرنسية
الروسية فهو مشهد قل مثله ونذر نده لامن حيث الترتيب والذوق فهو
عام في فرنسا وسيكون اعظم في باريس ولكن من حيث الماطة الوطنية
الفرنسية وهي حالة تلك الجماهير المتجمهرة في طولون فالبجري والسكري من
اي المناصب والرتب على اتفاق في التهايل والتجيد مع سائر الشعب وتعيد
طولون عيد عام يحتفل به الفرنسيون في كل مدينة وبندر بل في كل
بيت وأسرة ولنا بالتعارفات اليومية من جميع الانحاء الفرنسية ومن
الفرنسيين الذين خارج بلادهم برهان على ان جميعهم متهالون فرحاً وسروراً
من اتفاقهم مع الروسية واتحادهم مع قيصرها المحبوب

وماذا عساني اقول عن الازدحام في طولون وقد قصدها اكثر من
ثلاثمائة الف زائر حتى ضاقت بهم الفنادق والمساكن بل ارباض
المدينة وسهولها وميادينها حتى اصبح الوف منهم يذهبون للمبيت إما ببرسيلا
او نيس بعد ان يقضوا نهارهم وقسماً من ليهم في طولون ويصرفوا ماعز
عندهم ليشاركوا قلباً وقالباً في هذه الاعياد الوطنية

واحد في خدمة سموه وان اعتقاد المصريين انه الامة والوطن فبخدمة
العباس صيانة مصالح القطر السعيد والامة المصرية

ونحن لايسعنا الا امتداح وطنية الفاضل نخري باشا ولا نجب اذا
ارانا سمو العباس من الالتمات اليه مايزيد المصريين اخلاصاً لحضرته العلية
فان نخري باشا لما اشتدت عليه وطأة الازمة استقال لكي لا تكون شخصيته
سيداً للخلاف والتنافر ولو فهم مصطفى باشا ذلك لما اوصلنا الى الحالة الراهنة
قبل مرضه وبعده لايجمل ماكان عليه الرأي العام ضده وقد قضى عليه
بلسان الاهرام وهو لسان حاله ونحن نتظر اعمال الوزارة الجديدة مستبشرين
لاعتقادنا انها تقوم بتعميم مبادئ الجنب العباسي النافعة فان الاهرام صدى
الرأي العام والرأي العام على رأي اميره المحبوب

ولكن لايسعنا الا ان نستقبح علناً ثورة الموظفين الانكاز في الحكومة
المصرية وهم ينقدون الرواتب الزاحقة من اموال الالاح المسكين فقد كان
يجب الانتظار على الاقل الى ما بعد الوقوف على نتيجة المخابرات حتى لايفضح
امركم ايها الانكاز المحترمون فلقد عرفنا غايتكم من كثرة التوظيف وانذرنا
بها حكومات مصر وبثورتكم هذه على الامير الخديوي وحكومته ايدهم
ماأتيتوه بسوء سياستكم بتلغراف التمس وكتاب ميلتر ومنشور كولس وتمضيد
مصطفى . وكان يجب ان يكون الجواب على ثورتكم عزلكم دفعة واحدة
حتى لايقول التمس ان مثل هؤلاء حصون الاركة الخديوية

ناشدتكم الله اذا كانت تلك اعمالكم ايها الموظفون المليون فماذا تؤمل
من ضباطكم في الجيش المصري الا طاعة اللورد كرومر ضد سمو الخديوي
وحكومته وكيف لايندد بكم المصري وينثر منكم وكيف ياتمنكم ويسدق لكم

تعيين الوزير او الرئيس الذي يريد وفي كلا الامرين نظر سدوه الى مصلحة الامة والوطن لانه اذا كان النظار على غير رأيه فلا يخدمون الا الانكيز واذا كان الوزير على غير مبادئ سدوه كان خادماً المراقبين الدخلاء وعليه فلم ينظر الجنب الخديوي عباس باشا المحبوب الى شخصية هذا او ذلك بل نظر الى المبادئ والاعمال وهي خدم وطنية جالية قابليها المصريون بتكرار الدعوات الكريمة بحفظ حضرة السنية وتزير الامة والوطن السعيد على يدها ولنا بتظاهر الامة اليوم بين يديه اكبر برهان

تلك هي خدم سدوه الداخلية ولكنه حفظه الله لم يقصر على ذلك بل خدمها خدمة عثمانية اوروبية اما اولاً فلما رأيناه من تلافات الحضرة السلطانية لسدوه المؤيدة لاعمال خديونا الذي قام بما تحوله اياه حقوقه المقدسة في القرمات السلطانية واما ثانياً فلان انكترت نفسها بعد ان رأت الانفراد بمصر داخلياً وخارجياً اضطرت لمخبرة سزرا، فرنسا والروسية ومانيا بلوندره واعترفت بهذه المخبرات ان المسألة اوروبية غير انكليزية وهو شأن

من اهم الشؤون في حوادث مصر الداخلية لم نره من سبع سنوات واخيراً فان الجنب الخديوي باعماله هذه طهر اعمال المصريين السابقة وكفر عن صف هذا وغرور الثاني واهمال الثالث واوجد لمصر عصراً وطنياً جديداً يجب ان تقتخر به الامة كما تتز بايرها المحبوب وان يتخذ المصريون قاعدة لسياستهم ومثالاً لاجراءاتهم فيدرون من الوزير الى الساعي انهم خدمة الدباس يزل هذا وينصب ذلك فيما تقتضيه مصلحة وطنه كما قال اليوم على مسمع الالوف « اني وقت نفسي لخدمة أمتي ووطني ولا اسال الموظفين إلا ان يجرؤوا على هذه المبادئ واسال الامة الدعاء » ونحن نعلم ان الجميع

ولكن الحوادث فندت اقوالكم والاعمال كذبت جرائدكم بما اتاه الجنب الخديوي الذي احب في المصريين تلك النهضة الوطنية ولهذا كنا في ثقة من ان سموه يأمر بالغاء منشور كولس باشا ووضع حد لامثاله بأن يعهد المناصب الى رجال مصريين اشربوا الوطنية في شرايئهم فلا يخضون صاغرين للدخيل كما هي الاحوال اليوم واننا والله نعد اطراد الحالة المذكورة ذنباً سياسياً الا اذا كانت الناية تأييد التداخل الانكليزي وضياع حقوق البلاد المالية والسياسية ورجال الحكومة يرفون ان ليس من مصري في مصرنا يرضى عن هذه السياسة وقد حان ان نرف ان الرأي العام لنا بالرصاد فاذا لم نتدارك الشر من تلقاء انفسنا قضي علينا وخضنا لاحكام ذلك القضاء المبرم صاغرين فان تضحية مصلحة نفر في سبيل خدمة الوطن العزيز وخديويه المعظم لمن اقدس الواجب واشرفها

تلك هي حالنا ايها الخديوي المحبوب رفعناها الى اعتابك السنية لترى فيها رأيك الصائب بفكرك الثاقب فتمنع انفاذ منشور كولس باشا وتأمر بالتعديلات والتغييرات اللازمة لندخل مع سنة خديويك الثانية في شأن جديد يترتب عليه حفظ حقوق الوطن وتأيد مصلحته المصرية فتذكرنا بأحسن حسنات اجدادك ويحفظ لك التاريخ ذكراً وطنياً حميداً يتوارثه الابناء عن الآباء وكلهم دنوات خيرية لذاتك المحبوبة

—————

وكتب في ١٨ منه بعد حدوث الازمة المشار اليها آنفاً

ان الجنب العباسي حفظه الله ايد باعماله الاخيرة الحازمة الوطنية امرين رئيسيين الاول عزل رئيس النظار او الناذر الذي لا يرضاه والثاني

وغرور ذلك الوزير فكان لا حياة لمن ننادي
والآن اذ تأيد هذا الامر فقد وجب الناء وظائف النظارات وسائر
الافلام واستخدام ما يدفع لها في سبيل اصلاحات نافذة يستفيد منها التلاح
المزارع الذي يقوم بتلك الاموال وليس من الدل ان تنقدها في اضاءة
حقوق بلاده المقدسة للاجانب عنه جنساً وانه وعادة وديناً
وكيف جاز لكولس باشا ان يوقع على ذلك المنشور ولا يستشير الناظر
او لماذا لم يوقع وكيل الناظر على المنشور المذكور وكيف يجوز تبديل خصائص
احد الوزراء وحرمان المصري من حقوقه ولم يقرر ذلك مجلس نظار ولم
يصدر به أمر خديوي

ناشدتكم الله ايها الانكيز المصلحون ولا سيما كباركم كيف استخدمتم
التمس لاثان ما تكمونه ضد اميرنا المحبوب وعباسنا المعظم وقلم من جملة
ادعاءتكم انه يتدخل في اعمال الادارات بدون واسطة رؤسائها ولنفرض
صحة قولكم افليس الخديوي هو امير البلاد وصاحبها اوليست الامة هي عباسها
وهو الامة أولا ترفون ان حقوق الخديوي حقوق القطر والمصريين
وجميعها واحدة قائمة بشخص الجناح الدالي

ثم لا يتجهلون ايها السادة الانكيز ان الخديوي برهن في اعماله على انه
اميل الامراء والحكام الى احترام المبادئ الدستورية باجتماعه بنظاره يومياً
ومخاطبة النظارات بواسطتهم مع اعتقاده واعتقاد المصريين والاجانب انه لم يقف
منهم على مستر وقد امتوه لاغراضكم واستخدمتم التمس والستاندرد لشفاء
غليلكم ولا نجب اذا عضدتم كولس باشا وقلم بأحقية منشوره لاعتقادكم
ان لا أهلية للمصريين كما كتب ميلنر في كتابه

سنة ١٨٩٣ .

كتب في ٨ جايو عن منشور كراس الشهر ما عقبته الازمة الوزارية النهمية التي كان لها من الشأن العظيم ما لم ينسب القراء .

لم تكن نود اتخاذ منشور كولس باشا موضوع بحث اليوم ولكم تمنينا ان تكذب الاعمال ماسبقنا وانذرنا به رجال مصر منذ سنوات ودوناهم الى مداركته قبل الوقوع في اضراره ولكن ابى غرور هذا وجهل ذلك الا تسبيل اعمال الانكليز وإنفاذ مطامعهم وهكذا كانت ولهذا لم نتب على الانكليزي لانه تدخل في اعمالنا وقبض عليها واستبد بها وتملك ادارات البلاد فانه لم يحتل بلادنا الا لذلك رغماً عن عزوده وأقسامه وتلك سياسته في جميع الاحيان والبلدان ولكننا نلوم المصريين الذين عملوا على تأييد سياسة التدخل وهم اكثر ذنباً بضعفهم من الذين سبوا التدخل العسكري عن جهل لان هؤلاء لم يعرفوا الى اين المصير وأما الاولون فعرفوا ولو لم يكن الا تنبيهات الاهرام وتهديداته لكنى بها نذيراً لقوم يعقلون

اشتم الانكليز مرض عطوفتو مصطفى فهمي باشا وبشوا بالمنشور المذكور الى جميع المديرين والمحافظين ووقع كولس باشا عليه باسم الناظر المريض وهي حقة لم نعرفها في غير تاريخ الانكليز الذين امسوا بانفاذ مبادئ اصحاب الامر والنهي في نظارة الداخلية واصبح المديرون مضطرين الى مخاطبتهم بجميع الاحوال المختصة بمسائل الخنزراء والمشايخ والضبط والربط مما حصر سلطة ناظر الداخلية في معاونيها وكتاب اقلامها وامسى حكم الداخلية حكم الاشغال والحربية والمالية وهذا ما حذرنا منه حكومة مصر واستأثنتنا اليه ضعف هذا الناظر

وكتب في ٢٥ يونيو من فينا

فينا عاصمة المملكة النمساوية وهي من اجمل مدن اوروبا وأحسنها رونقاً
وأتمها نظافة وهندسة والدارف لثة اهلها يسر كثيراً فيها ولا سيما لان طرق
المعيشة فيها اسهل من سواها بسبب طبيعة هذه البلاد على ان ساكن المدن
العظيمة في اوروبا يمكنه ان يعيش حسب ارادته ومقدرته بـعكس سكان
المدن الشرقية حيث يتسابق اهلها الى الاقتداء بالمبذرين أكثر مما يتنافسون
في تعميم المبادئ العلمية ونوائد الحرف والصنائع وهذه النقيصة في
مدن الشرق قد اضررت بالهيئة الاجتماعية الشرقية فأُمسّت الان بين شرقية
وأوربية

ونرى سكان اوروبا حتى في اعظم مدنها واكثرها سكاناً يهتمون
بتسهيل وسائل استمالة الغريب الى بلدتهم ليأتيها فيصرف فيها الاموال الكثيرة
ولهذا كان لهم من الغرباء ايراد يذكر ولا سيما في مثل فرنسا التي انفردت بحسن
هوائها وبذوقها فكان ايراد البلاد من الاجانب عظيماً جداً يقول الاقتصاديون
عنه إنه من اهم ايرادات البلاد ولهذا اندفع السكان والحكومة الى زيادة
التحسين ليزيد عدد القصاد

وكثيراً ما سألت في رسائلي العاصمة ان تتوسع الحكومة في زيادة
اسباب راحة السياح لتكون مصرنا سويسرا الشتوية يقصدها الالوف فيصرفون
الملايين الكثيرة وينتفع باكثرها ابناء البلاد وهو ايراد بدون رأس مال ولا
يمكن للخزانة ان تضرب عليه ضريبة

وكتب في ٣ مايو عن المستر شامبرلان الذي ذكره الحائزين اليوم ما ذكره
اشارة الى بعض احوال الرجل

اهم الاخبار الاخيرة خطاب زعيم المتطرفين المستر شامبرلان الانكليزي
الذي قام بنصرة الشعب وأخذ اليوم بممارسة حقوته ومضادة الناصر
الضيق منه وهو بالقول الاخير يتصد مصر لانه 'بدان حارب الاحتلال وتد في
عماله زار مصر وشرب من نيلها فوفى الضيافة حقها ورجع الى انكلترا يخضب
في محافلها ويكتب في جرائدها باستمرار الاحتلال نكساً لما كتبه في السابق
على ان التباين المذكور يكفيننا مؤونة الرد على اقواله

اما خطابه فقد خصه بايرلندا ومستقبلها اذ قال ان سكان ولاية أولستر
الايروندية مصبون على رفض الضرائب التي تطلبها دار الندوة الايروندية
وايه اي شامبرلان في ثقة من ان سكان المقاطعة المذكورة لا ينيرون
عزمهم هذا

ونحن نرى في هذه العبارة نتيجتين مهمتين لسياسة انكلترا اما الاولى
فنزاهة ثقة المحافظين وأشياءهم من خذلانهم وفوز الاحرار في الانتخابات
الآتية وهذا هو لسان حال الرأي العام الانكليزي كما نرى في خطاب افراد
وكتابة جرائده وأما النتيجة الثانية فهي استخدام شامبرلان على عدم رضى
المقاطعة ثورة ضد مشروع لا يزال في عالم التصور إذ ان بغتار الاحرار
لا تضمن اقامة دار تلك الندوة وشروطها العمومية مع انكلترا والخصوصية
مع ايرلندا نفسها فكأنني به والحالة هذه لا يتصد إلا حصول تلك الثورة
وقد استلزت الرأي العام الانكليزي اليها امرتلة خطوات الاحرار وزيادة ظلم
ايرلنده لغايات مذهبية

قدره' مما يؤملنا وتلك مبادئ سموه ان يسعى في توسيع نطاق ذلك المشروع الجليل وان يشترك نواب الامة مع الحكومة ليس فقط ادبياً بابداء آرائهم بل فعلياً بالمداولة في المشروعات ومبادلة الآراء في اللوائح فيساهدون الهيئة الاجرائية بما يرفونه من احوال البلاد واحتياجاتها

وأما في الثاني اي قول سموه بمماضدة الامة فقد ايد جنابه العالي فضل الدستور وهيئة الشورى واذا قال غيره' احكم بحكومتى فقد قال هو وبأمتي ونم المقال مما يبرهن لنا على ان ارادة سموه تنزرت بالمرنة المطلوبة بين المدارس والاسفار فحرف مواجب الحاكم معرفته حقوق الامة ومواجهها ولا نجب اذا وفقت اعمال سموه مع ارادته الحازمة ومعرفته الوافية

ولو اتبع رجال شرقنا هذه المبادئ لما فعلت عوامل التداخل الاجنبي فعلها الحاضر ولكن اولئك الرجال كانوا يبنذون نصيحة الوطني استخفافاً ويحترمون اقوال الاجنبي مع ان الاول لم يقصد الا خدمة سيده وبلاده والثاني لم يقصد الا خدمة امته بالنصح لولاة امرها وشتان بين الامرين

ولو بحثنا عن اسباب تلك المعاملة لعرفنا انها ناتجة عن استبداد وجهل اما الاول فيصور الخلاء والكبر وأما الثاني فالاستخفاف والاحقار وكلاهما يذهبان بصاحبهما الى الضياع ولهذا قابلنا خطاب اميرنا الحازم بناية الامتنان لانه' أيد لنا ما نؤمله' في سموه من احترام آراء الامة والسعي في خدمة مصالحها والمماضدة لرجالها ولا سيما نوابها المحترمين توصلنا الى تحقيق تلك الاماني الوطنية التي لا يخرج منها عن ان تكون مصر للمصريين



قد أصبحت واجباتنا الان اقدس مما كانت قبلأفان لنا مع مقاصة القانون
المجرمين قانوناً اجل تجب علينا رعايته وهو الوطن العزيز فان المراقبين كثيرون
وان وجود الراشي والمرتشي لا يمنع وجود كثيرين من أولي الاستقامة
الذين يخافون دينهم ويحبون وطنهم فيقومون بهذه المهمة خير قيام ولا يستحيل
على استقامة عاصم باشا ان يتتي رجالاً من ذوي الاهلية يراقبهم بنفسه
فيسأل مكافأة المستحق منهم ونصااص المتعسر

واری ان ضرب مال معلوم على الاطيان اولى من مال الشور فيتم
الاصلاح من جميع وجوهه وتخلص الاطيان من ظلم زارتهما الذي ينهكها
ليزيد في الايراد ويسدد الضرائب ويتخلص المالكون من استبداد المشرين
والملتزمين وتطلى لهم القسائم فيعرفون ما عليهم وما دفعوه وفي تحقيق
ذلك اكبر خدمة للخزينة والاهلين اما الاولى تستوفى اموالها ولا يكون
من ثم بواق تتجمع من سنة لسنة واما الاهلون فلا يدفعون المال الا مرة
واحدة للخزينة ونعم النتيجة

سنة ١٨٩٢

كتب عن سمو الخديوي عباس باشا الثاني على اثر ارتقائه الى الاريكة الخديوية

اعلن الجنا ب الخديوي ايده الله في خطابه لنواب القطر رعايته
لدستور تلك الهيئة وآماله بمعاودة الامة لها خدمة لمصر والاهلين وهي اقوال
تدلنا صريحاً على شرف مبادئ سموه ونبل غايته فهو في الاول قدر الدستور

اصلاح ذلك وان دولته فاوض الاستانة وأمله وطيد في تحقيق هذه الامنية لانه بذلك ينفذ اوامر الجناح السلطاني ولا سيما بخدمة الفقير المزارع الذي ليس له ما للغني من المعدات توصلاً لتعديل ضرائبه او تخفيفها ولم ار في الوالي المذكور انتباهاً الى هذا الاصلاح وحده بل الى سواء ايضاً من حاجات العامة ليتوفر للفقير والمسكين من معدات الراحة والثروة ما انحصر امره الى الآن في بضعة اشخاص

والمامل من دار السعادة اجابة مطالب دولته وهو ما لا نشك بحصوله لدلالته ولا سيما وان بتحقيقه صيانة اموال الحكومة وعدم ضياعها لان تعديل الضرائب لا ينقص من مجموعها وفي عدالة التعديل خدمة اعظم من نقص مجموعها لان بالاول اشتراكاً للجميع بالفائدة بينما نخاف ان تنحصر فائدة الثاني في الثمة الغنية المدودة التي احتكرت النوائد منذ سنين قلنا ان وزارة المالية لا ترفض طلب الولاية ولكن العقدة في انتقاء الاشخاص الممهودة اليهم مساحة تلك الاطيان وتعديل ضرائبها فقد يحتمل ان لا نتمكن العدالة في اجراء الامر الثاني بدون مسح الاطيان فان اوامر الحضرة السلطانية جميعها عادلة وغايتها شريفة وهي تنظر في رعاية الرعية اكثر من النظر في مصلحة الخزينة ولكن الاجحاف الذي نراه في توزيع الضرائب وغيره من آثار الماضي انما ادخله أولئك الموظفون المرتشون الذين لا وطنية لهم وقد باعوا حقوق الخزينة والاهلين لغايات ساقطة فكان ماكان من الاجحاف وكثيراً ما ساعد الاهلون أولئك الموظفين على الرشوة رغبة منهم في تخفيف احمالهم بظلم اخوانهم او لغايات أخرى لا تقل عنها خسة سواء لمشتري وذاينة او للحصول على منصب فان الراشي والمرتشي مجرمان والذنب واحد ونحن

المذكورة ونضر بالحكم اذ يتمذر نيل الموظفين اللازمين لها فيكون الضرر مزدوجاً

ولقد سألنا كثيراً من القاضي ولم نسأل له صيانة مركزه وضمانته نعم ان بلجنة التأديب بعض الضمانة ولكن نرى من الواجب ان يقرر ان القاضي الذي يقضي مدة ثلاث سنوات مثلاً في الابتدائي وتثبت اهليته ومهارته لا يزل ويكون حكمه حكم اعضاء الاستئناف وهذا مما يشجع العمال على السهر ومراقبة الامور كما يقتضيه القانون والمصلحة العامة



وكتب في ٢ دسمبر من دمشق

لانهجب اذا قلنا ان من اوجب الاصلاحات وألزمها تعديل الضرائب في الولاية السورية وبالتالي في جميع ولايات الدولة العلية لان هذا المطالب عام في جميع اوربا حتى في اندلسا ضريبة . والضرائب في هذا القطر السوري قد تكون مجبنة في بعض الجهات الا ان اجحافها اليوم هو من حيث توزيعها على الاراضي ولو قلنا اننا ضرائب سورية بضرائب مصر لرأينا الثانية اشد وطأة من الاولى واما التوزيع فخالفته واحدة وهي لا تخفى على الناقد البصير

ثم انك ترى صاحب هذه الارض يدفع ضعفي ما يدفعه الجار على ارضه ويراد الثانية اعظم لتوفر المياه فيها وهو اجحاف ظاهر وقد فاتحت حضرة ملجأ الولاية الذي رأيتُه مهتماً كل الاهتمام باصلاح هذه المسألة مع حفظ مال الخزينة فعرفت من دولته ان الارحوم صبحي باشا كان باشر

النتيجة مأسأله سكوت وانا لا انكر على الانكليزي والاوربي عموماً المعرفة
والحرية واستقلال الفكر ولكن انى له معرفة اللغة العربية معرفة كافية يتمكن
بها من فهم المرافاة ودرس الاوراق ولهذا فاذا كان لابد من الناصر
الاجنبى في المحاكم وجب ان يرخص بالمرافاة بلغة اجنبية ايضاً يفهمها القضاة
سواء كانوا شرقيين او غربيين

ونحن نرتاي اقامة محكمة تميز ترجع جميع الامور اليها وتكاف بمراقبة
اعمال المحاكم اجمع ابتدائية واستئنافية وتؤلف من خمسة هم اربعة اعضاء ورئيس
فان مثل هذه المحكمة ضرورية وما ننكر ان فريقاً يمارض تشكيلها لانها
تزيد في النفقات على المتقاضين ولا سيما وان اقتارنا الى اصحاب الاهلية
لاخلاف فيه فاذا نقلنا خمسة الى التميز نكون قد عملنا على تحقيق ضمانة
الاستئناف مع ان الحالة المالية واشغال المحاكم لاتساعد على ذلك ولكننا نرى
من التبذير امساك الدرهم عن المحاكم كما نرى ظمناً عدم تخفيف الرسوم واذا
رفضنا التميز اليوم اضطررنا الحوادث اليه غداً والمستقبل للرأي الدام واحوال
اوربا شاهد عدل

أما الرجال فلا يستحيان وجودهم اذا اردنا تفضيل الدستور على الجنسية
ولكن اذا فضلنا الاخيرة اضنا الدستور والجنسية واذا فضلنا الدستور
حفظناهما جميعاً وان مارأينا ونراه يومياً من الاعمال والمسائل يؤيد هذه
الاقوال ويبرهن على عدالة مبادئنا

واذ قد تقرر ان يعين القضاة من تلامذة الحقوق وجب ان تهبط رئاسة
المدرسة الحقوقية الى رجل جمع الى المدة الحقوقية فوائد التجربة وليكن
ابن القانون وأصيلاً به لادخيلاً عليه وإلا لنحول دون نجاح المدرسة

المشردين وإعطاء الامتياز للحد ومراقبة المديرين لهم فهي دعائم الامن
ولصيانة الحقوق المتبادلة

ولا ريب ان ماعرضه بخصوص احداث قومسيون لمراقبة القضاة في محله
ولكن نحن نرى من الواجب تدليل التشكيل المذكور وعرفنا عن ثمة ان لابد
من ذلك وكلما احسنا انتخاب اعضاء هذا القومسيون كلما ابدنا الاغراض
الشخصية والمصالح الخصوصية وافق الجميع على عضد القضاة الذين جمعوا الى
معرفة الحقوق فوائد التجربة مع رضى الرأي العام عن حرية مبادئهم
واستقلال ضميرهم

ولكننا لانوافقه على تعيين منتش انكليزي ولا سيما وخصائصه كما ذكرناها
فاننا نعتبر ذلك سلطة في السلطة فتضر الواحدة بالثانية وتكون النتيجة زعزعة
الدستور وتقويضه نعم لانأف من المراقبة ولكن لماذا لا يكون المستشار
وحده مراقباً في وقت واحد تحت شروط لا تمس بالدستور بل تؤيده
وتعضده وهذا سهل فان المستشار حالياً هو بضعة منتش وفي تقريره ومأموريته
ما يؤيد ذلك ويمكنه في هذه الحالة مع خدمة العدالة وأرباب الحقوق تأييد
الدستور كما تقتضيه المصلحة العامة

ولا نوجب اذا وافقه الجميع على ما اشترطه بخصوص تعيين القضاة
في الابتدائي ولكنه أبهم في كلامه على الاستئناف نهم انه قال بوجوب صرف
مدة ثلاث سنوات الخ. ولكن يجب ان يكون التمييز في الاستئناف تاباً
لقدمية اعضاء الابتدائي واما شروط النقل والرفق فتبادلة

اما ماسأله من تعيين اثنين من الانكليز في الاستئناف الاهلي فهو ما طالما
خفنا حصوله واستأنتنا ارباب الحكومة الى ملاناه قبل الوقوع فيه فكانت

الرسوم ثانياً ولكم من مرة كتبنا في تخفيف الرسوم وشدة وطأتها ولكن انحصرت الاعمال في المكاتبات الرسمية بين النظارة والنيابة او عهدت الى تشكيل اللجان ولكن بدون نتيجة وهي خطة من اكبر دواعي انحطاط الشرق وتأخره

أما تنديده في الامور الجنائية فلا يخلو من الصحة وكان يجب عليه ان يتوسع بها إلا انه أراد ان يندد ويرضي في وقت واحد وهذا محال اذا كان لابد من اعلان الحقيقة ولا ريب في انه لو اتفق رجال النيابة والضبط مع رجال الادارة لكانت الحلة احسن جداً ولم يكن مجال لتنديده في حين لم يقل امراً جديداً بل ردد صدى الرأي العام

ولاحاجة هنا لسرد تاريخ التداخل الاداري في الاعمال الختوية ودو التداخل الذي كان من جملة دواعي تأييد تداخل المراقبين كما قلنا ذلك في حينه وما نشكر انه لو قصد بالتداخل اصلاح الشؤون لقائنا نعم الامر ولكن ارادت كل سلطة ان تخدم نفسها فاضرت بمجموع السلطات وخدمت مراقب الجميع والنتيجة برهان عدل

ونحن نرى بتمين قضاة صالح في القرى خدمة جليلة للاهلين اللهم اذا روقبوا بهد حسن الانتقاء وهذا غير عسير لان المراقبة اكبر مدرسة للاهل والكسول والمستبد والمرثي وكلما كانت المراقبة شديدة كلما كانت النتيجة حسنة وكلما نذرنا في الانتقاء الى الاهلية كلما خدمنا الدستور وأنفسنا وإلا عمّ التداخل وفقدنا كل امر

ثم نقول قوله على البوليس وذلك ما طالما سألناه خدمة للمصلحة المذكورة ولا يدم اربابها الرجال اذا اهتموا وأحسنوا الانتقاء وأما ماعرضه بخصوص

المشكلة التي اذا اتت بفائدة كانت محصورة محدودة بمكس مسألة سكة الحديد فيها اجل خدمة للخزينة والاهلين لان الزراعة حياة الجميع

سنة ١٨٩١

كتب في ١٩ يناير رداً على تقرير للمبششار القضائي نقله لما ترتب عليه من موافقة ذوي الامر لآرائه على ما يشاهد اليوم في الدوائر القضائية

رسالتي هذه انجز فيها الوعد ببيان الملاحظات على ما جاء في تقرير حضرة المستر سكوت الذي ضمنت خلاصته في رسالة سابقة فاقول ان النتائج التي استنتجها المستر سكوت في مقدمة تقريره لحقائق لا ينكرها احد ويوم تستوفي المحاكم حقوقها يرف الجاهلون من الشعب معرفة العقلاء فضل القانون المذكور وحرية مبادئه وعدالة غايته وإننا نوافقه بتتقيص عدد قضاة الجلسة ولكننا لانرى عدلاً ان تكون من عضوين فقط بل يجب ان يكون عدد الاعضاء ثلاثة سواء في الابتدائي او في الاستئناف

ومن اعدل مطالب المستر سكوت تخفيف الرسوم وهو امر امسى البحث فيه تحصيل حاصل وكلما اسرعت الحكومة في تخفيف الرسوم كلما ايدت الدستور وبرهنت على صيانة الحقوق بتعميم العدالة ومن البث التردد في تخفيف امثال هذه المطالب الآن ولو اجاب اولو الامر الى مارسه الرأي العام في هذه المسألة لما احتج الى حضور المستر سكوت اولاً وطلب تخفيف

الاطيان ليتقاسم المزارع والخزينة اثمان محاصيله فيجتهد لانه يكتسب .
ويسرنا ان الحكومة مهتمة بتحقيق هذه الامنية . ومنها مساعدة سباح الارض
والحكومة بالفاء عوائد الاغنام والماعز وقد عرفت هذه الغاية فشكرناها
وسألنا تعميم امثالها ومنها تسهيل وسائط النقل وهي من اكثر المسائل اهمية
ولكننا لسوء الحظ لم نرَ من ارباب الامر فيها اهتماماً كبيراً

فلقد زدنا الاجرة على المحاصيل فلم تضر التجارة بالزراعة والاخيرة
حياة المصريين وقوتهم وسعينا في زيادة عوائد الجسور لتحفظ زيادة ايراد
سكة الحديد فلم نقصد الا خدمة الخزينة نعم لا ننكر ان مصلحة سكة الحديد
خففت الاثقال ولكن كان ذلك حيث الملاحة لها رقيية والا لما كانت التعريضة
من القيوم اشبه بتعريضة اسيوط والاجرة من الزقاقين اضعاف مثلها من
كفر الزيات وسعد الاخير انه على النيل ونحس الاول ان لانيل عنده

واذا قيل كيف تخفف اثقال احمال الزراعة قلنا بتخفيف الضرائب مع
تخفيف ضربات الدخولية وأجر النقل ونضد كل مشروع من شأنه استخدام
حاصلات البلاد في المصنوعات الاهلية وفي الاخير خدمة مزدوجة للزراعة
والصناعة فان ثروة البلاد لاتضمن ثروة الاهلين والايراد ليرهم بل كلما كان
الاهلون اغنياء كلما كانت البلاد غنية لان ما لهم فيها بعكس الاول

وترى من اقدس مواجب أولي الامر ان ينظروا في هذه المسألة
ويسالوا مصلحة سكة الحديد درسها درساً مدققاً ليكون التعديل عادلاً عاماً
ننظر فيه الى خدمة الزراعة كما تقضيها مصلحة البلاد ونأتي الانتصاف من
ابوابه الحقة ولا نخترع أمراً جديداً بل نتخذ اوروبا دستوراً في هذه المبادئ
ونجاحها يضمن نجاحنا وتشكيل لجنة لمثل هذه المسألة أهم وأولى من اللجان

كان من الحاكم او المحكوم والله المستعان
 من مواجب الحكومة والشعب زيادة اسباب الثروة وتضاعف واجبات
 الاول في مثل بلاد مصر لانحصار ثروتها في الزراعة ولان شأن الحكومة غير
 شأن الشعب للتباين بين الفريقين مما لا يحتاج امره الى دليل ولما كانت
 الزراعة حياة القطر وجب ان ننظر في تحسين حالها اي ان يقوم المزارع
 بالعلم والتجربة ويتفنن في احوال التجارة ويتوسع في شؤونها مما يقيد العلم
 وينيله الاجتهاد والثبات ولسوء الحظ نقول ان هذه القمة لا تزال على
 ما كانت عليه من سنين فلم تتقدم خطوة ولا عبرة في افراد تفتنوا في الزراعة
 لان عددهم محصور ولم تنبث روح مبادئهم في العامة فانحصرت الفائدة فيهم
 وصدق من قال ان اجتهاد البعض ضاع في تهاون الكل

ولا احصر المسؤولية في المزارع فانه معذور لجهله حقوق الزراعة وتجارب
 العلم الجديد وقد نهكته السنون واثقت كاهله الحوادث فوقع تحت وطأة
 اثقال الضرائب كآني به لا يزرع الا لبني مال طينه وهو يكتفي من الحياة
 بما دون الطفيف ثم لم يقم من الحكومة دليل على تشجيع المزارعين
 ليتناظروا ويتسابقوا في حبة الزراعة فأين المعارض الزراعية وأين علامات
 الامتياز لجودة هذا المحصول وحسن جنس هذا القطن وتلك الحبوب فكل
 عناية او رعاية يصير توجيهها الى مثل هذه الامور يترتب عليها تجميد الحياة
 الزراعية لان الارض تزداد تدياً سنة عن سنة ولهذا وجب ان يستيض
 اربابها عن تعبها بتفنن الزراعة وهذا لا يتم اذا لم تقم الحكومة بمواجبها اولاً
 والمزارعون ثانياً

وهناك ملحوظات اخرى لاتقل اهمية عما ذكرناه. منها تخفيف ضرائب

عكس ما هو جار في اوربا فان رجال كل شعب يعملون على زيادة الضرائب على المحصولات الخارجية والتساهل في حاصلات بلادهم فلم لم نقترح بهم ولم نختار الا مسألة الدخان لذلك قلت اولست ترى واسطة لزيادة ايراد الخزينة بدون الالغاء قال نعم ان تكون ضريبة الفدان اربعة آلاف قرش مثلاً او اكثر او اقل ووضع عشرين قرشاً او ثلاثين على الوارد الخارجي فان مشتري هذا الصنف لا يدخنون البلدي ونكون قد ظلمنا عدداً محدوداً على حين نحن بالالغاء نضطر الوطنيين الى تدخين الدخان الاجنبي بشمن اغلى وهم لم يتعودوا عليه

تلك هي افكار كل من الوطني والاجنبي نشرتها على علائها خدمة للقراء اما انا فاقول اننا مهما بحثنا في المسألة رأينا ان الاحسان فيها اقل مما يتصور ولا امل بدفع الاضرار الا اذا خففت الضرائب وأنجزت الوعود والا اضفنا شر هذه المسألة الى غيرها فهي ليست بالاولى وبودنا ان تكون الاخيرة والله مع الصابرين



وقال في ١٥ دسمبر تحت عنوان الزراعة

ثبت ان غنى مصر وثروتها الزراعة وان أبواب رزق اهاليها في محصولات البلاد ولا انكر ان هناك ابواباً أخرى للتعيش ولا سيما الخدمة في الحكومة ولكنها ضاقت وستضيق ونخاف ان تسد في المستقبل ونحن نخص عجالتنا هذه بالزراعة ومنها نعرف حالتنا معرفتنا مواجب المتقاعين منها سواء

سنوياً كان نحو ثلاثة ملايين وأما حاصلات دخان البلاد فكان متوسطها ستة ملايين كيلو وان البلاد تقطع على الأقل ثمانية ملايين وعند ما قلت زراعة البلدي تضاعف الصادر الى الصعيد من الدخان الاجنبي وهذا برهان على انه بالالغاء المطلق يطلب الاجنبي فيزداد اليراد ثم قال والموجود الان من البلدي مليونان ونصف بما فيه المزروع الان والموجود من الاجنبي نحو ٧ ١/٢ مليون والجميع عشرة ملايين وهو يكاد لا يكتفي لاكثر من سنة واربعة اشهر وهو يرى انه في اوائل السنة القادمة يتبدى ورود الدخان على التعريفة الجديدة

ثم قال ويكاد المتصدر الى الخارج لايزيد عن ٢٠٠ الف كيلو وقد يزيد ايضاً فيصل الى نصف مليون بعد سنوات على ان هذه المقطوعية لا تذكر لدى مقطوعية البلاد فسألته وكما تظن يقطع الوطنيون من الكمية كلها فقال يقطع الاجانب هنا مليون كيلو بما فيه المتصدر الى الخارج والباقي وهو سبعة او ستة او خمسة ملايين يقطعه الوطنيون قلت وما فائدة ابناء البلاد قال اني اتكلم عن الفائدة للخرينة ثم للتجار أما الاولى فنشئة عن زيادة ايرادات واما الثانية فمن زيادة الوارد تلقاء كثرة المقطوعية منه بسبب إلغاء البلدي واما الاهلون فنمنعتهم قائمة باستخدام الزيادة في تخفيف الضرائب ذلك ما قاله لي هذا صاحب العزيز ثم اجتمعت على مصري من العارفين باحوال هذا الصنف هنا وفي الارياض فقال

ن الخزينة لاتلام لاهتمامها في زيادة اليرادات ولكن على شرط ان ينال ابن البلاد قسماً هذه الفائدة اما مسألة الدخان فالفائدة فيها محصورة في الخزينة وفي تجار هذا الصنف وقد سارت الحكومة بالغاء الدخان البلدي على

المدوحة فان اوربا بما تتحمله من الضرائب لها عذر شرعي وهي زيادة العسكرية لحماية البلاد وصيانة حقوق الوطن كما نقرأ في محاضر برلماناتها وخطب رجالها فضلاً عن تنعم الاهلين بامتيازات وطنية ولكن اين لمصر امثال ذلك وهي لو قال احد رجالها بضم السودان الى مصر قام له من المراقبين من دحض قوله ومنعه من تنفيذه وانا نرى شارع الاسماعيليه مناراً مرشوشاً ونظيماً وشوارع الداخلية مظلمة قذرة لا نظافة ولا نور وفضلاً عن ذلك فان الضرائب التي تتحملها اوربا مع انه مقصود بها زيادة الجيش للدفاع عن الوطن كان لها من النتائج الوخيمة ماجعل حكومات الدول في قلق دائم وما رأيناه من العدميين في الروسية والاشتراكيين في المانيا وأزمة العملة في فرنسا وانكلترا انما هو ناشئ عن الفقر وهذا عن زيادة الضرائب اما في الشرق فيتولد اليأس وهذا يفتح للمراقبين باب المداخلة وهناك الطامة الكبرى فتكون البلاد بدد فقرها خسرت حقوقها السياسية والادارية والمالية ونحن نعلم ان الحكومة عند زيادة الضريبة الى ثلاثين جنيهاً اضطرت الى استشارة مجلس شورى القوانين فهل لم يكن واجباً عليها ايضاً استشارة المجلس في المسألة الاخيرة ولو ان الضريبة مستترة تحت رحمة الدخان الاجنبي. تلك مسألة حقوقية تترك امرها لاربابها ولكننا نرى انه لو سأل المجلس عن آرائه لكانت المالية قد جرت خطة محمودة فان اعضاء الشورى اعرف الجميع بحالة الاهلين وكانوا يساعدون الحكومة بمشوراتهم وربما كانت المدولة معهم توجد طريقة اضمن وأفيد للجميع

وقد اجتمعت مع عارف باحوال الدخان وهو من الذين سوا في الغاء الدخان البلدي ومن ذوي المصلحة في تجارة هذا الصنف فقال ان الوارد

الوعد نخاف ان تتخلل المدة حوادث تقضي بالعكس فتكون قد حرمتنا
الاهالي فوائد راهنة تحت الامل بنيل فوائد مشكوك فيها

وللمالية حجة مهمة ايضاً وهي ان قسماً عظيماً من الدخان يصدر الى
الخارج فتكون زيادة التعريفة لاحقة بالخارجيين اي غير المصريين على ان
الكمية المتصدرة قليلة جداً فهي الان لا تتجاوز الربع مليون كيلو غرام سنوياً
ولو فرضنا صحة ذلك وفرضنا كساد هذه التجارة من حيث وقوف الحال
وتمكن تجار الدخان في العثمانية واليونانية من مناظرة تجار هذا الصنف هنا
والغلبة عليهم فهل يضمن اصحاب المشروع حائث امكان زيادة ذلك المال الذي
يؤملونه الان ثم هب وقع ذلك افلا يكون المصريون انفسهم هم الذين
قاموا بدفع تلك الزيادة حتى لو انجزت الحكومة وعدها بتخفيف الضرائب
وعندئذ ليس من فضل لها لان المزارع المدخن هو الذي دفع من يده
التمني ما تناوله بيده اليسرى وهذا ليس من الاقتصاد المشكور بشيء

ثم كما ان جعل التعريفة الجمركية عشرين قرشاً في سنة السبعين لم يفض
الى إلغاء زراعة الدخان البلدي فكذلك تعريفة فرنسا او ايطاليا لا تضطر
مصر الى التمثل بها فان أوستريا مثلاً جعلت تعريفتها اقل جداً من تعريفة
ايطاليا ثم ان الفرق بين احتياجات المصري والاوروبي وبين ارادات الطرفين
يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار ايضاً وإلا كيف نستشهد بما يوافقنا اجراءه
ونصم آذاننا عن المسائل التي لانود اجراءها

ولقد كان يمكن الحكومة ان تزيد في ضريبة الافدنة المزروعة دخاناً
الى حد تضمن معه حقوق المزارعين ومصلحتها وهذه الطريقة ولو كانت
اقل فائدة الا انها اكثر ارضاء للمزارعين واكثر اقتصاداً وتلك هي السياسة

خطتهم فـأولاً تحديد مساحة زراعة الدخان بالف وخمسمائة فدان وليس ذلك منهم إلا مقدمة للوصول الى الغاء زراعة هذا الصنف حتى لا يكون للمزارعين باب للتنديد والافدنة المنزوعة دخاناً لاتذكر امام مساحة الارض المنزوعة كما استشهد بذلك تقرير المالية الاخير ونعم البرهان ...

فيتضح والحالة هذه ان المهمة التي صرفت الى زيادة الايراد بواسطة الدخان كانت نتيجتها الغاء زراعته من القطر السعيد بحيث حرمانا بذلك اصحاب الارض ارباحاً راهنة وحرمانا ايضاً الذين يزرعون الصنف المذكور ارباحاً واقعية وأما ما جاء في هذا التقرير من ان التجار هم الذين انتفعوا من الارض المزروعة فنجيب عليه بهذا السؤال وهو هل ينتفع غير التجار من الغاء الزراعة اما هذا فواقعي وأما ذاك فشكوك فيه فان كثيرين من المصريين زرعوا الدخان ايضاً ثم ذهب الى ان عدد الطرفين محدود فالاضرار والحالة هذه محدودة كما جاء في التقرير وانا نلاحظ للقراء انه بسبب إلغاء زراعة الدخان وزيادة رسومه الخارجية زادت احتياجات المدخنين من المصريين وهؤلاء ثمة كبيرة المدد للغاية فنكون اذ ذاك قد عملنا على زيادة مصاريف الفلاح مع ان ايراداته في نقصان او على حالها والضرائب في ازدياد كالضريبة المثثة وعوائد الطرق وزيادة ترفية سكة الحديد للركاب والبضائع وغيرها فهل والحالة هذه نعد ما نقرر من الاقتصاد المدحوظ المنظور فيه الى مصلحة الاهلين لا الى الخزينة فقط

واذا بحثنا في براهين التقرير الموما اليه رأينا بينها امراً واحداً يستحق الاعتبار وهو الوعد بتخفيف الضرائب وذلك عند تحقيق زيادة الايرادات ومعرفة ما يجب تخفيفه من تلك الضرائب ونحن وان كنا لانشك بهذا

السير فنسنت لانه' اعلن غايته السياسية وهي منع التحقيق الدولي في اياو الجو للسياسة الانكليزية ولم يبالِ إلا بتحقيق هذه الغاية كيف كانت الوساطة فنجح في زيادة الإيرادات كما نجح ابناء جلده في زيادة المصاريف اما المصريون فتحملوا ضربات الضرائب ولم يتفخوا من زيادة المصاريف شيئاً والالوف من المرفوتين منهم شهود عدول ووجد المراقبين بتخفيف الضرائب لا يزال في دائرة الوعود التي تعودها المصري وصار لا يصدقها لتكرارها على غير جدوى

ولقد كان اهم الموارد التي اهتم بها رجال المالية مسألة الدخان والفضل في ذلك ليس إلا لنز من تجار هذا الصنف فهم الذين سعوا في هذا المشروع لموافقتهم مصلحتهم وعضدهم رجال المالية لاشتراك الخزينة في الفائدة ومعلوم ما كانت عليه زراعة الدخان البلدي بين تبغ وتبناك وما كان يدفعه المزارعون ضريبة عنها ثم لم يقصد من تساهل الحكومة هذا في السابق حتى عهد الاحتلال إلا اطراد الاهلين التمتع بزراعة وطنية اهلية ورغمما عن المكوس الفادحة التي عرفناها في السابق لم تبطل هذه الزراعة في حين ان عدد المدخنين اليوم ليس اكثر منه في الماضي فضلاً عن وقوف الحال الآن ورواجها في السابق

وقد اهتم السير فنسنت كثيراً في إلغاء الزراعة كما لا يخفى على الواقفين على دوائر الامور فلم يفلح مطلقاً وغاية ما امكنه نيله ان زاد الضريبة الى ٣٠ جنيهاً على الفدان بعد ان تحقق ان حاصل الفدان ينيف على ٦٠٠ كيلو اما رجال هذا المشروع فلم تضعف عزيمتهم بل زادوا نشاطاً وثباتاً لقاء نجاحهم في زيادة الضريبة ولعلمهم ان صاحب الحزم فائز بالطبع ثابروا على اطراد

سنة ١٨٩٠

كتب في ٣ يناير عن اشتراك مصاحبي فرنسا والروسية وضرورة اتحادهما ماحقق التحالف بعد ذلك صدق نظره فيه

اول من افتتح السياسة الخارجية بطرس الاكبر بانفاذه مشورة البرنس كوربسكي الى ايثان الرابع الملقب بالهائل حيث قال له « حالف من هو بعد الجار ولا تحالف الجار » فاخذ بطرس الاكبر تلك النصيحة قاعدة لسياسته الخارجية اما ملك فرنسا حينئذ فلم يوافق على هذه المبادئ ولكن ما لم ينجح فيه بطرس الاكبر نجحت فيه اليصابات كريمة فمقدت مع فرنسا تحالفاً تغلبت به على فريدريك الاكبر ملك بروسيا فأضرت بعسكرية بروسيا قرناً كاملاً ثم عقدت كاترين الثانية تحالفاً مع لويس السادس عشر الا ان الثورة الفرنسية حالت دون انفاذه ولو لم يقتل القيصر بولس لنجح في مخبراته مع فرنسا ثم ان عمارتي فرنسا والروسية قد خدمتا سياسة واحدة في اكثر من مكان ويستفاد من ملخص هذا التاريخ ان لاجابة للتحالف بين الدولتين كتابة فان مصالحهما قاضية عليهما بذلك ولهذا رأينا القيصر اسكندر الثاني بالرغم عن حسن علاقاته مع غليوم الاول قاوم المانيا اشد المقاومة في عام ٩٧ وأنذرها بأنه يحاربها اذا حاربت فرنسا

وكتب في جملة مباحثه المستفيضة عن الدخان والغاء زراعته

لا خلاف في اهتمام رجال الانكليز ولا سيما الذين في المالية بزيادة الايرادات وقد وفقوا جميعاً في هذا الشأن والفضل فيه عائد على جناب

بحاضرة تونس والاهتمام الآن بمد خط الى مدينة القيروان وخطوط اخرى الى اكثر مدن البلاد واقامة المرافق المتعددة وتنظيم طرق الداخلية الوعرة وهي باذلة جهدها في اتمام ذلك قريباً بالرغم عن الصعوبات المتعددة بين قلة الدراهم ووعورة الجبال الحائلة دون هذه النظمات

وهذه البلاد كثيرة الصنائع والحرف واخصها صناعة نسج الحرير وعمل الصابون الا انه غير متقن ولا ريب في انه لو اهتم اهلها باقتان صناعتهم لاستفادوا منها فوائد جمة فوق ما يستفيدون اذ يكون ذلك مسهلاً لرواج تجارتهم في الخارج ولا سيما في هذه الايام لما بين تونس وفرنسا من التسهيلات فانه بعد ان كان لا يبلغ عدد السفن الداخلة الى تونس الالف في السنة قد تجاوز الآن الاربعة آلاف وبعد ان كانت دخل وارداتها وصادراتها لا يذكر امسى الآن للاولى نحو الثلاثين مايون فرنك وللثانية نحو الخمسة وعشرين مليوناً وهذه الزيادة على استمرار كل سنة .

اما الاهالي في اخلاقهم فودعاء لطفاء وهم حسنو الصورة والبيض في المدن اكثر من السمر وهم اذكياء القلوب محبون للنظافة حتى اني لم ار في كل رحلاتي في اوربا وغيرها شعباً انظف منهم فان الغريب يشعر بذلك من اول وهلة في نظره الى الثياب سواء كانت جديدة او قديمة . ثم ان نساء المسلمين لا يخرجن من بيوتهن الا في النادر وهن مشهورات بالادب والتعفف والجمال ولا سيما من كانت منهن من سلالة اندلسية فانه لا يزال في مدينة تونس الى الآن حي يسمى حارة الاندلس اختطها مهاجرو تلك البلاد بعد تغلب الاسبان عليهم

رعايا وحمايا نحو الخمسة والاربعين الف نسمة

واما نوع الحكومة فيها فمطلق فيما عدا تأييد الامن وادارة المالية وسمو الباي صاحب الامر النافذ في اعمالها والمملك فيها للراشد من الاسرة المالكة ولحضرة الباي وزارة مؤلفة من وزير اعظم ووزراء للقلم والاوقاف والمالية وسائر الفروع وفي تونس جوامع كثيرة وزوايا ومدارس شرعية كبرى وكنائس لجميع الطوائف وحرية الاديان معروفة فيها من القديم وذلك برهان على ان الحكومة الاسلامية كانت واحدة في هذا المعنى مما يدل على عدل حكامها وحرية مبادئهم . واشهر مدارسها القديمة مدرسة جامع الزيتونة الشهيرة وفيها نحو ٤٥٠ طالباً يتعلمون اللغة العربية والشرع الشريف وقد خرج منها افاضل ومؤلفون مشهود لهم بالبراعة والمهارة فضلاً عن انه يوجد في تونس نخبة من العلماء المتمكنين الراسخين

ثم المدرسة الصادقية اقامها ابهتلو خير الدين باشا ايام كان وزيراً لتونس وهي في مقدمة المدارس اثقانا وقد نبغ فيها تلامذة كثيرون في اللغة العربية فضلاً عن اقامتهم اللغة الفرنسية والعلم فيها مجاناً وينفق عليها من اوقافها الواسعة وعدد تلاميذها ١٥٠ تلميذاً وقد تجددت في هذه البلاد من يوم دخلها الفرنسيون مدارس كثيرة لا تقل عن العشرة فيها نحو أثنى تلميذ بين فتيان وفتيات ولا تزال الهمة منصرفة الى تعميم المدارس وتوسيع نطاق العلوم بعناية حضرة الباي العالم الفاضل الذي يعضد هذه المشروعات لعلمه ان حياة الانسان بعلمه ثم هو اول امير في اسرته علم ابنائه اللغات الاجنبية وفنونها

ولقد اقامت نظارة الاشغال العمومية اصلاحات كثيرة من السكك والشوارع الجديدة التي تعد كاحسن شوارع اوربا وايصال سكة حديد الجزائر

والقسم الثاني وهو التل أكثر جبلاً وودياناً وحياة زراعته الامطار وبالتالي حياة زراعة البلاد كلها لانه في السنة الماضية اذ لم يكن المطر غزيراً حصل فيها بعض الجذب ولولا مساعدة حكومة فرنسا المالية وتوزيعها الكميات الوافرة من الحبوب لطعام الاهالي وبذارهم لحصلت مجاعة بينهم ولذلك رأيتهم يقابلون عناية الحكومة بهم بالشكر والامتنان اما القسم الثالث وهو الواقع ما بين الساحل والتل فافرض جدباء لا يتنفع منها الا الماشية برعيها . وأما القسم الرابع وهو الصحراء او بلاد الجريد فاخص محصولاته النخيل وثمره في غاية الجودة يفضل كل نخل افريقيا

وفي هذه البلاد جبال كثيرة منقطعة اعانها سلسلة تبتدئ من شاطئ بحر الاطلانتيك فتجوز مراكش والجزائر الى رأس مدينة عنابه الشهيرة واعظم انهرها ماياتها من الجزائر واكبر بحيراتها بحيرة تونس اما درجة الحرارة هنا فتختلف كثيراً فهي في الساحل في ايام الصيف معتدلة وفي مدينة تونس وسائر البلاد اشبه بها في مصر القاهرة الا انه لايساعدها العثير الذي يعمي الابصار ولا الرطوبة المضرة كرتوبة الاسكندرية ثم انه يزرع في هذه البلاد أكثر اصناف الاشجار وثمارها لا تخلو من لذة وقد لا يمتدح في زمن طويل حتي نرى أكثر الاصناف التي تزرع في سواحل فرنسا مزروعة في قسم التل من تونس . اما معادنها فكثيرة ولكن الحكومة لم تبدأ بعد باستخراجها وحيواناتها ايضاً كثيرة بين وحش وطيور

اما عدد شعبها فمليون ونصف مليون تقريباً وجلهم من المسلمين وعدد الاجانب من الفرنسيين ستة آلاف ومن الايطاليين عشرة آلاف ومن الانكليز تسعة آلاف ومن سائر العناصر نحو الالفين وتعدد الاسرائيليين بين

ذلك تفكّه للقراء وزيادة في الفائدة اجعلها مقدمة لكلامي عن هذه البلاد
فاقول

ان بلاد تونس أو افريقيا الرومانية محدودة من الشمال والشرق بالبحر
المتوسط ومن الغرب ببلاد الجزائر ومن الجنوب بالصحراء المشهورة ومساحتها
١٠٥٠٠٠ كيلو متر مربع وهي منقسمة كالجزائر الى اربعة اقسام الساحل والتل
وما بينهما والصحراء او الجريد والساحل وما اخصبه تربة وفيه الزيتون
والحبوب وهو اكثر محصولاً من غيره ولا يمضي قليل حتى تم زراعة الكرم
هذه البلاد فان لهذا الصنف ايراداً يفوق سائر الايرادات وقد زرع منه
الى الان شيء كثير واصحاب المال يتسابقون الى زراعته ولا سيما وان الآفة
التي اصابته في فرنسا والجزائر لم تصبه في تونس فضلاً عن ان زارعيه
استخدموا تجارب الجزائر فاستفادوا منها كل الفائدة

واني لاحظ هنا كثيراً على فتور همة الاهالي ولا سيما أصحاب الاملاك
منهم واتباعهم عوائدهم السالفة حتى في زراعة الكرم مع انه كان الاجدر بهم
ان يستفيدوا من الحالة الجديدة ويسابقوا الغريب باستخدام خبرته ومعارفه
في سبيل زراعتهم لانه اذا كان الفرنسي يهاجر من بلاده ويستأجر ارض
التونسي ويشتريها ويحمل الحر الشديد والاتهاب الكثيرة ثم يكون له من
ارباحه اكبر تعزية فلم لا يشترك التونسي بذلك اذا قلنا انه يستحيل عليه حصر
الفائدة في نفسه مع انه ابن البلاد وصاحب الاض واني سمعت ان كثيرين
من ابناء هذه البلاد قد حسروا عن ساعد العزم واهتموا في هذه الزراعة
وبودنا ان يقتدي بهم غيرهم الى ان يقوم التونسي بزراعة أرضه خير قيام بما
يكسبه من الاجني من العلم والتفنن

وبالتالي من الارياف وداخلية البلاد ولستأ نبخس العاصمة حقها ولكن لامشاحة في ان جل الاعيان من خارجها وأكثر علمائها ومؤلفيها من اريافها ولا سيما جهات الصعيد وعليه فاهالي الوجه القبلي ان لم يكونوا اقرب تناولاً وادنى قابلية الى فهم القانون فليسوا اقل قابلية من اهالي العاصمة والوجه البحري وجميع ثغور القطر ومن ذلك يتبين ان ادعاء اصحاب التقارير في غير محله ثم نحن مع اعترافنا بوجود تعميم المحاكم وقابلية اهالي الصعيد لذلك لانزال نسأل ادخال التعديلات اللازمة على بعض البنود التي قضت التجربة بوجود تنقيحها وتعديلها غير ان ذلك لا يستلزم السنين الطوال ومهما تكن التعديلات فانه يمكن للجنة اتمامها الى اواخر السنة الجارية او قبل ذلك وعندها يجري التعميم فيكون اكمل واتم

الا اننا مع ذلك لانرى مانعاً في خلال هذه المدة يحول دون اقامة المحاكم الجزئية في الوجه البحري ولا سيما وان المجلس قد وافق عليها باجماع الآراء وأرى ان من اهم الامور الواجب اجراؤها ان لاتمسك الحكومة عن النفقات على هذا الدستور بل ان تهتم في اصلاح شؤونه ومراقبة احواله توصلاً الى المرغوب

— — — — —

وكتب في ٣ لويو من كوش بتونس ما اتخذ نموذجاً لرسائله التي من هذا النوع وهي كثيرة جداً ليس من غرضي هنا أن أتعرض الى تاريخ تونس وجغرافيتها وان تكن لغتنا العربية لم تجمع لها جغرافية مستوفية لولا ان أوقفنا علماء الفرنسيين على كثير من خفي أحوالها ولكني لا ارى بأساً من سرد بعض الشيء عن

ولقد قال اصحاب التقارير بالضرب قصاصاً وقال غيرهم به توصلاً لحمل المجرم على الافرار وكلا الامرين وان يكن اولهما اخف ظلماً من الثاني ضد كل عدالة ولا سيما وان المصريين جميعهم يعلمون ان الجناب الخديوي ايده الله امر بمنع الضرب من يوم تولى الاريكة الخديوية بل ان ذلك كان باكورة اوامر الشريفة وكلنا يذكر حسنات الوزارة الرياضية الاولى واهتمام دولة رئيسها بانفاذ هذا الامر الكريم فكيف يطلب اصحاب التقارير بمد ذلك امراً قضى عليه التمدن والانسانية وبأي وجه يقابلون سخط الرأي العام عليهم في اوربا عامة وانكثرتا خاصة لو أجيت طلباتهم في حين نرى ان الانكليز يفتخرون في بارلمانهم وجرائدهم بأنهم منعو الضرب بتدخلهم مع انه كان ممنوعاً قبل احتلالهم كما يشهد بذلك كتبهم الازرق

ولقد سرنا انهم عرفوا استحالة ذلك في المداولات الاخيرة وان الاعضاء اجمعوا على رفض ما سألوه فضلاً عن ان لنا في سمو الخديوي ودولة وزيره رياض باشا اكبر ضمانة تحول دون هذا الطلب الذي لا يشف عن ذرة عدل بوجه من الوجوه

واذ قد قضى على امر الضرب ولم نأت الا بصدى ما يردده الرأي العام فلنبحث الآن في المسألة الثانية وهي هل الصعيد قابل للمحاكم الاهلية الجديدة ام لا فنقول

لو أردنا ان نبحث في المسألة بحثاً فلسفياً لسهل علينا كل السهولة تفنيد اقوال المعارضين لتعميم المحاكم الاهلية بحجة ان اهالي تلك المديرية لا قابلية لهم لمثل هذه القوانين ولو فحصنا احوال كل بلاد ومدينة وأردنا ان نعرف اصل المؤلفين والعلماء والاغنياء فيها لوجدنا اكثرهم من خارج تلك المدينة

من الدنيا غير بلادهم ومن بلادهم غير المدينة التي هم قاطنون فيها بل من المدينة غير بيوتهم ونحن نراهم مع ذلك في ملابسهم ومطعمهم وسائر احوالهم أكثر تفرنجاً من الافرنج

تلك هي حالتنا ويسؤنا ان نكون عليها اذ ليس لها من سبب الفساد مباديؤ التهذيب عندنا وهو امرٌ لو اردنا ان نبحث فيه لضاق بنا المجال الا اننا نكتفي من الكلام عنه بقولنا ان عدم اعطاء النساء حقوقهن وعدم قيامهن بمواجهتهن من اعظم الاسباب وأهمها وبذلك كنا نحن الشرقيين على فصور مزدوج اذ لسنا مكلفين باختراع امر او ايجاد شيء لا وجود له بل ان مواجهتنا اسهل من مواجب الاوربي الذي علم فعل وسابقته المرأة في مركزها فأبدت النجاح المشترك ثم ليس علينا الا ان نقندي بسوانا والاقنداء سهل المنال اذا عرف اصحابه ان يتدبروه



وكتب في ١٣ مايو في مسألة اجازة الضرب من جهة وتعميم المحاكم الاهلية في الوجه القبلي من جهة اخرى ما يصح جعله مثلاً لاسلوبه في محاجة الخصم وتأنييد الرأي الصائب

لم نكن نتوقع من حضرات مفتشي الضبط والربط ان يسألوا في تقاريرهم معاقبة المذنب بالضرب ولو في مسائل محدودة وانا قد وقفنا على هذه التقارير منذ أكثر من ثلاثة اشهر وذكرنا مع مكاتبنا المصري خلاصتها وقضينا على مبادئها الا انا أمسكنا عن امر الضرب ولم نكن نقصد بالامساك الا القضاء المبرم على مثل هذه الوسطة لثقتنا باستحالة قبولها لدى الهيئة الحاكمة والفتة المحكومة

ان توازي قوة انكلترا البحرية قوة دولتين بحريتين ومن ثمّ تجب زيادة المعدات
فدلنا ذلك على ان القوة الحالية لاتوازي قوة دولتين وهو يؤيد ماذكرناه
في حينه

ولقد بسطنا افكارنا في مسألة مراکش وشكرنا سياسة فرنسا التي حالت
دون اطماع الدول في تلك البلاد الا اننا نرى انفسنا الان لدى امرين
لاخلاف فيهما اولهما انه لايجب ان نعتب على هذه الدولة او تلك الحكومة
اذا احبت التداخل في بقعة او بلاد لانه اذا كان ابناءؤها يهاجرون الى
اقاصي الارض في طلب المعاش وترويج سوق التجارة فكيف لايهتمون في
استنزاف ثروة بلاد هي على مقربة منهم والثاني وهو الالم ما نراه من قصور
الحكام في تلك البلاد واهمالهم في حين هي مطمح الانظار والاطماع فانهم
متقاعدون عن اخذ التحولات اللازمة لمداركة حقوقهم من الضياع ولهم من
الحوادث الجارية في غير بلادهم اكثر من دليل كان يجب ان يعتبروا به في
اصلاح حالتهم

ونحن في هذا العصر قائمون لدى القوة فلم تعد حقوق أمة او بلاد
لتوقف اطماع احدى الدول لان الحق قد اصبحت اليوم للقوة وحدها وما
حفظ بعض الاماكن من اغتيال الاجانب الى الآن الا تبيان مصالح الدول
الطامعة وهو أمر يجب ان نستخدمه واسطة نهتم معها باصلاح شؤوننا اصلاً
مرضياً

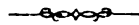
ولقد اصبحت التيار الاوروبي لاتوقفه الدواصف ومن العبث ان نقول عن
شيء انه لا يوافق عادات البلاد وطباع أهاليها في حين نرى القائلين انفسهم
متمسكين هم وأبناءؤهم بعوائد اوروبا وطباع سكانها وكثيرون منهم لا يعرفون

حاولت اسبانيا ولا تزال تحاول زيادة سطوتها في مراكش واحتلال بعض نقط من ارضها فعارضتها فرنسا وأبانت لها استحالة ماتنويه فانصاعت لها وأخذت في استخدام الطرق السياسية فعمدت لجنة دولية في مدريد عاصمتها فلم تنجح ثم سألها التحالف الثلاثي الاشتراك معه وهو يساعدها على تحقيق أمانها في مراكش فمال حزب من احزابها الى ذلك الا ان الاغلبية رفضت تلك المقدمات لاعنفادها ان لاضمانه لحياتها السياسية ان لم تكن فرنسا راضية عنها وقد امتدح الصادقون سياسة اسبانيا هذه

وقد تحركت ايطاليا ايضاً وأرادت ان يكون لها حظ في مراكش فرأت في فرنسا خصماً عنيداً ونال كريسبي من الفشل في سياسته الخارجية والداخلية ما اضطره الى الاعتدال ثم رأينا المانيا أخيراً تريد اخذ نقطة في مراكش ولولا تدخل فرنسا لنالت ماتريد ولقد احسن سلطان تلك البلاد برفضه ما طلبته المانيا لانه لو فعل ذلك لاضطر لاعطاء سائر الدول فكان كالساعي بنفسه لتفريق بلاده وتمليكها

وقد فاجأنا امس خبر ارسال عمارة انكليزية الى مياه مراكش فأثر فينا ذلك الخبر ولا نظن غاية بريطانيا من هذا التظاهر البحري الا المعارضة لسياسة المانيا ومعلوم ان انكلترا في يدها جبل طارق فلا يوافق مصلحتها تأييد نفوذ دولة اوربية اخرى في تلك الاصقاع اما ما اضطررتها الحوادث اليه من الانصياع لما يرسمه بسمرك فعن اضطرار وكره ولكنها عاملة بدهائها على معارضة السياسة الالمانية بأية الوسائل لتأمن شر بسمرك في السياسة الاستعمارية التي اجبرتها على تحمل النفقات الطائلة وقد عرفنا من خطاب وزير البحرية الانكليزية عند ما طلب الاعتماد المالي الاخير ان من الواجب

ومثل التداخل الاجنبي في الشرق مثل دخول السل في الجسم فانه
 ينبغي للمصاب به ان يتداركه وهو في الدرجة الاولى أو قبل تمكن الدرجة
 الثانية مع تعاطي الادوية الناجمة ومثل ذلك يقال في التداخل الاجنبي عند
 الشرقي ودواؤه ان تكون الادارات الوطنية المحضة دستوراً في استقامة
 اعمالها وحسن سيرتها من رئيسها الى آخر عامل فيها فينبذ مستخدمها الاجنبي
 الذي لا فائدة منه لقدمنا ولكن بالرفق واللين لا بالقت والغلبة ثم يتقرب
 من الاجنبي الذي برهن على أهليته فيستفيد منه ما يستخدمه في سبيل
 مصلحة بلاده وتأييد حقوقه حتى يصل مع تراخي المدة الى الناية المطلوبة



سنة ١٨٨٩

كتب في ١٩ مارس عن مراکش وتنازع الدول فيها ما لا يزال منطبقاً على الواقع
 الى الآن

قد أصبحت بلاد مراکش اليوم مطمح انظار أكثر الدول الاوروبية
 ان لم نقل كلها وقد ساعد على ذلك ما يراه الاجانب من حسن الوفادة فيها
 من جهة واسباب التداخل من جهة أخرى وقد زاد في تسهيل الامر
 ارسال حضرة سلطان مراکش الوفود الى الدول ولكن قبض لتلك البلاد
 ان تكون في جوار الجزائر ملك فرنسا الدولة العظيمة فالت بسياستها دون
 اطماع الدول

الحرب او انقضى التهديد بتنا لا نملك شيئاً وهي الخسارة الثانية
وعلى ذلك فاني ارى من الواجب ان ينظر في هذه المسألة اذ لا أمل
بالاصلاح والادارة والمالية على حالهما الحاضرة وسأبين في رسالتي الآتية
استحالة الاصلاح المالي بنير عزم ثابت وادارة نزيهة وابحث في ايرادات
الدولة وموظفيها بحثاً دقيقاً على قدر ما يبلغ اليه النظر الكليل



وكتب من مصر عن التداخل الاجنبي في الشرق ما تكرر افادته على الاعادة
قد بسطت افكاري مراراً في التداخل الاجنبي في اعمال الشرق عامة وفي
كل بلاد على حدها وبينت الدواعي التي استخدمها الطارئ حتى تمكن منا فاصبح بعد
ان كان يلتمس منا جزءاً وهو قابض على الكل ونحن لا نملك الا الجزء ولست
ادخل هنا في كيفية التداخل أو كيفية تعميمه بل في الوسائط الواجبة على كل
شقي ليكفّ بها تيار ذلك التداخل حتى اذا تم له الامر سهل عليه استرجاع ما
خسرهُ اذا عرف ان يسير بحكمة وحزم يمازجها اللين واللفظ وبذلك نضمن له
استرجاع ما فاتهُ وصيانة مستقبله صيانة فعلية

فاذا كان الاجنبي قد نال منا ما حصل عليه بكياسته وضروبه السياسية شيئاً
فشيئاً على رضى منا وهو مع كل ذلك أشد قوة منا وبأساً افيمكننا ونحن أقل منه
في كلا امريه ان نسترد ما لنا قبله دفعة واحدة ذلك أمر بعيد بل منى تكشفنا له
عن هذه المبادئ عمل على معارضتنا ومما كستنا نخسرنا منه كل ثقة وبذلك يتمكن
ليس فقط من المحافظة على ما في يديه بل من اغتنام الفرص لاختلاس
مافاته حتى يكون له الكل

ان الاصلاح ليس ممكناً فقط بل سهل جداً وانه غير مقصور على الشؤون المالية والادارية بل يتناول الموظفين وهي شهادة عدل اذكرها بالمنة والشكر» ذلك حديث اجني خير انقله على علاته بعد ان ثبت لي صدقه بما عرفته من الاحوال مدة وجودي هنا سواء موظفي هذه الادارة او موظفي ادارة السلطنة واذ عرفنا سهولة هذا الاصلاح نقول ان الواسطة له الان ان تعول الحكومة على الاصلاح الجدّي رويداً رويداً وذلك كأن تترك ادارة الجمارك الى ادارة الاعلام الستة على اتفاق معها على ان ما يزيد عن الدخل الحالي يكون منه للادارة المذكورة ٢٥ في المئة او نحوه بحسب الاتفاق حتى اذا تم ذلك امكن رجال الحكومة ان يراقبوا سائر القروع فان وجدوا أملاً باصلاحها عاجلوه. وبهذه الوسيلة ايضاً نكون قد تمكنا من مراقبة قدرة انفسنا على الاصلاح او عجزها عنه وحسن سير الادارة معنا وعدمه هذا وان ادارة الاعلام الستة لا تستلزم نفقات مهمة اذ يمكنها بنشر قليل من موظفيها ان تقوم بادارة الجمارك وعند هذا الاصلاح تثبت عنة كثيرين ومطامع غيرهم مما يضطر سائر الموظفين في باقي الادارات الى اصلاح انفسهم خوف الافتضاح عند المقابلة. ولكن لا يجب ان نرهن الايرادات على قرض فانا ننفق القرض ونهدم الدخل وبذلك تسو الحالة حتى تقف الاعمال

وانه لما كانت الخزينة فارغة والنفقات زائدة فضلاً عن تهديد الحوادث للسلام كنا نخاف ان تضطرنا الاحوال الى رهن أكثر من دخل لاقتراض مبلغ فتكون خسارتنا مزدوجة اذ نفقد الشروط الحسنة الممكن نيلها بنشر اضطرار وهي الخسارة الاولى ثم نلجأ الى انفاق القرض حتى اذا انتهت

رشوتهم فآخذنا نراقب المستخدمين بعد ان سلمناهم الوظائف برواتب تكفل معاشهم واشركنا معنا في تلك المراقبة رؤساء ذوي غفة ونزاهة فوجدنا اصلاًحاً بيناً ولا انكر انا وجدنا عدم الاستقامة ولكن في نفر قليل وهو امر طبيعي في كل بلاد ولكن الذين ثبت ارتشاؤهم كانوا قليلين جداً في جانب عدد الموظفين وثبت لنا انا نجد في المائة من غير الاتراك خمسة مرشحين ومن الاتراك لا نجد في المائة احداً مع ان رواتبهم أقل من غيرهم وهم اقدر على الاعمال واشد غيرة على المصلحة من سواهم كأنها لهم . ومن ذلك يتبين لك ان الشرقي قابل الاصلاح جداً والموظف متى أمن على وظيفته ووثق بجزاء اماتته لا يعود يرتشي بل يمنع الرشوة ليكون قدوة لغيره . ولذلك كنا مسرورين جداً من سير ادارتنا ونؤمل زيادة تحسنها كل سنة »

ثم تكلم في جوهر الادارة فقال « لا ارى ضرورة لاصلاح سير الادارة على نسق اوربي في حساباتها واعمالها بل ارى البساطة اوفق فانا لما اخذنا الاقلام الستة كان دخلها بحسب تقرير وزارة المالية مليوني ورقة وهي عبارة عن مائة قرش ولكنها لم تكن تساوي ثلث قيمتها تلك ذهباً بحيث لم يكن الدخل الحقيقي اكثر من خمسمائة الف جنيه اما الان فهو مليوناً جنيه وعلى زيادة مستمرة كل سنة من ٦٠ الى ٨٠ الف جنيه . وانا لو قاربنا قيمة البقايا السنوية من مطلوباتنا لوجدناها من ٣٠ الى ٤٠ الف جنيه لم تتجاوز هذا المقدار في سنة من السنين في حين يكون ايراد مليوني جنيه سن وارادات أخرى للسلطنة لا تنقص متأخراته عن ثلث او ربع مليون جنيه فضلاً عن ان القوة الاجرائية في يد الحكومة لا في يدنا وما ننكر مع ذلك انها تساعدنا ولكن مساعدتها لنفسها اقوى من مساعدتها لنا بالطبع . كل ذلك يؤيد لك

لا تسمح لها بزيادة لزادت في موظفيها كثيرين ولا سيما من الصنائع وعلى ذلك
فاحتمال اصلاح الشؤون المالية بعد الاصلاح الاداري صعب جداً

اما اصلاح الشؤون الادارية بالاصلاح المالي فمكن سهل ولا سيما اذا دخلناه
من بابه وهو في اوربا اسهل منه في الشرق لان الفئة المالية في الشرق بمتزجة
كل الامتزاج بالفئة الادارية حتى يمكن ان يقال انها واحدة فضلاً عن ان
مبادئ الاقتصاد نادرة والعفة اندر وجوداً ولهذا كان الاصلاح في الشرق عسراً
جداً ولكنه غير مستحيل ووجود الرشوة فيه لا يكون دليلاً على استحالة
استصلاحها بل ارى ان ارشاد الموظفين المرتشين في سبيل العفة والنزاهة اسهل
في الشرق منه في الموظف الاوربي المرتشي في بلاده لان المرتشي الشرقي
قابل للتشفيف بخلاف الاجنبي الذي تكون فيه الرشوة ملكة الى الممات

قابلت احد رؤساء مصلحة الدين العثماني وهو العضو الفرنسي فتحدثنا في
مسألة الاقلام الستة فرأيت ان انقل اقواله في شهادة من اجنبي واقف على
حقائق الامور وتحت يده اهم ادارات المملكة العثمانية وذلك تأييداً لما سبق
لي قوله بشأن الموظفين واصلاح شأنهم وشؤون الادارة تمهيداً للوصول الى
الاصلاحات المالية والادارية قال

« اعلم ان ادارة الاقلام الستة واسعة جداً تضطرنا الى مراقبة دخلها في
جميع انحاء المملكة من عريش مصر الى حدود العجم واوستريا والمالك البلقانية
وقد اضطررنا يوم اتفق اصحاب الديون مع وزارة العثمانية الى ان نأخذ الموظفين
الذين كانوا في خدمة هذه الاقلام وبذلك اجتمع عندنا اجناس جمة من المملكة
العثمانية وان يكن الجنس التركي اكثر جداً من غيره فها لنا ذلك في باديء الامر
وخفنا الرشوة وثبت لنا استحالة توظيف غير العثمانيين اذا عزلنا من تظهر لنا

عند الضيق يقفون على شكل حلقة كالبناء المرصوص فضلاً عما كان لهم من الشجاعة والافدام مما يسر له قلب العربي الان لولا انه ينقصه ما يراه في هذه الاحوال الحاضرة ولكن لا بدع فهي الايام دول تدول وحال لا بد ان تحول



وكتب في ٢٨ نوفمبر من الاستانة العلية في شأن اصلاح المالية العثمانية

اصلاح المال اصلاح الاحوال . تلك قاعدة كل حكومة منظمة اهتمت باصلاح شؤونها واخذت باسباب رفعها ولقد قيل ان المال ركن الحرب ولكني اقول انه ركن السلام ايضاً فلا يكون اصلاح سياسي او اداري الا باصلاح المال ومن لا مال له لا قوة له ولا شأن والله من قال في مثل هذا الشأن

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

فاذ قد ثبت ذلك وجب ان نرى هل يمكن باصلاح المالية اصلاح الادارة وبالعكس ام لا

وهنا افاض في اثبات جواب هذا السؤال ايجاباً الى ان قال

ان الوصول الى الاصلاح الاداري محتمل بعد الاصلاح المالي والاخير ان لم يكن مستحيلاً فهو شديد الصعوبة بعد الاصلاح الاداري وبرهان ذلك ان الفئدة الادارية ولو اهتمت بلم شعثها وتحسين سيرها لا تقوى على التوفيق بين جميع المصالح ما لم يكن لها من المالية عصاً تقرع لها فتنبها الى واجبتها في الدخل والنفقة ولا ريب ان نظارة الداخلية او غيرها لولا ان الميزانية المقررة لها

سيره فهو اشبه بقطارات البضاعة في مصر او ابطاً منها ومررنا على عدة محطات
كان يقف القطار في كل منها

ثم خرجنا نتفقد اثار البلدة وهي على اكمة يحيط بها سور غاية في المتانة
التي تدل على اثاره الى الان ويستحيل على العدو الدنو من البلدة من غير
ان تراه حاميتها وقد استولى عرب الغرب على هذه المدينة يوم كانت عاصمة
اسبانيا وكانت مدريد قرية صغيرة وحكموا فيها اربعة قرون وامتدوا منها الى
شمال اسبانيا الا انهم عادوا الى طليطلة واكتفوا بها لفقر الارض وحقها وحصنها
تحصيناً متيناً

وقد ذكرتني تلك المدينة بمجد العرب الذين لم يلبثوا ان خرجوا من
اليمين حتى افتحوا معظم القارات الثلاث ولم يكتفوا بالحكم بل أسسوا العدل
وبشوا مبادي يجهلها ملوك اوربا والشرق يومئذ وكان حكمهم في اسبانيا ثمانية
قرون تقريباً وكان سقوط غرناطة التي فيها الدار الحمراء المشهورة سنة ٨٩٧
هجريّة الموافقة ١٤٩٢ مسيحية وكنت اود ان اجمع في رسائي من هذه الديار
خلاصة فتوحات العرب واسترجاع الاسبانيول اياها لولا ان ضيق الوقت يحول
دون ذلك الا انا نرى ان الاسباب التي قامت بها رفعة العرب استخدمها الاسبانيول
لاسترجاع بلادهم في حين تمسك امراء العرب بالاسباب التي خسر بها الاسبانيول
بلادهم وقد كنت اود ان ازور سائر المدن الاسبانية في الجنوب التي زها بها
مقام العرب وعلا شأنهم في التمدن والعمران لولا ان منغني من ذلك شدة الحر
وبعد الشقة

وقد رأيت في تاريخ حرب غرناطة ان العرب كانوا يستعملون القلعة التي
تنسب لنابليون الاول فاني رأيت في تاريخ حروبهم من اقلام غيرهم انهم كانوا

البلفاربين وغيرهم غير آسفة على حماية مثل هذه الشوب الضميفة في جانب فوزها بمصالحة الروسية ولنا فيما قاله سالسبري في خطابه اكبر برهان حيث قال « ان آسيا واسعة تكفي لان ترضي الدولتين » وليس لذلك معنى سوى تقسيم املاك آسيا بين الدولتين وهو كلام لا ينطبق على وعد بريطانيا بحماية الافغان وشعوبها . ومن هنا يتبين الناظر في رسالتنا هذه كم جرّ فقدان الموازنة السياسية من التعديلات في سياسة انكلترا العمومية ولم تكن نتيجة هذا التعديل لخدمة مصلحة بريطانيا بل للدول الشمالية ولا سيما المانيا

ثم ان كل دولة لا تكون لها سياسة خاصة لا يكون لها نجاح بل تعرض نفسها للاخطار والمشاكل فان انكلترا لما كانت حسنة الصلات مع فرنسا لم يكن لها خصم غير الروسية ولكن لما وقع النفور بينها وبين فرنسا زادت الروسية حقناً عليها وأمست فرنسا خصماً لها وضمت علائقها مع الدولة العلية واضحت تنيل بسمر ك ما يطلبه مخافة ان يفشل

ولقد كان الاجدر بها ان تراعي حرمة تقاليدها اذ بذلك تكون قد وفّت حقوق وظائفها وضمنت مصالحها اجل ضمانة ولا سيما والسياسة تختلف فتخسر في الغد ما تكسبه في اليوم اذ لا موازنة اوربية في السياسة



وكتب من مدريد في ٢٤ اغسطس عن رحلة له الى طليطلة

قصدت مدينة التوليدة وهي محرفة عن طليطلة في العربية وهي تبعد عن مدريد ٧٣ كيلو متراً فسرنا الى المحطة وبينها وبين البلد عشرون دقيقة فركبنا القطار في الساعة الثامنة فبلغنا طليطلة عند الساعة الحادية عشرة لبطء القطار في

اصبحت على عكس ذلك تابعة لما يقوله رجال الشمال ورجل المانيا وهذه السياسة قد اضرّت كثيراً بالسياسة الغربية ولحق ضررها ببريطانيا اكثر منه بفرنسا لان الثانية كانت قبل سنة السبعين تخدم انكلترا في سياستها اكثر من خدمتها لنفسها فكانت الدولة الانكليزية بذلك جامعة الفوائد التي انصرفت الان الى جهة الشمال وبالتالي الى بسمرك وحده

وبعد ان كانت بريطانيا ركن حرمة المعاهدات اخذت باخترامها والعبث بها ولنا في مسألة قبرص ومصر اكبر شاهد فضلاً عن تغيير سياستها العامة الذي اضاع كثيراً من تقاليدھا المقدسة لدى اعظم رجالها وقد سلكت هذه الدولة بعد احتلالها مصر سياسة ادت الى النفور بينها وبين فرنسا وباعدتها في صلاتها مع العثمانية فاضطرت الى ان تراعي بسمرك وتجري مع رأيه في اعمالها وأدت اليه ثمن ذلك تسهيل مطامعه الاستعمارية فنجح بسمرك نجاحاً حسناً اذ استخدم النفور بين فرنسا وانكلترا سبيلاً لسياسته استعمارية ضد مصلحة الدولتين وحصر الفائدة في المانيا وحدها ولم يكن داعي نجاحه هذا الا مسألة مصر ولما كانت مملكة بريطانيا دولة بحرية ولا جيش لها لحماية اراضيها من التهجمات وكان امامها في جهة اسيا دولة سائرة على قدم النجاح تراحمها وتهدد هندها كان من مصلحة انكلترا ان تزيد في مشاكل اوربا لتأمين شر تلك الحرب وعلى هذا السبيل رأيناها في الحرب الروسية العثمانية فانها عملت على نشوبها لتضعف بها الروسية ولو كانت ظافرة وكثيراً ما سمت مؤخراً في مسألة بلغاريا لتدفع القيصر الى الاخلال العسكري فتضطر اوستريا الى معارضتها فينتشب القتال ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة لها وهي لو علمت ان في الامكان ان توفق بين مصالحها ومصالح الروسية في آسيا لبذلت في سبيل ذلك مصالح

بل همه في خدمة الروسية وحدها وان قدر الناس بسمرك قدره بازاء غليوم
فالامر في الروسية ليس للوزير بل للقيصر وحده وفوزه في سياسة الشرق
اكبر برهان

ثم قال وان فوز سياسة الروسية وفرنسا في مسألة الوفاق عظيم جداً ولا
صحة لما قيل من ان سفير المانيا عضد انكلترا فان الكتاب الازرق الانكليزي
لم يقل عن ذلك شيئاً قلت لم تعد انكلترا بعد تنديد بسمرك في غرنفيل
ترتكب هزوة نشر الامور السياسية الدقيقة فتبسم وقال أعلم ان المانيا لم
تتدخل اذ لا يوافقها الميل الى دولة أخرى بل بقاء المشكلة افيد لها
ولا يعتبر الالمانيون ان حسم مسألة افغانستان قد كان نهائياً فان الروسية
لا تدع هذه المسألة ابداً اذ بها تتقم من انكلترا في سياستها باوربا
وسواها



وكتب في ١١ اغسطس من لندن عما دخل من التعديل على سياسة انكلترا بعد
حرب السبعين وهو عين الحقيقة المشاهدة الى الان

لقد ادخلت على سياسة انكلترا الخارجية تعديلات مهمة بعد حرب السبعين
اذ ان فقدان الموازنة السياسية قد اضر بها ضرراً بيناً وفات رجالها مداركة
الامور بالحسن فكان فقد الموازنة عزلة لانكلترا عن سائر الدول فصدق بها
قول تيرس ان سقطة فرنسا عزلة لانكلترا وهو ما تحقق في أكثر المسائل
فانه بعد ان كانت بريطانيا صاحبة القول الفصل في السياسة العامة والخاصة

الا ان بسمرك تدارك الامر فاشار الى الجرائد بالاعتدال على ما يؤكدون
بحيث صار لا بد منه ما دام هو الامر به لانه رب القول في المانيا
ولكن مهما اعتدلت السياسة وتنوعت اسبابها فلا بد للروسية من نيل امانها
فاذا أقدم البرنس كوبورغ خسر مستقبل امره وليس في امكان اوستريا ان
تعارض الروسية وحدها ولا سيما وان بريطانيا لا بد من ان تعتدل في سياستها
لاعتدال الروسية في مسألة افغانستان

ويرى الجميع هنا ان الروسية احكمت في سياستها اذ زادت في قوتها
مادياً وادبياً وانفذت كلمتها بالرغم عن معارضات التحالف من اكثر الدول
وقد قال لي احد السياسيين اني وان اكن في ثقة من ان بسمرك اعظم رجل
سياسي فاني ارى ان مجموع الروسية يزعزع كل قوة وعلى الخصوص اذ ان
بسمرك مع شيخ جليل لا يود حرباً وولي عهده في خطر المرض لا يدري
ما يأتي به المستقبل في حين هو يود ان لا تكون الحالة كما هي الان ولكن
أبت حوادث الدهر الا ان تعارضه ولو كانت ظواهرها على غير ذلك

ثم قال ونحن نقدر قوة الروسية حق قدرها وان تكن في ثقة من ان
نظام جيشنا لا نظام بعده ولا قوة تعادله ولكن نحن بين قوتين عظيمتين
فرنسا والروسية وليس تحالفنا مع الدول الاخرى لينيدنا شيئاً فاستخدمنا اياها
من باب التستر بها ليس الا ولهذا يبذل رجالنا جهدهم في منع الحرب لانها
ليست من مصلحتنا ما دامت الروسية غير راضية عنا ونرى انها لن ترضى
ابداً بعد ان رأت منا اشد الميل الى اوستريا واقر ان هذه هفوة عظيمة هفاها
رجالنا اذ حسبوا ان الاسكندر الثاني لا يموت وفاتهم قوة المدميين الذين
فتكوا به فاتانا اسكندر الثالث الذي يود بطبعه ان لا يكون آلة بيد الناس

تخلو منهم مملكة اذ اني اذكر وانا ذاهب الى باريز اني مررت في املاك
الازراس والى جانبي فتى لا يتجاوز العشرين وهو فرنسوي التبعة فقلت هذه
الازراس التي لفرنسا فاجابني بل التي كانت لفرنسا وهي اليوم لالمانيا وكان
جوابه بجملة لا اخال ان المانيا ياتيها مع ان كلامي كان مجرداً من كل
غاية فقلت له هل انت الماني قال انا فرنسوي وابي الماني الاصل
اما حزب هذه السياسة الرابعة فقد انحط حتى لا يقوى على التمسك
بمبادئه حيث لا يرى حزباً من الثلاثة يوافقه وهذه خلاصة السياسة الروسية
الخارجية عامة والله تعالى اعلم

وكتب في ٣٠ اكتوبر من برلين

لو بحثنا في احوال الشعوب في اوربا وزيادة عددها بالتوالد لرأينا الروسية
أننى كثيراً من غيرها وقد حسب العارفون ان الروسية اذا استمرت في
سلام اصبح عدد شعبها مائتي مليون نفس وهو ما دعا كثيرين من كبار
رجالها الى التمسك بالسلام والاعضاء به على امل ان لا يمضي زمن حتى
تصبح قوة الروسية في منتهى العظمة

قابلت في عودتي الى برلين بعض كبار الساسة فاستفهمت منهم عن اهم
الاخبار واحوال السياسة فعلمت ان المانيا لا تعارض الروسية في مسألة بلغاريا
على الاطلاق وليس من رغبة بسمرك ان يشتد الخلاف بين دولته والروسية
لما يراه من هياج العامة في الامتين ولا سيما عند عامة الروسيين التي استاءت
جداً من خطة الجرائد في المانيا بشأن المالية الروسية مما الجأ حكومة بطرسبرج
الى اتخاذ تمحولات جمّة لم تكن من رأيها في بادئ الامر

في الروسية معروف برجل السلام كما ان اغنايف معروف برجل الحرب وهو ايضاً ذو مكانة عليا في الروسية ولا بد من يوم يكون لاغنايف فيه شأن مهم في سياسة الروسية ولا سيما اذا التقت السيوف في ميدان القتال اما جيرس فبروتستاني المذهب وهو دليل على ان الروسية لا تلتفت الى المذاهب وقد كان سلف غورتشاكوف بروتستانياً ايضاً وكان مع ذلك اعظم ساسة الروسين واحبهم الى الشعب ومن مباديء جيرس حسم المشاكل بالحكمة فهو لا يندفع في امر مخافة عواقبه بحيث كان سلمياً محضاً

اما السياسة الثالثة وهي سياسة كاتكوف فروسية اولاً من حيث وجوب التحالف مع فرنسا وعلان الحرب على المانيا ثم هي قد نجحت كثيراً في هذا الشأن الا انها توقفت في القسم الثاني اي التحالف والحرب وتأيد نجاحها في الميل الى فرنسا وحسبان المانيا خصماً للروسية ألد . اما موت كاتكوف فلا يغير من مباديء سياسته دليل ان جريدته كانت تصدر على وتيرتها السابقة وهو في حال المرض من اشهر وقد تولى اعمالها مكانه تلميذه وسياسته هذه هي سياسة حزب السلاف عامة وهو الغالب في الروسية ولذلك نرى ان لا بد من استمرارها لما يترتب عليها من الفائدة لهذا الحزب ولا سيما وقد أيدت الحوادث مبادئه وبرهنت على ان سياسة الاحزاب الماضية كانت عثرة في سبيل نجاح الروسية وآلة استخدمها اخصامها للايقاع والاضرار بها

تلك تفاصيل السياسات الثلاث وتوجد سياسة رابعة وهي الميالة الى التحالف مع المانيا واصحابها قليلون جلهم من اصل الماني لا يزال يدور في عروقهم بعض الدم الجرمني بالرغم عن انهم روسيون ومثل هؤلاء لا تكاد

لبسرك كيف انه لم يخدم الا اوستريا في كل ما فعله الى الان وكانت مسألة بلغاريا أقوى برهان فقوي حزب كاتكوف الذي كان مقرباً جداً الى القيصر وهاج الرأي العام في الروسية ونادى ان عدو الروسية هو الالماني وان وجبة الروسية ومرمى سهمها برلين لا الاستانة ولا ويانه

اما القيصر فمع ميله الى فرنسا لم يشأ ان يحالف جمهوريتها محاللة هجوم ودفاع ولكنه رأى ان مصالح الدولتين واحدة فتعاقد رجالهما في السياسة ولو كان في فرنسا ملك لم التحالف بلا تردد بل كيف لا يكون التقرب طبيعياً وفرنسا نافرة من انكارتا والمانيا وهما لا تميل اليهما الروسية فضلاً عن ان مصلحة الدولتين واحدة في أكثر المسائل

وخلاصة الامر ان سياسة الامبراطور روسية. أميل الى فرنسا منها الى غيرها من الدول فضلاً عن انها سلمية الا اذا مست مصلحتها او شرفها ثم هو فوق ذلك دائب في تحسين البحرية والعسكرية ولا يدع لاحد عليه نفوذاً في سياسته بين خارجية وداخلية لان من طبعه الاستقلال في الرأي فكيف يقبل بسمر ك ولياً لامره وهو خارجي

اما سياسة جيس فاشبه بسياسة القيصر وبالتالي كلتاها واحدة. ولكنه لاستحالة عقد تحالف مع فرنسا لما يعلم من عدم حب القيصر ان يحالف جمهورية ولو كان يميل اليها أكثر من سائر الدول اراد ان يتحاشى النفرة مع المانيا حتى لا تكون ثم اسباب موجبة للخلاف فهو بذلك لا يميل الى التحالف مع المانيا كما يزعم البعض وهو غير مطلق الارادة وما حالته مع القيصر الا كحالة الصدر الاعظم مع جلالة السلطان

ثم ان جيس عامل على تسهيل كل العقبات ولا يرغب في الحرب فهو

والثانية سياسة روسية لا تظاهر في العنان دولة أكثر من أخرى وهي سياسة جيرس والثالثة تحالف مع فرنسا ضد المانيا وهي سياسة كاتكوف زعيم السلافين ونحن شارحون هنا الاحوال الثلاثة

ان القيصر جل همهِ البحرية والجيش وهو يسعى الى اتمام عمارة البحر الاسود مخصصاً لها معظم الميزانية ولذلك لا تمضي بضع سنين حتى يكون أسطول البحر الاسود من أمنع اساطيل الدول وهي حكمة من القيصر اذ ان الحاكم العاقل من نظر الى تقوية الضعيف لديه ليأمن شر كل غائلة وليست تخاف الروسية على املاكها من مهاجم الا من البحر الاسود ولهذا تسمى في الاتحاد مع العثمانية ثم لما كانت تعلم ان للسياسة ثقلبات شتى وليس من الحكمة ان يكل الانسان امره الى غيره سعت في تعزيز هذا الاسطول وما هو في الحقيقة الا لتقي نفسها من انكاثرا التي كلما استحكم النور معها هددتها في تلك البقاع وقد علمت عن ثقة ان الهمة المبذولة في هذا السبيل ستبيل القيصر امنيته فيصبح مستريحاً من هذا النحو واما الجيش فهو يستعرض منه كل اسبوع قسماً حتى كاثني به ابدآ في ساحة القتال

وقد قصد بذلك ان يصرف سني السلام في هذه الزاية على ميله اليه وقلة وده للحرب الا عن ضرورة اذا تجرأت دولة كبيرة على مس شرف الروسية ولكنه لا يهتم لاسكندر باتنبرج ولا لكوبورغ الا انه لا يتأخر عن الحرب عندما يرى من اوستريا سياسة تمس الروسية . وقد عرف هذا القيصر قوة الروسية وكيف استخدمها بسمرك الذي اضر بها أكثر جداً من اضرار سنة ٥٦ بحمله اوستريا خصماً عنيداً لها في سيدل سياستها الشرقية ورأى حالة فرنسا العسكرية على استمرار في التقدم فقال بالغاء التحالف الثلاثي وبين

من أنها لا يسعها اعلان حرب بعد الحرب الاخيرة فاخذ بدهائه يستميلها اليه بكل الوسائل وكان له من القيصر السابق عضد قوي لأنه كان ميالاً للاتحاد مع المانيا ولا سيما لما بينه وبين امبراطورها من المودة والقربى فلما قتل الاسكندر الثاني تنبه بسمرك لامره لما يعرفه في اسكندر الثالث من حب الاستقلال السياسي فعمل على استمالة العثمانيه اليه ففقر بذلك سياسياً اذ ادخل رجالاً المانيين في خدمة العسكرية مؤملاً بذلك استخدام قوة الدولة العلية لاغراضه وكفى بذلك امراً ينبه افكار الروسية

اما اسكندر الثالث فظهر سياسياً حكيماً واراد ان يخطي بسمارك فمال الى المانيا اكثر من ميل والده وعاهدها وحالفها مرة رسمياً ومراراً شبه رسمي وكان آخر محالفاته المعاهدة الثلاثية التي تمزق شملها في اوائل هذه السنة ولقد احكم الاسكندر في سياسته فانتقم من انكلترا في آسيا ونال بسنين قلائل بما لم تنله الروسية في اعوام كثيرة واستوقف اعمال البلقان على حالها الحاضرة منتظراً انتهاء الفرص فسر لذلك بسمرك الا ان الروسية بعد تفحصها كل هذه الاحوال رأت من الواجب ان تسن سياسة جديدة غير الاولى تكون للروسية لا لغيرها اي لا تكون آلة في يد بسمرك قم لها كل ذلك واصبح بسمرك لدى تحالف فرنسا والروسية من جهة وقلق سياسته السلافية من جهة أخرى اذ رأى ان الروسية ادركت الامر وسعت في تداركه ولا بد من نجاحها

تلك غايات بسمرك في الاحوال العمومية والاحوال السياسية الحاضرة واذا نظرنا فيها نظرة المتمعن جمعناها في ثلاثة اقسام الاولى سياسة روسية محضة أميل الى فرنسا مما كانت قبلاً بغير عهدة او تحالف وهي سياسة الامبراطور

نيران القتال واسهل مطامعها في تركيا فتتفر اوربا منها فانتهم ذلك فرصة لتحقيق الالماني

اما آماله فهي كنف التيار السلافي وقسمته الى شطرين فاذا أوقفه بحرب تدخل فيها أقوام أخرى استحال عليه نيل ما يأمل فضلاً عما يكابده من الخسارة الادبية اذ لا توافق الحرب وحدته الالمانية وبذلك رأى ان يستخدم السلاف انفسهم لمحاربة بعضهم بعضاً ورأى ان اوستريا في قبضته وهي ضعيفة واهية والسلاف فيها كثيرون جداً وعندها بقية من الالمان فقال أدخلها في اطماع الشرق كخليفة للروسية فتتفر الروسية بها ثم لا يمضي قليل حتى تنحسما فتقسم القوتان ولا سيما اذا ساعدتني الظروف

تلك كانت خطة بسمارك فشد عزم الروسية لمحاربة العثمانية ثم ما لبث ان استخدم ضعف الروسية ولو ظافرة من جهة ونفوذ الدول من جهة أخرى فكان من نتيجة ذلك عقد عهدة برلين وادخال اوستريا في اطماع الشرق باخذها البوسنة والهرسك ووجودها امام الروسية في جميع المسائل الشرقية مما شدد الجبر في مبادئهم لما بينهم وبين الروسية من التنافر بسبب عضدها للاسرة المالكة في اوستريا ضدكم ولولا ذلك لالت هناريا بالاستقلال السياسي وفازت على اوستريا

ثم لم تنته اوربا من عهدة برلين حتى رأينا عامة الروسيين في هياج عظيم فعاد غورتشاكوف كثيراً يضرر الشر والانتقام وفاز بيقنس فيلد واندراسي بالبوسنة والهرسك ونالت الشعوب الاخرى استقلالاً كاملاً ونال بعضها نصف استقلال او ما يقارب الاستقلال الكامل وابتهج بسمرك ولكن ابتهاجاً يمازجه الكدر لانتظاره ما سيكون من الروسية وان يكن في ثقة

تساعد بها الامور العمومية على سيرها والمستقبل صاحب القول الفصل في كل ذلك والله تعالى أعلم بالصواب



سنة ١٨٨٧

كتب من بطرسبرج في ١٣ اغسطس عن السياسة الروسية ما حققت اكثره الايام ولا سيما التحالف مع فرنسا

لقد أبقيت رسائي في سياسة الروسية الى ان وقفت على الاحوال وقابلت كثيرين من الساسة بين روسيين وغيرهم وموظفين وغير موظفين فجمعت ما وقفت عليه منهم في رسائل عدة ابدأ بها منذ الان لان سياسة الروسية تهم الشرق أكثر من سواها من الدول

ان للروسية تقاليد مقدسة يرى كل قيصر وسياسي روسي ان لا بد من احترامها والسير بموجبها عند حلول الفرصة ولهذا ندد العارفون بنورتشاكوف وهو في برلين بسبب المعاهدة التي عقدت فيها لان شيخوخته قد مكنت أولي النايات من نيل مآربهم اذ سهل لبسرك تحقيق امانيه في المبداء مما جعل الروسية في حيرة من تلك الساعة فتقلبت في اطوارها السياسية املاً بتدارك ما خشيت منه ولا تزال سائرة على هذه الوتيرة مؤملة النجاح

وقد استخدم بسرك الروسية وفرنسا سنة ٦٦ قفاز بسياسته على اوستريا ثم استخدم اوستريا والروسيه ضد فرنسا فالرغبة سنة ٧٠ واصبحت المانيا صاحبة الشوكة والصولة الا انه أنس من مركزه الضعف في جانب دولة قوية كالروسية فقال اصلي

حتى انحصرت التجارة في أيدي ابنائها وليست مقاصد بسمرك هذه بخافية
عن رجال الانكليز ولا أظن مصلحتهم تخولهم اسعافه الا مراعاة للاحوال
الحاضرة حتى اذا سنحت لهم فرصة لمعارضته قاموا اليها فاغتموها وهو ليس
بالامر الحديث في سياسة انكلترا

ذلك ما رأينا ان نيينه للقراء من دواعي سياسة بسمرك وللسناظن الاسباب التي
تمنع انكلترا اليوم عن معاكستهاستدوم بل نحن على يقين من انها ستحول مع الزمن
الزمن الى مصلحتها الخاصة . اما اوستريا فهي وان يكن لها من سياسة المانيا بعض
الربح فلا بد لها من الجري على هذه الخطة يوماً واما ايطاليا فهي وان لاح لها انها لم
تستفد من الزلفي الى المانيا شيئاً فلا تقدر على معارضتها بل تلزم الصبر على
مجامرها لعلها تصدق معها مرة واما فرنسا فهي دولة لا نفوذ لبضاعتها في
جانب تجارة المانيا لشدة البخس في ائمانها وعلى ذلك فقد كان السلام احب
اليها فلزمت جانب المراقبة والترصد فلا تغفل عن الفرصة عند حلولها

ولكن الروسية لا تقبل بذلك فلا بد من ان تعمل على تعديل هذه
السياسة اذ يسؤها جداً بعد حروبها الجمة ان تنحصر الارباح في المانيا ويأخذ
مركزها هي دولة غيرها فهي وان رضيت بالحوادث الاخيرة على علمها ان
نتائجها مضرة بمصلحتها فليس ذلك منها الا محبة للسلام الذي تقتضيه مصلحة
اوربا جميعاً

فاذا عرفنا كل ذلك قلنا هل بوسع بسمرك اجتناب اسباب القلاقل
ومداركة كل حادث يد في وجه الروسية كل باب ام ليس بوسعه . وعلى
ما نرى انه لا يقدر على ذلك لا لضعفه بل لان رضى الدول به عن قسره كما
يناه فضلاً عن ان لكل دولة من الحوادث الداخلية ما يلجئها الى حوادث

ولقد وضعت حرب السبعين المانيا في مكانة فوق الحسبان وعرف بسمارك فضل ذلك فاستخدمه لغاياته فكان هو صاحب حرب السلام فتابع سيرته فيه حتى نجح نجاحاً بيناً في أكثر من جهة كما هو معلوم ثم انصرفت انظار المانيا اليوم الى تدبير حرب السلام في جهات المشرق كما ترى

وقد علم بسمارك ان الحرب مضرّة بمبادئه كيف كان مبدأها فعمل في منعها بدعوى انه يوطد السلام فتجّح غير مرة ، ثم حوّل انظاره الى جهات المشرق ورمى ببصره الى ما يمنع حدوث الحرب قصار بالرغم عن الحوادث وما غايته في كل ذلك الا توطيد سلطته الادبية في ممالك البلقان والمملكة العثمانية واوستريا نصيرة له في كل تلك المطامح حتى اذا تأيد له ذلك عمد الى تسهيل الرواج لمصنوعات بلاده في تلك الانحاء وعمل على انتشار مبادئه الاقتصادية الى ما يروج بضاعته الالمانية ويعود عليها بالارباح الكثيرة ويحصر ذلك في مصلحة مملكته فضلاً عما يكتسبه من هذا الامر من اضعاف نفوذ كل دولة غير دولته وتأيد سلطته الاولى في العالم السياسي ومنع ما يحدث من مهددات السلام وفضلاً عن الارباح التي تنالها مصنوعات المانيا . تلك هي سياسة بسمارك في المشرق فهو فيها كغيره من رجال السياسة لا يصنع امراً ما لم يكن فيه على ثقة من الفائدة لوحدة مملكته ومصلحة امته

ومعلوم ان اوستريا على اتفاق معه في ذلك وله من ايطاليا بعض العضد ومثله من انكلترا كما يرى اصحاب السياسة ثم اذا صرفنا البحث الى اسباب الثنى والثروة في انكلترا وجدناها نتيجة هذه السياسة ايضاً فانها قد عملت على تأيد السلام الاوربي واستخدمته بما لها من النفوذ في تأيد مبادئها الاقتصادية

وقال في ١٩ جونيو عن الحرب السلمية ما ثبتت حقائقه على كروور الايام واصبح محور الدول الراقية في سياستها

لو نظرنا في احوالنا العمومية نظرة متمعن لحكنا على النور باننا في حرب دائمة ثم لو بحثنا في اسباب هذه الحرب لوجدناها محصورة في الطمع بالكسب وهي على نوعين حرب سلاح وحرب سلام فتختص الاولى بطلب الانتقام وافتتاح البلاد حيث تسيل النفوس على ظبي السيوف وشبا الاسنة فتقف حركة الاعمال اي وقوف وتبور سوق التجارة اي بوار الا ان ذلك لا يتمادى امره طويلاً حتى تعود الاعمال الى مجراها فيمتاض الخاسرون ما خسروه وهلمّ جرّاً الى اصلاح كل ما فسد كما لا يخفى

اما حرب السلام فاشد نكايه واعظم ضرراً لطولها المتناهي بحيث يطرد مثيرها اضرها طويلاً فان نجح اضر بكثيرين وسبب دماراً للعمل ولمن يحاربونه فيه وعلى ذلك فهي مع تراخي المدة وطول العهد اشد ضرراً من الاولى من حيث المادة وان يكن وجه الشبه بينهما قريباً اذ لا يفوز صاحب حرب السلام ما لم يكن له من النفوذ ما يسهل له اسباب الفوز ومن دون الوصول الى ذلك النفوذ حرب عوان تثير فيها الخيل غباراً ياخذ باطراف العنان وسيوف خداد تحاك لها اغماد من دماء الفرسان وصرف اموال طائلة كان العمران احق بها من اسباب قتل الانسان

فلو اخذنا سياسة الروسية وحروبها وجدناها كلها لا تعدو عنك الدماء ثم اذا نظرنا الى مركزها بعد ذلك لم نجد فيه ما يوازي الدم الذي صرف في سيدل نيله ولا المال الذي اتق في طريق الوصول اليه ولا سيما بعد عرفاننا النتيجة

الواحدة للآخرى . ومن هذا القليل ما جرى في الايام الاخيرة فان اوستريا كانت تود ابتلاع سربيا لو لم ترَ الروسية بالمرصاد لها وهذه كانت تود ذلك لولا خوفها من النزوع الى اعلان حرب ضد اوستريا بل ضد السياسة العامة التي تميل الى تأييد السلام وخصوصاً سياسة الدول الشمالية فاضطرت اوستريا والحالة هذه ان تسهل لشعوب البلقان تأييد استقلالهم لتحول بذلك دون اطماع الروسية

اما الروسية فانها وان تكن مصالحها تضطرها الى اطراد سياستها الحالية في البلقان توصلاً الى ماتنويه في المسألة الشرقية فالحالة الاخيرة تقضي عليها بقبول ما ترسمه الحوادث حتى تتأيد مبادئ البلقان الاستقلالية وتدخل المسألة الشرقية في طورٍ جديدٍ . ولجل ذلك حوات وجهها الى اعمال آسيا اذ ليس لها ثم مزاحم بخلاف البلقان . وبمد ان كنا نخشى الروسية وسواها من الدول العظمى في الجبال البلقانية أمنا منها نوعاً وأمست النوبة فيها لشعوب البلقان انفسهم

ولقد ظن بعض الكتاب ان في الامكان توحيد الامارات البلقانية وجعلها تحت حماية الروسية او المانيا او الدولة العالمة ولكن ظر للمدققين ان ذلك كان ممكناً قبل الحرب الاخيرة اما الان فتمتذر مطلقاً وان لا بد من توحيد هذه الامارات ولكن دون خضوعها لحماية دولة ما كما ظن هؤلاء الكتاب بل ستكون هذه الوحدة ضد اطماع اية دولة اوربية رامت شراً في شعوب البلقان ومن يش ير .

الدستور الانكليزي فبمطالعة الرسمية من جهة وخطب وزرائه من جهة اخرى يقف العموم على ما هنالك من السياسة وان يكن يخفى بعضها وبعض العلم خير من الجهل



وكتب في ١٦ ابريل عن الدول البلقانية ما لا يزال ينطبق على حالها الى اليوم اصحة الحكم فيه

اذا تفحصنا حالة الشعوب البلقانية وراجعنا حوادث كل مملكة وامارة منها قبل الحرب العثمانية الروسية الاخيرة وبعدها بان لنا بجلاء انها كلها انما سعت وتسعى الى غاية واحدة هي الاستقلال وما وسائلها الا الاعتصام بهذه الدولة او تلك المملكة بحسب اختلاف الظروف

ففي بادئ الرأي كانت رومانيا آلة صماء في يد الروسية واليونانية قبلها وسربيا بعدها ولم يكن للدول ما خلا الروسية نفوذ في شبه جزيرة البلقان ولبتت الحالة على هذا النمط حتى استقلت رومانيا وسربيا واليونانية فاخذت كل منها تزلف الى دولة اخرى لا عن ميل قويم بل للتخلص من الروسية وللحصول على الاستقلال القلي وعلى هذا الطريق سلكت بلغاريا اخيراً فجاء ذلك مصداقاً لما اثبتته الكتاب العظام من ان النصر الحلي لا تقوى الحوادث على امامته بل على اضعافه ولكن متى سنحت له الفرصة نشط الى العمل فنال ما يرغب فيه

وبناء على ما بسطناه يعلم ان لا بد لهذه الشعوب من ان تتفق على مبادئ واحدة لتؤيد استقلالها وتمنع اي تداخل اجنبي على وجه لا يوجب تعرض

كلما اتت فرقة عثمانية تنجلي لها فرقة انكليزية وهكذا حتى يستبدل جميع الجيش غير ان العثمانية أبت ذلك بحجج اشبه بحجج يوم الثورة العراقية التي كان من عاقبتها ان دخلت الجنود الانكليزية الى مصر والله اعلم بما سيكون من نتائج هذه الحجج الاخيرة

وقد ادعى لذلك مرخص العثمانية ان ارسال جيش الان من المستصعبات لاضطرار الدولة بعمده الى جمع غيره وهو مستحيل في الحان غير انه قد يمكن التحصل على جيش متطوع ولكننا لا نجزم بذلك لما يحول دون جمعه من الصعوبات . تلك هي الاسباب الظاهرة التي اعلنها المندوبون العثمانيون والله اعلم بالسرائر على انها كيف كانت فلا تخرج عن دائرة اللوم

واعجب من ذلك اننا نرى اليوم الدولة العلية تتحمل اثقال المصاريف مع فراغ خزينتها لمنع فقدان قيد باع من ارض هي من اشد اراضيها جدباً فكيف تسنى لها جمع جيش كثيف لحفظ تلك الارض وتبذر عايتها تعيين قسم منه لمسألة مصر التي هي اهم المسائل وكفى اب مصر هي قلب مملكتها وبأي لسان تلوم الانكليز وهي المسببة لهم اطالة مدة احتلالهم فضلاً عن الملل السابقة واللاحقة . انا لله وانا اليه راجعون

او لسنا نعلم ان قوة الانكليز في قطرنا قائمة بالسيف فقط وهو ما خولهم مركزاً عظيماً تجاه اوربا القادرة وحقوقها الثابتة ألم يكن ذلك اولى بالدولة العلية ام لا يدري رجال السلطنة ان هذه السياسة مما يضيف قلوب العثمانيين في كل انحاء المملكة اذ يرون ان ما كان سبباً لهبوط نفوذ المملكة العثمانية في مصر ممكن في غيرها من الجهات وهي حالة لم يكن في ودنا ان نعلمها ولكن ابنت تقاليد الانكليز الا ان تكشف الخبآت وانا لا ننكر فضل

ولقد ظن رجال السلطنة ان فض المشكلة مع الامير اسكندر تبعاً لما
نقول انكثرا يكون فيه خدمة صادقة للدولة العلية لوضعه حاجزاً حصيناً دون
اطماع الروسية ولكن فاتهم ان هذه الدولة تدرك ما ادركناه فلا ترضى بما
نقول وهي أقدر من سواها على الانتقام ويؤكد كثير من المدققين ان
الروسية قد نزعت في سياستها اخيراً منزعاً جديداً لم يكن الا لنكاية انكثرا
وان ما من حيلة لتدارك الاضطراب وملافاة الخطب الا اذا غني الشيخ
الفاضل غلادستون بذلك لما بينه وبين رجال الروسية من حسن الصلات
فان لم يفعل فلا ينحصر خوفنا في فتح ابواب المسألة الشرقية فقط بل من
فتح مسألة افغانستان ايضاً

وان اباءة الروسية إرسال سفنها الى حيث سفن الدول برهان متين
يؤيد ما قلناه وانا لا نزال نقول انه متى مالت الروسية عن سيرتها المخلصة
في سياسنها الشرقية كالتى كانت في بدء مسألة الروملي فهناك نخشى من الحرب
الدائمة او من زيادة الارتباك الى حد تعجز معه الوسائط السلمية والتظاهرات
الدولية



وكتب في ١٥ فبراير عما آلت اليه بعثة السير درومند وواف

كلما اجلنا النظر في مطالعات بعثة السير وولف الرسمية تبينا فيها
أموراً جديدة تقبض لها القلوب وتياأس منها النفس كيف لا وقد اعلن السير
وولف لهندوبي الدولة العلية ان احب شيء لانكثرا الجلاء عن مصر على
شرط ان يستعاض عن جيشها بجيش عثماني ثم لكي يسهل الامر قال انه

في حزب المحافظين ويرجع المنشقون من الاحرار الى ظل غلادستون وتساوى
قوة الاحزاب فيستحيل سير اية حكومة كانت حتى لا تبقى ندحة عندئذ
عن حل البرلمان وقد لا تكون نتيجة الانتخابات باحسن من النتيجة الحالية
وهي مسألة دقيقة لا ينال منها احد الحزبين اقل فائدة

ولا نرى لانكلترا غنى عن حسم النازلة الايرلندية ونظن ان حسمها
يجعل بريطانيا في مركز سياسي أقوى من مركزها هذا ولا سيما في سياستها
الخارجية فان تغير الحكومات او ضعف احداها وعلى الخصوص في بلاد
كانكلترا وفرنسا يجري فيها الدستور النيابي مما يفقد تلك الحكومة كثيراً من
شوكتها ونفوذها في الاعمال الخارجية وهو ما ينادى كثيراً في رسائلنا وبودنا
ان تسمى الدولتان في حسم مشاكلهما وتتأقدا على تأييد السلام فانه مما يجلب
لشرقنا خير الفوائد



وقال في ١٠ فبراير عن المسألة البلقانية ابان اشتدادها على اثر حرب البلغار والسرب

لا تزال اخبار المسألة البلقانية شغلاً شاعلاً لافكارنا وخوفاً مستمراً لقلوبنا
من تحقيق الطور الذي تكلمنا عنه من قبل فان سياسة الدول في مسائل
الشرق لم توجه قط لمصالح شعوبه بل لمصالحهم الخاصة وهو امر متتابع لم
يعرف رجال الشرق ان يستفيدوا منه بل نرى انفسنا يؤدي بنا الضعف الى
الاستسلامك باسباب واهنة نتوهم بها العوض عما فات ثم تأتي النتيجة على
عكس امالنا تماماً كما رأينا في مسألة الروملي الاخيرة

فجزل وكان هذا اول نتائج البعثة الافريقية والله اعلم بما ستكون نتيجة العمل
 الاخير ولعلها ستأتي اسوأ من الاولى واليك البرهان
 قلنا ان ايطاليا قصدت بذلك غنيمة باردة فوقت منها على بلية عظيمة
 ولقد تسرت قليلاً بالسلطة المصرية فكفت بذلك أيدي الحبشة والعربان
 المجاورة حتى برح الخفاء فاضحوا امامها لا يمنهم عن الانتقام مانع ولا سيما
 ملك الحبشة وقد مزق سواه تلك المهدة المشهورة فلسنا نراه يرضى بوجود
 دولة عظيمة تقبض على مفاتيح بلاده وتحمي فرضتها الوحيدة بل لا
 نستغرب اتحاده بالعربان لمقاومة ايطاليا ومن ثم تقوم في وجهها الصعوبات
 وتشعب العقبات فلا تكون هنالك اقل ارتباكاً من انكثرا في السودان وفرنسا
 في التونكين على علمنا بانهما اقدر منها على تحمل المشاق والنفقات لالفتها اياها
 دون ايطاليا

سنة ١٨٨٦

قال في ٧ ديسمبر عن سياسة انكثرا في ارلنده وهو احكم ما يقال في هذا المعنى ولا
 تزال الحوادث الى الان تؤيد صحة رأيه فيها

أخذت مسألة ايرلاندا الاهمية الاولى في سياسة انكثرا وانبرى الحزبان
 الى العمل فيها واخذت الحكومة في استعمال الحزم وقد تضطر الى استخدام
 القانون الاكراهي ولا بدع ان يكون نواب ايرلاندا عاملين على تحقيق ذلك
 لتأكدهم ان الاكراه يستلزم فتح ابواب المسألة الايرلندية فيقع الخلاف حتى

وهو قول تعز به كل دولة حاضرة بعد فقد الموازنة الاوربية ثم لم نعجب
لعلمنا بان ايطاليا لم تذهب الى مصوع الا لهذا او لثله فقامت تتربص لنفسها
نهزة العمل حتى رأت اوربا والدولة العلية في شاغل في البلقان وانكلترا في
اعتكاف على الانتخابات فاغنمتها غنيمة باردة ولكن على غير خبرة او سياسة
وهو شأن كل ضعيف طموح اذا ربح ما يوازي ذرة استكبر وعنا ولعله لا
تتال من هذا الربح القليل الا خسائر باهظة

واقدم احفظ حكومتنا الخديوية هذا النبأ المرسل اليها من محافظ مصوع
بطريق سواكن فاجتمع حضرات النظار عند الجنب العالي وتفاوضوا في
شأن هذا الامر فقرروا اقامة الحجة ثم ابلاغ الجنب السلطاني بالواقع وعلمت
ان قد كتب الجنب العالي للذات الشاهانية بمحصل الخبر ومجمعه

اما الباب العالي فلا نراه مستعداً لمناوأة ايطاليا في الحال ولا نعلم ما
سيكون منه دون اقامة الحجة واما اوربا فامامها شغل شاغل اهم من نقطة
مصوع فلم يبق علينا الا ان نرى ما ستجريه ايطاليا فنقول

غراً هذه الدولة الزور والطمع قامت مصوع لاقامة مستعرة فسيحة
الجوانب مخصبة الارض وخيل لما ان مجرد احتلالها مصوع يتيحها هذا
المرغوب ولم نزل نذكر من لفظ جرائدها وخطب وزرائها ما يكون برهاناً
على كلامنا مما عارضناه في حينه بحجة ان منية الامر سيئة من كل وجه
ثم لم يمض بضعة اشهر حتى رأينا ارواح العساكر تتطاير الى ربها زرافات
لرداة الهواء والحامية تقاوم فيما بين ذلك الاهوية ونفور القبائل القريبة حتى
هاج الرأي العام الايطالي فطلب اذ ذاك عزل السنيور مانشيني وزير الخارجية

ضباط من ضباط السلطنة لندمجوا في سلك الجيش المصري . فهذا الشرط مع كونه اضمن جميع الشروط لمصلحة السلطنة قد حوروه لاسباب واهنة قيل ان في جملتها الخوف من اولئك الجنود العثمانيين الذين يدخلون في سلك الجندية المصرية يبتون في التركية روحاً ثورية لانهم يستوفون من مصر رواتبهم تامة في اوقاتها خلافاً لما كانوا يعاملون به في الجندية التركية . وعندنا ان كل ذلك لا يعول عليه وان تحويل هذا البند كان مضراً جداً

واهم ما في الوفاق المذكور اعتراف دولتنا باحتلال انكلترا مصر حتى تنظم احوالها . فهذا الشرط دقيق وله توجيهات عدة لا تخفى على المدقق ولكننا مع اقرارنا بارجحية فائدة هذا الوفاق لانكلترا اكثر منها لنا لا نياس من ادراك المرام ومرجوننا ان يحقق دولته المختار املنا فيذهب بنا من بحر الخوف الى ساحل الرجاء ويرينا للوفاق المذكور فائدة تذكر فتشكر وليس ذلك على همة دولته بعزير



وكتب في ٧ دسمبر حين احتلت ايطاليا مصوع وفيه اشارة غريبة الى ما وقع بعد ذلك من الحرب بين الحبشة وايطاليا

اهم اخبار اليوم ما انته ايطاليا من انزالها الراية المصرية في مصوع وإجبار حاميتها على الجلاء واحتلالها المدينة مدياً بعد اذ كانت احتلتها عسكرياً فعجبنا لاندفاع هذه الدولة على نقض المعاهدات ونبد الحقوق والمواثيق على علمها بان مصوع جزء من مصر وبالتالي عضو من المملكة العثمانية فباي حق ساغ لها ذلك وبأي دسئور تجرأت عليه الا بقولها ان القوة قبل الحق

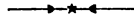
لغايات أخرى . ولا مرء ان الشعب المصري بدأ منذ الان بمراقبة اعمال المندوب الانكليزي وكذا الرأي العام الاجنبي وهو ينظر الى الافعال لا الى الاقوال

وقال في ١٦ نوفمبر في نص الوفاق الذي عرضه السير وواف

وقفت على شذرات من الوفاق الانكليزي العثماني فبعثت بها اليكم واسترسلت منها الى الكلام في جوهره وملخصه فجاء طبقاً لما نشرتموه عن التمس ونقلتموه عن مكاتيبها في عواصم اوربا . ثم قد ساعدني الحظ اليوم فاستحصلت على بنوده باسرها فتلوتها واحدة واحدة فرائتها منطبقة على ما لخصتموه منها في عدد يوم السبت . ولا يخفى على القارئ ان اهمية الوفاق المذكور محصورة في ثلاثة أمور اولها ان الجناح الخديوي والمندوب العثماني يريان في حسم النازلة السودانية ولكن يجب تصديق المندوب الانكليزي على ما يقراره . وثانيها ان ينظر المندوبان بالاتفاق مع الجناح العالي او المندوب المصري في تنظيم احوال الادارات وترتيب شؤونها . وثالثها ان يرفع المندوبان العثماني والانكليزي تقريراً وافياً الى حكومتيهما بعد ان تحصل تخوم مصر على الامان والسلام وتأيد حكومتها تأييداً حقيقياً وعندئذ ترى الدولتان في ابرام وفاق يخوي على شروط الانجلاء وكيفيته

فاذا تأملنا في جوهر هذا الوفاق وجدناه دالاً على مهارة السير وولف لكونه مفيداً لدولته اكثر من افادته لنا لعله ان ما يمكن تنظيمه لا يعتبر ما لم يصدق هو عليه . ولقد ساءنا من ذلك ان أسقطوا من نص هذا الوفاق ما كنا علمنا به قبلاً عما يتعلق بتنظيم الجيش بان يؤتى بالفي جندي عثماني مع

تصيب فائدته' سواهم بل يحسن ان تلقى الضريبة على الاطيان بالانصاف
وسايفض في هذا الموضوع برسالة أخرى



وقال في ٣٠ أكتوبر حين وصول السير درومند وولف الى مصر مرسلأ لحل
المسألة المصرية بالاتفاق مع دولة الغازي مختار باشا

وصل السير وولف الى مصر يحمل صورة الوفاق العثماني الانكليزي
المقصود به تحقيق الاصلاحات المنشودة المهدة سبل الجلاء عن مصر بناء
على ما يرجوه العثمانيون وتوصلاً الى تحقيق ما يقوله الانكليز في منابر الخطابة
وصحف الاخبار

ومن البين ان انكثرتا لم تقصر الى الان في تفحص المسائل المصرية
ولكن المتفحصين قصروا في واجباتهم اذ احتقروا النير وعملوا على انفاذ مآربهم
فتعذر عليهم نيل ما سألوا وكان من وراء ذلك ان نفرت مصر واوروبا
منهم وطلبت الثانية وجوب احترام حقوقها والمحافظة على المواثيق الدولية فلم
يسمعهم الا القبول بطلبها وكان لنا من الوفاق المالي برهان صريح على ذلك
أجل ان رسل انكثرتا لم يختم عملهم بالنجاح لانهم اشتغلوا بالمصلحة بلادهم
فقط فلم تظهر نتيجة تذكر لاعمال اللوردين دوفرين ونزبروك . اما الان وقد
اتانا السير وولف فاعين الجمهور تحقق به فاذا وجه وجه عنايته الى خدمة
مصلحة بلاده فقط تحت ستر التظاهر باصلاح شؤون مصر واحترام السيادة
العثمانية فسدت النتيجة حالاً والعكس بالعكس فنجاحه ' إذن متوقف على اخلاص
نيته ونية حكومته لان اصلاح شؤون مصر سهل على شريطة ان لا يستخدم

جارية في اوربا بكثرة ثم أُلغيت تماماً وان عدد الذين كانوا يستخدمون للسخرة في مصر قبلاً يبلغ اربعة اضعاف عددهم الحالي ومع هذا وذاك لم تتوقف الاشغال في الجهتين حين قالوا بان لا غنا لمصر عن السخرة . واما اعتراضهم على فساد العمل فان حسن الادارة يكفل الضبط والربط معها كانت الموانع

وان لنا بالناء السخرة تخفيفاً مهماً عن الفقراء تلقاء ما يتحملونه من التعب وانفاق الدرهم لمرضاة هذا الكاتب وذاك المهندس وذلك الشيخ فضلاً عن استخدام المشايخ اياهم بالسخرة في اراضيهم . ولا خفاء ان التمسك بعدم الغاء العونة يدفع الاوربيين الى سوء الظن بنا فيقولون ان ذوات مصر ونواب البلاد لم يأنفوا من الغائها الا رعاية لمصلحتهم الخاصة لانهم اصحاب اطيان واسعة

وبناء على ما ذكر نرى ان الحكومة مصيبة في ما ارتأت اللهم اذا تمكنت من نيل تصديق الدول على لائحتها ولكن اذا عارضتها اوربا في ذلك ولم تشاء الا استخدام المبلغ المذكور لتخفيف الضرائب ولكن عن الاطيان القليلة الانتاج التي اصحابها فقراء

واذ قد نقرر بالبرهان ان الغاء السخرة واجب وان ليس في ميزانية الحكومة مبلغ يخصص لذلك بعد صرف المبلغ المخصص لتخفيف الضرائب اقتضي ان تضرب على الاطيان اموال يكفي مجموعها لالغاء العونة . واذا اعترض بعضهم على ذلك بكون اموال الاطيان ثقيلة فلا تتحمل زيادة وارتأى بان تكون الضريبة على الاشخاص اجبنا ان الاشخاص لا يتفهمون ارتفاع ارباب الاطيان فان الري لخدمتهم ولذا لا يحسن عدلاً ان نقضي عليهم بعمل

الفقيرة الشرقية تسام الخسف من الفئة الغنية بمساعدة الحكام . ولم تشب لظي جرب شرقية مع غربي الا كانت مبنية على دعوى الاجنبي المحاماة عن الفئة الفقيرة وبهذا السبب عينه قام التداخل الاوربي بمصر ولم تبرح بريطانيا مستسكة به وحسبنا ما كان منها في مسألة الكرباج والجبوس حتى امسى اللص شديد الميل الى ملازمة المحابس اذ يرى فيها ما لا يراه في بيته من جودة المأكل ونظافة المقام

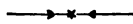
اجل ان هذا السبب كان الباعث على التداخل الاوربي في كل مسألة شرقية واخصها مسألة مصر مع انكثرا ولم يفتنا ان مصر لما سألت اوربا تخفيض معدل الديون ابت عليها ذلك مستندة باباءها على ان الذين يدفعون الحكومة الى هذا السؤال انما هم ارباب الفئة الغنية اصحاب الاطيان . نتج من ذلك ان كل مسألة تتعلق بالعامه لا بد من انفاذها وقد حفظت اوربا هذا المبدأ مع المشرق فمن العبث المعارضة فيه

ولعل القاري لا ينسى ما اتاه الجنب العالي يوم تولى الاريكة الخديوية من الاعمال الشريفة اذ اصدر امره الكريم بالغاء عوائد عديدة كانت ثقيلة الحمل على كواهل الفئة الفقيرة وما كان لذلك من الوقع الحسن لدى الجميع واني لم افتتح هذا البسط الا تمهيداً للقول بالغاء العونة فهو خير اصلاح تاتيه مصر في ظل سمو اميرها كيف لا وهو خدمة انسانية يتطلبها العدل ويقضي بالنظر في الذرائع الموصلة الى القيام بها وذلك ما اردنا شرحه في هذه المجالة

والذي ارى ان السخرة نكبة على الانسانية فالتاؤها واجب ولا عبرة بما يقوله بعضهم من ان مصر لا تقوى على الغائها اذ لو تذكروا ان السخرة كانت

الخديوي المعظم) مبنياً على النصوص الدينية باستخارة حضرة العلماء والاشراف وارباب الاشارة موقفاً عليه من رجل عرف السودان وترك فيها الاثار المحمودة باسم سمو الجنا ب الخديوي المعظم نائب جلالة الخليفة امير المؤمنين الاعظم متضمناً المقابلة بين حالي السودان قبل ظهور المهدي وبعده وتعداد المصائب والرزايا التي نجمت عن الثورة مبيناً فيه كيف ان المهدي دمر المنازل وارق الدماء وسبى الاعراض وخرب البلاد وشتت سكانها الامناء ايدي سباً مخمناً بما مفاده « ان المسلمين عموماً والعلماء والاشراف منهم خصوصاً قد اجمع رأيهم على حسم النازلة السودانية ونوط هذه المهمة بفلان الذاهب اليهم بامر الجنا ب الخديوي نائب امير المؤمنين الاعظم »

هذه هي القوة الدينية التي تقند مزاعم الثائرين وتدحض مدعياتهم الدينية اما القوة السياسية فتتحصر في اهلية الرجل المنتخب للقيام بهذه المهمة اذ بحكمته ودربته ودرايته يمكنه ان يحقق الاماني واما القوة الحسية فهي تعزيز المأمور المصري بعدد من الجنود المصريين لا يقل عن عشرة آلاف كما تقدم والاسراع بجمعها لتكون مصاحبة له وفي ذلك خدمة لمصر والدين الاسلامي ورفعة شأن المسلمين



وكتب في ١٠ ستمبر عن الغاء السخرة

من قلب صحف التاريخ مراجعاً وثق بان الغربي لم يتخذ في مراقبته الشرقي سبياً يتوكأ عليه للتدخل في شؤونه الا احتجاجه بكون الفئة

غرو فان تجريد هذه الحملة يقرب مصر من الخطوط نقطة الفتنة المركزية
ويمهد السبيل الى حسم النازلة

الا انه اذا تقرر امر ارسال الحملة اليوم فيقتضى لانفاذه نحو ثلاثة
شهور فيجب والحالة هذه التعجل في تقريره قبل فوات الفرصة
اما القوة المطلوبة فيمكن جمعها فوراً اذ لمصر في الحدود نحو اربعة
آلاف جندي ولديها عدد من حامية دنقلة (التي قدم منها قسم الى مصر
وسيقدم القسم الآخر قريباً) فيمكنها ان تتقي منها نحو الالف جندي وهكذا
يسهل جمع عشرة آلاف جندي

واما الدرهم فلا يعز علينا وجوده فان لنا من القرض الجديد مليون
جنيه على ان التجريدة العثمانية تكلف اكثر من التجريدة المصرية وان
قرّ القرار على إرسالها فستكون نفقاتها على الخزينة المصرية
فيستنتج اذن ان القوة والدرهم غير بعيدين عنا متى صفت منا النية
وحسنت الادارة

وغير خاف ان في المسألة السودانية عاملين يحركان الفتنة أولهما المبداء
الديني وثانيهما الميل الى شن الغارة وحب الاستقلال فاذا تحقق موت المهدي
ايقنا بزوال العامل الثاني واضمحلاله اذ ان غالبية قبائل السودان مصافية لزعماء
الثورة وليس ثمت ما يدعو الى شن الغارة

وحيث ان تسيير الجيش مستحيل في الحال فيحسن بنا ان نقتنم الفرصة
لمقاومة المبادئ المذهبية بالاصول الدينية مضافة الى السياسة والقوة وذلك بان
ترسل الحكومة منشوراً الى جميع زعماء القبائل (وخصوصاً القبائل المتذبذبة
او التي مالت الى المهدويين كرهاً وهي في الباطن ميالة الى الخضوع للجناب

وهيأت ان يطفأ لهيب غضب استكن في الافئدة وسعيه يتلظى ويمند
ولسانه يندلع



وفي يوم ٤ اغسطس اهدى اعيان مصر ونوابها الى سليم بك وبشاره بك تقلا الساعتين
الذهبتين المكتوب عليهما شعائر وطنيه والكتاين الوارد نصهما بترجمة الفقيد في صدر هذا الكتاب
وذلك على اثر الجهاد العجيب الذي جاهدته الفقيد في اوربا يومئذ تايدا لحقوق مصر
وفي يوم الاربعاء ٢ اغسطس صدر امر من نوبار باشا مبنى على قرار من مجلس النظار بتعطيل
الاهرام شهراً واقفال مطبعته انتقاماً من هذه الخطة وبعد مداولة استمرت ٣٢ يوماً اعتذر رئيس
النظار ومحافظ الاسكندرية بزيارة رسمية وكتاب رسمى الى قنصلية فرنسا عن ذلك العمل
الاستبدادي وفتحت ادارة الاهرام بحضور مندوبين من قبل الحكومة وكان ذلك لها فوزاً
جديداً عظيماً



سنة ١٨٨٥

قال في ٣١ اغسطس مشيراً الى طريقة حل المسألة السودانية

بحثنا امس في المسألة السودانية وقتلنا انا سنبحث اليوم في الطريقة الفضلى
التي يحسن اتباعها لحلها فعملنا بالوعد نقول

اشارت الحكومة الخديوية بتجريد حملة مصرية على دنقلة يعقد لواؤها
لرجل مصري فجاء ذلك منطبقاً على الرأي الذي بثناه من منذ سنة ولا

ولقد اوضح ان الدين الاسلامي غير مضاد لنشر المدنية (وهذه هي النقطة الوحيدة التي وافقه عليها) ثم أكد ان مسلمي مصر يكرهون الاترك وانهم لو خيروا بان يحكمهم جلالة السلطان او امبراطورة الهند لاختار كلهم الاخيرة . فليختبر الانكليز الامر ولكن الاستمساك بمثل هذه المستحيلات سخرية بالعالم الانساني فلا خفاء ان الدين في الشرق هو كل شيء ومن اجل ذلك لا أشير على الانكليز بان يختبروا مسلمي الهند فيما يقترح المستر هرنبي ان يختبر به مسلمو مصر واني لفي يقين من انهم اذا فعلوا رأوا رعاياهم الهنديين يفضلون الحضرة السلطانية خليفة المؤمنين على امبراطورة الهند . وانه ليصعب جداً على المرء ان يشاهد رجال الانكليز يدعون بوقاحة انهم محبوبون في مصر وهم لم يجلبوا عليها الا الخراب والدمار دون ان ترتعش فرائضهم وخصوصاً اذ يراهم لا يثبتون هذه الدعوى في جرائمهم الا متخذين الاحتياطات اللازمة لمنع نشر الرد عليها وتخجيلهم ازاء جسارتهم التي لا يطاق احتمالها

والمصريون معدن الوداعة وعندهم الشعائر الذيلة والاحساسات الرفيعة نحو القليلين من الانكليز الذين يحسنون التصرف معهم او الذين لا يستئون اليهم كالستر ماكسويل النائب العمومي عن الحضرة الخديوية لدى المحاكم الاهلية والمستر فنسان المستشار المالي

اما غالبية رجال الادارة من الانكليز فقد عاملوهم بالعسف والتحقير والفظاظة فنفرت عن انكثرا قلوب المصريين ولا خفاء

ان القلوب اذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

يوجدوا وحدهم » فاذا عني به انه 'يجب طرد كل الاجانب من مصر ليخلو الجو' للمعتمدين الانكليز ولا يبقى ازاؤهم الا اولئك المزارعون المساكين (الذين مر بهم ٤٠ جيلاً وهم تحت ربة العبودية) ولا محامي عنهم منهم فاستدرك عليه ان مصر ليست الهند . واذا اراد به انه 'يجب رفت الوطنيين وادلاء الوظائف كلها الى الانكليز فلا اظن حينئذ انه يمكن اجراء اقل اصلاح بل اؤكد ان عدم الرضى يزداد وينمو ويجهر به اكثر مما في كل اوان واذا قصد به ما يخشاه 'المصريون من التسبب بخراب مصر لانتحال وسيلة لدى اوربا للاستيلاء عليها فهناك لا اقدر ان اصف سياسة قلة الاخلاص التي تفقد انكلترا ميل جميع الشعوب اليها بل تجعل جميع الشرقيين حائقين ضدها الى الابد

قضى المستر هورني بان ليس بين المصريين شخص واحد ذو ادارة . فهو حكم شديد القسوة ولو كلف هذا المستر نفسه بمطالعة الكتب الزرقاء لعرف منها ان المعتمدين الانكليز كثيراً ما امتدحوا اهلية كثيرين من رجال حكومتنا المصرية ان في السياسة او في الادارة وعندى ان الادنى من رجال مصر الاداريين أعلى من صديقه المستر كليفورد لويد ولدي ما يثبت ذلك بالبراهين

يوتج باشواتنا لتوظيفهم في دوائر الحكومة انسابهم واصدقاهم فلو فرضنا ان ذلك حقيقي وقابلنا بين عدد ورواتب هؤلاء الذين وظفهم الباشوات من عهد المرحوم محمد علي باشا الى حين وصول اللورد دوفرين الى مصر وبين عدد ورواتب الذين نالوا بدون عناء وظائف بواسطة تعطفات المستر لويد وغيره من كبار المصلحين الانكليز بمدة ستين رأينا ان هؤلاء يفوقون اولئك عدداً وراتباً.

والنهب والصوصية بمثل ما جرى في هذا الحين ولا عجب في ذلك فانه امر طبيعى مدرك حدوثه بعد اذ أطلق المستر لويد لا أقل من ألف سجين بدعوى انهم مظلومون وجلهم محكوم عليهم قانونياً وآخرون لم يحاكموا بعد

ولكن على من يرجع الخطأ — اذا كانت المحاكم غير متقنة النظام فان عمالها قليلون وان كانت موصوفة بالمطالة غير المحموده عواقبها فالتبعة على المستر كلينفورد لويد لكونه بذل جهده لينمها من العمل واخرج بانه لم يجد دراهم ليخصصها لها في حين وجدها غزيرة ليجريها على اصدقائه واخصائه الذين جدّد لهم المصالح من حيث لم يكن لها اثر

كل هذه الاجراءات التي أثبتت على ذكرها اصبحت الان كئار على علم وهي تكفي لتبرهن على حبوط مساعي الانكليز ونشرهم الفوضى في مصر . وقد قال المستر هورني احد اصدقاء لويد (بمقالة اذاعها في البال مال غازيت محامياً بها عن صديقه وموجهاً التنديد اليّ) ان هذه الفوضى — وهو يعترف بوجودها قطعاً — ناشئة عن كون الانكليز لم يوجدوا وحدهم في مصر فهو قول خطأ محض لان الانكليز من يوم دخل اللورد دوفرين مصر الى يومنا هذا قابضون على ازمة الاعمال المالية والادارية والعسكرية والسياسية وليس لهم سبب يتحلونه للشكوى من معارضة اجني او وطني لهم وقد امست ارادتهم في البلاد شرية مطلقة يجرى على حكمها . وسطوتهم تحاكي سطوة المالك او سطوة المغفور له محمد علي باشا وانما نتيجة ذلك كله كانت اخلل في كل عمل

ولا أدري ماذا يريد المستر هورني في قوله « ان الانكليز ينبغي ان

فتلك غلطة (ولا اطلق عليها الا لفظة غلطة لانها اختيارية) من اغلاط عديدة لان الضرب أبطله الوزير المؤتلفة اليه قلوب المصريين رياض باشا على عهد المراقبة الانكليزية الفرنسية. ولا أقول انه أبطل مطلقاً فقد بقي له اثر في بعض الزوايا والاطراف من المديرية البعيدة على انه لم يعمل به قط في القاهرة وانما المستر كليفورد لويد اعاد العمل به اليها فقد كثر ما استخدمه تحت سطوته صديقه المستر شانك كروك مدير سجون القاهرة ومدير سجون الاسكندرية ولما اراد المستر ماكسويل ان يجري التحقيق على هذا المنكر عارضه المستر لويد وأفضى الامر بينهما الى تداخل المستر بارنج لفصل الخطاب ووضع حد للخلاف

هذا ولا بد ان تكون عواطف قراء التمس تحركت لدى مطالعتهم ذاك الشرح المستوجب الحنان والرحمة - الذي وضعه المستر كروك شانك واستخرجه المستر كليفورد لويد - بيد انه غير مستكمل وينقصه امر واحد هو تمثيل المستر كروك شانك يضرب يده السجناء والمستر لويد يصدق على عمله رغماً عن ممانعة المستر ماكسويل المنفعل من عامل الظلم

ولا أقف عند هذا الحد دون ان أدون خبر إفراج المستر لويد عن السجناء بهيئة استبدادية جرأت الغير على ارتكاب الجرائم وهونت عليهم اقتراح المحارم. زعم انه أبطل الاستبداد بوضعه قانون البوليس فساء ما زعم وهو في الحقيقة لم يبطل الا سطوة الحكومة لانه باعدامه سلطة المديرين وملاشاته نفوذهم خوّل مطلق السلطة الى رجال من البوليس جهال غشومين هدموا اركان النظام وقوّضوا أسس الامن فصارت الحالة الى ما لم يسبق له مثيل من قبل ولم يمر على مصر زمن جرى فيه القتل

ذلك هو المنهج الذي انتهجه المستر لويد نحو المصريين الذين يزعم الان انه يتكلم باسمهم - يؤكد انه كان معضداً في ادارته بفتيان من المصريين فليأذن لي بان ارتاب في صحة قوله فاني لا أعرف من أولئك الفتيات الا واحداً اراد ان يعضده ولو فاء الى الحق لقال انه لم يكن محاطاً الا بموظفين من الانكليز اما لكونه اخلق لهم مصالح رواتبها وافية او لكونه رقت الموظفين الوطنيين واستبدلهم بهم وليس من يجهل مقدار ما ثقل على الخزينة المصرية ذاك التجديد والبديل وكفى به انه احد الاسباب الداعية بنا الى المصاعب الحاضرة

والادارة الوطنية الوحيدة - خلا مجلس النواب - في مصر هي المحاكم الاهلية المؤلفة من بعض القضاة الاوربيين وعدد عظيم من الفتیان المصريين الاذكياء المهذبين وهذه الادارة قد اثار عليها المستر لويد حرباً عواناً فانه عرقل مناهجها وتهدها بالحل والمطالبات الرسمية بالمرصاد شاهدة على صحة ما أقول والمستر ماكسويل النائب العمومي عن الحضرة الخديوية لدى المحاكم الاهلية الحسن السلوك المحبوب كثيراً من المصريين قد اضطر ان يشكا من اعماله مراراً تارة للحكومة الانكليزية وطوراً للحكومة الخديوية وكثيراً ما تدخل المستر بارننج ليهدي المستر لويد الى الرشد والصواب ويمنع وقوع ما يشوش الافكار هذا هو النمط العجيب الغريب الذي عضد به المستر لويد المصريين وامانيهم

وهو يزعم انه لسانهم اما الاصلاحات التي يدعي انه اجراها فاليكم الشرح عما توازي قيمتها لدى من يقدر الامور قدرها

اكّد هذا المستر ان اللورد دوفرين هو الذي أبطل الضرب في مصر

في كل حال فانتدب المستر المذكور - كما تؤكد لدينا - ليم مشروع اللورد دوفرين ويلاحظ انفاذه' ولكنه' لم يفعل بل كانت باكورة اعماله عندنا الاعلان بجعل قرارات مجلس الشورى غير مقطوع بها بل محفوظاً فيها حق الخيار للحكومة بين ان تقبلها او ترفضها واذ كان هو الحاكم بامرِه وزمام الاعمال في قبضة يده فقد قصد بذلك ان يشيد صروح سطوته فوق خرائب سطوة الامة . وليس هذا كل ما اجراه فانه لم يتجرأ ان ينقض بدفة واحدة كل ما انشاه ونظمه اللورد دوفرين

ومما يروى عنه ان الدكرينو الصادر بتنظيم مجلس النواب هو الذي وضعه وحرره' وقد ورد في جملة نصوصه ان لا يثنى قانون دون ان يقر عليه رأي المجلس فلم يمر من ذاك العهد اسبوع الا سن المستر كليفورد لويد قانوناً للبوليس مجحفاً نشأ عنه انتشار اللصوصية والسرقات في كل ناحية وصوب ووضعه في عالم الاجراء دون ان يفكر برضه على ذاك المجلس فاقام المجلس الحجة ونشرت الجريدتان الرسميتان حجة ولكنها لم تجده الا تظاهر المستر كليفورد لويد بكونه الددوالالد المستر له في حين وضع المستر غلادستون واللورد دوفرين معظم الرجاء والامل فيه (المجلس) ولم يفتر يوماً واحداً عن ان يحقره ويدوس حقوقه

ولقد علم القريب والبعيد بالكيفية التي عامله بها ليكرهه على تقرير قانون بلدية الاسكندرية اذ اوسعه اهانة وسباً وخرج في اثناء الجدل قبل اختتام الجلسة حاتماً كما لو كان سيداً هاجه الفيظ فاراد الانتقام من عبيده فرفع المجلس الحجة ايضاً ونشرتها الجريدتان الرسميتان ولكنها لم تأت باكثر مما اتت به الحجة الاولى

يعتبروا مصريين حقيقيين ويحولوا الخطط السامية والمناصب العليا في دوائر الحكومة

اما المستر كليفورد لويد فيجهل كل الجهل نظام الجنسية واحوال السياسة في البلاد المشرقية ولا يعرف باسم مصري الا اولئك الموظفين الانكليز الذين انما اكتسبوا الوطنية بما ربط لهم في ميزانية البلاد من المعاشات الفادحة وهؤلاء وان ولدوا في ايرلانده فقد تبدوا في ضفاف النيل وحيث ينالون اوفر كسب فهناك وطنهم والمستر كليفورد لويد تحصل في مصر على كسب جزيل المقدار وانا لا معاش لي ولا راتب هناك . والمستر الموما اليه أرسل الى مصر وله راتب قيمته الف جنيه في السنة واذنبت فيه روح الاصلاح ونما فرض لنفسه اكثر مما ذكرنا حتى بلغ المفروض نحواً من ثلاثة آلاف جنيه في السنة وظل محافظاً على هذا الكرم والجود والحنو والشفقة الى ان برح القطر . ومع كونه لم يجهل انه فصل من خدمة الحكومة المصرية لم يتأخر عن ان يقبض في حين ارتحاله راتب شهرين او ثلاثة اشهر تنهي في غاية اغسطس تقريباً واضطرت الخزينة على ما هي عليه من النفاد والقراغ ان قطرت له المبلغ تقطيراً

هذا هو الوجه الذي لاجله اقر بعجزي عن مقاومة المستر كليفورد لويد فهو مأجور لكي يتكلم باسم مصر وانا لا أنطق الا بما يحضني عليه ضميري وتحرضني عليه ذمتي ومحبتى لبلاد هي - مهما قالوا في شأنها - بلادي .
أقول - ولعلكم لا تجهلون داعية توجه المستر كليفورد لويد الى مصر فان اللورد دوفرين كان وضع لهذا القطر نظاماً شورياً ليؤلف على مقتضاه مجلس نواب تتخبرهم الامة ويكون لقرارته (المجلس) حكم قاطع نافذ الاجراء

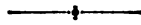
الانكليزية في مصر وأريد بها تلك الافكار التي اقامت قيامة الغضب عليّ حتى صرت لا اعبر لدى الصحف الانكليزية الا بمثابة شخص يخاف ضره ويخشى اذاه وما احراه بان يختم على فيه ولو آل الامر الى بذل ما في الوسع بذله

أجل انه ليسهل ان يقيد لساني ويختم على في ولكن نور الحقيقة لا يخفيه السكوت. ابي عليّ المستر كليفورد لويد حق التكلم بصفة مصري لاني ولدت في سوريا واكتسفت بالحماية الفرنسية ولكنني وان ولدت في سوريا او بالحري من اجل ابي ولدت فيها فانا عثماني ومصر قسم من بلاد السلطنة العثمانية واقامتي فيها لم تحول جنسيتي لان الجنسية واحدة . واني اعدتني فيها (مصر) مقيماً في بلاد كمثل الوزراء الاتراك او الارمن الحاكمين فيها بل والعائلة المحمدية العلوية (المالكة) نفسها التي لم تكن مصر مستقط رأسها .

اما الحماية الفرنسية فلا اذكر الاحوال التي أتيج لي بها نيلها بل اقتصر على القول باني نلتها يوم كانت فرنسا وانكلترا متحدتين على المناضلة عن حرية القطر المصري . وقد أفتلت جريدتي لمعالاتها في الوطنية المصرية وألقيت في السجن واوشكت ان أنفي الى النيل الابيض (فيزوغلي) لو لم ينقذني تداخل قنصلي انكلترا وفرنسا بالاتحاد معاً . ولقد أعلن لي وقتئذ المستر لاسيل قنصل انكلترا أسفه الشديد من ان نظمات فرنسا اباحت للسيو غودو قنصلها في ذلك الحين ان يخنصني بحماية اوربية . وكل الذين يعرفون الشرق - والمستر كليفورد لويد ليس ممن يعرفونه - يدركون ان الحماية الاوربية لا تقدم الشرقي جنسيته . ومثلي في مصر كثير من الباشوات وليس ما يمنع من ان

يريدون اثقالنا بجميع ما حلّ بمصر من المساوى والضربات لكي يتوصلوا الى
غايتهم المنكرة . ١٠ هـ . تصفيق عمومي

وبعد الفراغ من الخطابة احاط بي كثيرون من الحضور وطلبوا الوقوف
على اسمي وكان في المحفل فريق من «كلوب الليبرال» فدعاني الى مجتمعه
في اليوم الثاني للمحادثة في المسألة المصرية فاجبت



وكان الفقيد قد نشر مقالة في البال مال غازت وصف بها سوء ادارة المستر كليفورد لويد
فقد هذا اقواله في التمس فرد عليه الفقيد بمقالة نشرتها الديبا في ٩ لوليو وهذا نصها

الى حضرة مدير جريدة الديبا

حضرة المدير - وضع المستر كليفورد لويد في جريدة التمس (بمددها
الصادر في ٣٠ يونيو سنة ١٨٤٠) مقالة تحمل فيها عليّ بالطن الشديد وضمنها
الثناء على ادارته . ونشرت بال مال غازيت في الوقت نفسه مقالة (للمستر
هورني) وتذيلاً لها موعبين من القذف في حتي ومفعمين من التعرضات
السيئة المقاصد . وقد نظمت بما استطعت رداً عليهما (التمس وبال مال) رقيق
الحشو لطيف التوجيه فأبت كل منهما عليّ ادراجها في صفحاتها بحجة اني
ممن يكرهون الانكيز كثيراً وقد لاح لي من خلال اعتذارهما ان ذلك ما
عليه القوم في انكلا من حسن المعاملة والعدالة في سياق المناقشات

علي أنني أوّل ان لا يكون الامر كذلك في فرنسا فتمسحوا لي في
اعمدة جريدتكم محلاً لا لدافع عن نفسي - فتلك احاديث قل ان تهم -
بل لابرهن علي صحة الافكار التي بثتها في الاخبار عن نتائج الادارة

الخطاب قائلاً انا نشق وثوقاً تاماً بعدالة رئيس الوزارة الانكليزية واملنا شديد بالقوز بالاماني بعضد الرأي العام الانكليزي . تصفيق

فنهض احد الحضور وبهد ان شكر لي ما اظهرته من المبادي اخذ يعارضني فيما قلتهُ مخلصاً بمصر والانكليز . فقال ان مصلحة انكلترا تضطرها الى البقاء في مصر نظراً الى وفرة مشاغلها في الهند الى غير ذلك مما تمزقت اذاننا من استماعه

فندد ذلك وقفت وعارضتهُ بجهر الصوت وقلت ان لانكلترا قوتين مهمتين سادت بهما سيادة عظيمة وبلنت شأواً عزيزاً وهاتان القوتان هما عمارتها البحرية وعدالتها في المدافعة عن حقوق السوى . وبالقوة الثانية كانت ناجحة في غالب الاحيان فانها بها فازت في حرب القرم وبها ايضاً لا بسفنها ارجعت الروس عن ابواب الاستانة . فاذا اخذت مصر الان فاية حجة واي اعتراض لكم على الروسية اذا تقدمت على الاستانة وبم تدفون النمسا عن سالونيك وبم توقفون مطامع الدول عن تخوم مستعمراتكم بل عن نفس المستعمرات . واذا دققتم البحث تجدون ان العدو الحقيقي الذي تلوكم مناظرته انما هو الروسية الواقعة لكم على ابواب افغانستان والهند ففي تلك الجهة ينبغي ان تضعوا غنايتكم وتصوبوا الى ذلك الجانب سياستكم وليس الى مصر التي كانت في جميع ظروفها واحوالها مخرصة لانكلترا المعززة النفوذ فيها وما زالت مصر تعترف بفضل انكلترا ووجوب ترجيح نفوذها على ما سواها من الدول ولكن لا تود ابدًا ان تكون في ملكية الانكليز او في كف حمايتهم وقد تحملنا اثقال الاغلاط التنفيذية التي ارتكبها عرابي ولكن لا نرى من العدل ان نحمل ايضاً اغلاط الانكليز وسؤ تصرفهم في مصر فان المحافظين وبعض حزب الاحرار

وملازمة الحزم والثبات واحكام السياسة من السيادة على ملايين عديدة من الناس في انحاء شتى من المسكونة . ضجيج استحسان . ولا بد لي من مخاطبة سادتي الحضور بشيء عن حال مصر فان كثيرين منكم يتوقفون الى هذا الحديث فاني ما حلت بلادكم الا لاشغال تقتضيها خدمة هذا القطر العزيز . تصنيف استحسان . لا يخفى انه عندما ظهر عرابي بمظهره الاول ورأينا الانكاز متداخلين في كبح جماحه كنا متشكرين لهم جداً ونطنا كل اماننا بهم ثم بعد واقعة التل الكبير ودخولهم مصر لا بصفة فاتحين بل باسم الجناح المالي الخديوي قبلناهم بالشكر واحللناهم محال رفيعة . تصنيف

ولما انتهت الخصومات والقتال . قالوا انا سنحتل بلادكم وقتياً لتأييد الامن وتعزيز شأن الحكومة فسررنا بذلك وشكرناهم شكراً جزيلاً ولكن ما طال الزمن حتى ذهبت الاماني ادراج الرياح اذ عرفنا ان المواعيد عرقوبة وبينما كنا نطالع خطب زعماء الاحرار والمحافظين المشيرة الى عدم رغبتهم في تملك البلاد او حمايتها كنا نرى عمالهم بيننا يستبدون في امورنا ولا استبداد الممالك نخبوا البلاد وجرحوا قلوب العباد والحاصل ان حالة مصر لم تبقى خافية اجمالاً على احد من الناس . تصنيف مستطيل . وهام . الآن رؤساء الاحزاب يطلبون هضم حقوقنا وضميمة بلادنا وقد داسوا قولهم الاول { مصر للمصريين } وتمسكوا باهداب المطامع خلافاً للوعد ونقضاً للعهد وما كفاهم ذلك حتى تناولوا الى التنديد بالمستر غلاستون وقد سلقوه بالسنة حداد لانه يريد احترام الرأي العام وتنفيذ اليهود والمواثيق جرياً على اصول المرعية وصوناً لشرف امته المتولي زمامها . ثم اخذت ببيان المعاهدات الدولية وافسدت دعوى القائلين بحق الانكاز في مصر لانها طريق الهند واختتمت

حديثاً في فلسطين واكتشف على اثار جديدة ثم سألهُ ان يلقي على الحضور مقالاً بهذا الخصوص فاجاب وتكلم طويلاً مبيناً فضل الاثار التي أُحيت للتأخرين تاريخ السالفين ودلت على تقدمهم في بعض العلوم والصنائع الى غير ذلك فضج له الحضور استحساناً ثم تلاه المستر رسام « وهو عربي الجنس » فاني خطاباً أيد فيه قول الخطيب الاول ثم ذكر الاثار التي اكتشف بنفسه عليها في نينوى يوم كان مصاحباً للمستر ليارد سفير انكلترا في الاستانة سابقاً ثم وقفت احدى الخواتين فقالت انها أقامت في القدس الشريف سنين متوالية مع زوجها الذي كان قنصلاً لانكلترا هنالك وبدده القت خطاباً وجيزاً فيما شاهدته من جليل الاثار ثم تعاقبت الخطباء بتلاوة ما عنّ لهم ذكره إلى ان وقف الدكتور هاريمان الذي خاض في موضوع سياسي جاء في خلاله بالعبارة الآتية

قال « ان المرء اذا شرب جرعة ماء من النيل شغف بمصر واذا غاب عنها فلا بد له من العود اليها وذلك دليل على ان مياه النيل سائنة لذيدة » فلما طرق اذني هذا الحديث وقفت واستأذنت بالكلام باللغة الفرنسية فاجابني الحضور بالاصغاء وكانت غالييتهم تحسن الفرنسية فرففت صوتي بالكلام شاكرّاً أولاً ربة المنزل التي تكرمت بجعل منزلها محفلاً للاداب ثم عطفت على بيان المنافع العظيمة التي يمكن للنساء ان يقمن بها نحو الانسانية اذا كنّ مهذبات معلمات وانهنّ قادرات على اصلاح النوع الانساني وافساده اذ انهنّ الواضعات للبادي الاولى في عقول الاطفال فلي مبلغ تقدم النساء في أئنة مملكة كانت يتوقف تقدم الشعب . وانتقلت من هذا البحث الى القول بفضل الشعب الانكليزي الذي مع قلة عدده وبعد بلاده قد تمكن بفرط الاجتهاد

قلت له ' اذا تحملت انكلترا نفقات جيش الاحتلال وعدلت اسهم بوزار
السويس وخففت رواتب كثير من موظفيها في مصر أمكن اقتصاد نحو
سبعمئة الف جنيه ومع هذا فلا بد من تعديل الضرائب وتخفيف اثقال
المزارعين ويحسن او يوجب ان تضمن فرنسا وانكلترا دين مصر بعد تعديله
وفي ذلك أجل واسطة وضمن وسيلة لمستقبل مصر ومصلحة الدولتين
قال ان المسألة المالية دقيقة جداً بل اراها كثيرة العقبات ولكن على
المؤتمر ان يحلها. وبعد هذا تحدثنا في حقيقة مركز المستر غلادستون فقال لي
انه سيفوز ومهما يكن فالمحافظون لا يسمعون ولو تغلبوا ان ينجوا غير هذا
المنهج فقد تغيرت المسألة المصرية عما كان قبلاً فلا سبيل لتضحية مصلحة
اوربا عموماً وفرنسا خصوصاً

خطبة له في لندن في ٢٧ يونيو

{ محفل خطابة }

دعيت البارحة الى محفل خطابة في ناحية كولفيل جاردنس عند سيدة
من خواتين الانكليز المشهورات بسعة المعارف والاداب المصرية تدعى الخاتون
كارتر. فان هذه الخاتون تفتح ابواب منزلها مرة واحدة في كل شهر من
شهور الشتاء لعلماء قومها وادبائه فيجتمعون هنالك للخطابة ومطارحة الافكار
في اي موضوع كان. وكانت ليلة امس خاتمة ليالي الاجتماع في هذا العام
فاسعدني الحظ بحضور الحفلة ولما كمل عدد الحضور واستقروا في مجالسهم
وكانوا نحو ١٥٠ شخصاً وقف رئيس الحفلة وقدم للحضور رجلاً فاضلاً ساح

وقد سألتني السفير عن اخبار مصر الاخيرة فسردها له ثم سألته عن رأيه في المستر غلادستون والاحزاب قال لا شك ان المستر غلادستون سيتغلب على الاحزاب وينال الارجحية في الآراء . قلت . أرى الدول مهتمة جداً بالنقض والابرام في المسائل الحالية ومع ذلك لا نرى للباب العالي شأنًا كبيراً في المحادثات المتبادلة بين الدول في أمور مختصة بالثمانية أكثر من سواها . او ما حان لرجال الدولة ان ينهضوا من رقبتهم ويبدلوا وسعهم في سبيل حفظ المملكة وتوابعها . قال لقد اخطأت ظناً فان مولانا الخليفة الاعظم مهم بمسائل مصر بذاته الكريمة ورجاله غير غافلين ايضاً وستحقق صدق قولي . ولو لم تكن مصر جزءاً من المملكة السنية لما حفظت حتى الان من مطاعم انكثرت او من مطاعم سواها قبلها

وبعد ان تكلمنا في بعض مواضيع سياسية ودنته وتصدت حضرة سفير فرنسا الميو وادنكتون فدار الحديث بيننا على لائحة الاتفاق ثم انتقلنا الى البحث في اللائحة المالية التي كان استلمها حضرته في هذا النهار فقلت له . اظن ان المسألة المالية اشد اشكالاً من السياسية . قال ولا عجب فان الثانية تهم رجال السياسة فقط واما الاولى فهم الجميع ولا يخفى ما لرجال المالية من القوة وهم لا يسألون الا على عزة الدرهم وزيادة الارباح دون الاكتراث بالنتائج السياسية .

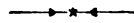
سألته وهل يقرر المؤتمر التعديل . اجاب اني درست المالية المصرية كثيراً ومع ذلك ساستدعي الميو دي بلينيار او الميوليرون ديروول او كليهما لاستشيرهما ويلوح لي ان هنالك ابواباً للاقتصاد فلا سبيل الى التعديل الا بعد النظر في الاولى

الانسانية وشرع المدنية وقضاء التاريخ عليكم بما تحمر له الوجوه ويخدش محيا
النفس

ثم أوقمت اللورد على الاوامر التي اصدرها رجالهم في مصر واتزامهم
البوليس بما يتعلن بعدم لبس الطربوش وما اختص منها بالجوامع وغيرها مما يس
حاسات الاهلين ولم اخب عنه شيئاً من مساوئهم . وبعد ذلك قلت وكيف
تلومون رجال مصر الذين لم يعدلوا عن سبل الاخلاص ولم يخافوا احكامكم
عهداً وجميع ما حلّ بالقطر من الملمات دليل مسهب على سوء تدبيركم وانتم وحدكم
المسؤولون عنه

فاطرق عند ذلك ثم قال لي لسنا نحن المتحكمين في الحال . ثم سألتني
أتمكث طويلاً هنا . فقلت له نعم . قال ارجو ان تحضر اليّ من وقت
الى آخر وفي اية لنة تطبع جريدتك . قلت باللغة العربية وكثيراً ما ترجمت
خطبك ايام كنت وزير الخارجية . ثم اطلعتني على اختلاقات مكاتبي جرائد لندن
بمصر فاصفى الى ما قلت

وبعد ان لبثت بمحضرة ساعة ونصف ساعة ودعته وانصرف ممتناً مما
اظهره لي من الدعة



محادثة مع موزوروس باشا سفير الدولة العلية ومع المسيو وادنتون سفير فرنسا في ٢٢ يونيو
زرت امس سفير النمالية فاخبرني بوصول لائحة الاتفاق اليه وقال لي
انها بالاجمال كما احببتك قبلاً « وقد افدتكم ذلك في حينه الا انه يتشرع
عن مسائلها المهمة مسائل اخرى فرعية وسابقتها تفصيلاً اليكم »

ونحن نعترف باغلاط الاحرار وسيئاتهم في بلادكم كما اننا نرى املاكنا الهندية
امست في خطر من سوء سياستهم . قلت وليعلم سيدي ان بين مسلمي الهند
والشرق صلات مستمرة وقد علم الهنديون بسوء سياستكم عندنا فاتفقوا معنا
وصارت قلوب الجميع نافرة منكم

ثم سألته واذا حكتم هل تضمون مصر اليكم
قال لا اظن مطلقاً ولا يمكنني الحكم بذلك الان اذ انه من الممكن
وجود أمور خفية في الوزارة تعدل مبادئنا اذا علونا منصة الاحكام ولكن
لا اخل اننا نحكم فان غلادستون متغلب علينا
قلت ارى كثرة الزعماء في حزب المحافظين اضعفته وشتتت كلمته وفي
الامثال السائرة ان كثرة الرؤساء تذهب فائدة العمل

قال ذلك شأن حزبنا

ثم قلت له اراكم مهتمين كثيراً بشأن المالية وقد ذهبت عن السودان فما
الداعي لذلك . قال وكيف تحسبنا غافلين عن السودان « يعني غوردون »
المنكود الحظ وقد احدثت به الاخطار من كل جانب

قلت أعجب والله لجواب اللورد المفهوم منه اشفاقه على نفس غوردون
من دون سائر الناس في السودان حالة كونه ذا جنة وقد سمعنا بمثل هذا
الجواب مراراً في خطبكم وتلوناه في جرائد لندن فهل حسبتم اهل السودان
من بني الانسان حتى لا تاخذكم شفقة بهم ولا يهكم الا انقاذ رجالكم
الذي جلب الويل على الوف موءلة من الرجال والنساء والاطفال وما كان
غوردون الا منفذاً لسياستكم الاثيمة التي قادت هؤلاء المساكين الى الذبح
فكيف ساغ لكم الان ان تهملوهم وشأنهم الا تخافون غضب الله وسنة

لا أنكر ذلك . قلت وهل من العدل والانسانية ان تسبب انكلترا اهراق
الدماء وخراب الديار انفاذاً لما ربهها الذاتية القاضية عليها بعدم التصديق على
ارسال تجريدة عثمانية . وكيف يسوغ لها ذلك في عصر النور الاتخاف قضاء
التاريخ باستقباح مسلكها وسؤ تديرها في جيل التمدن - واردفت ذلك بقولي
لا ارى حلاً للسألة غير هذا ومن الضروري جعل مصر على الحيادة التامة
بحيث لا يمكن لاية دولة ان تطمع بها او تعتدي عليها

وهنا سألته ان يسمح لي بالاستفهام منه عما يأتي فاذن - قلت أسقط
المستر غلاستون . قال لا اظن ذلك لان الشروط غير مجحفة بمصلحة انكلترا
وعطف فقال أخبرني عن رجال انكلترا كلهم ولم تخبرني شيئاً عن المستر
اجرتون الذي أعرفه شخصياً . قلت هو رجل محبوب من الجميع وكذلك
الجنرال استفانسون

ثم قلت . انا لا نود ابدأ سقوط المستر غلاستون حيث ان اعتقادنا به
حسن ونسوم بكم سؤ المقاصد
قال ثق بفوز غلاستون فانه سيتغلب على المحافظين ويستمر في منصبه
واردف قائلاً ولماذا تظن السؤ بالمحافظين

قلت لانهم يودون تملك العالم ويتوقون لهضم حقوقنا وهذا اعتقادي
بكم مع اني مسيحي فما ظنك بالمسلمين الذين هم اشد مني نفوراً منكم وهذا
الاعتقاد السيء بانكلترا ليس محصوراً في مصر فقط بل وفي الشرق عموماً
واذا لا سمح الله وضعت انكلترا حمايتها على مصر فلا شك انها لا تجد
راحة وتكون قلقة قلقاً مستمراً فضلاً عن كونها تسبب ميل العثمانية الى
الروسية . قال لقد وجهت اللوم العنيف الى المحافظين مع انهم غير متحكمين

ثم نددت بارسالية هكس ومأمورية غوردون وحملة جراهم ومأمورية الاميرال الانكليزي وأعربت له عن سوء السياسة في مأموريات المذكورين وغيرهم . فقال . وما رأيك في مستقبل الحركة الحالية . فقلت . اراها ستمتد كثيراً وقريباً تسقط الخرطوم وسنار ودنقلة وحيثما يتعين عليكم تجريد اربعين الفا من العساكر الملافاة النازلة . قال . وما هي حركة الخواطر في مصر . فاخذت بسرد بيانها تفصيلاً وكان مصنياً يستوعب الاخبار بالدقة والامان ثم قال . واية وسيلة تظنها افضل لحل المسألة . اجبته . اني اخاطب سيدي بحرية فارجوه ان يمايلي بالاغضاء كرمًا فاقول . اني عالم بكونه زعيماً للمحافظين فلا بد لي ان اخاطبه بصنعة كوني مصرياً لا أريد مطلقاً ان تضع انكسار ايديها على بلادي باية صنعة كانت ثم اؤكد له ان افضل وسيلة لحل المسألة هي ارسال تجريدة عثمانية الى السودان

قال وهل لا توافق العساكر الانكليزية

قلت انها لا تطيق الحر فان العساكر الانكليزية الكثيرة الاز في اصوان يوجد بينها ٢٥ بالمئة مرضى بسبب الحر فكيف تكون حالتها لو بلغت الخرطوم واواسط السودان هذا اذا تيسر للانكليز قطع المفاوز الموعرة والوصول الى الداخلية . قال يذهبون في الشتاء . قلت وعند حلول الصيف وهم هنالك ماذا يفعلون فسكت . ثم اطارق قليلاً وقال وحكم العساكر العثمانية حكم الانكليزية من هذا القبيل . قلت هذا فيما اذا كانت العساكر تركية او شركسية ولكن عساكر الدولة العثمانية من ابناء سوريا وما بين النهرين وغير جهات لا يضر بهم الحر ولا يستصعبون قطع المفاوز والقنار لانهم متوددون ثم لا بد ان يعلم سيدي ان الحركة دينية وليس لنير الخليفة استطاعة على اخادها . قال

التمدنة قد اتت اموراً لم يرها الشرق ولا سمع بحصول نظيرها في
جهات الدنيا

ثم قلت له . ولما استقال رياض باشا الوطني الحازم الحائز لمرضاة الرأي
العام والخبير بحالة الامة والبلاد انحرف الشعب المصري بتمامه عن انكثرا
واخذ يندد بها ولكن بقيت المسألة مستترة حيث كان شريف باشا الوطني
المحبوب رئيساً للوزارة ثم ازداد تداخل رجالكم في الادارات فافسدوا واستبدوا
في اجراءاتهم السيئة

واخذت اتلو على مسامعه اغلاط رجال الانكايذ واخصهم المستركليفورد
لويد الذي اذكرنا بايام الممالك وجورهم وبيئت له سوء معاملته بعض الانكايذ
الموجودين في مصر وقلت له لقد قابلت كثيرين من رجالكم منذ وصولي
حتى الان ورأيتهم جميعاً على غير ما عليه بعض رجالكم عندنا فان معظمهم
لا يحترمون الناس . قال . اني في غاية العجب من هذا السلوك . قلت انتم
الاوربيون تنددون بالشرقيين وتستقبحون طباعهم اما نحن فترى ان الانكايذ
هم المستوجبون لما ترموننا به . ثم اتيت على بيان الحالة في وزارة دولتلو نوبار
باشا فقال انه يعرفه شخصياً وبعد ذلك دخلنا في مباحث متفرقة لا ارى
مناسبة لعرضها الان

وسألني عن حالة السودان فاخبرته ان الفتنة كانت في بادئ الامر
اهلية محلية ولكن ذهب هكس الاجنبي عن السودانيين جنسية وديناً
حرك العصبية الدينية فيهم فثاروا ثورة واحدة . وعظفت على بيان اغلاط
الانكايذ بعد ذلك وخصوصاً في مشورتهم بالتخلي عن السودان واخبرته بالكيفية
التي جاء بارنغ بها الى شريف باشا فقال اعد عليّ بيان المسألة فاعدتها تفصيلاً

حديث مع الرئيس سلسبوري في ١٩ يونيو

انه وان تكن وزارة الانكليز من الحزب الحر والمحافظون لا دخل لهم في ادارة الاحكام فاهمية حزبهم ومعارضاته المستمرة للوزارة مما يجدر بالاعتبار ولذلك سعت جهد امكاني الى مقابلة زعماء الحزب المذكور للوقوف على منوياتهم بالنسبة الينا واخيراً توصلت الى مقابلة الرئيس سلسبوري زعيمهم الاكبر فتوجهت اليه في هذا النهار بعد الظهر بمنزله الكائن في جوار شارع سان جيمس

وبعد التحية والسلام قال . أتيت حديثاً من مصر . قلت نعم ولكنني عجت على ايطاليا وفرنسا في اثناء السفر . قال . اللزجة حضرت . قلت . لا بل للمحاربة عن حقوق وطني مصر

قال وما هي حال مصر . فاخذت ببسطها وتعداد اغلاط الانكليز منذ دخل دوفرين وباشر اشغال ماموريتها وقد قسمت المسألة قسمين اولهما مختص بمصر والثاني بالسودان ثم فرعت عنهما فروعاً ثلاثة الاول يتناول بيان الحالة الى يوم استقالة رياض باشا من الوزارة . والثاني من ذاك الحين الى استعفاء شريف باشا . والثالث منذ ولاية نوبار باشا الى يومنا هذا في الترع الاول ذكرت له توطيد الامن . بسهر رياض باشا ورواج التجارة وجميع الاشغال واستمرار الاحوال جارية على ما يرام الى ان اخذ بمحاكمة عرابي التي كانت اشبه بمحاورة هزلية فاتضح للذين من حزب عرابي ان انكلترا استخدمت هذا الرجل لقضاء اغراضها فكهوها وكروهوه واتضح لسواهم ان انكلترا الدولة

جئت الوزير اجابة لامره فاستقباني بالبشاشة وسألني عن اخبار مصر فبسطتها
له تفصيلاً مبتدئاً بعرض المسألة المصرية من ظهور عمراي الى يومنا هذا
وكان يقاطعني الحديث مستفسراً عن الدواعي والموجبات لكل حادثة وخصوصاً
ما توقع منها بعد الاحتلال الانكليزي فاخذت ابرهن له عن الوقائع وكيف
ان القوضى عمت البلاد مالياً وادارياً وسياسياً وكيف عدمت الثقة المالية واسباب
الكسب ثم بينت له حالة العسر المستحوز على القطر وانتشار اللصوص في
جميع انحاء

فقال . وما هي اسباب ذلك جميعه

قلت سؤ الادارة وأيدت ذلك بالادلة وذكرت له اعمال رجال
الانكليز في مصر فرداً فرداً واطلت الشرح في اجراءات كليفورد لويد .
وقلت اذا كان قصد الانكليز ان لا يخلوا القطر الا بعد استتباب الراحة فيه فهم
لن يبرحوه فانهم ما داموا مقيمين فيه متدخلين باموره فلا يمكن
استتباب الراحة واصلاح الاحوال

قال . واين هم رجال مصر ومن هم المعدودون فيه
قلت . انهم كثيرون مشهورون وذكرت له من اعرفهم معرفة تامة
وانهم لو سلموا ادارة الاعمال لما انقضى شهر من الزمن حتى يتأيد الامن
وتستقر السكينة ولا يبقى للانكليز عذر يتحلقونه للبقاء في ارض المصريين
وذلك على شرط ان يكون رجال مصر احراراً في الادارة والا فلا نجاح
وليس من عقلاء المصريين من يقبل وظيفة مهمة في الحكومة اذا بقي الانكليز
متدخلين في ادارات الاشغال

سألني حضرة السفير عن حالة مصر سواءً خبير واقف على دخائل المسألة المصرية . فاجبته . ان مصر لم ترَ اياماً اشد مرارة وصوبة من ايامها هذه من حيث السياسة والادارة والمالية وبينت له موجبات الخلل في المسائل الثلاث التي افسدت سياسة الانكاي في مصر . فقال . ان اوربا تركت لانكلترا حرية العمل مدة السنتين الماضيتين على رجاء ان يتأتى عن عملها تحسين حالة ذلك القطر المضون الامتيازات من اوربا بموجب معاهدات دولية صريحة يستحيل خرقها اما انكلترا فاتخذت سـكـوت اوربا وسيلة لاجراء ما تريده فافسدت النظمات الحسنة ما خلا التزامات الدولية كصندوق الدين ومجالس الحقاينة وفي اخر الامر استشرفت على اوربا تسألها عضداً لتعديل قانون التصفية تحقيقاً لمنوباتها فصادرتها فرنسا معضدة من اوربا تضيداً قوياً ثم اقترحت عليها شروطاً مصداقاً عليها من الدول جميعاً ولو لم يكن الحزب الحر هو القابض على زمام الاحكام لما تساهلت اوربا مع انكلترا ولما توقفت عنها حتى الان ولكن الدول ثقة مكينة باخلاص حزب الاحرار وصدق عهودهم واجنبابهم هضم حقوق الشعوب المستضعفة



فترة من حديث مع جول فري رئيس الوزارة الفرنسية في ١٢ يونيو ما زالت المناوصات جارية بين فرنسا وانكلترا على رجاء الوصول الى وفاق نهائي في المسألة المصرية وقد قابلت رئيس الوزارة الفرنسية المسيو جول فري وجري له معه حديث طويل الخص منه ما يحلو نشره ويسوغ ذكره وهو ما يأتي

مطلوب الباب المالي واعلم ايضاً ان غالبية الدول نازعة الى المطالب المذكور
مراعاة لحقوق العدالة والانصاف فكيف يليق بنا السكوت او يخامرنا الخجل
والوجل والدول اخذة بناصرنا مريدة تنفيذنا

فيا ايها الاعيان وذوات البلاد لا نسألكم ما تخط عنه طاعتكم ولا نكلناكم
غير الاقتداء بنيركم من أمم المشرق ألم تروا رجال بلغاريا وسربيا كيف انهم
شكوا اللجان قبل الحرب الاخيرة واوفدوها الى عواصم اوربا . اولاتذكرون
فعل اليونان وما اجراه اهل كريد مؤخراً مما اضطر الباب المالي الى العدول
عن ابدال فوتيادس باشا والى الجزيرة . ألم تملوا انه خلافاً لتصميم الوزارة
عثمانية وقرارها بلنا: منح الاساقفة امتيازاتهم . عضد الجناب السلطاني مطلب
التبعية اليونانية العثمانية وارجع لهم المنح . ألا يذكركم دليلاً او ما تملون
ان للرأي العام تأثيراً عظيماً وما يد عملكم هذا خروجاً عن الواجبات
الوطنية فلا يداخلكم الا ان انه يحسب معاكسة لانكلترا او قلة ركون اليها
بل هو محض حق خصوصي بكم فتأثروه وكونوا واثقين من عضد اوربا
لكم واستماتكم على الرأي العام في الشرق والغرب لتخففوا لانفسكم وبلادكم
ذكراً طيباً .

وقال في حديث جرى له بباريس مع سفير الروسية في ١٠ يونيو

تشرفت في منتصف هذا اليوم بمقابلة سفير الروسية في دار السفارة
وقد تناقشت وايه بحثاً في المسألة المصرية والياسة العمومية فلخصت ذلك
في الرسالة الآتية كما ترى

ثانية يكفي لسداد معدل هذه السلفة ولكن اذا قصدنا حفظ المالية الى مستقبل الايام وجب علينا ان لا نكتفي بالتوقيف بل نتجاوزه وهنا عقدة المسألة

ثبت بما تقدم ان السلفة التي تحتاج لها الحكومة لا يمكن نيلها الا بتعديل الصك الموقع عليه من جملة دول كبار لهن مصالح سياسية فضلاً عن المالية واهم الدول مصلحة وشأناً بقانون التصنية الدولة الفرنسية وهي ذات النموذ المسلوب بعد الحوادث والذين فاذا تثبتت بالمسألة السياسية بحجة المالية ادخلت مسألة مصر في دور جديد اشد نكايه واصعب حلاً مما هو مشاهد منها الان ولا نخاف بلوغ هذا الدور الا اذا كان القصد عدم الاكتناء بتوقيف الاستهلاك اما اذا لم يتجاوز التحوير هذا الحد فلا يتعذر نيل المرغوب وحل عقدة المسألة حينئذ تدفع التبعيضات وتزوج الاعمال وتستقر الحال على احسن منوال



وقال في ٥ مايو يدعو كبار المصريين الى تشكيل لجنة تسافر الى اوربا للمطالبة بحقوق مصر السياسية اثناء انعقاد المؤتمر الذي دعت انكثرا الدول اليه واشترطت ان يكون مالياً محضاً

اشتغلت افكار الوطنيين وخصوصاً الوجوه والاعيان منهم بمسألة المؤتمر وحقوق مصر فاخذوا بالمداولة والمذاكرة فيما بينهم واعتبروا المسألة اعتبارها من الامة فصرت على امل كبير من اجاباتهم الطلب وتحقيق ما عرضته عليهم في هذا الشأن قبل فوات الزمن الثمين اذ لا يصح الصمت عن امر يخص بالبلاد على حين نرى الدول عموماً مشغلة به تدافع عن حقوقنا وقد افادنا البرق في هذا اليوم ان فرنسا راغبة في ضمانه حقوق مصر السياسية وهو عين

عليه زاعمين انهم يستخدمونه بالامتهان والاحتراف والتوسع بالعيش مسافة العمر بدلاً من المال المضاعف

هذه هي الصعوبات والضيقات الحالية الحالة بالبلاد وقد انفذت الحكومة حيلها واعيا لها التدبير ولم الشعث حتى تمكنت مؤخراً من موازنة البرنامج للسنة الجارية من دون رفث او استقطاع في مرتبات الخدمة او زيادة في الرسوم والضرائب وقررتها الا ان ميزانية الحرية ما زالت غير مقررّة اذ انه لا يعلم المقدار اللازم من النقود لملافاة الحوادث السودانية التي عرفنا اوائلها وغاب عنا الالمام بمنتهى امرها وقد فوضنا امرنا بها الى الله ونعم الوكيل

وقد فهمنا ان مصاريف جيش الاحتلال غير داخلة في الميزانية ولا نعلم اذا كانت الخزينة المصرية تعفي منها او تلزم بدفعها بعد المخبرات الجارية مع حكومة بريطانيا ويؤمل اولياء الامر ان وزارة المستر غلادستون تتسامح بها كلها او بقسم مهم منها فيبقى على الحكومة مقدار ما يزيد عن المليونين جنيهاً من الحسابات الجارية المرخص لها بها ثم مبالغ التعويض ثم نفقات السودان القادحة وما اشبهها وهذه تستلزم عقد سلّة لا تخط عن عشرة ملايين جنيهاً

اي نعم ان هذه السلّة تكفي ولكن لسداد مطلوبات السنة الجارية فقط فاذا شئنا ان ننظر في نتائج ما لدينا من الحوادث وجب ان نستدرك امر المالية الى امد بعيد خيفة ان نطلب غداً ما ترددا اليوم عن اجرائه . فالاقدام الى عقد سلّة العشرة الملايين يضطرننا الى تعديل قانون التصنية . ولا ننكر ان توقيف الاستهلاك مع ما يمكن الاستحصاال عليه من ابواب

اولاها واهمها ارباب الاموال الواسعة الذين يبدرون المال توسعاً في العيش
 وهم الان قابضون على اموالهم ينفقون منها على انفسهم ولا يثقون باخراجها
 من الصناديق خوفاً عليها من الهضم والضياع فلا يستعيدون منها ولا ينفيدون
 بها احداً. والثلة الثانية اصحاب الاملاك والعقار الذين يعتمدون في معاشهم
 على ربحها وهؤلاء قد ساءت حالتهم بكساد التجارة وهبوط الاسعار ومحل
 المواسم. والثالثة مضاربو البورص الذين ضاقت بهم مذاهب اخلاق الاخبار
 وما اصابهم الا الخسران بين صعود وهبوط وهم لا يدرون ما وراء الغد من
 المحن والخطوب. والرابعة فئة المستخدمين الذين تنازعهم عوامل الاغراض
 واصبحوا عرضة للرفث والاستقطاع من المرتبات وقد ادركتهم النجاسة
 مؤخراً فسلموا من الافة التي كانت تتوعدهم ولكن لم تسكن خواطرهم مما
 سيحيي في الايام المقبلة من الضربات المؤلمة. والخامسة والسادسة . فئتا
 المزارعين والمحترفين وهم السواد الاعظم من مواطني البلاد واشد سكانها ضنكاً
 واولاهم بالالتفات والمرحمة خصوصاً ان مدار الجباية عليهم تؤخذ طوعاً او
 كرهاً على حسب ميسرة هاتين الفئتين او ضيق ذات اليد ومن اين لذوي
 الفئتين يسر الحال ومن منذ سنتين لم ينحبس وابل النكبات فاحملت المواسم
 وسقطت الاسعار وكسدت التجارة واصبحت السلع ذات قيمة واطقة لا يطمع
 بالكسب من الاحتراف بها

وعلاوة على الثلث الست المذكورة توجد فئة سابعة محسوبة في عداد
 الثلث المتقدمة الا انها ممتازة بكونها اشد فاقة وعوزاً مما سواها لانها
 أصيبت برزايا التثنية فتقدت ما ملكت وعيل صبرها بانتظار البدل حتي ان
 اغلبهم انفقوا اضاف اضافه ديناً قضاءً للحاجة وكانوا في مبدا الامر يعتمدون

وقال في ميزانية سنة ٨٤ وهي احدى مئات من مقالاته الاقتصادية الادارية نذكرها
مثلاً

ميزانية سنة ٨٤ - حالة الحكومة والبلاد المالية

قياماً بالوعد السابق اكتب اليكم بالنوان المصدر فانه مهم في حد ذاته
والبحث فيه من اخص واجبات الكتاب

ان التوازن او معادلة الداخل بالخارج آية تقدم الحكومات وبدونه لا
يعتز لها شأن ولا ترسخ قدمها ولا تتنظم ادارتها ما دامت غير متساوية
الايراد والمصروف ويؤول امرها الى الانحطاط والانحلال كلما تذر عليها
التوازن وزاد النفقات على اليرادات . وحكم التوازن لا ينحصر في الحكومات
والدول بل يشمل ايضاً البيوت التجارية والمشروعات المالية ذات اليراد والمصروف
ويستلزم حسن التدبير او ما يعبر عنه بالسياسة فعلى حكم تلك السياسة يكون
مبلغ الثروة وبدون احكام السياسة لا تتنظم شؤون المالية ولا يحصل التوازن
ومالية الحكومة تتبع مالية الشعب فان الحكومة في حصر الامر تابعة
للرعية فاذا اردت الوقوف على ماهية المالية في اية مملكة فانظر الى تابعيتها
التي تستورد منها الجباية فيتضح لك ما في خزايشها من النظار . وقد يعلم
المشاهد احوال القطر في ايامنا هذه ان مالية حكومته في عسر وضيق حال
قياساً على الازمة المستخوذة على عموم سكان البلاد من اية فئة كانوا واليك
البيان

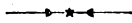
ان سكان القطر من وطنيين واجانب ينقسمون الى ست فئات مهمة

رايكم يكون مبلغ تقدم البلاد ونشاطها من عقل المشاكل الحالية والنوازل السياسية . فتحققوا اذن ان الرأي العام محوّل حول دائرة مجلسكم الموقر يراقب اقوالكم واعمالكم التي سيخلد ذكرها الى ما شاء الله . فبرهنوا على صدق وطنيتكم وعظيم اهلتيكم بالمحاماة عن حقوق البلاد وحفظ مستقبلها من غوائل ما هو محقق بها من الخطوب التي لا تنصرف عنها الا بسديد الاعمال والافكار التي تكون محمودة الاواخر والاوائل

وما اتيت بهذه التفكير جهلاً بصحة وطنيتكم او ارتياباً بصدق طويتكم وسلامة خدمتكم من شوائب الاغراض ونزاهتها عن المقاصد الا قصد انجاح الوطن واسعاد اهله ولكني أتيت بها من قبيل زيادة الحرص على الحقوق السياسية تنبيهاً وتفكيراً فان الحكومة ستعتبر اراءكم وتسير على منوال ما تقرون عليه اجمالاً في الرأي وجرائد القطر وغيرها ستثبت نص المداولات وتعلق عليها الملحوظات ان حسنة او سيئة حقق الله امالنا بكم وأنقذ القطر مما حل به بحسن سعيكم ان شاء الله

وقال في ٢٧ يناير وهو من جملة تقديراته الكثيرة التي حققتها الحوادث فيما بعد وها نحن على بغية الصبر ننتظر افتتاح البرلمان الانكليزي القريب العهد لنعلم ما سيدور في دائرته من الجدل والاقوال على مسألة مصر ويؤكدون ان نحواً من ٢٥٠ سؤالاً ستلقى على الوزارة في شأن اعمالها وان كنا في ثقة من ان السؤالات والجوابات ستكون دقيقة المعنى والمبنى لا تؤذن بكشف الستار عن سر المسألة الا انها تؤخذ دليلاً على مكنونات الصدور . وقد يجوز ان تكون الاعمال من بعد ذلك بخلاف ما يصرح به اليوم

ولقد طالما كتبت واشرت بوجوب عقد جمعية عمومية تجمع هذين المجلسين تؤلف من اخص الرجال الذين تقبلوا في الادارات وعرفوا احوالها والتجار الذين كابدوا معاملة السودانيين وطافوا الاقاليم فتأخذ بالمدولة حتى يقر الرأي العام على اختيار احسن طريقة لحسم النازلة وما زلت اقول بوجوب المشاورة والمكاشفة وعقد العزم على خلاصة ما تبديه غوامض الافكار ولا يعد ذلك احتقاراً لاراء الرجال المول عليهم الان فقد يمكن ان يكشف لهم عن امور ذات بال لم تكن حاضرة لديهم واني لا ارى في السياسة الحالية اموراً مجبولة من كبير او صغير وهي فرصة اخيرة لنا فعلينا اغنامها وعدم اهمالها او التهاون بها وايس القصد من ذلك مضادة انكبتا فاننا ما زلنا نمتدح اخلاصها نحو البلاد ورغبتها في صيانة حقوقها وانجاح اعمالها ولي كلام اخر أوجله الى ان تعتلن الحقيقة او يظهر ما ليس في الحسبان



وقال في ٢٣ يناير عند اجتماع مجلس شورى القوانين

غداً يلتئم مجلس شورى القوانين طبقاً للامر العالي الصادر بهذا الشأن للنظر في حقوق البلاد نيابة عن اهلها الذين تخيروهم وكلفوهم النظر في امورهم وغداً ترفع الى هيئة هذا المجلس جميع اللوائح والقوانين التي قررها مجلس شورى الحكومة والتي ما زالت تحت البحث والمدولة . فاليكم ايها الاعضاء الكرام وجوه البلاد عهد حل الامور وابرامها وبكم وخدمكم تعلقبت الامال فاتيتم والحالة هذه مطمح انظار القوم الذين خولكم ثقتهم دون غيركم واتم عضد الحكومة التي صدقت على تعيينكم فلي مبلغ حسن تدبيركم وصوابية

الخديوي الصادر في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ القائل بان الوزارة مسئولة امام
الجناب الخديوي مطلقاً وبناءً عليه فلا تستطيع الوزارة الحالية قبول ما ادعته
الوزارة الانكليزية . وهذه هي الاسباب التي حملتها على الاستقالة فقدمت
استغفائها الى الجناب الخديوي كما قدمنا اولاً

ولا ريب ان هذا الاعتذار مملوء حكمة صادر عن مبادئ وطنية حقيقية
لا يرتاب فيها واني لا اعود في هذا المقام الى ذكر الماضي وما كان ينبغي
عمله من اشهر مضت وانما اقول انا نجهل الاسباب التي دعت الوزارة للمجاوبة
على هذه اللائحة قبل الوقوف على افكار مجلسي شوري القانونين وشوري
الحكومة وهي التي رأت ان تعضد هذا الدستور أما كان يجب عليها ان
تستشير المجلسين المذكورين ام الاعتماد في الشرق على القانون بان يصدر
الامر به بصرف النظر عن خصائصه وتأثيره وهي مسألة لا يمكنني غضّ
الطرف عنها ولا اظوي الكلام عليها واني لا عجب والله لسكوت المجلسين عما
نقتضيه واجباتهما وعدم ابداء ارائهما في مسائل هي اهم المسائل المصرية بل
هي عين حياة مصر السياسية

اوليس ينبغي للدائن ان يتخذ افضل الوسائل للحصول على دينه عندما
يرى مدينه محاولاً عدم الدفع والماطلة . وما اشبه حالة المجلسين بالدائن فلم
لا يبحثان عن خصائصهما مع تناقل الحكومة عنهما منها اولم يشكلا بامر
خديوي وايعاز حكومة انكثرا والا فافادة تشكيلهما ولاي سبب كان ذلك
فقد اصبحا الان ملومين من الوطن مطالبين لدى الرأي العام وهل في
الامر سر سينكشف الثقاب عنه فنترف ما لنا وما علينا منه ام نود قائلين
انا لله وانا اليه راجعون

وقال في ٨ يناير حين طلبت الوزارة الانكليزية ساخ السودان عن مصر واستقالت
وزارة شريف

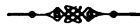
من لم يعرف الحوادث من مقدماتها لم يعرف كيفية التدبر بعواقبها
وغاية مراده منها وهيات ان يصل امكانه الى ما يعوض خسارته او يرد
ما فات ولكن الله على كل شيء قدير

في الليلة البارحة توجه حضرات النظار الى سراي الاسميلية يتقدمهم دولة
الرئيس شريف باشا ولما وصلوها صعد دولته أولاً وقدم لسموه رقيم الاستعفاء،
ثم تبعه بقية النظار وقدموا استعفاهم ايضاً ومكثوا لدى سموه برهة ثم
انصرفوا بعد ان قبل الجنب العالي استعفاهم ولكنه طلب اليهم ان يستمروا
محافظين على مراكزهم مواظبين على اشغالهم الى ان تشكل وزارة ثانية
جديدة

اما الاسباب التي حملت حضرات النظار على الاستعفاء فهي ان حكومة
مصر ترى انه من الممكن المحافظة على املاكها السودانية بواسطة خمسة
عشر الف جندي ليس الا وان الحملة التي ارسلتها أولاً مما سيتبعها كافية
لادارك الغاية وان التخلي عن السودان مضر بمصلحة مصر سياسياً وتجارياً
وفي حال تخلي مصر عن السودان تقفل بيوت عديدة تجارية شهيرة في القطر
ولا ترى الحكومة موجباً لترك الخرطوم وسواها من المدن الخاضعة والتي
لم يحصل فيها شيء من الهيجان وحاميتها قادرة على حفظها وصونها وان
حكومة مصر لا يمكنها ان تقبل مطلقاً بتلغراف اللورد غرانفيل القائل
بوجوب (قبول كل نصيحة انكليزية بدون تردد وان كل ناظر لا يكون
مشربه انكليزياً لا يصح وجوده في النظارة) فهذا مناقض لنص الديكريتو

عراقي الطلب في ذلك الحين لما رأينا الجيش الانكليزي محلاً القطر ومن الخطأ المبين ان نسي الظن بمقاصد المستر غلادستون وحسن اخلاصه لم يقرر انجلاء الجيش وصدر الامر الى قسم منه بالرجوع ولولا مسألة السودان لحصل فعلاً . فاذا تحققنا ذلك أيجوز لنا ان نلوم وزارة المستر غلادستون لا لعمرى . وبناءً عليه لا يلزمنا ان نعلق على اذهاننا ما تذيئه جرائد المحافظين الذين لو امكنهم لامتلكوا العالم بأسره

ولكن معرفتنا هذه لا تجعلنا نكل امورنا الى القضا والقدر فانه اذا كان حزب الاحرار هو السائد الان فلا يمنع من سيادة حزب المحافظين في الغد وما زلنا ممتعين بالوقت الكافي لقضاء الارب فان هذه الفرصة تدوم لنا الى سنة ١٨٨٥ فلينا ان نشتغل بها بجد واجتهاد لنصلح شؤوننا ونبدل حالتنا هذه باحسن منها ونبرهن على اصابة رأينا واستقلالية افكارنا هذا اذا كان قصدنا منصرفاً لانجاح الوطن والا فلومنا علينا . واني اكرر ما قلته مراراً من ان العربي من آية جنسية كان يود التداخل في الاعمال الشرقية وهذا طبيعي فان رجال التمدن الذين يتحملون مشاق الاسفار من بلادهم الى الشرق الاقصى للكسب والسعة يفضلون البلاد الغربية خصوصاً التي تكون خصيبة ومع ذلك لا نجد حكومة اجنية تداخلت من تلقا نفسها بل كنا نسبل لها سبل التداخل ونفتح الابواب فتدخل من غير حرج ولنا على ذلك ادلة وبراهين لا يملكها الا المكابر



ولا ريب أن الدول الأوروبية عندما تشاهد اقدامنا تتحول عن وجهتها
المعروفة وتساعدنا على اصلاح شأننا وان لم يكن ذلك منها من قبل حبها لنا
فمن قبيل صيانة مصالحها المتعلقة بنا. وهذا ما يضطرني الى استلقات
أولي الامر ليكونوا يداً واحدة في تشييد مباني الاصلاح منصفين بالثبات
فيخدموا وطنهم الخدم الجليلة التي يتظاهرها منهم بفروغ صبر ويتتني من
الاذهان ما خامرها من اليأس والقنوط

سنة ١٨٨٤

قال في مسألة الجلاء من مقالة له نشرت في ٣ يناير وهي المرة الثالثة التي ابدى
فيها مثل هذا الرأي مع قرب العهد بالاحتلال
ان ما أشيع منسوباً الى مقاصد الحكومة الانكليزية من عزمها على
وضع البلاد تحت حمايتها يعد محض اخلاق وارجاف يعزى امرها الى اولي
الاغراض النفسانية الذين آلوا على انفسهم الا ان يشوا الابطال والاضاليل
تشويشاً للأفكار - واني اسال القائلين سوءاً بالدولة البريطانية عن غير
روية ما الذي أوقف هاته الدولة عن اجراء هذا القصد بعد موقعة التل
الكل الكبير - وكيف ساغ لهم القول بعد ما شاع وذاع من المطالعات
الرسمية التي حصلت في الاسكندرية بعد اطلاق المدافع واخلال الانكليز فيها
حيث اتفق الاميرال سيمور مع الحكومة السنية على ان يطالب الى عرابي
واعوانه بان يبارحوا القطر مع بقاء رواتبهم ورتبهم عليهم ويحل عقد الجيش
وقد حصلت المخابرة البرقية بهذا الشأن فرفضه عرابي بكل وقاحة . فلو قبل

التي تسهل سبل الاتجار وتوفر الصنائع في داخلية المملكة الى غير ذلك مما تعود فوائده على الدولة والامة معاً

ولاجل الوصول الى هذه الغاية يلزمنا ان ننظر في المسائل الحالية الموضوعية تحت المخبرة بيننا وبين الدول العظام فانها مهمة في الغاية ويحسن بنا ان نتخذها كبداية للعمل فاذا فعلنا ذلك خطونا اول خطوة نحو النجاح نرى الدول جميعهن على اختلاف مصالحهن يتألبن ضد الدولة العلية اذا كان لواحدة منهن ارب في امر متعلق بنا واليك مسألة الطونه وسكة حديد الرومي وغيرهما فقد رأينا الدول ساعية في عرقلة مطالب الباب العالي جاً بتنفيذ قصد واحدة منهن وان كان قصدها غير عادل . ومصلحة الباتنه التي مرت عليها الايام والاشهر الطوال وهي ما زالت تحت المخبرة والمداولة وما برحت بعض الدول متعلقة رافضة ولا انسى ايضاً ان المعاهدات التجارية لم يتبع امرها بعد والله اعلم متى يكون النهاية منها

وكان واجباً على الدول ان تساعد العثمانيه وتسهل عليها الطارق والا كيف تصرح باخلاصها لنا ورغبتها في نجاح امورنا ما دامت هذه افعالها. وليتها اكتفت بذلك بل انها تطالب اصلاح الادارة في داخلتنا وتندب سوء حالة اهالي في بعض انحاء المملكة الذين نهكهم الفقر واضر بهم وقوف الحال نتج والحالة هذه ان تاخيرنا متسبب عن عراقيل كثيرة داخلية وخارجية لا نقوى على تهديد عقباتها الا بالحزم والاقدام ليس الا وان الاحوال الشرقية والاصلاحات لا تستلزم رجالاً فلاسنة عقلاء كما يزعم البعض فانها واضحة ودواؤها موجود عندنا وعلينا ان نسير على قدم من تقدمنا من غير ملل ولا ضجر والله مع الصابرين

مجلس الوكلاء الفخام والموجود منها في سراي يلدز للمصادقة لما استطننا لها
 حصراً ولا عدداً . وكنت اود الاسهاب في هذا الباب وأبين للقراء ماهية
 بعض المسائل وكيفية المداولة فيها ولكن اذف وقت الترحال واصبحت على
 اهبة السمر فخال ذلك دون المرام على اني وان برحت دار الخلافة فلا
 اجد بداً من بسط المعلومات التي وقفت عليها على امل ان تنبه الخواطر اليها
 وتصادف نصيباً من الحل والابرار

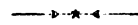
ولا اتكلم الآن الا على مسألتين مهمتين يتوقف نجاح المسائل الآخر
 عليهما الاولى مسألة الامن والثانية اصلاح الادارة وكلاهما ضرورتان جداً
 ولا تقوم الواحدة بدون الثانية ولا يمكن ادخال الاصلاح قبل وجودهما .
 وينبغي لنا ان نين اسباب عراقيل النجاح الواجب ان نتداركها في بداية
 الامر فنقول

لقد علمنا بالاستقراء ان مادة نجاح الامم ووسيلة تقدم الدول انما هي
 الاصغر الزمان لانه الوسيلة العظمى لانجاح الممالك وتأييدها وبدونه لا تستتب
 أمورها ولا تتعزز مكانتها . وهل من ينكر علينا قولنا ان الدول الاوربية
 ما بلغت الدرجة العليا التي نشاهدها فيها الا بمادة الثروة فانها مكنتها من
 القيام بالاعمال العظيمة المشتركة فوائدها بين كثيرين من ابنائها وبالتعاون
 والتوازر آل امرها الى النماء والاثراء فحسن حالها وساءت احوالنا

فاذا علمت ذلك وعلمت ايضاً ان الخزينة العثمانية فارغة فلا شك انك تسلم
 بعدم امكان ضبط الميزانية الا اذا تحسنت الادارة تحسناً يمكن معه احكام
 جباية الاموال وحفظ الايرادات من عبث الايدي والقيام بالمشروعات العظيمة

ومن ينكر فوائد انجلاء العساكر الانكليزية الذي يترتب عليه رضا الدول عموماً واهالي القطر المصري خصوصاً بل ان ذلك خير الوسائل التي تحفظ للانكليز اثرأ مأثورأ لدى المصريين حيث تفضلت على بلادهم باعادة الامن اليها وكبحت جماح العصيان ثم تخلت عن البلاد كرمأ من عند نفسها وهذا افضل دليل لدولتنا العلية على اخلاص الانكليز الذين اذا قرنوا بتصريحاتهم بالعمل وكان ما يدعونه من حب خير البلاد وبث الامن في ربوعها لا ريب فيه فانهم يكتسبون ثقة دولتنا العلية ورعاياها المصريين ومن كان في حوزة الدولة الانكليزية في الهند من المسلمين

ومن المعلوم ان مركز انكلترا في مصر عظيم الاهمية يتولاه رجال عظام مشهورون بعلومهم ووفرة الاطلاع نذكر من بينهم الوزير الخطير الماجور بارنج فاننا عرفناه رجلاً حاذقاً نشيطاً صادقاً والجنرال وود باشا والجنرال باكر باشا والمفتش الحالي صاحب الذكر الحسن في دوائر الاستانة الالية وكفى به تعريفاً انه تلميذ الرجل الاقتصادي الشهير جوشن . اما تضارب اراء الجرائد الانكليزية فهذا مما لا يعول عليه ولا يلتفت اليه فان القول والمشورة لرجل الدولة وزعيم الصولة المستر غلادستون . ونحن على يقين من ان انجلاء العساكر الانكليزية لا يوجب فقدان الامنية كما يدعيه البعض فان رجال الحكومة المصرية من اشد الناس حرصاً على الراحة العمومية ويضدهم على تعزيز شأنها وجهاء البلاد وذواتها العالمون بان الخلل موجب للخطب الجلل



وهذه مقالته الاخيرة من الاستانة في ١٥ نوفمبر

لو اردنا تعداد اللوائح والتقارير والمسائل الموضوعة تحت المداولة في

برسائل بعضها نشرناها وبعضها قضت عليها الحوادث العارضة بان تطوى
على ان سعادته لم يمنعه كل ذلك من المبادرة الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة
ولكن هذه الاحتياطات لم يساعدها الدرهم بل ابقته دون نتيجة مهمة اعمال
تلك الفئة العاصية التي ظهرت في القاهرة وقطعت المواصلات بين السودان وحكومة
مصر الشرعية واستمرت هذه الحالة السيئة الى ان انقضت الحوادث وانحلت
المشكلة وتوطدت سلطنة الجناب الحديوي

وكان في هذا الحين سلاح حضرة الحكمدار حزمه وتدييره فانه بهما قهر
المتهمدي وقومه وأوقف سيرهم وبنهر قليلين زحف عليهم مخاطرأ بنفسه وردهم
عن سنار التي لو تأخر عن القدوم اليها لوقعت في قبضة الاشقياء وبدد شملهم
وسور البلدة وحماها من كل طارق

واذ ثبت قدمه ووصلت اليه طلائع النجدات التي طلبها واخذ بالاستعداد
للهجوم واتوغل في كوردوفان وتأثر المتهمدي الذي لم يكن يبعد عنه وقتئذ
اكثر من ثلاثة ايام وقد عليه الامر بالتوقف وعين خلف له ففقل راجعاً
الى مصر

رحلة الاستانة

قال في رسالته الاولى بتاريخ ٢٤ أكتوبر

كانت المسألة المصرية حجر عثرة بين الدولتين العلية والانكليزية اما الان فصارت
على وشك الزوال حيث صممت انكثرا على سحب عساكرها من القطر
المصري ولذلك صار من المنتظر ان تتوطد الصلات وتحسن السياسة بينهما
وتبقى الامنية سائدة في البلاد المصرية

كروا الايام وعدم الاشتغال تمكنت الضفينة وقويت في ضمائر غير المرتضين
بمعيشتهم ومالت بهم الالهواء الى الهياج والثورة
واذا قال سائل « ولم لم تظهر الثورة على عهد حكمدارية حضرة غوردون
باشا او قبله » اجبنا ان حفظ البلاد في بادىء الامر من كل ثورة نتج من
ان الزمن كان قريباً من عهد الفتوح والرعبة مستولية على اطراف البلاد وفضلاً
عن ذلك فان ما يكمُن بالضمير لا يظهر على الفور بل تسوفه الايام الى حين
ويتأصل

ولما ان فعلت النافذة فعلها وحدثت وتسمية عمال البلاد من رجال مغضوب
عليهم تأثيرها ازداد الارتباك وشبت نيران الثورة في احدى النقط ولم يتدارك
امرها للملافتها (وهو خلل تمودناه) فامتدت وتشعبت الى الانحاء القريبة والبعيدة
ولما استفحل الخطب وعلت الصعوبات وعظم شأن المتمهدين واستمال اليه القوم
العديدين بقوله لهم « ان منع الاتجار بالرقيق مضاد للشريعة والظلم حط قواكم وافقدكم
مالكم فاتبعوني انشلكم من وهدة الفقر فالمال وكل ما تكسبه ايديكم حلال
لكم » ونمت عصيته ونفذ كلمته انتخب للحكمدارية صاحب السعادة عبد القادر
باشا وهو متوقد الذهن صادق الخدمة حر الضمير عارف حقوق الادارة والفنون
العسكرية شجاع مدبر غفيف النفس وديع الجانب فذهب على الطائر الميمون بعد
ان تلقى من سمو الخديوي التعليمات اللازمة ولكنه لم يبرح سواكن حتى وقعت
سنار تحت الحصار وكوردوفان في قبضة المتمهدين وقطعت المواصلات مع دارفور
واذ وصل الى الخرطوم شاهد فيها ثلثمائة عسكري لا غير وهو خبر صحيح
عرفناه عن مكاتبنا الحربي الخموصي الذي رافق سمادته وصرف في تلك
الجهات اشهرآ وعرف احوالها ووقف على خوافيها وظواهرها وبمث الينا

افتتحت الحكومة المصرية بلاد السودان ونشرت سلطتها في ارجائها ولم تنظر الى ما هنالك من الواجبات وهي على ضرين احدهما وضع قوة جرارة مبدأها الاستبداد والقاء الرعب في قلوب الرعية والثاني اصلاح الشؤون وتوفير وسائل التمشي واسباب المدنية والحضارة وتوطيد الامن وتمهيد السبل الخ روعي بادىء باده القسم الاول وهو الاستبداد المفرط تعضده قوة كافية ولكن ذلك اخذ بالانحطاط والانحلال يوماً عن يوم دون ان ينظر الى القسم الثاني من الواجبات

ولقد زاد الحالة انحطاطاً ان السودان جعلت منقياً للضروب عليهم والمكرهين فلم يرسل اليها في ذاك الحين حاكم او مدير او قومندان عساكر الا ممن لم ترض عنهم الحكومة وهكذا تجمع مالكو الزمام من طغمة واحدة وطبقة متساوية واذا فرضنا ان بينهم من نفي بدون حق وكان ذكياً نبياً فركزه بل تأثره النفساني منعه من الالتفات الى المصلحة العمومية

واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان عين حضرة غوردون باشا حكمداراً ولكن رفق تعيينه صدور دكرتو بالغاء الاتجار بالرقيق فابتداء حضرة الحكمدار بانفاذ مال الدكرتو ثم تدرج الى عزل الموظفين اصحاب النفوذ واستبدالهم بآخرين حدثاء لا معرفة لهم بالحالة ولا هم ذوو اهتمام في اصلاحها وفي الحاليين حسب المرمى

واست اقصى بقولي مضادة منع الاتجار بالرقيق ولكن كان من المقتضى ان ينظر في تنويد الاهالي على الاتجار بغيره لان البلاد لا اطياف فيها مستعدة ولا تجارة لاهلها الوطنيين الا بالعبيد والمواشي . ولقد نتج عن ذلك ان زيداً الذي كان اراده اليومي . فرنكاً بات فقيراً لا يملك شروى فقير ومع

التاجر والفلاح فوائد الاكتساب وترتفع ائمان الاطيان كثيراً وثأيد الثقة
ويكثر الدرهم ولنا في تذكر السنة الثمانين اكبر برهان فقد رأينا الاطيان
زادت خمسين بالمئة ولولا الحوادث الاخيرة لتضاعفت قيمتها فهل بد هذه
البراهين الدامغة التي ترضي جميع الفئات اسباب توجب التردد وانني استدعي
العارفين في هذا الموضوع ان يخوضوا عبابه واكون لهم من الشاكرين
اعترضوا او ازدادوا في الايضاحات

السودان

في ٨ يونيو

هي اول مقالة له عن السودان في مبادئ ثورته الشهيرة وفيها دليل عجيب على صحة
الرأي واصابة النافذة

وعدتكم في احدى رسائل السالنة بموافاتكم بالشرح المسهب عن السودان
واحوالها فاقول

كل بلاد افستحت نقضي على المفتوح بواجبات تختلف مبدئياً بحسب
اختلاف مواقع البلاد وطباع اهلها واحوالهم فالبلاد المتقدمة مثلاً لا تحتاج
الى قوة جرارة تحفظها ولا تستلزم الا زيادة السهر واليقظ على رفاهية
الاهالي ودقة النظر الى حركاتهم وسكناتهم ولا سيما اذا كانوا على غير
مذهب النائح حسماً لما ينشأ هنالك من المضاعب الوقتية اما البلاد غير
المتقدمة فتختلف فيها واجبات النائح فهي في المسطحة الاراضي منها واهلها
يحبون السكينة والعيشة الهنيئة غيرها في بلاد جبلية تعود اهلها شن الغارات
ولم يعرفوا الطاعة الا لاهوائهم ومطلق ارادتهم وهذا حكم بلاد السودان

دواؤه إلا الحكومة اذا التفتت الى بنيتها الثقات الام الحنوف
 واذا قيل لم هذا الفائض الجسيم وفي اوربا لا اثر له قلت ان البلاد تتعامل
 بحسب حالتها فقائض فرنسا غير المانيا وفائض هذه غير الروسية وكلها بلاد
 متمدنة وفضلاً عن ذلك فانه عند حصول كساد في سوق اغنى وارى بلاد
 في العالم (فرنسا) نرى معدل الفائض فيها مضاعفاً فكيف لا يكون ذلك في
 الشرق وحوادثه مستمرة وثقلباته سرية . نتج من ذلك ان التاجر معذور
 والفلاح جاهل وان لا مداوي غير الحكومة

ومما يذكر في هذا الصدد ايضاً انا نرى زيداً مديناً ل بكر بمبلغ يوازي
 ثمن ارضه فينافل دائته ويرهن ارضه عند آخر ولا ضمير ليكته على سؤ
 فعله . ونرى عمراً عليه ضعف ما تساوي قيمة ارضه وهيئات ان يقف عند
 حده . نعم ان مثل ذلك يحدث في بلاد اخرى ولكن هيئات ابن
 يذكر لندوره

والذي نعلمه في الحالة الراهنة ان على الاهالي ما يزيد على ١٢ مليون
 جنيه استمرارها الى سنين يزيد في القيمة ملايين ويسوء امور التاجر دون
 ان تحسن حالة الفلاح فتدواها الحكومة بما يخفف ويلاتها
 ومتى تم للحكومة هذا الامر اعملت الفكرة في انشاء بنك اهلي ذي
 رأس مال عظيم يشترك فيه ارباب المال من وطنيين واجانب ويؤسس على
 مبادئ ثابتة كالبنوك الوطنية الموجودة في الفلاح والبغدان وسواها من الممالك
 الصغيرة (وهنا لا اتمثل بنك فرنسا او انكترا) وتدعو الفلاح الى الاقتراض
 وتلقي المسئولية على عمد البلاد ومشايخها اذا اغتالهم المزارعون او هم سلبوا
 ذلك بالاتفاق مع بعض التجار وبهذه الوسطة تروج المعاملة ويتقاسم

الحال الرقيقة واستدعيت الثفات الحكومة السنية الى مداواة هذا الامر قبل سواه لأهميته التي ان لم نشعر بها حالياً فستقبلاً وحينئذ يبرز الدواء ويأس المريض فتضيع حالته ويتاب الحكومة خسائر باهظة لا تقدر. بيد اني عندما قرات في الاهرام عن مجمل الدعاوى المقدمة على الفلاح انتهزت الفرصة لكتابة الجملة الالية أمل ان تقع لدى رجال حكومتنا موضع القبول وبودنا ان يقرأوها بتأن ويلتفتوا اليها بامعان فان الغاية هي الاصلاح ليس الا

قضت الواجبات على كل حكومة ان ترى في حالة الرعية وتنظر الى نقطة الاقتصاد لتكون انموذجاً لافراد الاهلين وكان ذلك في البلاد المتقدمة الى العلم والمال الزم منه في البلاد المتقدمة ولهذا ترى الفلاح الفرنسي مثلاً في اقصى ناحية من بلاده يعرف مجرى التجارة ويراتب حركة القراطيس المالية ومتى وفر عنده مبلغ اشترى به قراطيس وخزنها في صندوقه

اما في شرقنا فلا نرى لذلك اثرأ ليس عند الفلاح فقط بل عند غالبية كبار القوم فانك تشاهد زيدا مؤسراً عظيماً يملك عدة افدنة وله ايراد متسع ولكن لسوء تدبره لا يقتصد درهماً والابناء يقتنون اثر الاباء فلا يبقون على نفس اصل المال. وترى عمراً اذا تمكن من توفير مبلغ وتقدم لمشتري اطيان كانت قيمة ما يشتره اكثر مما تملك يده فيقترض بالربا الفاحش ولا تمضي عليه سنون حتى يضطر الى بيع ما ابتاع في حين يبقى مديناً وهو امر واقعي كثر ما حدث مع ذوي بيوت المجد والكبار الذين لا يجمل حالتهم احد = ولا عجب اذا وقع الفلاح في الخيرة نفسها وهو جاهل أي لا مرشد له ولا مدبر = وهذا هو سبب فاقتنا وعلة تأخرنا مادياً وادبياً وفي هذا المقام لا طيب ينجم

مقربة من كلكوته وهي منفي المجرمين السياسيين وسيذهبون اليها مع عائلاتهم
فيؤثفون هنالك مستعمرة مصرية عاصية

واما النفقات اللازمة لهؤلاء فقد اتصل بي انه اذا اخذت الحكومة
املاكهم عينت لهم ما يقوم باودهم والا فايراداتهم كافية لهم وهو امر قد
تقرر في عالم النيب وسيظهر الى عالم الفعل عما قليل . اما تفهيم فسيتم في
مدى هذا الشهر دون ريب ولكن لم نعلم الى الآن هل يحفظ عرابي رتبته
ونياشينه ام لا . وبودنا ايضاح ذلك لكي لا يفوتنا امر يوجب الدهشة والتعجب
وانني لا ادخل في هذا المقام بالنسبة الى عدل العمل وحق الحكم
بالنظر الى نفي هؤلاء الجماعة او عدمه ولكننا نود الوصول الى ذلك بنير
هذه الطريقة رعاية لحرمة الشرع والقانون وشرف الحكومة الانكليزية
والمصرية وبقيننا ان جرائد اوربا ستبسط الجمل المسربة المؤيدة حقيقة ما
ابناه والمدربة عن حكم الراي العام بذلك

سنة ١٨٨٣

الفلاح ودائنه

من تصفح هذه المقالة رأى كيف كان الفقيد اول من شرح حقيقة مصائب الفلاح
ودل على ضرورة انشاء بنك اهلي قال

ضمنت في رسائل مراراً تلميحات وايضاحات صريحة عن حالة الفلاح
الراهنه والدين العظيم الذي يتناول قسماً كبيراً من المزارعين واخصهم ذوو

قلت - وكيف رأيت الاهلين
قال - ودعاء ينبني ان يسهر الحاكم عليهم وان يرشدهم ويهذبهم ويقودهم
الى النقطة المرغوبة

وهذا ما قاله بعد صدور الحكم على عرابي بالقتل واستبداله للجال بالنفي في ٤ ديسمبر
وكان يومئذ بمصر

بسّطت لكم في رسالة امس تفصيل محاكمة عرابي التي تمت في جلستين
استغرقت اولاهما خمس دقائق وثانيتها عشرًا وجملة ذلك خمسة عشر دقيقة
ولا شك ان حضرات القراء قد وقفوا على تفصيل هذه المحاكمة القريبة
وليس لي ان اعرب لكم عن التأثير الذي اصاب اهالي العاصمة فلكم ان
تعلموا هذا من تأثير اهالي ثركم وذهولهم فالحكم في الامر واحد
واني لازيدهم استعداداً للذهول باعلاني لهم ان يستجري يوم الاربعاء
القادم محاكمة اربعة آخرين من رؤساء المصيان وهم رئيس الوزارة العاصية وطلبت
عصمت وعبد العال حشيش ومحمود فحسي . واذا قلم لماذا لم تتم محاكمة هؤلاء
الاربعة يوم الاثنين او الثلاثاء دون هذا التأجيل . اجبت ان اهمية الموضوع
والتدقيق السكلي في المحاكمة القائمة قضيا بوجوب امتلاك وقت كافٍ للاستراحة
يومين او ثلاثة

واظن بل اؤكد ان ستكون نتيجة محاكمة هؤلاء الاربعة كما كانت
نتيجة المحاكمة القائمة . ويوم الخميس او يوم السبت تجري المحاكمة الثالثة على
الاربعة الباقين وهم علي فحسي وعلي الزوي وشعوب سلمي واحمد عبد العفار .
واتصل بي ان هؤلاء الاربعة مع رئيس عرابي تقرروا فيهم الى الجزر برفقة علي

حديث مع الجنرال والسلي في ٥ أكتوبر

نقتطف من هذا الحديث ما يأتي

قلتُ - وهل تبقون طويلاً عندنا

قال - قد أمرت بأن اتوجه الى لندن باول فرصة وعليه فسأرح القطر

عما قليل

قلت - وهل يبقى الجيش كله عندنا

قال - لا ولكن يلبث قسم منه فقط

قلت - وهل الى امد بعيد

قال - لا بد من ان يصرف الشتاء القادم ولعله يلبث أكثر من هذه المدة

لتعلق ذلك بالظروف

قلت - ولعل ذلك يتعلق بالسياسة ايضاً

قال - ان السياسة تخص اربابها وما غاية دولتنا الا استتباب الامن في

قطر هو اهم نقطة لمصالحهما وذلك لا يتم الا بتأييد سلطة الحضرة الخديوية الفخيمة

قلت - ان البلاد لم ترَ العدل الا في ايامها والرغد الا باحكامها

قال - وانه يحق لسوى هذا القطر ان يحسد مصرّاً على امير طاهر

الذيل شريف الغاية

قلت - وهل تطيل السياسة حل المسألة

قال - ما دامت النية سليمة كانت العاقبة اسلم وكان الوقت قصيراً

قلت - وهل عرفت وزراءنا الكرام

قال - عرفت صاحبي الدولة شريف باشا ورياض باشا وكلاهما نبيهان

وطنيان حقيقيان

عنكم بعيداً لتكونوا في عداد الشعوب المتقدمة وتوفر لكم اسباب الفلاح والثروة وتنالوا المجد والسؤدد وتعيشوا العيش الرغد وتملكوا حق التصرف بما لكم اذ تحسن ادارتكم وتروج صنايعكم وتنمو زراعتكم ويتسع نطاق اشغالكم وتحفظون استقلال بلادكم والامتيازات التي اخصتكم بها الفرمانات السلطانية وصدقت عليها الدول الاوربية

واقفوا ان ما دفع الاجانب الى التداخل باعمالنا - دع عنك ذكر الماضي فقد كانت له اسباب ومسوغات انجها سوء الادارة - لم يكن الا انكار اعمالهم بما ينافي شرائع الانسانية والمدنية والعمل على اضاءة حقوق الغير ومس مصالحهم المقررة . أو ليس عرابي واتباعه هم الذين اتوا هذا المأثم وجلبوا على الديار واهليها عاراً لا يمحي الا بانكار اعمالهم والابتعاد عن مجالستهم فما بالكم - أريد البعض منكم - لم تزالوا تتبعون اراءه الفاسدة وانتم تعلمون ان مثل هذا العمل يعود على البلاد عوداً غير محمود ويزيد في نفوذ الاجنبي وتمكنه

على ان جميع ذلك لا يكون شيء منه ان نبذتم النرض والميل الاعمى ووثقتم عرى الائتلاف والمودة مع الاجنبي وسواه وتلك هي مبادئ التمدن وهذا هو القائد الامين الى ما تريدون . وعليكم بالاصلاح فاصلحوا شؤم ونكم وكفروا عن سيئات لحقت بكم بسبب العاتي المتورد واخفضوا جناحيه واقبضوا عليه واثنوا به الى حاكمكم الشرعي لتقضي عليه العدالة كما قضى عليه جلالة مولانا الخليفة امير المؤمنين

وقال في ٧ ستمبر

{مصر للمصريين}

كلمة حقّة لو ادرك المصريون ما تحتها من مبادئ الحكمة لتوصلوا بها الى درجات الترقى ونالوا بالتأني والتروي فوائد غزيرة تعود على البلاد بخير المعاد . ولكن فريقاً منهم وفي مقدمتهم عرابي المعاصي ساقهم الضرور الى اقصى الجهل فتطرفوا وحوّلوا معنى الكلمة الى غير ما أريد منها فتأبطوا شرّاً وشطّوا عن الطريق السويّ وظنّوا ان بلوغ المنى بطرد الاجانب واغصاب ما ملكت ايديهم من رزق وغنى فبشوا في انحاء القطر روح الفساد وبعثوا برسولهم نديم يوعز بالاتحاد ولكن ضد الحكومة الشرعية وبالاتفاق ولكن على العصيان وارتكاب الجرائم

وهكذا لم تلبث هذه العصابة ان ظهرت في عالم الوجود حتى قامت تنادي بما اسرّت من سوء النية . وتوهمت ان لا طاقة للدول على اكرامها ففعلت ما فعلت وتوغلت بارتكاب المعاصي حتى تأكد لدينا — على ما جاء في جريدة فانفولا الايطالية — انها اتخذت كلمة {مصر للمصريين} بمعنى (فليخرج الاوربيون من القطر المصري)

اما انتم يا نبهاء القوم وعمد البلاد فلا يفرنكم جهل عرابي واعوانه بل تبصروا في عواقب الامور واعلموا ان البلاد محكوم عليها بوفاء الدين آجلاً او عاجلاً وان الحق يعلو ولا يعلى عليه

واذا كنتم تحبون وطنكم محبة حقيقية فبرهنوا على ذلك بالاخلاص لاميير طاهر الذيل عادل الاحكام وساعده على استئصال الشرّ من ارضكم والقائه

يكون من مصلحة الدولة العلية ان تشترك بهذا الاخلال ولو ساءتها اقتراحات
دوفرين من وضع الجيش العثماني تحت قيادة الجنرال وولسلي الانكليزي
لا يجب ان نكل امرنا الى اوربا فهي في المؤتمر القسطنطيني لم تغير من
شروط انكثرتا شيئاً وهي نفسها بصمتها صدقت على اعمال هذه الدولة وتداخلها
العسكري في مصر وهي بعينها تمضد اقتراحاتها بخصوص الاتفاق الحربي
وهذا الامر جار في عاصمتنا على مرأى منا ونحن لا نزال مترددين نخطو
الى الامام خطوة ونرجع الى الوراء خطوات

الاسراع الاسراع فان الحكيم من نظر الى غده واستفاد من امسه
وانا نؤمل ان نرى من رجال دولتنا حزمًا في اعمالهم فيتقدمون بثبات
ويشتركون مع الانكليز في اقتلاع هذه الروح الفاسدة التي بشاعراي واعوانه
فان مصلحتنا الحرة تطلب الينا ذلك وانا نهزأ والله من اولئك الذين
يرون بالحركة المصرية خدمة للدولة العلية بل كل عثماني تفحص الامر باخلاص
تبين له عكس ذلك فاننا في زمن يستلزم تأييد الوفاق وعراي عامل على
شق عصا الاتحاد وقد نبه اوربا الى امور كان عدم ظهورها أولى لنا

الاسراع الاسراع فان الوقت ثمين وصرنا نؤمل قرب الاتفاق لما نعهد
من سهر الحضرة السلطانية ورجالها العظام على مصلحة الامة والوطن وانا
بلسان العثمانيين عموماً والمصريين خصوصاً نطلب الانتقام من عراي الذي
ولد للشرق مسألة جديدة وسبب اخلالاً اجنبياً فضلاً عما رزئت به البلاد
من الفتن وبلت به الاهلون من المحن

ولولا ذلك لكانوا الاولين في معرفة دهائها واساليبها . انظر الى مسألة التداخل العسكري التي لو تمت بوقتها لاراحتنا والبلاد من مصائب العصاة الطغاة الذين دمروا هذا القطر السعيد وعطلوا سبل اعماله . والاغرب من ذلك ما كنا نراه في بعض جرائد الاستانة من الجمل الرنانة مدحاً لعرايي واستحساناً لاعماله ولكن ذلك اكد لنا عدم معرفة اولئك الكتاب حقيقة المسألة فكتبوا ولكن على جهل

لا انكر ان التأني واجب ولكن على شرط الحزم في العمل الامر الذي تقوم به سطوة الملكة ويمتز به شأنها . أليست انكلترا هي التي طلبت الى الحضرة السلطانية ان تتدخل عسكرياً . أليست الدولة البريطانية نفسها هي التي اقنعت فرنسا بذلك . انظر كيف اضر التطويل فان انكلترا بعد ان رأت تردد الحضرة السلطانية نزعت الى العمل بنفسها واخذت تقترح على الدولة العثمانية اقتراحات عنيفة في شأن التداخل ولا تزال المخبرات جارية ولا نعلم متى يتم الاتفاق واذا تم فلا يبعد ان يكون بعد تبديد شمل العصاة وحيثئذ نقول انكلترا لا حاجة الآن لهذا التداخل وقد سحقنا قوة العصاة واحللنا جميع نقط البلاد . فاذنا نكون استفدنا من هذا التطويل ونحن نرى انه كلما طال الامر انعكست النتيجة

الاسراع الاسراع فهو ضروري جداً . ولنقل ان الجيش الانكليزي يتصر على العصاة قريباً وان انكلترا لا تقصد منفعة شخصية في قطرنا ولكن انجلى عنه الا بعد تأييد سطوة الحضرة الخديوية وانتظام قوة تحفظ الامنية والراحة قل لي يمكن الحصول على هذه القوة قبل اشهر . وهناك امر اهم اذمن يعرف ما سيتخلل ايام الاخلال من تقلبات السياسة واذا كان الامر كذلك افلا

يترقبن الفرص لاغتنام التداخل الى ان وسوس الشيطان في صدر عرابي ان
 اخلع طاعة امير المؤمنين ووكيله الجنب الخديوي وازرع في الارض فساداً
 وشقاقاً . فاني لنا التسلط على ماليتنا الان وقد نهبت خزائنا وتلقت محاصيلنا
 وسلب منا كل ما تملكه ايدينا وكيف نتخلص من مراقبة الاغراب وعلينا
 تسديد كوبونات وتعويض اضرار ودفع مرتبات ومصاريف احتلال اجني
 واخزائن فارغة من كل اصفر . الا يفتطر قلب كل وطني مخلص لوطنه
 عندما يرى هذه الاخطار محيطة بنا ونحن عنها متنافلون ام قد قسى الله
 قلوبهم وهم عن غيهم لا يرجعون . الى متى تتبعون الظالم العاصي وتحاربون
 معه . اختم الله على قلوبكم فانتم لا تعقلون ام لا تدرون بانكم تلتقون
 بانفسكم الى الهلكة وتخططرون بعيالكم واموالكم وبلادكم فارجموا هداكم
 الله واثقوا ربكم واطيعوا اولياء الامر منكم فانهم بامر الله يحكمون وهم ادرى
 منكم بمصالحكم . لا تزيدوا ضللاً وغياً فكل يوم من جهلكم وعصيانكم
 يكاف البلاد ما لو علمتموه لارتدتم وعدتم الى الله تائبين



وقال في ٢٤ اغسطس من مقالة تحت عنوان العثمانية ومصر ما دل على حذره منذ
 الساعة الاولى من مطاولة الانكليز خصوصاً عند قوله « من يعرف ما سيتخلل ايام
 الاحتلال من تقلبات السياسة » ليحمل الدولة العلية على ارسال التجديدات الموعودة قبل
 فوات الفرصة

يصعب والله علينا ان نحل رموز سياسة الدولة العلية في مصر خصوصاً
 بعد ظهور عرابي وقد اجمع كتاب اوربا ان رجال العثمانية لا يبارون في
 فنون السياسة ولكن عندهم مبدأ التطويل الذي اذا حسن مرة ساء مراراً

اطفالها وابريائها جزر النعم . ابخراج سكانها خائفين مذعورين كمن انزل الله عليه صاعقة من السماء . بتحويل المياه عن مجاريها واغراق البلاد . ام بتعطيل مئات ألوف من الاهالي عن اشغالهم . هل نعت الفلاح وقد أتلفت مزروعاته فلم يف ديناراً مما عليه للحكومة والتاجر فساء حالاً وازداد ارتباكاً ودينياً . هل خدمت الوطن وقد فرغت صناديقه وسقطت قراطيسه من الثمانين الى الخمسين ودونها . هل هذبت ومدنت الاهلين وقد جلبت عليهم عاراً لا يمحي فنسب اليهم من الخشونة ما كان ينسب قبل للحبشة والزولوس . أم طردت بعض اجانب مستأمنين يدفعون البلاد ويتفعون منها فداسوها الآن فائزين ظافرين . هل تفتخر بايجاد مجلس الامة وانت اول من ازدرى قوانينه وشرائعه فجعلت اوروبا تحتقر الامة ومجالسها . ام تنسب لنفسك . نظام الجيش وقد انتهكت حرمة مما ارتكبه من السيئات والنحشاء وشأن الجيش ان يحافظ على النظام ولا يأتي امراً مكروهاً . اأكتفي بما عدته من الاضرار ام ازيدك شرحاً عن الضرر الاكبر وهو مالية البلاد فاقول

كانت مالية البلاد على زمن الخديوي السابق في حالة مرتبة لا نظام لايراداتها ولا حد لمصروفاتها . كنا نرى الفلاح يتعب ويشقى ويملاً خزائن الحكومة حتى اذا ما استحق الكوبون وجدناها فارغة خاوية فاقترضا ما يلزم لسد احتياجاتنا الى ان جاءنا اليوم الموعد الذي احناطنا فيه الافرنج طالبين اموالهم فطأطأنا رؤوسنا اذلالاً منكسرين وسلمناهم ادارة العمل وفوضنا اليهم نظام ما ابديناه من الخلل . فسنوا قوانين وحدوداً واقاموا مراقبين فاصطحلت بذلك احوالنا الى درجة لم تكن تخطر لنا ببال فحسدتنا دول اوربا على حالتنا هذه التي لم تد تمكنهم من التسلط على اعمالنا الا لوقت محدود فاخذن

خطاب مصري يودّ نهوض مصر ورفعها واقول لهم قول نصوح عارف
بما وراء الأكمة ان كل مصري في الوقت الحاضر يجب ان يكون عضد الحضرة
الخدوية والوزارة وان يسير الجميع تحت راية الوطنية مسترشدين بنبراس الحكمة
حتى لا يزعموا دعامة الثقة التي نالها دولتلو شريف باشا بل يكذبوا
باخلاصهم المتبادل تلك الاشاعات التي تنتهي الينا يومياً

اما هذه الاشاعات فالظاهر انها ناشئة عن اغراض وغايات لانها تشير
الى عدم الامل بحفظ السكون وهذا عين الخطأ والقائد الى سؤ المصير وشرّ
العقبى كما تبين لنا جرائد انكلترا التي تهددنا رافضة كل تداخل عارضة وجوب
استقلال مصر استقلالاً انكازياً ولو بمساعدة فرنسا عند اول حركة

سنة ١٨٨٢

قال في ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٢ على عقب احراق الاسكندرية وهي نموذج من مقالاته
الكثيرة في هذا المعنى لذلك العهد وكان يومئذ في القطر المصري
كلما اخذت القلم لتعداد وتبيان ما ألم بهذا القطر من الاضرار لا
تطاوعني يدي وأقف ذاهلاً متحيراً. تباً لك ايها الخادع المنافق المتظاهر بحب
وطنه وانت له' العدو الالذ كم وكم جلبت عليه من التكببات والافات. لقد
افسدت وخربت في ساعة ما بناه واصلاحه غيرك في عشرات من السنين.
قل لي ايها الساعي الى حنفيه بظلفه بماذا تعتذر عند ابناء وطنك وقد حملتهم
حملاً لا طاقة لهم به. وبأي طيبة تبيض ما ستسوده صفحات التاريخ من
ذكر شنائك وظلمك وجورك. انخراب الاسكندرية ونهبها واحراقها. انجزر

ولذا فاني اكرر ما قلته من ان حدوث اقل حادث سيثبت اتحاد الدولتين واؤمل ان حكمة رجال مصر لا ترينا الا هدوا واحتراماً للقانون والمصالح العمومية

— شاع ان اللورد غرانفيل اتى باريز للمخاطبة مع حضرتكم بمسألة مصر —
— لم اره لان ولم اجد سبباً لقدمه فان الاتفاق وطيد والحالة الراهنة لا تستوجب احتياطاً واما اذا ظهر امر جديد فتؤخذ الاحتياطات في شأنه —
اتى اللورد غرانفيل الى باريز ام لم يأت

ولما اكتفيت وعرفت ما ظهر وبطن استأذنت من حضرته بالانصراف فخرجت شاكرآ لما شهدت من لطفه متبصرة فيما طرح علي من افكاره واني اود ان يتروى قراء الاهرام وسائر رجال القطر المصري في الحالة وينظروا الى ما فيه اعزاز وطنهم واستتباب الراحة العمومية

هذا ولا بد ان يتذكر المصريون حادثة انقلاب الوزارة المصرية يوم كان يرأسها سمو الخديوي الحالي فانهم لما اعتبروا صمت اوربا عموماً والدولتين خصوصاً (يوم كان يجب عليهم اثناها ان يفتنموا الفرصة لتبديد غياهب الشر ويجهدوا بفصل الخلاف بالتي هي احسن) تصديقاً على ما فعلوا آلت الحال الى ما آلت اليه ووقع ما لم نجعل

وما يراه الان كل متبصر مستنير بالتجارب هو ان الدولتين اذا تكررت الحوادث تستعملان واسطة فعالة لكبح كل حركة وعضد الجنب الخديوي ولست ازيدكم علماً بان مصر تخسر اذ ذاك من حالتها الراهنة كثيراً اي انها تفقد من وطنيتها وعليه فاخاطب العسكرية اولاً والملكية ثانياً وخصوصاً امراء الجندية وفي مقدمتهم حضرة عزتو احمد بك عرابي

لعدم الدودة الى مثل ذلك قاموا بخدمة جليلة لبلاهم واذا سألتني عما يكون من الدولتين الفرنسية والانكليزية على افتراض استئناف حادث كالماضي اجبتك انهما يتخذان تدابير قاطعة ووسائل كلية لا تجهل نتائجها فان سكوتنا الحاضر يجب ان ينظر اليه بصفة انذار او بلاغ لاننا لا نود تكرار ما وقع .
وانكائرا وفرنسا متحدثان في عدم رغبتهما في تداخل الجيش العثماني او سواء ونحن واثقون من اتفاق انكائرا معنا بهذا المعنى كما تشهد المكاتبات السياسية التي جرت بيننا في المخابرات الاخيرة بعد الحادثة

— مولاي ان حكمة سمو الخديوي ورجال وزارته اجل من ان يرشدوا الى معرنة الحالة ولست اراهم الا عاملين على ازالة كل اضطراب وقد افادت الاخبار عن قرب ابعاد بعض العساكر من العاصمة وما ذلك الا دليل حسن على جودة النية ولكن ارى ان جرائد انكائرا نفسها طلبت ارسال عساكر عثمانية الى مصر

— الجرائد غير الحكومة وهذه تضاد ما قالت تلك مطلقاً

— يرى الآن ان الجرائد الانكليزية حوّات منهجها واخذت تشتغل لنفسها فقد نشرت « التمس » في عددها الاخير جملة تطلب بها اخلاقاً انكليزياً او بعبارة أخرى افتتاح مصر

— التمس كما تعلم ليست الحكومة وانكائرا تعترف بمصالحنا في القطر المصري كما نتعرف نحن بمصالحها فيه ولا يمكن لاحدى الدولتين ان تعبت بمصالح الأخرى فان احترام هذه المصالح متبادل تشهد به الاحوال الاخيرة وبرهان الاتفاق الذي يبدد غياهب الغايات باسرها ان كلاً عرف ما له وما عليه

اما اوربا عموماً فالواضح انها تاركة اجراء الامور لانكلا ترا وفرنسا وهاتان الدولتان متحدتا الرأي والفكر على العمل ضد كل تداخل

اما العثمانية فلم يعلم حتى الان ما تنوي وتريد وقد قال تلغراف امس انها مصممة على ارسال قوة فاذا صح ذلك جهلنا مبناهُ وامكان حدوثه وهل هو باتفاق مع سمو خديو مصر او لا

وما ندركه ونتذكره ان جرائد انكلا ترا التي اخذت بادىء بدىء عكساً لمبدأ حكومتها تطلب تداخل العثمانية بارسال قوة عسكرية الى مصر عدلت هي نفسها عما عرضت ونبذت خطتها ولم تكتفِ بذلك فقط بل سألت وضع مصر تحت سلطة انكلا ترا ايضاً

وبرهنت هذه الصحف عن الحقوق التي تخولها ذلك ومرجعها كلها الى سكة الهند وقالت « ان هذا لا يسوُ فرنسا فهي تعلم ما لنا »

ولم نلبث بعد ان قرأنا هذه العبارات حتى سمعنا ان اللورد غرانفيل وزير خارجية انكلا ترا آت الى باريز فارتاب القوم في موجب هذه الرحلة وثقوا فيها واختلفوا في تأويل اسبابها مذاهب واءاء حتى دعاني الامر الى الذهاب بعد ظهر امس الى وزارة خارجية فرنسا كيما أقف على الحقيقة

ولما وصلت الى دار الوزارة أذن لي بالدخول الى قاعة الاستقبال فتشرفت بمقابلة حضرة المسيو بارتلمي سانتيلر وزير خارجية الجمهورية (وكنت مثاث بين يديه مرة قبل هذه كما سبقت فاعلمتكم) وبعد المداولة ببعض الامور السياسية قال لي

— ان حالة مصر تتعلق برجالها فان تمكن سمو الخديوي والوزارة بضد القنصلين والمراقبين من توقيف كل حركة وايجاد الراحة واتخاذ الوسائط النعالة

لكم فقط بل تطاولت الى انكار ما للباب العالي من حقوق السلطة على القطر المصري مشبهة ذلك بالظل ليس الا قاتلة ان لا بد من المنع ولو مست الحاجة الى قوة عسكرية وقد اتبعت ذلك بشرح ضافي الذبول . اي نم ان الجرائد ليست الحكومة ولا كل ما نقوله يعمل به ولكن لا يخفى على القراء ان لجرائد اوربا نفوذاً تبيحه لها الامة فتكون والحالة هذه لسان حالها ولا يسمع الحكومات هنا الا ان تجري ما تروم الامة . واذا تفحصنا ما هنالك علمنا ان انكلترا لم يجرئها على التقدم الاجرائها

وقال عن الجرائد العربية على اثر محادثة جرت له عن مصر مع برتلمي ستيلير وزير خارجية فرنسا اوردها بتفصيلها ما نصه

ثم ودعته وانصرفت وفي قلبي لهفة للوصول الى السلام وتنام الطمانينة لانك اذا طالعت الجرائد باسرها رايتها على اتفاق في منهجها السياسي خصوصاً في ما يتعلق بالاستانة واني لاخاف ان يكون لصوت الجرائد المذكورة صدى فيؤثر في عموم الشرقيين وبالأز لا يميز عند حلول الوقت بين من احسن او اساء فالنار يسترها الرماد وعاصفة الحوادث تستعد للايقاد ولا يخمدها الا ماء السلام احسن الله الختام



وله من مقالة أخرى عن مصر نشرت في ٨ أكتوبر
اي نعم ان الافكار هدأت ولكن المسألة لم تزل في الوجود وهي
موضوع السياسة الحاضرة فان الكل يتساءل عما يكون منها او ما ينجم عنها
او ما ستجري العثمانية واوربا او فرنسا او انكلترا على حدة او غير ذلك مما
يرهن على ان للامر اهمية عظيمة

اما رجال الشرق فهم من نحو جيل يعتقدون اعتقاداً واحداً آمين
 الفوائد موقنين ان من المستحيل اتفاق الدول غير ناظرين الى ما تسلسله
 الحوادث والايام مما هو واسطة لايجاد الوفاق والاسراع بآرامه
 نشرت التمس في احد اعدادها الاخيرة جملة قالت فيها بوجوب احتلال
 عساكر انكلترا القطر المصري او بالاحرى بوجوب ضمه واصافته الى املاك انكلترا
 وارتأت لمرضاة الدول الباقيات تجزئة الشرق فاهتاجت الافكار واخذت
 الجرائد الاجنبية تندد وتعترض لا لابطائها الحل او كرهها له ولكن
 لانه يوافق انكلترا اكثر من سواها

اما الجرائد فذهبت في هذا الموضوع مذاهبها الى ان اتانا مراسل التمس
 البرليني بجملة تؤيد الرسالة الاولى وتذكر ان البرنس بسمرك اول من يعضد
 هذا المبدأ مستشهدة بكلامه ايام المؤتمر البرليني على اعتبار انه عرض مصر على
 انكلترا ثم اتصلت الى غير ذلك مما لا اشك بانكم عرفتموه من الجرائد نفسها



وكتب في ٧ أكتوبر فيما يتعلق بارسال اللجنة العثمانية الى مصر يومئذ
 لقد ثبت ما كتبه اليكم في سالف رسائي وتحقق ما أمنت فترى
 جرائد انكلترا على اختلاف مشاربها وتباين مذاهبها ناشرة جملاً متفقة المعنى
 تضاد تداخل العثمانية في مصر ومن العجب اننا نشاهد تلك الصحف عينها
 التي كانت تستدعي العثمانية للتدخل وتنهاي الى حكومتها بوجوب العمل فيه
 والتوصل اليه عدلت عن خطها وحنقت مما كان
 والاغرب من ذلك كله ان هذه النشرات لم تقف عند حد ما ذكرت

الاتصالات بين هذه البلاد وبين طرابلس الغرب وغيرها من الممالك الشرقية والاقتصاد دون غزو من الشرين
وان ارسال القوات مؤخراً يؤكد ذلك واذا استمرّ الهياج وضعت بلاد تونس تحت الاحكام العسكرية
وعليه فلست ارى من سبيل للتونسيين الذين لا يقتلون عسكرياً فرنسويّاً دون ان يقتل منهم عشرة كما تبثنا الاخبار الاّ السكون والكف عن العصيان ليحفظوا استقلالهم الاداري الى حين ولكي لا يفقدوا جميع الامتيازات لان الحوادث تجرّ أولى السياسة الى الاقبال على امور كلية رغماً عن ايضاحهم الرسمي قبلاً بعدم اتيانها
وبعبارة أخرى اقول انه اذا طالت ثورة تلك القبائل فلا نعجب من استيلاء فرنسا على تونس استيلاءها على الجزائر وهناك يخسر الثائرون الخسارة الاخيرة دون عوض



ولما اخذت تشدد الفتنة في مصر كتب من باريس في ٥ اكتوبر
ما الحوادث الاّ انذار ينبه الافكار وما الاعمال الاّ نتيجة ما تهيجها الخواطر وبها تنكشف الغايات والمقاصد وتظهر المصالح والاغراض وعليه فلم يكن من المسألة المصرية الاّ اقامة الحكم على المسألة الشرقية بتمامها
اذا استبر السبيل الحر السياسة الشرقية عرف ان حلها متوقف على اقل الاسباب افريقياً كان او اسيوياً او اورياً فقد عانى ارباب الشأن ما يحلمهم على وجوب الحل ولو اسرعوا

عظيمة وهي تجدد حركة الخطر الاولى او يتلاشى الفريقان اذا قويت نهمة المتدخل وكان عمله لمصلحته فقط وبودنا ان لا يكون للشرقي غير النصيب الافضل

سنة ١٨٨١

كتب في ١٥ ستمبر سنة ١٨٨١ من باريس مشيراً الى وخامة عاقبة الفتنة التي كانت بادئة في مصر اذ ذاك في مقالة عنوانها حادثة مصر ذكر فيها ورود الخبر بمحدث حركة عسكرية واتهام الجرائد الانكليزية الفرنسيين بدسها والجرائد الفرنسية الانكليز باحداثها وقال انه مسرور بما جاء من بشرى انحسامها وختمها بهذه الكلمات

اي نعم ان البعض لا يرى في المسألة حالاً الا هجوعاً ثم لا نلبث ان نسمع لايقاظها دويّاً اما انا فاقول ان ذلك يتبع منهج سير الوزارة والخديوي فاني لست ارى دواءً شافياً الا الاخلاص المتبادل والنظر في مصلحة الامة والبلاد لانه اذا حدث حادث في مصر فلا يقال «زيد» بل يقال مصر او اهل مصر

فيجب اذن ادراك معنى الوطنية وفهم منزاها كما ينبغي «لان الجرة في البئر لا تسلم كل مرة» ومتى انكسرت فالحسارة تقع على الطرفين

وكتب في ٣ اكتوبر من باريس نصحاً للتونسيين اثناء الفتنة التي انتهت بحلول فرنسا بلادهم

اما حوادث تونس الحالية فموضوع بحث العموم وقد ثبت افتتاح مدينة القيروان واحتلال العاصمة وجميع المواقع المهمة ومناظرة

ما هو عليه بالنسبة له وللنظام المقيد به الى الحرية المحيزة ضمن دائرة تحسين
الهيئة الاجتماعية

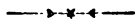
وقد استطرد الى قوله

وعلى ما تقدم فلا بد من الوصول اما الى الدستور او الى الملائشة
ولا يمكن الحصول على الاول الا بقيام رجال راسخي الاقدام ذوي نزعة حرة
يدعمون قوام الحرية بدعائم ثابتة لا تقوى على مسها زوابع الاغراض فيشدون
ازر البلاد بروابط وقوانين ترفع مكانتها . وهذا لا يتم ايضاً بغير توليد تلك
الحركة الخفية واحياء الجرائم الفطرية في الامة الواحدة ذات المصلحة الواحدة
تحت لواء وطنية واحدة . او بان تأخذ تلك الحركة الجرثومية الفطرية بالنمو
ويرى منها الحاكم المستبد ما لا يقوى على دفعه فيهب من رقدته خوفاً
على ذهاب الطارف والتالد فيزحف تدريجاً الى ان يصير بمقربة من الدستور
فيشرع بالعمل فيه ارضاءً للامة وخوفاً من ضياع الملك الى ان يكمل الظفر اعماله
وتحصل البلاد على ما تطلبه فتترسخ قدمه على عرش اكرام المملكة له

واما الثاني وهو الملائشة واعني به ملائشة الحاكم لا المحكوم - وقد
يتفق ان يذهب بكليهما - فهو ما استقرت قدمه في الممالك ذات الاسباط
الضعيفة التي تهب في اجسامها حركة الخواطر ولا تقوى على تعزيزها فتلتبس
من غيرها القوة على ظهورها وادعائها معها كانت الوسائط فتفتح باباً لمداخلة
الغريب فيبحث في الزوايا عن خبايا الحكم الاستبدادي وهذا يسقط سقطات
يتولد عنها بين الحكومة والشعب تنافر يدفع بهما الى القفل والانفعال المستمرين
باستمرار تلك الدسائس الى ان يتلاشى الحاكم ويصل المحكوم الى نتيجة

انذار له وفي الثاني قدوة للسلوك بموجبها وما اجلها خطة اذا روعيت كما يرام
قام في الشرق ممالك شتى ودول عديدة الاجناس مختلفة بين يونان
ورومان وعجم واعراب واتراك . وهي الدول التي استتب لها الملك من نحو
عشرين جيلاً واستتمحل سلطانها واتسع نطاق احكامها وتم لها النهوذ والسطوة
حتى لم تترك الواحدة للأخرى مبدأ حسد او سبب غيره . وقد انتهت
احكام تلك الامم الاربع الى الاتراك وكانت لها انذاراً في عاقبة سوء الادارة
وحسنها والعدل في الرعية وظلمها

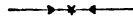
واذا راجعنا التاريخ تين لنا انها لم تستطد تالية منهن سابقتها في رعاية
الحسن وتدارك السيئ بل اطردت كل واحدة منهن مسيراً خاصاً يبين مسير الاخرى
كل المبينة فلم يستتب معها نظام مكين ولم يتأيد مع الزمن ترتيب عام
وكانت نتيجة ذلك ان سقطت الواحدة وتعبتها الثانية ولم يستفد التابع من
المتبوع فائدة تذكر . والغريب ان هذه الممالك دمرت تدميراً ولم يرنا
التاريخ دولة شرقية اعز ملكها وعظم امرها واتسع نطاقها الا رجعت بعد
الغز والمنعة الى الضعف والحمول وانكششت الى مواطنها الاصلية فحكمت
نفسها فيها او تسلط عليها غريب يذيقها مرارة العيش بعد حلاوته ويسومها
الخسف والعذاب



وقال تحت عنوان امالي سياسية

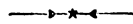
قام العالم بالمعارف ووطد اركانه على دعائم الفلسفة ونشط الى معادل المدنية
المؤسسة على مبادئ النظام فكان ميالاً بالطبع بعد تفحص حالته ومعرفة

طرازاً فكم اقام من البلاقع حصوناً ومن الخرائب بلاداً ومن البلاد ملوكاً
ومشاهد عظمة ومعامل منة وجميع ذلك بعض صفات يصفه القوم بها ولا غاية
لي بالبحث فيه وانما الكلام عن البيوت المالية وامتدادها ومؤثراتها وما هو
من ذلك



وهذه فقرة من مقالة بعث بها الى الاهرام من جزيرة قبرص وفيها من
النظر السياسي ما لا يقال احسن منه اليوم
اما من حيث تنازل الدولة العثمانية لانكثرا عن هذه الجزيرة فكيف
قلبت المسألة فهي خسارة في خسارة نجمت عن اتكالها في اعمالها على غيرها
لا على نفسها

اما الشرق فوقف وقفة منذعر ثم تربص ليرى اين تسير به الاقدار
متربحاً هذا المسير وكفانا ما نقاد عمياً وقد لاق بنا ان نعرف الطريق فنسلكها
حتى اذا لم يكن ذلك نحترس على الاقل من الوقوع في شرك المكائد
وعلى الكاتب ان يتخطى الى الصديق ولا يخشى بالحق وتقريره لومة
لائم ولا يضيع ذكر الحسنات اذا تمددت امامه السيئات وهذا ما اخذته
لي مبدأً



وقال في مقدمة نبذة وصف فيها احوال الشرق وعلل تقدم اليابان ومصر
ووقوف الدولة العلية في موقفها وتأخر سائر الدول الاسلامية كراكش وغيرها
(امالي تاريخية)

للتقدم فضل على المتأخر ساءت اعمال الاول او حسنت فهي في الاول

وقال في موضع آخر منها واصفاً كنه سياسة بسرك
 « نعم ان بسرك ذو شراة في استكتاب غيره ولكنه ضنين بكتابه
 فلا يندفع ويحفظ بها الى الغد ويتأني . على انه ابن الفرصة وعاشق موائق
 المقادير »

وقد ايدت الايام من قبل ومن بعد صحة هذا الحكم قبل ان تفقده

قال في مقالة ثانية له مشيراً بما ينبغي لصيانة استقلال مصر
 « من لزم اليقظة امن السلب ومن تأنى في نقل التدم امن العثار »

سنة ١٨٨٠

قال في وصف المال تحت عنوان

(البيوت المالية)

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده
 فهو منتهى العمران وقوام الملك وحياة الرعية والسيد المطلق النافذ الكلمة .
 مستعبد حر . ذرب اليراعة حادّ اللسان والجنان . شيخ فتي . لا تحط مقامه الليالي
 ولا تضعف عزيمته السنون . يهون دونه كل سيد ويسود به كل مهان .
 وتصاراه فهو القدرة العمالة والقوة التي لا يدفعها دافع بد الله . ولم يتعارف
 من دعاه رباً معبوداً او ضارع لذة اقتنائه والميل اليه ورعاية حفظه بالبنين
 فقال لذة الدنيا مال وبنون . اينما حلّ ملك وكيفما توجه سطا . مرعي الجانب .
 تهتز عند نيله الاربيحات اهتزازاً وتبرز به عرائس الافكار ساحبة من التيه

القصر الثاني

مختارات

من

اقوال الفقيد

سنة ١٨٧٩

اول مقالة نشرت للفقيد بتوقيعه في الاهرام مقالة عنوانها « وذكّر ان نفعت الذكرى » وصف فيها سياسة بسمرك وخطتي النمسا والروسية تجاهها وكان ذلك في العدد المئة والثاني والسبعين الصادر في يوم الخميس لعشرين خلون من تشرين الثاني سنة ١٨٧٩ ومن مآثورات اقواله فيها « .وليس بخفي ان نقطة الدائرة في كل امر هي ان يعرف الانسان ما يريد . وما يستطيع . وما يجب عليه . فاذا فقد ذلك اندفع اندفاعاً بين يدي الاتفاق »



ووردتني منه عيون المناهل	ما انت لاني اذليت بالبرد منزلي
وكنت اخالني في اشتداد النوازل	وكنيت ابا في بهرات والندی
فكنت بواف بعض تلك الدواضل	فلو اني ككبان ما حال بي لمانی
فبست بفاض حتى نكث النضال	ولو اني شفي بما انت هنيء



فانت الذي اعليت بالود منزلي	واوردتني منه عيون المناهل
وكنت ابا لي بالمبرات والندی	وكنت اخا لي في اشتداد النوازل
فلو انني ابكيك ما طال بي المدى	فلست بواف بعض تلك القواضل
ولو انني اثني بما انت اهله	فلست بقاض حق تلك الفضائل

ونسمع منه في السكون تهدياً
 وقفنا به نقضي وداع حبيبنا
 ننادي الهمام المرتجى غير سامع
 ننادي ابراً الاصدقاء ولم يكن
 ننادي ابا جبريل باسم وحيدة
 فتى المجد ان اقوم جالوا وساجلوا
 فإين الذي كان المقدم فيهم
 وإين الذي صمصامه دون عزمه
 وإين الذي كانت بواذر فكره
 وإين الذي في كل مصر يحله
 وإين الذي مياده غير مخلف
 الا في سبيل الله اوفى مفارق
 وذاك المحيا الطاق والطلعة التي
 وتلك العيون الناطقات لحاظها
 وذاك الهواد الثبت في كل ازمة
 وذاك الشباب النض والهمة التي
 بشارة جل الخطب فيك وانه
 فان تبك مصر فهي تبكي مصابها
 وان تبك سوريا فقد كنت ركنها
 وان يبك ارباب الصحائف ترحة
 وان ابك من حزن عليك فاني

وذاك صدى انفاسنا في المخايل
 حيارى كاشباح بواك ثواكل
 وكان مجيئاً قبلها كل سائل
 يخيب اذ يدعى رجاء لآمل
 وقد كان لا يُبتاق عنه بشاغل
 وأرخى عنان الرأى كل مطاول
 وكان وديع النفس صف الشمائل
 مضاء اذا ما استله في الماضل
 تحطف برق في دياجي المشاكل
 له المنزل المرفوع بين المنازل
 وتسبق منه القول غر القعائل
 وفي ذمة اللمياء اكرم راحل
 يلوح عليها الانس بادي الدلائل
 باجلى بياناً من مقالة قائل
 اذا مرت الاحداث مر الزلازل
 تدوس الى غاياتها كل حائل
 لرزء عميم ما له من ممائل
 باروع ميسون النقية فاضل
 وكنت ابراً ابن لاجزع ثاكل
 فقد يعرف التالون فضل الاوائل
 نذاك محيط بي وعرفك شامل

وشادَ أساسَ العلمِ فوقَ دعائمِ
فيا لكَ من ناءٍ فجعتَ قرينةَ
وطفلاً نضيرَ العودِ فارقتُهُ على
سلامٍ على قبراً حواكَ فانهُ
صباحَ المباني لا تدكُ وتفسدُ
نكولا واماَ ثكلها متجددُ
أسى فهو ينمو رهنَ تيمٍ ويرشدُ
بما ضمَّ من مجدٍ لقبرٍ ممجدُ

(وقال جامع هذا الكتاب)

سلمت لو ان السهم سهم مقاتل
تغافل منك الرأي طرفة مقلة
وقد علم الموت الذي بت حربه
ولكنها الاعمار ان هي عوجلت
قضاء بافناء الحياة موكل
فليس بمنج منه قلب مناضل
ولا حرص اخي الوالدات على ابنها
ومن لم يمت بالداء فالطاب لم يزل
له الويل من ليل طويل وساعة
نرى شبيهه والدمع ينشئ عيوننا
ولكن ما اصماك سهم مختال
خفواستها والدهر ليس بغافل
مراسك في دفع الرزايا الجلائل
فلا حول في رد القضاء المعاجل
الى ان يكون الموت آخر زائل
الى آخر الانفاس أو عزم باسل
ولا بهد أوفى برة في العقائل
سلاح المنايا في يدي كل جاهل
حسبنا المدى في سيرها المتشاكل
تلوح وتحنى كالدموع السوائل

(وقال حضرة سليم افندي فضول الصباغ)

بجريدة الاهرام

لوحة حزين

على رجل الشرق النواح المردد
على الكوكب الهادي بشارة عصرنا
تنوح ديار الشام بعد عزيزها
وبكي بنو الاوطان في الشرق فقدم
عليه عيون الصحف تبكي تأسفاً
سابكي عليه كل ما ناح طائر
لقد مات مقدم الصحافة والنهي
نعم سار من تصلى القلوب لقدمه
وكنت افديه بروحي لو انه
ولو كان بالاحسان يخلد فاضل
فقدنا كريماً كان يحيي ذمارنا
اطاب غراس الفضل في روضة اللى
وكان اخا جود يوالي جميله
وقد كان مقدماً الى الخير سعيه
فكم قام بين الناس يصلح شأنهم
قضى فجبنا للفضائل تلحد
انين صدور نارها ليس تخمد
وتندبه مصر أسي وتعدد
بنى العز فيه فهو صرح مشيد
وراح فؤاد العلم اسوان يفاد
وبات حمام في الاراك يرد
وكان فتاها والمآثر تشهد
جماراً حراراً والحشى يتوقد
يفدى من الخطب المروع سيد
لما هت هذا الركن بل كان يخلد
من الدهر ان اخني عليها وينجد
وما يزرع الانسان بالبر يحصد
ويعطي لوجه الله ما سمحت يد
وكان لراجيه على الدهر يعصد
ويهديهم في المعضلات ويرشد

(وقال حضرة نقولا افندي رزق الله)

رئيس حسابات ادارة الاهرام

(عدا قصيدته المنشورة في الصفحة ١٦٥ من هذا الكتاب)

موءرخاً

بشارة' تقلا فقيد' العلى	وليس فقيد' العلى 'يفقد'
بكت فيه مصر' نصوحاً قضى	سنين بخدمتها يجهد'
غني' عن المدح من كان ذا	مآثر من بعده تخلد'
وعن جيد الشعر 'يرثى به	'يسيل' الدموع إذا 'ينشد'
وعن شاعري حامد فضله	إذا قلّ في الناس من يحمده
فكيف وللشرق والغرب فيه	مرات يرق لها الجلمد'
فقيد' أسطر تاريخه	وتاريخ مصر له يشهد'

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة يوسف افرام افندي البستاني)
المحرر بجريدة الاهرام

رثمة اسف

خطبُ أذاب محاجرًا وقلوبًا
وجفّت قلوب الأمتين لوقعه
لله ليلته التي بتنا بها
والقلب يخفق والنواظر سهد
نرجو وننقط في الدقيقة لا ترى
حتى اذا انقطع الرجاء ويا له
ذهب الذي الاهرام من آثاره
حتمال الوية المروءة مقدماً
رجل الصحافة والحصافة والحجى
كم ظلّ يقتحم المخاطر للعلی
ولكم اعزّ الصدق غير محاذير
خدم الحقيقة وهي اشرف خدمة
ملاً البلاد بهمة مشهورة
يا قبر كيف وسعها وضممتها
يا راحلاً ما زال ذكرك حاضراً
وانا عزاء بالذي خلته

وأصاب من مہج الکرام نصيبا
حتى كأنّ الخطاب كان خطوبا
والدهر بات مجتہماً وقطوبا
وجمعنا نخشى القضا المكتوبا
الا جزوعاً يستشير طيبا
نبأ اسال من الشؤءون صيبا
والبيراميد وما يشوق ادبا
دفاع نائبة الفقير طروبا
ما كان قط من النشوم هيوبا
كم هب يوماً للضعيف هيوبا
والظلم يلحق بالصدوق ضروبا
فندا الى القوم الکرام حببا
كم هوت في الثنابات نصيبا
والقطر ضاق بها وكان رحبا
ان كنت عنا نائياً محجوبا
اذ ينسل الندب النجيب نجيبا

وقضت مذ قضي بشارة آما
 كان في ثغر ذا الزمان ابتساماً
 دهش الناس اذ نعتهُ النواعي
 ما عهدنا الادواء تسطو على الحز
 لا ولا ذلك النشاط يداني
 انما الموت بالحياة لصيق
 هدً منا ركناً ركيناً فبتنا
 وعيون الافلام تهمني نجيعاً
 وبكته من سوريا كل عين
 ربها تندب الصحافة فيه
 لم يخنه والموت يأتي ويدنو
 كم رأيناه يتبع الصبر صبراً
 خوفك الضر لا يقيق اذاه
 يا لحين الوداع أصمى وأدمى
 موقف حال بين لي ورشدي
 فسلام على بشارة منا
 ورعى الله نجله وحماه
 لـ كبارـ حثت اليها الرغائب
 فبدا الدهر عابس الوجه غاضب
 فكان المنون احدى العجائب
 م الصحيح المزري بجل المصائب
 اذ يطيش الهدى وتعي المذاهب
 وهو حتم على البرية واجب
 بين باك يرثي وآخر نادب
 كماقي احبابه والاقارب
 وبكته مصر بدمع السحاب
 وجهها ساهم عليه وشاح
 ذلك البأس في كفاح المعاطب
 ثابت الجأش لا يهاب المصائب
 فمن الذل ان تهاب المحارب
 ولحين القراق والقلب واجب
 اذ أرى النبل ذاهباً غير آئب
 كلما خط في الصحيفة كاتب
 وحى فيه فضله والمراتب

هو امر آلائه هطل تنادي الاديب وتروي المقلّا
 بكتك السياسة يا ربها ومن حاز قدح الفخار الملى
 فقد كان رأيك كالسهم مرمى يمحّ الصحيح وينقي المضلا
 فصاب ضريحك غيث الرضى من الله ما انفك يطر وبلا
 واسكن روحك دار النعيم وقد طاب دار النعيم محلا

(وقال عزتو محمد بك غالب)

الموت يسطو على الاجسام يفنيها والفضل يسمو على الاموات يحياها
 والشهم ان مات تبدو في مآثره روح تفرد بالذكرى معانيها
 يهتز عطفاً لها من قلب ذي شجن ماضي الاسى وتذيع النفس خافيا
 يا راحلاً ثملاً مستبشراً فرحاً اسكرتنا جزعاً عافاك ساقيا
 لاقيت نور الهدى والنار ساكنة ما بين اضلنا والبين يصلها
 فالمرت فرض كفرض الحزن في رجل عمت فضائله الدنيا وما فيها

(وقال حضرة داود افندي بركات)

رئيس تحرير الاهرام

الدمعة المحرّى

هضبة المجد صدعتها النوائب فندت بعدها المعالي نوادب

(وقالت ادارة جريدة لبنان)

رأية

(رجل الفضل والنبالة وعنوان المجد والكرامة المغفور له)

(صاحب السعادة بشاره باشا نقلا)

صاحب الامرامين (الامرام واليراميد)

تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه والهم آله على فقدده صبراً جميلاً

مصابٌ افاضَ المدامعَ هطلا	وغادر خود المكارم ثكلى
وناح الكمال واحشاؤه	يضرّمها كارث الخطب شعلا
لعمري العالي لقد اوشكت	نقوّضُ منىً وتخلُّ شعلا
لذن رابها من رزايا الزمان	نعي الهمام بشارة نقلا
هو الباذخ الشأن من ذكره	تردّي علاء وتوّج فضلا
أصيل النهى كم جلا رأيه	فكان احدٌ من السيف ففلا
اذا استبق الناس للمكرّمات	نرى الجمع يتلو بشارة جلى
وأهرامه هرم المآثرات	بدت شاهداً لمعاليه عدلا
فويح المنون على من عدت	وغالت من القوم ندباً اجلا
لقد كست الشرق ثوب الحداد	على سيد الكمال تجلى

(وقال خضرة ايليا افندي قسطه زريق)

انين الباكي

شجنتي من الدهر الخوون بلبله
نمل فيه النفس كي ندرك المنى
لنا كل يوم نازل منه فادح
ولم ندر ان الصبر ينكت عهده
فيا عجباً كيف البشارة بدأت
أبكيك طرس قد هزرت يراعه
ام الفضل والاحسان يامن برحتنا
ام الياس يا من قد ملكت زمامه
ام العلم حتى صرت للناس قدوة
ام الجد في ساي الامور ودونها
تفانيت للاوطان حباً وغيرة
نظمت شؤوني فيك بحر مدامح
أبكيك دمعاً ام دماً غير انني
بنيت من الآمال صرحاً معزراً
عليك بتعداد المبرات رحمة

فخر به فكري وزادت بلبله
واني المنى والعيش شدت رواحله
الى ان تم الخافقين نوازله
وتطمئن حبات القلوب ذوابله
بنني اسي قد اوقر السمع قائله
كطود بيوم الحرب هزت عوامله
وعجلت سيراً اصعب الامر عاجله
ام الاخر يا من فيك تمت شمائله
ام اللطف فانهالت عليك مناهله
يلين جماد الكون ثم جنادله
ققاضت من الباري عليك فواضله
ولكن هذا البحر ضاقت فواضله
ارى الصبر أولى ان تبدت فواعله
ولكن اخاب الموت ما انت آمله
ويستي من المولى ضريحك وابله

والغيث يبكي والنجوم حواسرُ
 تربت يد الحدثان رغماً انه
 يهوى لآلي الدمع في اجازنا
 كلفُ بتشتيت الجموع كأنه
 والافق من ذاك البهاء سليبُ
 اضحى يرينا الخطب كيف يريبُ
 فلذاك يابسها لديه رطيبُ
 بين الاحبة بالزراق رقيبُ

سل الضنا من جسمه رسم البها
 بذلوا النفوس له القداء فاحفقوا
 واتقض بلبل سره في خفقة
 وقضى الحياة وهكذا حكم القضا
 العين عبرى والاضالع ظلمعُ
 والحزن يقرع في الصدور بكفه
 تتابع اللوعات في توديعه
 وارى الحمايم لا تكف عن البكا
 ذودوا التجلد عن فؤاد ثابت
 ضمن المكارم تحت طيات الثرى
 اودعته ذخراً لآمال العلا
 يا رقة غلظ الحمام بسلبها
 ان يشمت الاعداء فيك على الردى
 غربتنا لما اغتربت عن الحمى
 لا تجزعن فلقد رجعت لعنصر
 في ذمة الرحمن انت وديمة
 حتى تحير في الدواء طليبُ
 ان الرجاء لدى الحمام يخيبُ
 شوقاً يرفرف للرضا فيجيبُ
 فبكت وشقت أعين وجيوبُ
 والنفس سكرى والفؤاد كئيبُ
 قرعاً يقد الصخر وهو صليبُ
 بالحزن منها اللقيب عقيبُ
 بالشجو منها نادب وخطيبُ
 هذا نهار للكرام نصيبُ
 بدر عداه للحمام غروبُ
 وطويت فيها الآس وهو رطيبُ
 لا كان يومك انه لعطيبُ
 فالدور آت والرحيل قريبُ
 ابداً كلانا في حماء غريبُ
 نشأت به الارحام وهي ضروبُ
 ان الكريم الى الكريم حبيبُ

(وقال حضرة يوسف افندي فتحي)
 { مدير ومحرر جريدة المقياس والسودان المصري سابقاً }

عجبا لورقاء الحياة فما جنت	في روضها ولها الحمام نصيب
تاوي الفناء وذاك عنصر بدئها	قدماً فظاهر كنهها محجوب
تجاذب الذرات تحت خفائها	فيم التماسك والشتات قريب
هذي الكيان فما هيولى وضعها	ولها التغير في العصور وجيب
انى لتدهشنى العوالم منظراً	فكأنتي في دارهن غريب
عدم ووجدان وأدوار بدا	منها التخالف ان ذا لمريب

يا سائراً تحذ الدجنة مركبا	أين المسير وفي الطريق لنوب
ردّ الطعامن ريث توديع النوى	فلقد رأيت الركب ليس يؤوب
حملها يوم الرحيل امانة	رحلت بها فالعيش ليس يطيب

يا قصر ويحك قد عهدتك أهلاً	فعلى م يبدو في حماك قطوب
ناشد دموعي انها لضينة	فيما أرى وغزيرها مسكوب
بسم الصباح وكان احزن باسم	وعلا به في مشرقه نجيب
وتبدلت تلك الليالي فانقضت	وصباحها رزء نما وخطوب
اين ابتسامات الثنور ودهرها	اذ كان عنه الصفوليس ينيب
قد كدرتها النائبات بما جرى	لجرى عقيق الدمع وهو خضيب

كأُسْ سترشفها كل الانام ولا ينجو من الموت قاصيها ودانيها
يا آل ثقلًا تعزّوا فالفقيد مضى لكنما ذكره في الارض يحياها
وسارت النفس من دارالفناء الى دار البقاء لتلقى وجه باريها
حيا الحيا تربة فيها ثوى وهمت سحائب الغنور والرضوان تروها

(وقال نجيب افندي خليل الشماس)

احد طلبة المدرسة البطريركية في بيروت

تاريخ

مضى من كان للعرفان ركنًا ومن قد حلّ في اسمى مقام
وغادر في القلوب اسى وهما واحزانًا تزيد على الدوام
فيا آل الفقيد الصبر اولى بكم في فقد ذي الحزم الهام
ملاك الحق ارخه بقول بشارة بات في دار السلام

سنة ١٩٠١

(وقال فؤاد افندي طانيوس غصن احد اعضاء اللجنة الخطابية)
في المدرسة البطريركية

رنة الماسى

{ على فقيد الصحافة العربية وعميدها }

ويح المنية ما ادنى تدانيها الى العباد وما انأى تنأىها
تفني قلوب الورى حزناً وتوشك ان تكسو الثرى ارجواً آمن مآقها
مادت جبال اللى حزناً على رجل بذل عيوف ابي النفس عاليا
اخنى الزمان على رب الصحافة بل رب الصحافة بانها ومعلمها
يا خير ثاوى ثوى في اللحد قد فقدت به ربوع السخا أغلى لآلها
يا خير ناء نأى عنا واورثنا ماثراً لا تني الاجيال ترويهما
تبكي عليك اليتامى يا بشاره اذ قد كنت من مالك الفيض تكفيها
تبكي عليك اسى اهل الصحافة يا شهماً الى سبل الاصلاح يهديها
تبكي عليك الورى طراً لانك قد كنت الكريم الشريف المعتلى فيها
حل القضاء فذابت عند صدمته قلوبنا وسهام الحزن تصميها
لم نقو اهرام مصر في الصروف على رفع المنية عن كان ينشها
قضى فالبس ارض الشرق قاطبة ثوب الحداد وكان الانس كاسها

فخدادهـا بياضها وبيـانها	بسوادها وبه تتم ما اراد
كل ابن أنثى مائتٌ يوماً كذا	كل ابن أنثى عائش يوم المـعاد
ابن الجبارة الذين تقدموا	ابن القياصر ابن فرعون وعاد
فبكـاؤكم عبثٌ على ميت قضي	بالله والايـمانُ معه خير زاد
فلهُ الخلودُ مع الملائك سرمداً	وله الى المولى شفاعـة خير فاد
فلئن يكن جثمانه رهن البلى	فالنفس مطلقة غفت دار الفساد

(وقال حضرة مرسي افندي اللـيـثي بالكـفر الغـربي)

انا لله وانا اليه راجعون

الا ليست الدنيا بدار اقامة	وليس لمخلوق بها يمهـد الخلدُ
تزود لدار لا تزول نعيمها	متين الاواخي دائـم الصفو ممتدُ
وكل عزيز للحمام مذللُ	اليه وحر النفس فهو له عبدُ
حليف المعالي زال في زين عمره	وقد كان من اوصافه الحلم والزهدُ
وكان اماماً في البلاغة ماهراً	وكان كما تهوى السباحة والحمدُ
لقد راح من دار الفناء مزوداً	بصالح اعمال لدار البقا يندوُ
وحاز من الرحمان اطيب رحمة	ومغفرة منه وتم له السعدُ
فلا زال مغموراً بغفران ربه	ومنه الرضا طول الدوام له ييدوُ

(وقال حضرة امين افندي زعرب في شفا عمر)

فاجعة الفواجع

رزءٌ جسيم حل في هذي البلاد
 إذ رافع الالهram دكت تحنه
 فبكت لفرقة المحابر حسرة
 يا مرشد الكتاب في سبل الهدى
 رب الصحافة والسياسة واخطا
 كم خطبة لك لا يزال عيبرها
 انى مضيت وانت فينا المرتجى
 انى تجرعت الحمام بلا أسى
 من للسياسة والكياسة بعده
 انت الذي تمضي العصور وذكره
 ما باد من احبا العلوم وشاداه
 ما مات من خدم البلاد واهلها
 ما مات من رقى الصحافة وابتنى
 سورية تبكي عليه وان بنى
 إن حرمت لبس السواد دفاتره
 من هوله جفت يتابع المداد
 أس الحياة وصرح ذاك العزماد
 وكسى الانام لفقده ثوب الحداد
 يا مرجع الاغرار عن طرُق الفساد
 به ان تمت فاليتم بدك للنواد
 متضوعاً كالمسك في كل البلاد
 يوم المكاره ايها القرد الجواد
 وبلا مبالاة بذاك ولا اعتداد
 من للكتابة والاصابة والسداد
 بين الورى يبقى مثلاً للرشاد
 رام القضايل وهي ذكر لا يباد
 زمناً مديداً بين جد واجتهاد
 في قطرها بيتاً سما عالي العباد
 اهرامه الفراء في مصر وشاد
 من بعده فلأنه افنى المداد

لكم الصبر فهو خير وأولى وأئن كان طعمه غير حال
 و {بجبريل} كل خير يرجى بيد سار لربه المتعالي
 ليس من مهرّب من الموت يرجى كل ظلّ ماله للزوال
 والحياة الدنيا متاع قليل وبقاء المتاع عين المحال
 ليس للمرء غير فعل جميل يصطفيه لحالة الارتحال
 غير تقوى الإله لم يلق زاداً طيباً في باده المستطال
 وفقيد الاوطان كم كان منه فعل خير لاهله ذو اتصال
 وسعى للإصلاح افضل سعي بجميل التقى وبذل النوال
 فدعاه الإله للقرب منه فاجاب الدعاء بخير امثال
 وبار النعيم اصبح يزهو في صفاء ورفعة وكمال

(وقال حضرة ابرهيم افندي بركات)

تاريخ

وفاة الطيب الذكر المرحوم بشارة باشا تقياً

حكم الحمام على الانام تحمّماً فالارض ليس لهم بها منه حمى
 كل يفارقها صغيراً او كبيراً را مكرهاً إن مثيراً او معدماً
 فارقها وبها تركت عقيلة وابناً واهلاً دمعهم يجري دماً
 يبكون مولى كل صبر بيده أمسى عليهم في الزمان محرماً
 يا آله صبراً في تاريخه بشرى بان بشارة شاء السما

كم به للهدى أنيرت عقولُ
 كان فيه تطف واتضاعُ
 كان للخائفين من جور دهرٍ
 كان للاصدقاء اوفى صديق
 كان يلقي صعب الامور بزمٍ
 كان أمضى من الحسام ذكاءُ
 كم به من صروف دهرٍ توالى
 فهو لا غرو للفضائل اهلُ
 كم حوى رتبةً جليلةً قدرُ
 حاز بالجد والنباهة نفراً
 ومن الناس حاز اوفى ثناء
 ومزايا العزيز لم تحص عدداً
 قل لمن شاء شأواً عليه قصراً
 عجباً للمنون تعدو وتسطو
 كيف تبدو النجوم من بعد مولى
 كيف بالماء مُنتقى غسلوه
 كيف بالطيب عطروه خنوطاً
 آل نقلاً مصابكم جلّ هولاً
 كم قلوب تصدعت حين وافى
 وعقولُ بها أقام ذهولُ
 لكن الموت لم يزل للبرايا

اوغلت قبلُ في فيافي الضلالِ
 زادهُ رفعةً على كل عالِ
 مأمناً عالياً عزيز المثلِ
 { لستُ انسى له جميل القعالِ }
 فتولى بناية الاذلالِ
 يقهر الخضم في اشتباك النصالِ
 فتولت من يأسه في الحالِ
 وجديرُ بها بنير جدالِ
 من ملوك اللاء والاقبالِ
 لا يضاهى وثروة من حلالِ
 ومن الله نال حسن المالِ
 من بليغ او شاعرٍ مقوالِ
 لم ينله تطاول الامالِ
 عاجلاً بالعظيم ليس تبالي
 فضله كالنجوم يد الرمالِ
 وهو أنقى من ماء بحر زلالِ
 وهو أذكى من عطر طيب غالِ
 في جميع الاقطار بالاجمالِ
 وعبود تروعت بالتوالي
 ونفوس حارت بلا امهالِ
 يتوفى اخيارها بانتقالِ

ليس بذلُ الدموع كالدم يشفي
 ليس شق القلوب بعد جيوب
 ليس فقد الكبود من طول وجد
 مات من كانت الفصاحة تبدو
 مات من كانت البلاغة تزهو
 مات من كانت السياسة عنه
 مات من كان للصحافة شيخاً
 مات من كان للشهامة قرماً
 مات من كان للحوادث ليثاً
 مات رب العلا { بشارة نقلا }
 'دك' طود' العلوم ليلاً فكادت
 وتوارت زهر' النجوم حيارى
 وبكى { الفرقدان } حزناً عليه
 وبكته { شمس } الملاحين أودى
 وبكاه { جبريل } شبل أبيه
 وبكاه { اهرامه } و { اخوه }
 وبكت شيخها { الصحافة جمعاً }
 واغدت تذكر الفضائل عنه
 وعفاة قد كان يحنو عليهم
 لعلاه وعلمه ونداه
 كم افاد العباد نفعاً جليلاً
 من عناء على كريم الخلال
 بعظيم على فتى مفضل
 بقليل على فقيد الرجال
 من حلى لفظه كسحر حلال
 منه انوار حسنها في المقال
 مثلاً سائراً من الامثال
 سنداً سائداً على الامثال
 بطلاً طائلاً على الابطال
 لا يبالي بملتقى الاهوال
 خير { باشا } بفضله والكمال
 لعلاه تدك شم الجبال
 اذ توارى في الترب بدر المالي
 بدموع من الاسى في انهمال
 وهوى من سماء ذاك الكمال
 بفؤاد صروع غير سال
 بانتشار ما بين صعب وآل
 ونعته باصدق الاقوال
 مصر' والشام بالصفات الزوالي
 بجميل العطاء قبل السؤال
 كم حول شدت وكم من رحال
 دل طبعاً على حسان الخصال

يا آل نقلا ارض مصر تزلزلت امصابكم وتصدع الاهرام
 صبراً فان فقيدم اثاره كسميها لم تمحها الايام
 لو دام ذو اثر لدام فقيدم ما دامت الافلاك والاجرام

(وقال حضرة حميده افندي سالم الدمهورى)

واجب الغزاء

الى آل فقيد الوطن العزيز

أُعزى في رزئه كل غال أم بائلى الرثاء فيه أغالي
 أم أعزى في خطبه كل مجد أم أعزى فيه الندى والمالي
 أم أعزى فيه فضائل غراً أصبحت بعده كسيفة بال
 أم أعزى له صحائف فضل قد بدت من فراقه في اغلال
 أم أعزى به مآثر خير باقيات على مدى الاجيال
 أم أعزى به اماجد قوم سار عنهم للحدود بالجلال
 أم أعزى بشكاه كل قطر قد حباه بفضله المتوالي
 ويقينى أن الغزاء عليه غير مجد والصبر ليس بحال
 يا لخطب عرا بفقد عظيم ومصاب يفوق وقع النصال
 فعليه البكاء يجمل دوماً من عيون الملا بدمع مسال

اسفي على البدر المنير وقد خوى
 من آل ثقلا فاضل عنا نأى
 العالم الندس الغيور المرتقي
 اللوذعي الجبهد الفرد الذي
 افعاله الغراء سارت بالملأ
 هذي جرائده زهت في شرقنا
 خدم البلاد بها باصدق خدمة
 حاز المراتب والوسامات التي
 فالجبد ينجه ويبكيه الملا
 يبكي الامائل والاماجد حسرة
 يا من مضى عنا لرحمة ربه
 فارقتنا وتركت للقلب الالسى
 ودعته بنصائح منها النهي
 هذا صراط والنون نموذج
 فالغفو نطاب للفقيد ورحمة
 ومراحماً يسقي المهيمن رسمه
 وبجنة الفردودس يسكن نفسه

وثوى الضريح مفارقاً هالاته
 فجع الانام جميعهم بماتته
 متن الى بخلاله وبذاته
 فاق الورى قدراً بحسن صفاته
 كالشمس ساطعة عقيب وفاته
 روضاً ثمار العلم من ثمراته
 وسعى لها بالنجح في مسعاته
 في صدره تنيك عن حسناته
 ويسح مفعود الندى عبراته
 وتريد بالاحزان في مأساته
 لينال مجدداً في ربي جناته
 ولنغن بان ذاب من حرقاته
 وبحسرة أكثر من قبلاته
 يحيا التقى للخوض في لجاته
 تشني مصيبة آله وبكاته
 عفواً ورضواناً وخير هباته
 في نزهة ليقمر في رحماته

(وقال حضرة محمد افندي التيمي)

رزاء الصحافة بالفقيد بشارة تبكي المحابر منه والاقلام

يا وردة بين الازاهر يتم
لو لم يخلف من تعهد حسنك ال
لكنه ما اشتد ساعده فيا
هذا الذي يضني الفؤاد ويبعث ال
ترنو اليه جهونا فينادر ال
أعني بوردتنا جريدتنا كما
انا نعلم كل ورق اراكه
من بعد موت بشاره والله نس
فلقد فقدت ندى الربى وقبولا
باهي لأشفقنا عليك ذبولا
ربي امنحه الساعد المفتولا
حسرات ترى بكرة وأصيلا
اجفان قرحى والدموع سيولا
أعني بشبل فقيدها جبريلا
كيف النواح على النصون هديلا
أل ان يكون بلطفه مشمولا

(وقال جبرائيل افندي جرجس صافي اللبناني)

لوعة الفؤاد

جار الزمان الان في نكباته
والنفس تنحب لوعة وتنجأ
أف الدنيا عيشها بترنق
غمرارة تسني اللبيب بمكرها
كفقدنا المقدام من نال الملا
ووجاعة وغفاف نفس دائم
وبشاشة وبلاغة وفصاحة
وفؤادنا قد ذاب من حسراته
والقلب يصعد بالاسى زفراته
ونعيمها حلم بقرب فواته
وتضل ادهى القوم عن غاياته
بذكائه ونشاطه وثباته
ومحبة للخير من عاداته
وفوائد بان لنا بمظاته

تلك الحياة فلا يتم صفاؤها لبني الانامِ ولا تدوم بشاره
أتى البشارة والمؤرخ معلن بالحد غاب سناء وجه بشاره

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة رشيد افندي حنا مصوبع)

حاشا لهجرِكَ ان يكون طويلا	ولمثل بينك ان يكون عجولا
ولمثل وجهك ان يكون منيباً	ولصبر قلبي ان يكون جيلا
قف ودع الاهرام منك بنظرة	فهي الاحق بان تكون ثكولا
ان كان وادي النيل شق جيوبه	حزناً عليك فقد خدمت النيل
او كان لبنان عليك تصوتحت	ازهاره فلقد نماك اصولا
أبكيت فيه شوهونه وعيونه	وغصونه وحزونه وسهولا
وهواءه الشافي وهذا لو درى	لسرى ليشفي من صباك عيلا
فلطالما ذكروك عندك مبهـ	فاطبتة ذكراً فطاب حمولا
ولطالما اكسبت بر شامنا	شرفاً رفيعاً باسقاء واثيلا
أعميد سوريا ومصر اتول ذا	وانا جريء لا اخاف عدولا
انا نشيع ضاعنين قلوبنا	وعيوننا وبشارة المثلـكـولا
أجريدة الاهرام لا زالت دعا	ثمك التي رسخت بمصر طويلا
بل دمت كالا هرام تشمخ للذرى	ونجر فوق الأرض منك ذيولا
ولربما يبتى البناء وزبه الـ	باني يصير عن البناء ظلولا

طرقت يا موت كريماً فلم
 وضفت من اجدى فائتي ولم
 قصنته من سدره المنتهى
 ومن غياض الدلم اذويته
 يا ثالث السبطين خاتتي
 بشاره لم انت غادرتني
 يا نائماً في غمرات الردى
 يا أيها المنقود يوم النوى
 ويا ضجيع الترب اقلقتني
 ارتقتني فيك فلا راحة
 دفنت في الترب ولو انصنوا
 ضموك في لحد ولو فكروا
 لو لم تكن اسخنت عيني سقت
 ان يرقاء المدمع تسقي دماً
 عليك وقفاً رحمت همت
 واثاج الرحمن صدر الألى
 على همام فاضل عالم
 عاش كريماً خادماً قومه

يخل على طارقه بالمراد
 يقنع بغير النفس للضيف زاد
 فرعاً أثيلاً مورقاً ذا سداد
 غصناً فشلت يد اهل الفساد
 ارثي ابن تقلا بالقريض المجاد
 اهِيمُ من هَمِي في كل واد
 حرمت جبريلاً لذيد الرقاد
 لحكت اجفاني بميل السهاد
 فهمت في نوحى بغير اقتصاد
 كأنما فرشي شوك القتاد
 رمست في الافلاك دون الوهاد
 ما كنت الا في صميم الواد
 ضريحك الدمع بمزن غواد
 مثواك عيناى كصوب العهاد
 تتابع الدهر مع النيث جاد
 بكاءهم والنوح شوطاً طراد
 افصح ممن فاه منهم بضاد
 ومات شهماً بعد هذا الجهاد

وقال مؤرخاً الرفاة

حات على ابناء تقلا نكبة جرّت الى الوطن العزيز خساره

وليس يُعطي في العلى منزلاً
والموت نقاد على كفه
يمينه شلت بها تتقى
والمرء كالظلي ولا بدَّ أن
ساعاته محدودة ان مضت
لا تصلح الارواح الا اذا
ولا ترى العلام الا متى
ارغمت يا موت انوف القنا
والبيض والخباء حطمتها
كيف تحزمت علياً وما
لم ينفع المرء دفاع ولا
نجل امير المؤمنين الذي
كذا ابن تقلا سيفه مرقم
مصيبة اذكت قلوب الورى
فأضرمت اكبادنا لوعةً
نازلة جات فن اجلها
داهية دهياء في مثلها
مائة في الارض لكنها
منها الاشى في داره انما
فالخود في المسح لها رنة
وآل تقلا بالسلاب ارتدوا
الا من استصلح من ذي المباد
اعمار من للناس كانوا عماد
جواهر يختار منها الجياد
يخفى كمر الطيف اذ لا يباد
يزول ذاك الظل بعد امتداد
فارقت الاجسام حنى تعاد
سرى الى الاجساد هذا الفساد
ورشت اطفال الملا بالمهاد
ودست اعناق السيوف الحداد
بشارة ابقية للبلاد
انجمه كل طويل النجاد
لم ينج من نصل قناه البداد
من خوفه يرعد قلب الجماد
وغادرت نار الاسى باتقاد
كأنما في كل قلب زناد
ابناء تقلا حزنهم بازدياد
سن بنو العباس لبس السواد
في حدها مجد ابن تقلا الجواد
عرس على السبع الطباق الشداد
من الاشى ابكت عيون المداد
والحور تجلى في مروط الحداد

أسنى ولكن قد جرى حكم القضا
أسنى لبدرٍ ساطع عنا نأى
يبكيه اهل الفضل فيه باعين
والعصر ينحبه ويرثيه الهدى
يا من مضى عنا وخلف بعده
لله يوم حلت خير مشيع
يبكى عليك وكل قلب واجف
خلقت بعدك خير فرع للعلی

فقضى وليس له دواء ينجم
وخسوفه للشرق خسف يصدع
بعد النوى مقروحة لا تجمع
ويظل يفقده الندى المتفجع
ذكرًا جميلًا كالكوكب يطلع
وقلوبنا سارت اليك تشيع
جزعًا عليك وكل دمع يهجم
والقرع للاصل الزكي سيتبع

(وقال حضرة يوسف افندي فاخوري)

احد اساتذة العربية في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت

سبحان المحي السرمدي

تشطير وتذيل للقصيدة الرائية المشهورة لابن التيبه في ولد الناصر احمد
برثاء فقيد العلم والوطن المأسوف عليه بشاره تقلا باشا صاحب جريدة الاهرام
تفمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه والهم آله على فقده صبراً جميلاً

الناس للموت نخيل الطراد
شأوا اليه سبقها ان عدت
والله لا يدعو الى داره
سابقها للرمل نخر السواد
فالسابق السابق منها الجواد
غير الذي افعاله لا تباد

(وقال حضرة خليل افندي السبتي مكاتب الالهرام في حيفا)

الاسى

الصحف تنجب' والمحابر تدمع' والقلب يرثي والحشى يتقطع'
لا غرو في هذا فإن مصابنا خطب' لنا فيه آسى وتوجع'
عدت المنايا اريحياروعا وطريدهن' الاريجي الاروع'
من آل تقلا ماجد' فرد قضي فتقوض المجد' الاثيل الاروع'
شخص المفاخر والمائر والحجى السيد العلم الشجاع الاصع'
ذو همة وحمية وحصافة بجليها اثاره' ترصع'
تباً لا يدي الدهر قد فتكت به فندت اسى' كل المحاجر تدمع'
تباً لدار لا مقام لنا بها الا كما تأتي الظلال وترجع'
صدق المقال فكل شيء باطل' وحياتنا حلم' ودار' بلقع'
من رام ان يحيا بطيب ذكره فالحكمة الثوب الذي لا ينزع'
كفقيدنا الندس الذي اثاره' فاحت ككشر دائماً يتضوع'
هذي جرائده زهت في افقنا وقلائد المقيان فيها تسطع'
قد حاز أعلى رتبة من مالك بسمائه شهب المكارم تطالع'
وحبته انجمها الملوك تجلة فكأنها في الصدر زهر تلمع'
لنزهة وحصافة وزكاة ومتانة في الخلق لا تزعزع'
ونبالة ونباهة وفطانة وسلامة كانت به تستجمع'

نعاك لنا برق تلا لمعانه
 نعاك لنا بدران غدا اللحد برجه
 مصابك بين الناس يمتد مثلاً
 لقد سلبتنا الثائبات بك العلى
 جعلت فدى الاوطان عمرك كله
 وعلمتنا الاقدام والجد قاتلاً
 ركبت الى الغايات جدك اجرداً
 وجردت من غمد السداد مهنداً
 فلا عجب ان كنت تبكى على المدى
 وتبكيك في هذا الزمان صحافة
 ويبكيك لبنان ومصر وكل من
 لئن كان فيض النيل يلزم حده
 لقد غدت الاهرام في مصر مدفناً
 وقد اصبحت اهرامك الان مدفناً
 تبعت سليماً في الممات كأنما
 دعاك اليه الشوق والحب والوفا
 سنبكيكما بدرين في أفق الملا
 ونهدي بانفاس النسيم تحية
 وان يسقى دمع العين قبراً حواكما

دموع لها من رنة للاسى رعد
 ولم ندر بدران قبل ذا ضمه لحد
 لك الذكري عرض البسيطة يمتد
 ولا يرتجى من بعد ان سلبت رد
 فسطر في وجه الزمان لك الحمد
 لغير نجاح المصر لم يدعنا الجد
 فكان باشواط العلوم لك المجد
 واسرحت حزمه ادونه تقصر الجرد
 وحيداً فريداً انك الواحد الذرد
 توليتها بكراً ولم يثك الجود
 رأى بك خلقاً ما له عندنا ند
 فدمع الذي يبكيك ليس له حد
 لقوم بها عاشوا وعاش بها الجد
 لذكرك فيها في مواطنها الخلد
 له منك من قبل الردى باللقا وعد
 فسرت ولم يرجعك ما تقتضي الولد
 واعيننا لا يستقر بها السهد
 لقبركما يحكي تأرجح الند
 ففي جنة الافراح عيشكم ارغد

وابكي أيا صحف الدنيا باجمعها
 على الفقيد الذي اوصافه حُمدت
 شهم غيورٌ ابى النفس مشتمرٌ
 يا راحلاً عن بلاد كنت بهجتها
 يا آل نقلاً بشارا اليوم في جذلٍ
 حي ثراه الحيا ما قلت من اسفٍ
 حزناً عليه ونوحى واندبى الادبا
 وحاز بالهمم الآلاء والرتبا
 ذو رفة وضياءٍ يزدرى الشهباء
 قد فاض حزناً عليك الدمع وانسكبا
 حباه مولاة في الجنات ما طلبا
 خطب عيم بأحلام الورى ذهباً

(وقال حضرة يوسف افندي مراد الخوري من عبه)

حسرات القلوب

سعيت بهذا الدهر يسعفك الجدُّ
 ونفسك مذ نالت بعمرك قصدها
 هناك ترى الافراح والبشر والهنا
 فقدناك فقد النيث في المحل انما
 فقدناك فقد النوم للعين فاغثت
 فقدناك فقد الروح للجسم انما
 ولو كنت تفدى بالجسوم رأيتا
 ومن بعد ذاك الجد قد ضحك اللحدُ
 صبت للعلى حيث استقام لها القصدُ
 ولكن هنا نوح له في الحشى وقدُ
 بكينادمو عآضاق عن فيضها النجدُ
 يلذُّ لها من بعد فقد الكرى السهدُ
 حيناً ولكن ليته لم يكن بعدُ
 نجود بها ما شاءه الود والمهدُ

قد كان طوداً للمعارف جامعاً
أحيى الصحافة في البرية فكره
وأماط ديجور الخلاف إذا بدا
ولكم له من باهرات معارف
فلببكم سحب الدموع وتكتسي
ولآله الصبر الجميل من الذي
قاموس فضل راق للوراد
حتى سرى فيها بحسن سداد
بين الملوك بفكره الوقاد
جلت عن الأحصاء والتمداد
فيه المراثي كل ثوب حداد
ختم الوجود بصادق الامداد

(وقال حضرة عبدالله افندي فارس بالنصورة)

صدي الاسى

خطب عيم بفراخ الورى ذهباً
يا ليت شعري هل الافراح عائدة
والحزن خيم في ارجائنا ففدت
ويلاه وأسني مما ألم بنا
ليت المنية ما كانت ولا خلقت
كنا نتيه بعيش ناعم وصفاً
هيهات نسي مصاباً تشكي الما
تعتسا لدار برب الفضل قد غدرت
يا قلب ذب اسفاً يا عبرة النجمي
سهم أصاب فليت السهم كان نبأ
والانس وتلى وماء الصفو قد نضبا
تبكي وفيها غراب البين قد نعبا
دهر خؤون بأرواح الورى لعبا
ان مسنا ألم كانت له سيبا
واليوم نشكو العنا والويل والحربا
منه الجلامد وقر الخطب والوصبا
فافقدتنا أيباً طاهراً وابا
قد مات من للدلا والمجد قد خطبا

لا تقولوا هذا صغير قفيه عزرة الليث شيمة فطرية
 ايه يا امه الحزينة صبراً يحمد الصبر عند وقع البليه
 يا شقيقي بشارة وسليم انما الموت آفة للبريه
 ام جبريل جلّ رزؤك هذا انما انت بالعماء حربه
 ايها الراقد العظيم سلام وعلى القبر الف الف تحيه

(وقال حضرة محمد إفندي صادق تاجر بسمنود)

فقد الوطن

يا ايها الاهرام نور النادي لم بدلت منك الحلى بسواد
 لم قد ظهرت بحلة ليلية منها التحسر والتأسف باد
 ما بال وجهك قد عمرته كآبة امّن ضنى او من طويل سهاد
 لم لا تجيئين النداء وفية انقضت عهدي ام قطعت ودادي
 ما شيمتي نقض العهد وانما عدت الموادي مسمي وفؤادي
 قدصمت الاذان من صوت النوى وتفتت صخرية الاكباد
 تلك المنية انشبت اظفارها بالشهم نسل السادة الامجاد
 ما كنت احسب قبل موت بشارة قبرا يضم شواخ الاطواد
 او ان بذر الافق يستره الثرى والبحر يسكن ضيق الاحاد
 حتى رأيت اليوم نقلا قد نوى جدنا وكان ممنع الانجاد

زعزعت حين مال كل البريه
وتعالت في نوحها سوريه
نيل كالنيل عند هذي البليه
وزعيم الصحافة المصريه
وصراط الجرائد العربيه
خادماً للمليك او للرعيه
واجتهاد وغيره وطنيه
كل يوم في غدوة وعشيه
بعد تلك الشمائل الادبيه
بحنين وزفره ناريه
قتولى وكان خير بقيه
بيكاء ودمعة وطنيه
عن ذنوب ورحمة سرمديه
ولثمناه لثمة اخويه
وبعاد الاحباب شر بليه
قبل هذا الرحيل للابديه
هل ذكرت المنازل الاهليه
نا فقدنا بفقدك الامنيه
حرسها الملائك العلويه
ه لامر باتت عليها شجيه
ان بالشبل صورة والديه

ايها الناس اي طود تمادى
فقدنا النيل واجفأ باضطراب
ليس بدعاً ان فاض مدمع اهل ال
كان للنيل جاره واخاه
ومثالاً للمجد والجد دوماً
قتل العمر ساعياً بين جد
وتفانى ما بين جد ومجد
يا دموعي روي الضريح انسكاباً
انا ابكيك يا بشاره دوماً
انا ابكي عن كفرشيا فتاها
ما مسحنا الدموع بعد سليم
فوقفنا لدى ضريح سليم
نسأل الله للجميع اغفاراً
قد رأينا السليم قبل ممات
انما انت مت عنا بعيداً
آه ما ضر لو رأيناك حيناً
هل ذكرت الاحباب قبل ممات
ما ترانا نزيد في القول ان قا
يا رفاتاً قد الحدوها بارض
كفرشيا ثكلى عليه فردو
بقي الشبل عندكم فاحفظوه

بهنّ تقدّم الوطنُ وعاد لجفنه الوسنُ
إذا الآفات والفتنُ بهنّ تهدمُ السورُ

...

لدى وقتٍ به الاسدُ يروع ما به جلدُ
فقلت وقولك الرشدُ ولم يرهبك تائيرُ

...

الى ان صرت في جدثٍ طويل المكث والليثُ
مقرّ الشيخ والحدثُ وكان لذاك تقديرُ

...

بكي من فقدك النيلُ ولكن فيه تأميلُ
بان يراه { جبريلُ } ورأيك فيه مأثورُ

(وقال حضرة سليم افندي خليل نهرا بكه رشيا)

ومعة اسف

زودونا بنظرةٍ ووداعٍ من فقيد الاداب والحزبه
أسمعونا من فيه آخر لفظٍ قبل ان تعقل اللسان المنيه
ودعوه عنا ايا خير صبحٍ حول ذاك الفراش عند العشيّه
حينما النفس في الفضاء توارت بسلام الى السماء العليه

(وقال حضرة محمد افندي اسماعيل خوجه بمدرسة الاتحاد الفرنساوي)
ومكاتب جريدة المؤيد بملوي

مصاب الشرق قد جلا وصبر بنيه قد قلا
فهل يجدي العزا كلا ولا السلوان ميسور

...

'نمي يوماً على عجل - {بشارة} مطمح الامل -
فكان لرزئه الجلال - لدى الاهلين تكدير -

...

وأمت مصر أسفة - تسح الدمع باكية -
وكانت قبل آمنة - بها الائناس واخير -

...

دهاها نمي مفضل - كثير الجود نوال -
سديد الرأي قوال - يفكر كله نور -

...

فقيد ذكره باق - كما اثر له راق -
وهل شيء لنا واق - اذا ما حمم مقدور -

...

فللافلام تمديد - وللأهرام - ترديد -
صداه والبيراميد - ومنظوم - ومنثور -

...

(وقال حضرة نجيب افندي الراسي)

المصاب

تجرعُ أسيَّ يا قلبُ قد نفذَ الصبرُ
هوَى من سماءِ المجدِ بدرٌ من العلى
مصائبُ أليمِ الوقعِ جلَّ على الورى
تنوحُ به مصرٌ على من اعزها
وتندب سورياً فتاها الذي به
لقد جلَّ فيك الخطبُ شرقاً ومغرباً
وكل فؤادٍ ذاب من لوعةِ الاسبى
فتندبُ منك اليوم علماً وفطنةً
وتندبُك الاقلامُ إذ قد هجرتها
ومثلك من يبكى عليه وانما
عليك سلامُ الله يا خير راحلٍ
اذا نحن لم نوفي رثاك فانما
وقد عظمت آيات فضلك في الورى
تركت لنا الإهرام مشكاة حكمة
فتحيك بالذكر الجليل مردداً

وحلت دياجي الخطبِ أذقني الامرُ
وكيف يكون الليل إن خسفَ البدرُ
به دكَّ ركن الفضلِ وانتخبَ النحرُ
وشاد بها ما ليس يهدمه الدهرُ
تعالى لها شأن وجلَّ لها قدرُ
ففي كل نفسٍ حرقه دونها الجمرُ
ومن كل عينٍ قد جرت انهر حمرُ
ورأياً سديداً دونه البيض والسمرُ
وما عهدتها في حسن شيمتك الهجرُ
بكى قبلنا من بعدك النظام والنثرُ
له القلب مثوى ثابتٌ وله الصدرُ
مأثرُك الزراء ليس لها حصرُ
وذى الهمة السماء والشيمُ الزرُ
ونورَ بهاءٍ تستنير به مصرُ
ومثلك من يحبه لو فقد الذكرُ

(وقال حضرة الشماس الكسيوس كيال الراهب الحلبي)

عن المدرسة البطريركية في بيروت

صوت الماسي

ها محمد الفضل في الارماس قدر قد
والكون قد اظلمت اقداره جزعاً
تبكي بشارة من كانت مكانته
نأى وخلف ناراً في جوانحنا
لئن تنيب طي اللحد آفله
بالامس كانت رجال الفضل تصحبه
معاقل المجد قد دكت لرقته
وداره نسجت برد الحداد جوى
لذاك فرض علينا اليوم نذبه
ونذرف الدمع من اجفاننا سحبا
فهو الذي كان ركناً يستجار به
يفني الفقير بما يوليه من نعم
اذ كان في الدين والاداب معتصماً
واليوم خالقه بالمجد كله
يحيا باحضان ابراهيم مبتهجاً

فناحت الارض نوحاً ذوب الجمدا
في كل جوى وماتت اهله كدا
فوق الملل وفوق النجم مذولدا
لله نار لظاها قط ما نخدا
فذكره من ربوع الفضل ما فقدنا
واليوم اصبح مثل السيف منفردا
لانها لم تجد من بعده سندا
مذ غاب عنها وأبقى بعده الكدا
ولا نذوق الكرى من بعده ابدنا
ما لاح بدر وما نور الصباح بدا
وهو الذي كان يطلي للملا مددا
ولا يرد عديماً بابه قصدا
لذا الاله جباه ما به وعدنا
لانه عاش مزداناً بجلي هدى
طوبى لمن آثر التقوى له عددا

(وقال حضرة نجيب افندي امين قزاح)

صدي الالف

هوى البدر من أفق المعالي الى القبر
 تحجب في غيم المنية فاخفي
 عليه يذوب القلب من شدة الالاسي
 فيا نخبة الاحباب يا صنوة الملا
 ويا رباً فيه تحت ألا احزني
 ويا صحفاً قد كان درء يراه
 تردّي وشاح الحزن وانبي وفاته
 ويا أمماً قد شقّ طول مغيبه
 أبي البين إلا خسفه في تمامه
 فيا راحلاً عنا لجنة ربه
 لقد كنت في فعل المبرات دائماً
 خدمت بلاداً كنت فيها مقدما
 تعمّدك الرحمان في دار خلده
 وامطر رمساً ضمّ جسمك في الثرى
 فوالأسفي هل في الثرى مدفن البدر
 وباءً يحزن سوف يبق مدى الدهر
 ألت ترى دمع العيون دماً يجري
 ألا أبكوا على بدر المعارف والبر
 فقد كنت في علياه سامية القدر
 ينق منك الحلي بالنظم والنثر
 مع الفضل والاداب والمجد والفخر
 عليها الا صبراً على لوعة الهجر
 وعند الردى لاشي يجدي سوى الصبر
 عليك سلام الله ما غرد القمر
 فل من لدن مولاك ماشئت من اجر
 بسمي وفيّ الود في الجهر والسر
 وأبقى لنا ذكرى مآثرك الزر
 شأيب رضوان الى ساعة الحشر

تجري لها مصر نيل الدمع ابجارا
 عين الفضائل اياماً واعصارا
 يسع له المجد آمالاً واوطارا
 فكم روى عنه اهل الفضل اخبارا
 وكم جنى الناس منها النفع اثمارا
 والحزن أسعر في احشاءها نارا
 انواره عن عيون الناس أدهارا
 حتى تجوب من المعمور اقطارا
 فوق الصحائف آيات واسرارا
 اجلاء غامضها ذهناً وافكارا
 بنسق دري أتى في النظم ابكارا
 اجلى وخذ للاهرام آثارا
 قد كان في حلية التحرير منوارا
 قامت تصوغ من التأين اشعارا
 تفوق ان نشرت نداً واعطارا
 من الرخاء تفيض السحب مدرارا
 ذكر يظل مدى الاعوام معطارا
 حمائم الايك آصالاً واسحارا
 آثاره النر اعلاناً واسراراً

قضى الذي إن جرت ذكرى مآثره
 قضى بشارة تقلا فلتسل دمها
 شههم ترفع عن متن النجوم ولم
 قد كان في خدمة الاوطان مجتهداً
 وكم افادت بلاد الله خدمته
 لما نعيناها للدينا بكت أسفاً
 يا كوكبا قد دهاه الخسف فأنجبت
 من للجرائد في الافاق ينشرها
 من للسياسة يديها ويبسطها
 من للحقائق يجلوها ويعمل في
 تلك المآثر قد قامت تؤبسه
 ترثي به سنداً في فضل همته
 ترثي به الميأ عاملاً بطلاً
 تبكي وتندبه كل البلاد وقد
 تبكي كمالاً واخلاقاً مهذبة
 حيثك يا ارض مصر كل بارقة
 قد حل فيك همام لا يزال له
 لا يزال يستي ثراه الفوم اصدحت
 إنا لنبكيه ما ذاعت وما تليت

اثارهم في الارض تحيي ذكركم لا ينحي ما كرت الاعوام
 صبراً بني تقلا فاف فقيدكم اضحى له فوق النجوم مقام
 اذ عاش في الدنيا جليلاً فاضلاً من كل وجه ما عليه ملام
 ولكم بديل بعده من نسله نجل كريم العنصرين همام
 قولوا لدى ابرام قام مؤرخاً وعليه في حضن الخليل سلام
 من كان مبداه التي أرخ وقل سنة ١٩٠١ عند الاله له السرور خنام
 سنة ١٩٠١

(وقال حضرة يوسف افندي نجم بدير القدر)

صدق الرءاء

في فريد الوطن والصحافة

بُتنا نساور في ذا الخطاب اكدارا ونرسل الدمع فوق اخدت امطارا
 ونسأل الدهر سلواناً بفاجعة دهياء منها النهي والعقل قد جارا
 يا للزينة منها الارض قد حزنت حزناً يفتت اكباداً واحجارا
 مصيبة راعت الافاق رتها وطبقت في ضواحي الشرق امصارا
 قضى فتى الشرق منقوداً وخلف ما يُبقي له في سجل النحر تذكارا
 قضى البصير باحوال الزمان ومن بالحزم فاق السهي شأناً ومقدارا

ظلّ الأمين بحق دواته التي
 خباه سلطان الورى رتباً بها
 من بعد ذاك العز خاب رجاؤنا
 أودى به الخطب الملمّ وما له
 وبه غدا قلب الضريح مقامه
 لبنان أمل من بشارته اللقا
 فاتاه منعه بديل بشارة
 واصطكت الاذان من كلماته
 ما نبيه الا كلام محزن
 خطب على مصر العزيزة فادح
 لبنان قد لبس السواد واهله
 سكبوا من الاجنان غيثاً هاضلاً
 ما اطفات عبرتنا نار الاسى
 ناحت عليه اولو المرؤة والوفا
 ذاك الذي احيا اليراعة نثره
 في فقهه فقد التصبر والعزا
 هذي مصيبتنا التي اجتمعت بها
 فلى م لا نبكي ولا نرثي وذا
 اردت سليم القلب واحد عصره
 اين الملوك واين ارباب النهى
 قد زايلاو الدنيا ولكن فقههم

قد عمه من فضلها الانعام
 من كل ذي تاج عليه وسام
 فسطت عليه من الزمان سهام
 الا بفضل يراعه المام
 وله بحبات القلوب مقام
 ما كل ما ترجو النفوس يرام
 وبه اغار على الضياء ظلام
 وعرا الميون تفرح وسقام
 في السمع لكن في القلوب كلام
 قد شاركها في النواح الشام
 قعدوا من الجزع العظيم وقاموا
 فكان عندهم الجفوف غمام
 بل انها للنائمين ضرام
 وبكى عليه الجمد والاقدام
 برت لترثي نثره الاقلام
 ذابت له الاحشاء والاجسام
 كل المصائب والخطوب عظام
 بعض الذي فعلت بنا الايام
 من قبله واشتدت الآلام
 ماتوا وهم ضمن القبور عظام
 باق له ضمن الحشا ايلام

(وقال الياس افندي جرجس بهنا)

احد مدرسي مدرسة الكلية البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت

نوح الحمام في بر الشام

علمٌ هوى فاهزت الأعلامُ
قد دكَّ طودٌ في الكَنانةِ باذخُ
من كان ركنًا في المعارفِ راسخًا
وقضى عماد في السياسةِ صادق
من كان يصدر في السياسةِ حكمه
وانضمَّ ذاكَ البدر في جوفِ الثرى
من آلِ نقلا كان خير بشارة
فتبدلت تلك البشارة بالاسى
اسدُّ بصارم عزمه حسم البلى
ربُّ الوجاهة والنباهة والندى
ربُّ الفصاحة والبلاغة من سما
سلب العقول بيانه في ثره
اهرامه تزري البيان متانةً
لم يقتنع لنشاطه بجريدة
حتى غدت اهرامه مشفوعة

ضجَّ الورى فارتجت الآكامُ
فتزعزت من هوله الاهرامُ
جزعت له علماؤهنا الاعلامُ
شهدت بصحة قوله الاقوامُ
صدرت عليه من القضا احكامُ
وانتمَّ فيه المبسمُ البسامُ
بين البشائر للفلاح نقامُ
لما قضى بديارنا الضرغامُ
وبرأيه للمشكلات حسامُ
من حقه الاجلال والاكرامُ
في نضه الاتقان والاحكامُ
فكأن تاليفاته الهامُ
فكأنها برسوخها الاهرامُ
عريّة تنق بها الاوهامُ
بجريدة سرت بها الاعجامُ

يساور ربّ التاج طاول عرشه
 فينا التي في القوم يندب إلهه
 له الويل كم عينٍ اسال دموعها
 وكم مهجة حرّى تكاد لهوله
 بشارة ودّعت الحياة فكلنا
 لقد كانت الدنيا صفاء لاهلها
 برغم البلى هذا الرحيل وليتها
 مضيت الى دار البلى وهي غاية
 فان تسترح فيها فيارب موطن
 بنيت لنا {اهرام} بمجد وسؤدد
 رفعت به الاوطان ثم انلها
 وخلفته بيكي لفقدك تارة
 فاين اليراع المضب كنت تسله
 واين المقال الحق كنت نقوله
 واين الحفاظ الوعر توقد ناره
 واين استكنت يا بشارة فطنة
 سنبكيك حتى ينفد الدمع اننا
 ولكن جبرائيل سلوتنا التي
 سيمضي على النهج الذي كنت سالكا
 ويصبح فينا مثلاً كنت ناصحاً
 سقى الله قبراً انت فيه مؤسد

ذرى النجم لا يخشى ولا يتهيب
 اذا بالردى قد غاله فهو يندب
 كما سال مركوم الحيا يتصبب
 تذوب أسي من فرط ما تطلب
 يودّع منها ما يروق ويهجب
 فلم يصف منها مذترحت مشرب
 درت للتلاقي موعداً منك يضرب
 اليها بنو غرباء تمضي وتذهب
 لنا فيه كنا نستريح وثيب
 يخيف عوادي الحادثات ويرهب
 من الخير والنماء ما تطلب
 فيشجى ويروي عنك أنا فيطرب
 فيرتدغنه السيف والسيف أشطب
 فيحلو لذي الذوق السليم ويمذب
 اذا هدد الاوطان يوم عصصب
 بها كان يبدو المستكن المنيب
 (نقاب فيك الحزن والحزن اناب)
 نرد بها الاحزان اذ ثالب
 فلا مائل عنه ولا متنكب
 يبين عن الامر الخفي ويرب
 شأيب رضوان تسح وتسكب

طودٌ عليه الشرق يبكي عَندَ مَا
شهمٌ عليه الجود يندب ما همي
قرُّ عليه الـاهل في أسفٍ وقد
كأسٌ على المخلوق حتما شربه
فإليك يا جدث النجيب وصية
رفقاً بـدِرٍ هلَّ فيك وكن له
رفقاً بطودٍ في ثراك ضمته
الله يلهم أهله صبراً على
جُعت بنو الاداب فيه فدمعهم
صبراً ذويه فقيه قد أودى بنا
وكذلك الآداب والتهذيبُ
قطرٌ وما أفنى القلوب نجيبُ
أودى بهم حزن وضاق رحيبُ
قد حار فيه عاقل وطيبُ
من مخلص هالت عليه كروبُ
نم الرفيق لانه محبوبُ
وبه كشييك كالجنان خصيبُ
فقد الذكي ومن اليه حبيبُ
يهمي عليه وفي الضلوع لهيبُ
خطب لصدمته القلوب تذوبُ

(وقال حضرة ادوارد افندي جدي)

صاحب مجلة النزيا ومنشئها

ترويد الحشرات

{ على فقيد الصحافة العربية وعميدها }

هو الموت ما عن نهجه متنكبُ
خلقنا له نسعى ويسعى يريدنا
ولكننا في غفلةٍ عن لقائه
ولا منه مهما أرجأ المرء مهربُ
وندأب نبغيه حثائاً ويدأبُ
نظن بقاء الديش والظن يكذبُ

كريم ما عرفنا فيه عيياً ولا خلقاً يلبسه رياه
 بكته رصانة ونهى وحلم بكاه العلم معها والذكاء
 فيامن بينه أدنى فؤادي وجرح القلب ليس له دواء
 لئن واروك في رمس قصي فرسمك في الصدور له جلاء
 فصبراً آله فالصبر درع به من سطوة الدهر انقاء
 فكم جزع الانام كما جزعتم فما نفع النحيب ولا البكاء
 وذاك ما لنا نجري اليه كما الامراء تجري والاماء
 فيا من جاور المولى تنم بدار لا يجاورها شقاء

(وقال حضرة اسماعيل افندي يسري مكاتب الاهرام بالقرشية)

(واجب التنزية)

الى أسرة المرحوم المأسوف عليه سعادتلو الفاضل بشاره باشا تقياً

خطب لصدمته القلوب تذوب لا غرو أن شقت لذك قلوب
 وأسى تسيل له النفوس تحسراً والجئن يسفح دمه المسكوب
 والصبر ينفذ هكذا للملة منها لساكنة القلوب وجيب
 أنى لنا الصبر الجميل على الاسى والبدر في جدث البنا محجوب
 قد خان الدهر اخثون بفعله غدرأ وأفعال الدهور تنوب
 وسطا على الليث الزيز بقوة حتى بدا للعالمين عجب
 بدر الصحافة من به الوطن ازدهى أمسى أسير القبر وهو غريب

وسلواني جفاني واصطباري نأى غني واولاني جفاه
 انوح اسي ولكن لي يقين بان الله للمجد اصطفاه
 ولي امل بان الليث ابقى لنا شبلاً بيد لنا اباه
 عمرا الدنيا قتام الحزن لما رأت جبريل اوثم في صباه
 تصبر سيدي فالصبر حزم وبالعقلاء يحمد مقتناه
 فما من حيلة للمرء فيما قضى الباري ولا فيما ارتضاه
 وامر الموت مخوم علينا وهذا ما به حكم الآله
 قدم واسلم بعز مستديم وعمر مستطيل في مداه

(وقال حضرة جورج افندي اسحق يارد بمصر القاهرة)

كلمة مخزون

لعمرك ليس في الدنيا صفاء ولا عز يدوم ولا هناء
 وما الانسان فيها غير وهم يمر بها منى نزل القضاء
 وما هي بالحقيقة غير آل وما للظم من آل شفاء
 أمن هذي الحياة زوم صفوا وبدء وجودها طيرن وماء
 سقتني من حيا الحزن كاسا بها ضاع التمل والرجاء
 لقد غدر الزمان رب فضل أليف الصدق شيمته الوفاء

وان اغدقت بالدمع سحب عيوننا
 عليه سلام الله من راحل له
 مضى وله ذكر حميد مخلد
 مضى وله الشبل الذي ببقائه
 وان جف غصن الانس بعدبشارة
 ففصن امانينا بجبريل يانع
 فما انصفته اذ تسح المدامع
 بكل القلوب الداميات مواضع
 نم ذكره باقٍ وكالطر ضائع
 عزانا وان اخنى من الخطب صاعد
 ففصن امانينا بجبريل يانع

(وقال حضرة ميشيل افندي جرجس نخله)
 مكاتب الاهرام بالفيوم

فقيد الوطن الطيب الذكر المرحوم بشارة باشا نقلا

ضياء الافق من غشى سنه
 وما للزهرة الذراء غابت
 وهذا صاحب الاهرام امسى
 فبئس اليوم يوم سطا علينا
 فقيده كان مقداما شهيرا
 لقد فجعنا يا بين فيه
 لتندبه الفصحاحة والمعاني
 ترحل نائيا والعين تهمني
 محبك سيدي ذاب التهابا
 ودمني بانطلاقٍ واندفاقٍ
 ومصباح المعالي من طفاه
 وما للبدر ناء عن سماه
 نزيل الترب يهوي عن علاه
 به بين تهادى في اعنداه
 اماما للورى جما نداءه
 وخليت العلا ينعي اخاه
 وتبك له الصحافة في ثراه
 عليه ادمعا تحكي سخاه
 وفرط الحزن قد اضنى حشاه
 ونومي باقتراقٍ لا اراه

كأس الردى لا بد من تجربته لا نستطيع لشربه تأجيلا
يا آل نقلا الاكرمين عزاءكم امسى بشارة في النعيم نزيلا
ولّى وابقى نجله خلفاً لنا عنه يكون من التقيد بديلا
ولذلك في تاريخه كل شدا يا ربّي احفظ نجله جبريلا

سنة ١٩٠١

(وقال حضرة ايليا الخوري زكا)

وكيل الاهرام في الممالك المحروسة الشاءانية

اقلّ البكا هيات تجدي المدامع وهل لقضاء الله في الناس دافع
لقد قضي الامر الذي عم خطبه وكان عظيماً هوله والذواجم
ولكنّ حمل الخطب اجدر بالقتى اذا لم يكن رد لما هو واقع
هوى شاهق في مصرفاهتزشاهق للبنان من شجو به وهو هالع
ولما نعى الناعي بشارتنا نعى لنا النضل فاصطكت لذلك المسامع
وحق علينا ان تشق قلوبنا كما حق ان تخنى عليه الاضالع
فواأسفا لو كان يجدي تأسف على بدر فضل غيبته المدامع
همام على الاهرام قد شاد فضله فشيدت على الأس المتين المنافع
وهذا صدى الاهرام بالعدل شاهد على فضل من اخنت عليه المصارع
همام له في كل مأثرة يد تشير اليها بالثناء الاصابع
وفي كل امر كان يرف ماضياً ولكن له لم يلف قط مضارع
فان تبكه الاهرام تبك عمادها وان ردد الشجو الصدى فموجازع

(وقال حضرة نخله افندي كبابه بالمتيا)

امسى الفؤاد من الشجون عليلا
والعين اذرفت الدموع كعندم
والحزم ودع ربه لا يرتجى
اين البشاشة والوداعة والحجى
اليوم حزناً نكست هاماتها
اليوم قام الشرق يندب فاضلاً
اليوم مصر بكت دماً لما غدا
قد كان قبل الان بدر سمائها
واليوم عنها قد نأى قسراً ولم
هذا الذي اتخذ المروءة خلة
تبكي لمصرعه كفرشيا التي
يا دهر ويحك قد غدرت بسيد
ابكيت اهل العلم والاداب والـ
يا راحلاً عنا وفي احشائنا
تبكيك ناكلة عروس ما لها
ابكيك ما طال المدى بسلامتي
صبراً بني نقلا فان فقيدكم
هذا قضاء الله جلّ جلاله

والجسم من هول المصاب ضئيلا
فجرت على وجه الحضيض سيولا
كفوءاً له بين الورى ومثيلا
جنت كازهار الرياض ذبولا
صيد الرجال وذلت تذليلا
بطلاً كما يهوى الكمال جليلا
مقدامها تحت التراب نزيلا
يهدى سناه معلماً وطلولا
تحسب له قبل الاوان أفولا
هذا الذي اتخذ الوفاء خليلا
ستن من هذا المصاب طويلا
لم يتخذ غير السلام سبيلا
مجد الاثيل ورضماً وكهولا
لك صورة لا تقبل التبديلا
ذنب فتغدو في الشباب ثكولا
ولا رثينك بكرة واصيلا
قد رام عن دار الفناء رحىلا
حتم لدينا ان يحوز قبولا

ومصائبنا ابكى البلاد واهلها
وغدا فوءاد العلم متصل الاسا
خطب اصاب من الفضائل قلبها
ذاك المفضل في الانام بعلمه
انشا الصحافة في زمان لم يكن
وتجشم الاخطار يبني رفعة
فبنى حصوناً للفخار متينة
هذي جرائده وهذا قولها
ما كنت احسب قبل ساعة فقدته
حتى قضى والقبر ضم معارفاً
ومن الغرائب ان طوداً شاخخاً
يبكي عليه الصدق فهو نصيره
(اهرامه) تنى جليل فعاله
وصفاته الزراء اعدل شاهد
اعداءه شهدوا بفضل ثباته
حزني عليه مضاعف لا يتقضى
فلصرنا حق النحيب للمقده
ولآله منها ومن ابنائها
والله يرحمه ويعظم اجره
ما قلت والاشجان ملأ ضمائري
واثار ما تكوى به الاحشاء
وتصدعت جزعاً به العلياء
فهدمت اطوادها السماء
وبفكرة من دونها الجوزاء
فيه رجال مثله فضلاء
للشرق وهو تسوسه الغرباء
بفضائل لم يحصها احصاء
بها جلت الافكار والآراء
ان البدور تضمها الغبراء
كانت تضاء بنورها البيداء
تحويه تلك الآلة الحدباء
كم قال حقاً ليس فيه خفاء
وفعاله مشكورة حسناء
في وصفها قد حارت البلغاء
(والفضل ما شهدت به الاعداء)
يبكي العيون وهل يفيد بكاء
وله عليها مدحة وثناء
في كل اوقات الحياة عزاء
في جنة الرضوان فهي جزاء
نزل القضاء وليس فيه مراة

كان هذا الرمس لو أحيّا نتي فاخر الاجداث صرحاً من ذهب
 لم تمت يا موصب الشعبين بل صرت في عيشين جلاً عن وصب
 عيش ذكر نشره في أرضنا طيب ما ذرّ نجم او غرب
 وحياة في ديار نزهت اهلها عن عيش سكان الحرب
 ايها الانسان لا تخش الردى انه شرع طبيعي وجب
 ما به من مرهب غير الذي شادت الاوهام في ماضي الحقب
 او ذنوب ما تحتها توبة اودجى كفر وتعطيل لرب
 فاعرف الحق الذي تحيا به واتق الله وذا كل الارب

(وقال حضرة ابراهيم افندي عبد الال عزيز من دمياط)

رأى الشجن

في فقيد الوطن

{ المرحوم بشارة باشا نقلا }

نزل القضاء وليس فيه مرأه وسطا الحمام فضات الحكماء
 وتقلب الداء الدوي على الدوا ولقما انجى العليل دواء
 فالعيش في الدنيا محط مصارع ومجال هول دونه الارزاء
 والعمر غايته الزوال فلا ترى في هذه الدنيا يدوم بقاء
 دهر تهم الناس منه مصائب وخطوب حنف كلها سوداء

لا يدوم الشقاء فيها ولا الاو سط منه ولا يدوم السرور
 سنة واللذات طيف زوال مهمه والحبيب ظي نفور
 عز ادراكها وما ذلك الله سر بسر تراح عنه الستور
 واذا المرء لم يكن صادق الاي مان ما إن يزال فيها يحور
 كل هذا الوجود حجب ينادي ال فكر أن خلفها اللطيف الخبير

(وقال حضرة ابراهيم افندي الحوراني)

استاذ البيان في المدرسة الكلية البطريركية

للمروم الكاثوليك في بيروت

فاض دمع الشام لما ان نضب نيل روض العلم في مصر الادب
 لم يمت فرد ولكن امة فضلها في العجم واف والعرب
 يا له رزءا به ناء العلي والرواسي الشم طرا والهضب
 يا لخطب مفجع اوصافه تعجز الأقلام عنها والخطب
 بات ترب المجد في ترب البلي فارتق ترب البلي أعلى الرتب
 يا حكيماً مات كهلاً ما القضا والجوول الهم ناج من عطب
 ان في الاكوان سرّاً غامضاً لو بدا ما كان في الدنيا عجب
 سبب الاسباب يقضي بالذي يتبغي فالنم في جهل السبب
 لو درى الانسان ما الغاية من عيشه والموت لم يدر الكرب
 ان كل العيش دين واجب دفعه من كلنا عند الطلب
 يا غنياً ما له كن سوى حنرة في مثلها العافي احجب

ما له غير قلبه من ظهير
 وترون القصور أبعد عن
 فاليكم آثاره فهي مما
 وكفاكم اهرامه مذ بناها
 مبعث النور والاشعة محي الـ
 ولعمري ضمير تلك الليالي
 زلّ عنها وكان يوماً على الـ
 وكثير من الفضائل والنبيل
 ومعال كالروض زهواً فامست
 ايها الراحل المشيع مهلاً
 مذ رماك الردى اصاب واصمى
 وكانّ الحمام ميدان حرب
 وكانّ الذي تملّى من العيش
 خاب طب الأساة فيك وللعلم
 واذا غالب النية طب
 التفت كم وراك يبكي كئيب
 فجزاك الاله افضل ما يج
 هذه غاية الحياة ممات
 ما براها الاله الا مجازاً
 ليس تصفو لصاحب العمر الا
 حلوة مرّة وهيئات يدرى

وتأتى له الى والظهور
 لم تغلله في الصباء القصور
 ليس يأتي الا الاثيل الاثير
 ثابتات وفي البلاد تسير
 علم اذ تلك ظلمة وقبور
 ولهذه مثل النهار ضمير
 لام والصفى شره مستطير
 اتاهن منكر ونكير
 دائرات الردى عليها تدور
 حزنك اليوم في النفوس كبير
 انما الموت بالرجال بصير
 وكان الكرام جيش منير
 له العجز من ثثار خفير
 م سطور وللقضاء سطور
 هزم العلم عندها التقدير
 ويراعي النجوم فيك سمير
 زى محب لذي البلاد غيور
 لا يغرنك في الحياة الغرور
 وقضاء على الجميع العبور
 ريثما شاب صنوه التكدير
 الأجاج مذاقها ام نمير

وكلت بالثيل الاسود فلا تخف
 بعد ارتحالك ان يباح القيل
 من كل ضرغام حديد ظفره
 يسمون سميعك حيث كنت فالحلم
 ما كان يجمل بالنفوس رجاؤها
 لا يخلفن ثراك صيب رحمة
 واهي العرى سمح الغروب همول
 الا سيبلك في الحياة سبيل
 لولا فتاك المرتجى جبريل
 لمسي له الضرغام وهو أكيل

(وقال سعادة الامير شكيب بك ارسلان)

ايها الدمع عائد مستجير
 لا تذرني الجنون سوراً وما تو
 نزل القادح الذي ليس فيه
 وعظيم على البرية ان تم
 نبأ لم يرع به البرق حتى
 ان يك النيل أرعشت ضفتاه
 رجل زال والرجال قليل
 باذخ الهم لم يكن للمعالي
 علم السؤدد الطريف ومنه
 عالم انه اذا لم تك الاخذ
 همة تبلغ العنان وصيت
 جاز شأو العلياء وثبة باز
 ليس للقلب ما عداك نصير
 في ولو كان من وراك البحور
 لطلق الدموع الا اسير
 حق في بهرة الكمال البدور
 كان للعين منه يوم مطير
 جبال بالشام كادت تمور
 وله الققد والرجال كثير
 غاية باعه اليها قصير
 لعصام قبل النشور نشور
 طار في المجد ليس يرجي الخطير
 دون ادناه في البعاد الطيور
 تتحداه في الوثاب الصقور

ما في صحابك غير بالكِ معول
 ولرب سمح بالدموع يفيضها
 عرف المصاب وكان يجهل قدره
 ماذا دهانا يوم قال نعماته
 هالوا بقولهم نفوساً حجة
 هل غادروا الا قلوباً حشوها
 لا كان يومك يا بشاره انه
 لم يبق ثكلك في البرية عاقلاً
 هل كنت الا هضبة المجد التي
 زالت وما من شاخ متمنع
 قد كنت عدة امة محزونة
 تحمي مرافقها وتطالب حقها
 بثقف ماضي الشباة كانه
 كلف بايقاد الحروب شفاؤه
 ولربما ودّ السلام لمعشر
 لله رزؤك يا بشاره انه
 آدمى قلوب الصحب منك رحيل
 قد كان ذلك لو يقرب نازحاً
 لأطال للخلان فيك مدى الاسبى
 حمل الممالي الشم ثم مضى بها
 طاشت عقول الحاميه وطالما
 لو كان يغنيه بكاً وعويل
 فيض النمام وكان وهو بخيل
 والناس فيهم عارف وجهول
 أودى بشاره وانقضى التعليل
 والقول يعظم وقته فيهول
 حزن يشك سوادها وغليل
 يوم دهى الاقمار فيه أفول
 الا تنى انه مشكول
 تسمو على هضباته وتطول
 الا سيهوي مرةً ويزول
 ما ينقضي منها عليك أيل
 وتصول في اعدائها وتجول
 سيف على هاماتهم مسلول
 ان يستباح من البغاة قتيل
 فتى الحسام العضب وهو كليل
 رزء يهد الراسيات جليل
 يا ليت شعري هل يحين قفول
 نوح يردده عليه خليل
 والحزن أن مدى الفراق طويل
 يختال كبراً نمشك المحمول
 طاشت لقولك قبل ذاك عقول

متوِّدٍ من جسمه ونشاطه
فتكت ملازمة النراش بجسمه
ومن العجائب ان تجول بجسمه
كانت حياةً للصحافة يومَ لم
والعلم يُطوى في الصدور كأنه
والقول همسٌ والقلوب ضعيفةٌ
كم اعين عميت وكمن اعين
حتى اذا عظم البلاء، وأوشكت
تخذ اليراعة سيفه ثم انبرى
فندا يدافع عن بقية راية
وطنية شهدت بها اهرامه
حق لاهل الشرق من رصفائه
أن ينشئوا لزعيمهم وشقيقه
يا صاحب الاهرام ذكرك خالد
عجباً لملك كيف يُدفن في الثرى

ما عودته الهمة السماء
فتكاً تعجب من أذاه الداء
روحٌ تضيق بمثلها الارحاء
تكُ فكرة تبدو ولا آراء
سرٌّ وجهلُ العالمين سواء
والحرُّ يُقتل والكريمُ يُساء
كانت ترى وكأنها عمياء
ان تضحك الحساد والاعداء
والارض من دمِ اهلها حمراء
كادت تمزق شملها الالهواء
مذ خط رسم بنائها البناء
إن كان يفلح عندنا رصفاء
أثراً يعظم قدره الابناء
ما دامت الكتاب والقراء
والارض أرضُ والسماء سماء

(وقال حضرة احمد افندي محرم بالدلنجات)

رنة الحزن

أودى بشارة والحوادث غول
أودى فبانت عين كل أخي نهى
والموت يسطو في الورى ويصول
تهمي غروب دموعها وتسيل

لو أن غير يد المنون تعرضت
لكنتك صوتها بلادٌ حطتها
كنت المدافع دونها يراعة
أيام زلزلها الملم وانت في
أيام قت عن الحقيقة ذائداً
فاذهب ولا تذهب مأثر ك التي
وسقاك فيض لا السحاب هتناً
ولجبدك الذكر المخلد في الوري
ولفضلك الاهرام يثبت شاهداً
ولك القصائد بالرئاء سوائر.

لك بالردى والموت داء معضل
ببناية مأثورة لا تجهل
يعنو لشرعتها الحسام الصيقل
غمراته كالطود لا تنزل
والناس عن كنه الحقيقة غفل
سيظل يلبسها الزمان الاطول
تحكي حياه ولا الغائم هطل
يرويه منا للاخير الاول
كسميه بالدهر لا يتحول
حرى ترويه الدموع الهمل

(وقال حضرة نقولا افندي رزق الله)

فقيد الصحافة

كذب الدواء فكان منه الداء
وتفرق العواد عنه وخطبه
شهدوا بمصرته الردى لم يحمه
خطب الم برب كل يراعة
في الشرق منه ماتم ومناحة
لله در مبجل في موته

وقضى القضاء فضلت الحكماء
خطب البلاد ورزوه ارزاء
منه طريف المجد والعلياء
وبكت له العلماء والفضلاء
ولمصر فيه لوعة وبكاء
حتى لتغبط موته الاحياء

انما الموت ظلمةٌ تملأُ العي
 وثوابٍ أخف منها العوالي
 يتمي العيش عندها حين لا اليا
 هذه الارض والانامُ عليها
 والذي ينشئ الروايات دهر
 ايها الراحل العزيز علينا
 ان فضلاً خلقت فينا ونبلاً
 من ووقر على الصدور ثقیلُ
 كل عضوٍ ببعضها مقتولُ
 فع سالٍ ولا الكبير ملولُ
 ملبٌ ثم ينقضي التمثيلُ
 كم له في فصولها تخيلُ
 سر برغم القلوب هذا الرحيلُ
 لأمينٌ عليهما جبريلُ

(وقال حضرة محمد ابراهيم بك هلال)

خدع الاطبة طهم فتعجلوا
 قال القضاء ردى وقالوا صحةً
 أودى عماد الفضل حتى ما له
 وخبا ضياء المشكلات وطالما
 واندك طود الحادثات وكم هبت
 ونأى امير المكرمات فربما
 ومضى لمنزله الجديد مبجلًا
 يا تارك الافلام يوم رحيله
 ومنادر القرطاس بعد فراقه
 ومخلقا صحف البيان لفقده
 خاب الدواء وخاب ما قد املوا
 كذبوا وقد صدق القضاء المنزلُ
 من بعده حرم يؤمٌ ومعقلُ
 أدجت فسار على هداه الضالُ
 هوجٌ تمر عليه لا يتقللُ
 خالٍ وارباض الحمامد عطلُ
 فلك البشارة ايها المنزلُ
 منكوسةٌ تبكي عليه وتقولُ
 تمحو حلاه النابات وتسجلُ
 يطنى بها نث الكلام ويجهلُ

يا أبا اللطف البديع - وأخا المجد الرفيع
كل احسان - رضيع - قد غدا منك فطيم

...

من لشجوي وانتحاي ولتبريح الاسى بي
جللاً كان مصابي بك من بعد السليم

(وقال حضرة احمد بك شوقي)

شاعر الحضرة الحديوية الفخيمة

حلّ بالأمتين خطبٌ جليلٌ	رجلٌ مات والرجال قليلٌ
زال عن سوريا فتاها المرجى	وعن النيل جاره المأمولٌ
وعن الأهل من يبرّ ويحنو	وعن الاصدقاء من لا يحولٌ
وعن الأمر من ينامر فيه	وعن الحق سينه المسلولٌ
وعن الرأي والسياسة والتحد	رير من رأيه السيد الأصيلٌ
يا صديقي وكنت بالأمس حياً	عهدك اليوم بالحياة طويلٌ
قد شجاني من نأي وجهك غني	ان وجه الوداد باقٍ جميلٌ
يقطر الفضل والمروءة منه	ويعيل الوفاء حيث يعيلٌ
خير ما خلف ابن آدم في الدذ	يا خلال يبكي عليها خليلٌ
ليت شعري ماذا لقيت من المو	ت وأخفى لك التراب المبريلٌ
يلبث العالمون في الشك إلا	ساعة عندها الشكوك تزولٌ
ترجع النفس للحقيقة فيها	وترى ان ما مضى تضليلٌ
ويلوذ العليل فيها الى الط	بّ وهل ينفع العليل العليلٌ

(وقال شقيق الفهيد)

حبيب بك تقلا

يا دموع العين جودي بدمر القلب الكليم
فقد اغلَّ وجودي وغدا جسدي سقيم

...

غابَ هذا البدرُ عنا فدجا القلب المني
لم يعد في العيش معنى بعد ذا الخطب العظيم

...

يا لهُ نبي كمالٍ زال من قبل الزوال
فمضى صبر الرجال فيه والحزنُ مقيم

...

قد توارى في الشبابِ غصنُ بانٍ في الترابِ
وهو لم يعطف لما بي من جوى الحزنِ الاليم

...

ما لقلبي عنه صبرٌ قد تولى الصبر قبرُ
وثوى في اللحدِ بحرُ دُرِّه دمعي السجيم

...

ظلمَ الدهرُ علاكا وهو لم يرحم صباكا
ليته كان فداكا كلُّ ذي خلقٍ كريم

...

مزار الشجر

نشرها بحسب ترتيب ورودها من ناظمها

(قال شقيق الفقيه)

ابراهيم بك نقلا

حزني عليك أجف سائل أدمي
ولقد تكون على الردى في غبطة
فلئن سبقت فغاية ادركتها
أخذ اشواط الحياة توثباً
مهلاً نزولك في التراب مغيياً
لم تندمل بعد السليم جراحنا
فالرزه فيك مضاعف بمصابه
يا ايها النجمان إن تفقدتهما
لكما سماء في السرائر رجة
ومآثر تتملأ لنا بها
لا تبعدا من ماجدين بكنهما
شخصاهما في ناظري على النوى

وأسال نارا في حشاي وأضلي
وأكون رهن تألم وتفجع
قبلي بهمة ذي مضاء أروع
كالبرق في جوب الفضاء الاوسع
لكن سموت الى المقام الارفع
حتى جرحنا في المحل الموجه
متجدداً ورداك لم يتوقع
لم يلفيا بين النجوم الطلع
واضائة طي القلوب السفع
غراً كمطفأة النجوم السطع
رتب الدلي وبكى الوفاء أسي مي
وحدث كل منهما في مسمي

يحذر به الولد او الاخ وانك مشاطرهم هذه الحسرة المذيبة مشاطرة الصفي
البارّ الحميم

على اننا لم نجزع على ذلك الفقيد العظيم اقل من جزعك عليه وتأنى
الاخوة ان لانشاركك في بكاء من شاركناك في فضله فنحن آسفون عليه آخر
الدهر مايؤسف على حبيب راحل ذاكره مدى العمر ما يذكر مقدام همام.
نسأل الله الذي اختاره الى داره ودعاه الى جواره ان يتغمده برضوانه
ويسكنه في جنانه ويحسن اليه بقدر احسانه ثم نسأله ان يجعل عزاء آله
الامائل وان يجعل خلته العزيز خير خاف لئلا المآثر والاخلاق والنضائل



وضمنت للبر والاحسان والفضل والفضيلة بقاء تلك الشيم الشريفة والنفس
العالية .

على انني سأندبه مابقيت . وأعدد مآثره وفواضله ماحييت . ولو امدني
الفكر العاجز والقلم الجامد لذكرت من محامده غير مايدريه الناس مما لا يعلمه
الا الاقربون اليه الذين وردوا عن كذب مناهل آدابه وعوارفه واختبروا
ما اختبرته من الطافه ولطائفه

لذلك يقل عليه جود المحاجر بالدماء وإسالة النفوس من الحسرة
والبكاء واني لأسأل الله تعالى الذي ضنَّ به على هذا الدار وجعله بين
يديه في اكرم قرار ان يتغمده برضوانه ورحماته عداد فضائله وفواضله
ومبراته وان يمن على آله الكرام وعلينا بالصبر الجميل لهذا الخطب
الفاجع في ذلك الفقيد الجليل

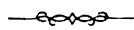


وارسل قيصر افندي مطران من بعلبك الى اخيه جامع هذا الكتاب
الكتاب الآتي

اعلم ماكان بينك وبين فقيد الصحافة بل فقيد الفضيلة والعلم بل فقيد
الشرق عامة رحمه الله تعالى من الوداد الذي لا يكاد يبلغه الاخوان والصداقة
التي هي اجمل تمثيل لصدق الولاء فانا اكتب اليك لأسألك ان تنوب عني
برفع واجب التعزية الى قدوة الفاضلات وفريدة الكاملات قرينة الفقيد
والى نجله الحبيب والى اخويه الماجدين واعرف انك جدير بالتعزية كما

والتفاني في خدمتها . لابل نفخ في قراء جرائده وهم أُلوف روحاً جديداً
لا يرفع الانسان من الحضيض الا به . ودلنا على حقوق الحاكم والمحكوم
والغني والفقير . فيا ايها النقيذ العظيم كم علمتنا من « الحروف » وكم لك من
« العبيد » ان صح قولهم من علمني حرفاً كنت له عبداً فيحق لنا ان
نبكيك ونستعظم الخطب فيك . يحق للآباء ان يملوك قدوة للبنين ويسكوك
بدم القلب فضلاً عن دمع العين ويمدوا مصابك رزاً على القطرين فسر تخفرك
ملائكة الرحمن انك لم تمت مادام ذكرك خالداً سحابة الزمان
والله نسأل ان يجعل نجلك جبرئيل خير امين على ما خلقته من
الفضائل والقواضل والمعارف والموارف ويكون خير عزاء لامة الفاضلة والبلاد
الحزينة

لك في القلوب كرامة ومقام ما سطرت بجريدة اقلام
وتذكر التاريخ اصحاب النهى وذوي نشاط زانه الاقدام



وانفذ إليّ حضرة امين افندي بدران من الاقدمين في خدمة الاهرام
هذا الرثاء

من لي بطرس من الايام ومدامع من النمام فأرثي ذاك السيد الهمام الفاضل
حق رثائه . وابكي ذلك القلب الطاهر الشريف حق بكائه . فلقد جدد لي
الخطب فيه خطبي في والدي اذ كان اعظم وليّ لي بعده . فلا عجب ان
يضارع عندي فقدته فقده . وياحبذا لو استطعت فداءه فقديته بالنفس الغالية .

وانتهى الى جريدة الاهرام الرثاء الآتي من حضرة الشاب البارع
جرجس افندي البستاني

ماوصلنا النعي الاليم بوفاة عماد الصحافة المصرية وركن الادب في القطرين
حتى كانت له رنة حزن وأسى تدلنا كيف يكون الرجل بمقام الف وكيف
تعشق الاذن قبل العين . أجل لقد شق علينا ذاك النعي فأسال المدامع وأجج
نار الاسى بين الاضالع ولا غرو ولا غرابة فاذا كان كل الذين حزنوا على
الفقيد لا يعرفون شخصه الكريم فانه لا يوجد واحد منهم لم يقرأ اقواله التي
كانت آيات بينات بل كانت في السياسة نبؤات تدل على ذكاء الثؤاد وبعد
النظر وأصالة الرأي كما كانت في الاقتصاد عين الحكمة ولباب الصواب

رجل ضاقت عن همته لبنان وتطلع الى المعالي وهو لا يملك من وسيلة
سوى الحزم والعزم والثقة بالنفس فحجر لبنان الى مصر حيث كان قد سبقه
اخوه الطائر الصيت وأنشأ الاهرام في حين كان الجهل مخيماً على الابصار
والبصائر فلم يحمد عزيمتهما مالمقوه من قلة الاستعداد وانصراف الاهالي كلهم
او جلهم عن مثل مشروعاتهما العظيم فأخذ الفقيد مع اخيه يحيى الليل والنهار
ويكابد مشاق الاسفار وتعبير الاسفار حتى وضع للاهرام أساساً كأساس
الاهرام فأخذ يجوب ذكرها البلدان حتى لم تبق أذن في الشرق إلا سمعت
بها فكانت كدفة لدررها وغررها ثم الحقها بأختين البيراميد وصدى الاهرام
فكانتا مثلها مثالا لصادق الخدمة الوطنية والاقدام على كل خطير

فالفقيد كان قدوة لنا سامية علمنا ان المرء لا يستحيل عليه البلوغ الى
شرفه النجاح اذا كان من اهل الهمم والعزائم . علمنا ان النشاط يقوم مقام
راس المال وينهض باصحابه الى اعلى الدرجات . علمنا كيف تكون الوطنية

وكتب حضرة جواهر والي افندي حسين نجل مقتش طايا

أف لك ايها الدار وبغضاً لضيغتك الذي طالما سلب الارواح ومزق
الاشباح وترك القلوب تتقلب على جمر القراق والعيون تجود بدمعها المهرق
فأي انسان لا يرجف فؤاده ولا يعبس وجهه من صروف الدهر وعوامل
القهر التي تلعب بالنصون اليانة والنفوس الظاهرة بل أي قلب لا يعيش
كثيباً اذا توارت شمس الآداب وبدور المعارف وأي فكر يسابق في
ميدان الصحافة ورياض البلاغة بعد ظلام تلك الميادين وظماء هاتيك الرياض
بفقد ساقها وروح اجسامها ومصدر اصولها ومغذي فروعها الا وهو الماسوف
عليه بشاره باشا تقلا صاحب الاهرام اني اقبلت عليها الامة المصرية اقبال
الظمان على الماء الزلال لاعتدال خطتها واستقامة مشربها

حقاً لو ذابت القلوب عليه او امطرت من العيون العبرات وغمرت
بسيلها مدفته لكان هذا من ايسر حقوقه على الامة المصرية لما له عليها
من فضل المدافعة عن حقوقها الوطنية

كان رحمه الله تعالى مع ما كان عليه من علو المكانة وعظم الشان
وسعة المدركة وحق الدراية بالسياسة والمعرفة بفنونها واساليبها لا يتولاه العجب
بل كان حليماً عند الغضب كريم النفس شريف الطباع حسن الاخلاق لين
العريكة طلق الوجه محباً للخير وفعل المبرات ميلاً الى المساعدة والاسعاف
الصبر محمود العواقب كله إلا عليه فانه مذموم

ولو كنا نستطيع القضاء لقديناه بالاموال النفيسة بل بالارواح الغالية
الثمينة ولكن ما الحيلة فنسال الله الكريم ان يطيل عمر خلقه فيبقى لنا آثار
الفقيد كما كان يحب ويوصي والله على ما يشاء قدير

وانتهى الى جريدة الاهرام الرثاء الآتي من حضرة الشاب البارع
جرجس افندي البستاني

ماوصلنا النعي الاليم بوفاة عماد الصحافة المصرية وركن الادب في القطرين
حتى كانت له رنة حزن وأسى تدلنا كيف يكون الرجل بمقام الف وكيف
تعشق الاذن قبل العين . أجل لقد شق علينا ذاك النعي فأسأل المدامع وأجج
نار الاسى بين الاضالع ولا غرو ولا غرابة فاذا كان كل الذين حزنوا على
الفقيد لا يعرفون شخصه الكريم فانه لا يوجد واحد منهم لم يقرأ اقواله التي
كانت آيات بينات بل كانت في السياسة نبؤات تدل على ذكاء الفؤاد وبعد
النظر وأصالة الرأي كما كانت في الاقتصاد عين الحكمة ولباب الصواب

رجل ضاقت عن همته لبنان وتطلع الى المعالي وهو لا يملك من وسيلة
سوى الحزم والعزم والثقة بالنفس فهجر لبنان الى مصر حيث كان قد سبقه
اخوه الطائر الصيت وأنشأ الاهرام في حين كان الجهل مخيماً على الابصار
والبصائر فلم يخدم عزيمتهما مالمقوه من قلة الاستعداد وانصراف الاهالي كلهم
او جلهم عن مثل مشروعاتهم العظيمة فأخذ الفقيد مع اخيه يحيى الليل والنهار
ويكابد مشاق الاسفار وتجهيز الاسفار حتى وضع للاهرام أساساً كأساس
الاهرام فأخذ يجوب ذكرها البلدان حتى لم تبق أذن في الشرق إلا سمعت
بها فكانت كدفة لدررها وغررها ثم الحقها بأختين البيراميد وصدى الاهرام
فكانتا مثلها مثالا لصادق الخدمة الوطنية والاقدام على كل خطير

فالفقيد كان قدوة لنا سامية علمنا ان المرء لا يستحيل عليه البلوغ الى
شرفه النجاح اذا كان من اهل الهمم والعزائم . علمنا ان النشاط يقوم مقام
راس المال وينهض باصحابه الى اعلى الدرجات . علمنا كيف تكون الوطنية

وكتب حضرة جواهر والي افندي حسين نجل مقتش طاليا

أف لك ايها الدار وبغضاً لضيغتك الذي طالما سلب الارواح ومزق
الاشباح وترك القلوب تتقلب على جر القراق والعيون تجود بدمعها المهرق
فأي انسان لا يرجف فؤاده ولا يعبس وجهه من صروف الدهر وعوامل
القهر التي تلعب بالنصون اليانة والنفوس الظاهرة بل أي قلب لا يعيش
كثيباً اذا توارت شمس الآداب وبدور المعارف وأي فكر يسابق في
ميدان الصحافة ورياض البلاغة بعد ظلام تلك الميادين وظماء هاتيك الرياض
بفقد ساقها وروح اجسامها ومصدر اصولها ومغذي فروعها الا وهو الماسوف
عليه بشاره باشا تقلا صاحب الاهرام اني اقبلت عليها الامة المصرية اقبال
الظمان على الماء الزلال لاعتدال خطتها واستقامة مشربها

حقاً لو ذابت القلوب عليه او امطرت من العيون العبرات وغمرت
بسيلها مدفنه لكان هذا من ايسر حقوقه على الامة المصرية لما له عليها
من فضل المدافعة عن حقوقها الوطنية

كان رحمه الله تعالى مع ما كان عليه من علو المكانة وعظم الشان
وسعة المدركة وحق الدراية بالسياسة والمعرفة بفنونها واساليبها لا يتولاه العجب
بل كان حليماً عند الغضب كريم النفس شريف الطباع حسن الاخلاق لين
العريكة طلق الوجه محباً للخير وفعل المبرات ميلاً الى المساعدة والاسعاف
الصبر محمود العواقب كله إلا عليه فانه مذموم

ولو كنا نستطيع الفداء لفديناه بالاموال النفيسة بل بالارواح الغالية
الثمينة ولكن ما الحيلة فنسال الله الكريم ان يطيل عمر خلقه فيبقى لنا آثار
الفقيد كما كان يحب ويوصي والله على ما يشاء قدير

وكتب اليّ حضرة الاستاذ احمد افندي سميح

صديقي خليل

اسأل الله ان يحفظك من المكاره ويبقيك ملاذاً لاخوانك . ثم اتوسل اليك بشفاة مايننا من صلة الادب وحرمة الصداقة ان تنوب عني لدى مثال العفة والفضيلة وصورة الشرف والكمال ارملة الماسوف عليه صديقنا الحميم بشاره تقلا باشا عميد الصحافة المحلى في حلبة الواضعين لها بمصر فلقد انقذه الله من اشراك المموم الحيوية المنصوبة في فضاء هذا الوجود المملوء بالاكدار واختاره لجواره فترك المروءة تبكيه والهمة تنسده والادب يترحم عليه والجد يشكو به وحزنه ورجال الاقلام يصعدون الزفرات جزعاً مما اصاب دولة الكتابة السياسية اذ عدمت رجلا كان من اكبر زعمائها جرأة واعظم دعائها اقداماً

فهل لك ياخيلي ان تقبل هذه النيابة وتقف بين يدي تلك الارملة التي لا أسميها تكربة لمقامها فتبلغني اني وان شاطرتها الحزن لا اقوى على رؤيتها جازعة مستسلمة لدوامل الاكتئاب فذلك اخرج المواقف لدي بل هو الموقف الذي ماعهدت ولن اعهد نفسي في سواه جبائناً . وعذري حياء استحكم ومهابة اقترن بها احترام فكانت النتيجة خجلا فطع علي طريق التعزية بنفسي مباشرة . وعدم رؤيتي لتلك السيدة الفاضلة نحو عشر سنين فيه لمعذرتي اعدل تركية ياخيل ؛ انت تعلم ان كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر ولكن مصيبتنا جميعاً بفقد بشارتنا ان تزال كبيرة ولا أمل لنا في صغرها والتسلي عنها إلا مستقبل « جبريل » سر والده وعنوان والدته فعسى الله ان يجعله لها خير ماورثت ويديه لنا اعظم تسلية وافضل عزاء

وتكرم حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد بهذا التاريخ ملحقاً بكتاب قال
 بموتك يا تقلا لقد مات فاضل ماثره غرّ خواطر في الذهن
 قضى فبكاه العلم بالادمع التي تسيل دماً كالقرون يبكي على القرن
 وابنه للفاضلين مؤرخاً بكي الصدق تقلا والفضائل من حزن

وبعث إليّ عزتو حفي بك ناصف القاضي بهذه الايات من رسالة

من كابن تقلا غالب الاياما	وصارع الشهور والاعواما
ومارس السوق والحكاما	ولم يهب عدلاً ولا ملاما
واعمل الدوي والاقلاما	ومنع الجفون ان تناما
واختبر الزمان والاناما	كم فوق الدهر له سهاما
فلم يجد الا فتى مقداما	لا يرهب الكر ولا الاقداما
حتى بنى لنفسه مقاما	وشاد في مصر له اهراما
طبق مصر صيتها والشاما	وبهرر الملوك والاعلاما
وصار في اهل النهى اماما	ونال من زمانه ماراما
حتى اذا ملكه الزماما	اذاقه من كاسه الحماما
فالله يسقي رمسه الغماما	

انتظر الفرصة وأتوقع ان اراه في مصر ونود كما كنا او يراني هنا وغضب
المحب اقصر عمراً من ان ينتظر عذراً فجاء من كنانة الذيب مالم اكن اتوقع
واعتل بنمة ولم اعلم الا بوفاته رأساً لان الجرائد كانت تتأخر وكان الاطباء
في الاول يمنعونني عن القراءة والكتابة فكيف كانت حالي عند سماعي هذا
الخبر وكيف كان تعينني لنفسي . لاجرم انه اقتص من نفسي بنفسي وهو
ميت في لحده ولا يكون ميت تأثيره في الاحياء . هذا التأثير الا من كان
على مثل سجيته من الوفاء والاستمسك بحبال الولاء فانا استغفر الله واستغفره
ولو كان جرمي صغيراً فهو عندي الآن حوب كبير ولولا حالتي الآن لكنت
رثيته بما يقتضيه الود ولكن افسحوا لي اياماً قلائل حتى انشط من هذا العقال
وسأقدم الى حضرة قريته الفاضلة الكاملة واجب التزينة وارجو من طهارة
خلقك ان تنوب عني في بسط عذري لديها في ابطاء رثائي ولئن ابطأ شعري
عن رثائه فما ابطأ جفني عن بكائه ولا ابطأ ضميري عن تصويره ولا فؤادي
عن التواجد له وكل ذلك مقرون بالندم وتبكيك النفس على حين لا امل
ان يشعر بما اصابني من بعده ولعمري ان لم يحزنني مصرع حبيب به
افلا يحزنني مصرع ذلك الرجل النذب الرئيس في ابناء حرفته الخادم لوطنه
خدمة مخلدة فوت مثله حزن لكل من يهيمه شأن الوطن واسأل الله ان
يوفق ولد فقيدنا الذي اعرفه طفلاً حتى نتعزى به عن ابيه وهو المسؤول
ان لا يفعنا بالاحباب

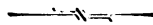
وهذا كتابٌ ورد الى جامع الكتاب من احد اكابر الشام ادباً ومقاماً
وكانت بينه وبين الفقيه في الايام الاخيرة مودة لم تتجاوز حد الصداقة
ايها الاخ الخليل

ذهابُ الحبيب بشاره باشا الثابت له نفسي التياث من أصيب بأحب
أخ الى قلبه فقد كان الوداد بيننا أكيداً وكان يهتم بي ويريد لي الخير وبيننا
من الحقوق والعهود والمكاتبات ما أنت تعرفه فان لم آسف على فقد مثله
فعلى من وانما ضاعف حزني عليه وندي وقرعي السن ارتحال هذا الصديق
القديم الى الدار الاخرى على انقطاع من المكاتبة فيما بيننا لا انقطاع المحبة
لا والله وهو على ما أقول شهيد ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
ولو استشمرت نفسي ففقدته لما قطعت مكاتبته ما استطاعت انلي ان تمد حرفاً
على قرطاس ولكن واسفاه بل واحرقته اني لي او لغيري ان نعلم الغيب
ومع هذا فأنا معترف امام الله بجزيرتي هذه استغفرها منه كل ساعة مقرر
بأنني كنت جانياً في حكم المودة وان كان البنض لهذا الصديق لم يدخل قط
فؤادي والله على ما أقول وكيل نم بقيت أوده وأود خيره وأتمنى لقاءه وأعلم
ان انقطاع قلبي عنه سحابة صيف عن قريب تقشع خصوصاً وأن
لاسبب لها سوى اشتغالي وغيابي وانصرافي عن الكتابة مما يدل عليه
تقصيري معكم وكان غفر الله له حاد المزاج في خدمة الوطن شديداً في العلم
فربما بدر منه تعنيف لهذا التقصير كان ينبغي ان لايسؤني للمي بالناية منه
وان لايعكر صفو المودة بيننا جدال على قضايا سياسية او غيرها ولكن كما
يلزمني ان انصفه يلزم ان انصف نفسي فقد اقسمت برتين وهذه تعزيزاً
بثالثة ان هذه الفترة لم تكن عندي الا ريثما اعود الى المراسلة وانما كنت

كتب تعزية

يكاد عدد الكتب التي وردت من كل صوب تعزية في الفقيد لا يحصى ولا يحصر ولكننا آثرنا نقل بعض ما وصل الى اليد منها بعد ان بدد اكثرها الذهول الذي ألم بالاهل والاقارب عند حلول المصائب
وأول تلك الكتب ما تفضلت به الاميرة الجليلة البرنس نازله هاتم افندي وكانت يومئذ في تونس على حضرة الفاضلة قرينة الفقيد وهذا تعريبه من الفرنسية

أيها السيدة الفاضلة
عزّ عليّ كثيراً ما انتهى إليّ من نبي قرينك الفاضل المبرور الذي عرفته منذ ٢١ سنة وأعجبت بما كان عليه من شريف الخلال وصدق الولاء في خدمة مصر والدولة العلية وهي خطة جرى عليها حازماً ولم يتحول عنها في مدة خدمته الطويلة فاستحق اجل الشكر من الجميع
فأنا مشاركة لك في الاسف العظيم عليه ادعو لك بجميل الصبر والسلوان



وتأبينه فرض على كل منبر
 وقد كان طود الدرف والعلم والسلم
 ودور الرثا من واجب النثر والنظم
 صدى من اقاصي النرب بالحزن والغم
 نقاسمت الدنيا المصاب فلا ترى
 سوى آسف يشكو الزمان من الظلم

لقد أصيب العلم والادب بمصاب جسيم . ورزئت الصحافة والسياسة
 بخطب مر أليم . اذ دك طود الاهرام . وانطفأ مصباحه . وبُدت بالبؤس
 والنم سعادته وافراحه . وسلبه الدهر حياة حياته . وانشب الموت اظافره في
 عمود حماته . الا وهو صاحب الوجاهة والسعادة والفضل . وشيخ الصحافة
 والسياسة والنبيل . سعادتلو افندم حضر تلري

المرحوم بشاره باشا تقلا

صاحب جريدتي الاهرام العربية . واليراميد الافرنسية . توفاه الله اثر
 سكتة في الدماغ لم تنجح في شفائها الحيلة . ولا دفعها عن حياته وسيلة . فراح
 وعين كل فضيلة عليه دامية . واقلام كل ذوي النبل عليه باكية . واياه راثية .
 وقد بلغنا خبر هذه الفاجعة في اخر وقت من ميعاد صدور البرازيل فاضطررنا
 الى ايراده مجردا عن ترجمة حياة الفقيه الجليل مكتفين باستمداد المراحم له
 من الرحمن . سائين لاهل العلم والفضل وسعادة اشقائه وآله من بعده نعمة
 الصبر والسلوان

وقالت جريدة الايام بنيويورك

موت نقلا باشا

حملت الينا جرائد مصر في هذا الصباح نعي احد اركان الصحافة العربية فيها
 المأسوف عليه المرحوم بشارة باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام المشهورة فقد
 اصيب بسكتة دماغية ذهبت بحياته وكان لمنعاه تأثير اسف في مصر كلها لما له رحمه
 الله من الشهرة الواسعة والخدمات المشهورة في سبيل الصحافة العربية وقد جرى
 بدفنه احتفال عظيم واسف على فقده الكثيرون تغمده الله برحمته والهم آل نقلا
 الكرام صبراً جميلاً على هذا الرزء الجسيم

وقالت جريدة البرازيل بسان باولو

خطب الاهرام

فضاء قضى لكن على هيكل الجسم -	وليس على الذكر المخلد والاسم -
وكيف يموت الذكر والفضل خالد -	على صخرة المجد المؤثل والعلم -
لفرض على اهل الصحافة في الوري -	رثاء الذي أغنى الصحافة من عدم -
وفرض على الاداب احياء ذكر من -	لقد عمم الآداب في العرب والمعجم -
وفرض على الاقلام ندب الذي سما -	بها في سما العليا الى هامة النجم -
وفرض على اهل السياسة والنهي -	بكاه كذا فرض على الحزم والعزم -

ترقى الصحافة بهمة لا تعرف الكلل والملل فاحي الليالي ساهراً مواظباً
على العمل متغلباً على عقبات رضخت لها رجال الصحافة من أسلافه ومعاصريه
حتى ارتقى بين الاقران وبلغ شأواً رفيعاً في الوجاهة وعلو الشأن ونال الشيء
الكثير من الرتب والنياشين

وكان له جسم لا يتعب ودماع يتقد حدة وذكاء كانه شعلة من اقدام
ولكن واأسفاه فقد حمل النفس فوق طاقتها فالتبب الدماغ وكان ما كان
من انقضاء الاجل قبل الاوان والناس لا يصدقون ان تلك الهمة العالية
وذلك العزم الثابت يصيران الى عالم الفناء حتى ولا جال في فكر البشر ان
تلك الزهرة النضرة سيعترها الذبول العاجل

ولد الفقيد في ٢٢ آب سنة ١٨٥٢ بكفر شيا من قرى لبنان وجاء الديار
المصرية سنة ١٨٧٦ حيث انشأ جريدة الاهرام مع المرحوم اخيه سليم بك نقلا
فكانت له خير ميدان راض فيه ما أوتي به من المواهب والمزايا وقضى رحمه
الله عن ٤٨ سنة ملياً دعوة ربه الى الديار الباقية مخلّفاً لنجله بجمده وكده من
الجاه والثروة ما يميز على ارباب الاقلام في الشرق وفي هذه الايام ان يحصلوا عليه
وكانت وفاته على اثر احتقان في الدماغ لم يمهله كثيراً وكان قلبه دليلاً على
ما سيحل به فاستدعى اليه زوجته وولده وودعهما وداع من ايقن بدنو منيته ثم
اعترته نوبة شديدة افقدته الصواب وفي الساعة الثانية من صباح يوم الجمعة الواقع ١٥
حزيران اسلم الروح بأسوأ عليه من معارفه وذويه وبلغ نعيمه سمو الخديوي فبعث
بمن نابوا عنه بفروض التعزية رحمه الله ومنح المرزوين به جميل الصبر

وفي عدد من منها رسم شيخ الصحافة وفقيد الشرق المأسوف عليه بشارة نقلا
باشا البعيد الصيت فلم تتلك من ذرف الدموع عند رؤية رسم فقيد عزيز
ورجل

هيات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل
رجل نادرة في زمانه وعصامي قد سودته النفس وعلا به الجد والاقدام
الى ذروة النخار وقة العلياء وعندنا ان ذلك الراحل الكريم وان مات
فان ذكره سيبقى جيا بقاء الاهرام واثار اقلامه مغلدة على صفحات (الاهرام)
ومآثره الديدة تردد ذكره على كرور الايام . رحمه الله رحمة واسعة واسكنه
فسيح جناته

وقد تحوّلت الجريدة بامتيازها لاسم نجله جبرائيل بك بشارة نقلا
الذي لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره جعله الله خير خلف خير سلف واقرّ
به عيون الآل والخلان انه السميع المنان

وقالت جريدة الصدق ببوينس ايرس

وفاة بشارة باشا نقلا

صاحب الاهرامين

نعت الجرائد المصرية فقيد صحافتها ومؤسس أقدم صحفها السياسية صاحب
الاهرام بل صاحب الاهرامين المأسوف عليه بشارة باشا نقلا الذي قدم
الديار المصرية منذ نيف وعشرين سنة في عصر اسماعيل فجاهد في سبيل

تعالى أن يعزي أفراد عائلته الكريمة عن حرمانهم شيخهم ورئيسهم في عمر كانت
يمكنه فيه أن يزيد مآثره ويكثر مفاخره ونرجو أن يكون نجله الخلف مقتدياً
بالسلف ليخلد اسمه ويؤيد رسمه

وقالت جريدة مرآة الغرب في نيويورك

بشارة ثقلاً باشا

نعت الينا جرائد مصر المأسوف عليه المرحوم بشاره ثقلاً باشا صاحب
جريدتي الاهرام والبيramid توفي بعد منتصف ليل الرابع عشر من خزيان
الفاتث اثر حمى خبيثة اصابته مدة اسبوعين فلم تنفك عنه حتى اسلم انفسه
الاخيرة

مات الفقيد وله من العمر ٤٨ عاماً تضرب به الامثال في الجد والنشاط
ويقال عنه رحمه الله انه لم يكن يعرف الراحة في عمله . وقد خدم الفقيد
سنين طوالاً وعزّز شأن الادب وساح الممالك وطاف معظم البلاد الاوربية
وقد احتفل بئامه احتفالاً يليق بمقامه ودفن مأسوفاً عليه رحمه الله
رحمة واسعة وألهم والدته الفاضلة وقرينته وابنه واشقاءه جميل الصبر والعزاء

وقالت في عدد ثان

{ الاهرام }

جاءتنا الاهرام حزينة على مؤسس مجدها وركن نخرها مجللة بالسواد

النخام كانوا يستقبلونه بالاحتفاء والاكرام وأحسن اليه السلطان المعظم بالرتب العالية
 والنياشين السامية وكان لعائلته واخوانه واحبائه وخلانه حصه من المراعاة السلطانية
 ونصيب من التعطفات الشاهانية حتى أحدث له ارتقاؤه هذا بين رجال يلدز
 حساداً وأعداء ثم أشير عليه بنقل جريدته الى دار الخلافة العلية ولكنه لما اختبر
 أحوالها حق الاختبار وطبق حرية الاقطار المصرية على التضييقات الواقعة في تلك
 الديار رجح البقاء حيث كان وفي خلال ذلك لم يتقاعس عن الذب عن حقوق
 الحكومة السلطانية الى ان ازدادت ادارة المصالح في الاستانة سوءاً واختلاًلاً بحيث
 لم يبق ثمت لمحرر جريدة حرة أساس للدفاع عن حكومتها فعدل سياسته وصار ينتقد
 مسلك رجال الدولة مع التزام المحافظة على الولاء لجلالة أمير المؤمنين وقد ساح كثيراً
 في اوربا وتعرف بوزراء فرنسا وكتابها وأظهر للحكومة الجمهورية خدماً جلية في
 وقت كانت وكلائها في مصر في أشد الافتقار الى من يحامي عن مصالحها فكافأته
 على خدمته وأحسننت عليه بوسامها علامة على صداقته والحاصل انه كان لتقلا باشا
 دور مهم في السياسة لم يتأت لاحد من أرباب الجرنالات الشرقية ومع هذا
 فكان حسن الاخلاق كريم الطباع لطيف المعاشرة محباً لفعل الخير وكم وكم له من
 مبرات وحسنات نحو كثير من العائلات بنوع يخذ له الذكر الحسن والصيت المستحسن
 فحق للصحافة العربية ان تفتخر بمثله وتحزن لفقده وتعتبر بفضلله وقد شيعت جنازته
 في موكب حافل ارسل اليه مولانا الخديو المعظم احد رجاله الكرام لينوب عن جنابه
 العالي وحضره الامراء والنبل وقناصل الدول الاجنبية ورجال الحكومة الخديوية
 واعيان المصريين واكابر السوريين ووجوه الاوربا وبين وارباب الصحف العربية
 والافرنجية وكثير من العلماء والادباء وكبراء التجار وأهل الثروة واليسار وألقيت
 الخطب الفصيحة بتعداد محامد الفقيد الصحيحة وراثه الشراء اجمل رثاء فنبأ الله

وقالت جريدة الخلافة بلندن

وفاة صاحب الاهرام

ألم بالصحافة المصرية بل بعالم المطبوعات العربية مصاب عظيم وخطب جسيم بوفاة المرحوم بشارة باشا نقلا صاحب الاهرام وهي بعد الوقائع المصرية أقدم الجرائد العربية في مصر أسست قبل خمس وعشرين سنة حيث كان ذلك القطر محروماً من جريدة تكشف لاهله عن أحوال الدنيا وترشدكم الى معرفة حوادث العالم وقد نجح هو وشقيقه سليم بك رحمهما الله في خدمة البلاد التي اتخذها موطناً فان الناس أقبلوا على الاهرام إقبال الجائع على الطعام وساعد على ذلك رجال الحكومة المصرية المحبون لنشر المعارف والآداب العمومية وكلما زادت الجريدة حظوة عند الاهلين كان صاحبها يتضاعف همه ونشاطاً بتكثير موادها وتوفير فوائدها الى أن صارت اكبر الجرائد العربية حجماً وكان بشارة باشا يعتني بجمع الاخبار واستقصاء وقائع الامصار واستطلاع الآراء والافكار بصورة أعجزت غيره عن مجاراته في هذا المضمار وبالجملة فكأن الفقيه خلق لحرفته وما أجدر كتابة الصحف بان تكون من مهنته ولو كان المصريون كسائر الامم منزمين بقراءة الجرائد لكان رواج الاهرام بينهم يماثل رواج السواد الاعظم من جرائد اوربا بين الافرنج ومع هذا فقد كان المجد للفقيه ملازماً والسعد له خادماً في مدة قصيرة جمع ثروة وفيرة وأحرز الوجاهة والاعتبار وعاش متمتعاً بأنواع العز والفخار وفضلاً عما كان له من المقام بين امراء المصريين ووزرائهم الكرام فان وكلاء الاستانة ورجال السلطنة

هناك الى عاصمة الروس وحظي بشرف المشول لدى جلالة القيصر ثم عاد
ممرجاً على الاستانة. ثم في سنة ٨٨ عاد الى الاستانة وتشرف بالمقابلة السنية
وأذن له برؤية دار الخزانة العثمانية وتحف آل عثمان وعروش السلاطين وما
هنالك من الكنوز والجواهر وفي سنة ٧٩ توجه من مصر الى اوربا وعقد
له الزيجة في ١٥ حزيران من تلك السنة وهو نفس يوم وفاته من هذا العام
وصرف مع عروسه مدة في الاسفار بعواصم اوربا قابل في اثنائها جلالة
ناصر الدين شاه العجم. وفي عام ١٨٩٢ زار الاستانة ايضاً ونال النيشان المجيدي
الاول والرتبة الاولى من الصنف الاول ثم رتبة روملي بيكاربكي. قال محرر
جريدته انه مع نواله المقامات العالية مثال التواضع والمجاملة والرأفة وسلامة
الطوية وطيب السريرة وحب الفضيلة وكان متقد الذهن كثير المطالعة للجرائد
الغربية دقيق النقد لما يترجم منها ومن وصاياه « ان الشرق هو وطننا وفي
الشرق محصورة خدمتنا وخدمة الوطن هي ضالتنا ننشدها في كل آن بلا
محابة ولا مراعاة » وقد قال موصياً لجريدة الاهرام « تحروا المباحث المفيدة
للامة . ولا تخشوا في الخدمة الصحيحة والحقيقة المفيدة احداً . واجنبوا المثالب
واسكتوا عن المطاعن ولو كانت ثلياً »

هذه خلاصة حياة الفقيه العزيز وشي من مآثره واعماله الجليلة
فالصحافة والسياسة تندبانه والجد والخلوص بأسفان عليه رحمه الله رحمة واسعة
وعزى آله الكرام

مدرساً فيها وفي سنة ٧٢ طلبت اليه عمدة المدرسة الكلية الانجليزية ان يعلم فيها مسك الدفاتر فكنّا وقتئذٍ من مبتدئي الطلبة عنده ولم يزل بين ايدينا دفتر الاستاذ وعليه التصحيح بخط يده . ثم انتقل من بيروت الى عنطوره فدرّس في مدرستها الشهيرة سنتين ثم توجه الى القاهرة لمعاونة اخيه المرحوم سليم بك ثقلا في انشاء الاهرام بايام المرحوم اسمعيل باشا خديوي مصر سنة ١٨٧٥ وأصدر في تلك الاثناء ايضاً جريدة صدّى الاهرام وكانت هاتان الصحيفتان باكورة الصحافة في القطر المصري . وفي سنة ١٨٧٨ ايام الحرب العثمانية الروسية اصدر جريدة على هيئة مجلة سماها حقيقة الاخبار خصص نصف دخلها بمساعدة الجنود الشاهانية . ولما حرّر مقالة ظلم الفلاح طلبه اسماعيل باشا وأوقفه وعطل جريدة الصدى فاصدر بعد خروجه من السجن جريدة بأسم الوقت . واول فصل كتبه في الاهرام بتوقيعه كان سنة ١٨٧٩ وموضوعه سياسة المانيا . وفي سنة ٨٠ سافر الى سوريا لتصفية بعض حسابات كانت على المرحوم والده وفي السنة التالية سافر الى الاستانة ثمّ الى اوروبا يوم كانت المسألة المصرية في اعظم احداثها وفي سنة ١٨٨٧ عاد الى مصر فاقتبله الخديوي بالترحاب وأنعم عليه بالرتبة الثانية . وبعد حوادث الاسكندرية جاء سوريا وفي غيابه احترقت المطبعة فعاد وجدها واعاد الاهرام . وفي عام ٨٤ سافر الى لندرة وحظي فيها بالالتفات ثم في غيته تقدم الى ادارة الاهرام وفد من الاعيان والوجوه يشكرون خطته ويظهرون الارتياح الى كتاباته واجراءاته فكدر ذلك التظاهر الحكومة المصرية وعطلت الاهرام . فلما بلغه الخبر عاد من لندن الى مصر ونال الرضى والوفو . ثم سافر سنة ٨٧ الى الاستانة وفيها نال الالتفات العالي والنیشان المجيدي الثاني . ثم توجه من

خير خلف يسير على خطته وينهج منهجه في خدمة الحق واعلاء منار
الوطن والامة

وقالت مجلة الطبيب

{ بشاره باشا نقلا }

نعت الينا اخبار القاهرة وفاة رصيفنا المرحوم بشاره باشا نقلا مدير وصاحب
جريدتي الاهرام والبيramid . الحائز المجيدي الاول والافيسيه دي لجيون دونور
والنيشان الاول من رتبة ستانسلاس الروسي ونيشان المخلص اليوناني ونيشان
القديسة اليصابات الاسباني ونيشان الاسد والشمس الفارسي ونيشان المجمع العلمي
ونيشان الافنخار من باي تونس . توفي عن ٤٨ عاماً صرف معظمها بالجد
والاعمال الخطيرة . وقد لبث مريضاً بالحمل ٢٤ يوماً وكان كما قيل في مرضه
كما في صحته ثابت الجاش والعزم والقوة والجلد والصبر يغالب الآلام فلا يشكو
المأ ويكافح الاسقام فلا يظهر مضضاً . وقد كان ماثماً حافلاً غص بالامراء
والعظماء والادباء والانساء من جميع الملل والنحل وقام على رسمه الخطباء
يعددون مآثره ويترحمون عليه

ولد الفقيه في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥٢ في قرية كفرشما من اعمال ساحل
لبنان وفي العاشر من عمره دخل المدرسة الوطنية للمرحوم المعلم بطرس
البستاني التي كانت في بيروت ثم المدرسة البطريركية وبعد انجاز دروسه انتدب

الشرق وكلها على اتفاق في قدر الخسارة حق قدرها واستعظام المصيبة في هذا الراحل العزيز

والمرحوم بشاره ثقلاً ولا نزيد الناس به علماً هو الرجل المرتقي بجده من أبسط درجات النسب والثروة الى أعلى مراتب الشرف والعلاء الناهض من حضيض الخمول الى اوج المجد والشهرة بل الوطني الحرّ المخلص لدولته وبلاده الثابت في خدمة وطنه حتى الموت المجاهد في اعلاء منار الحق حتى السجن والاضطهاد. استنقل الوجود في قرية صغيرة لم تلح في سماها شمس التقدم ولم ينلها في التاريخ حظ من سعادة البلدان وليس حوله من عوامل النهضة وذرائع النجاح الا كل ما يقعد بالهمم عن الجد ويشبط النفوس الكبيرة عن مصادمة معاكسات الدهر وهذا الرجل مات اليوم عظيماً مجيداً موسراً نائلاً حظوة في اعين الملوك وحائزاً ارفع مقام بين عظماء الناس وقد مشى في جنازته السراة والاعيان والكبراء والوجهاء والكتاب والخطباء فما أخرى بمثاله ان يتخذ قدوة للعمل والاجتهاد وما اجدر باسمه ان يخلد في التاريخ عنواناً للفخر الحقيقي المكتسب بالسمي والاستحقاق لا الموروث عن الاباء والاجداد

ولا نزوم في هذا المقام ان نستوفي الكلام عن مآثر الرجل ومفاخره ولكن نقول باختصار ان حياة المرحوم بشاره باشا ثقلاً ملأت فراغاً عظيماً في الوجود الادبي وهي تبق احدى الصور المجيدة التي يرسمها التاريخ للذرية ممثلاً فيها اعظم الاعمال واشرفها فنسأل الله ان يرحمه رحمة واسعة كفضله ويكافئه عداد حسناته ويمن بالتعزية على قلبي ارملة ونجله ويحفظ بوحيده

حزن في قلوب الذين عرفوا الفقيد وحسن صفاته وتقانيه في خدمة العلم
والادب فنسأل الله ان يتغمده برحمته ورضوانه وان يلهم آله الكرام
الصبر والعزاء

وقالت جريدة بيروت

اول امس ورد على لسان البرق نعي المأسوف عليه بشاره باشا تقلا
صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد الفرنسية توفي على ارحمى حمي وطيس باذنيه نلم تمرله
الا اياماً قليلة وقد اسف عليه اصحابه ومعارفه لانه احرز بجده ونشاطه منزلة
حسنة فنعزي اهله واقاربه بمصابهم فيه

وقالت جريدة المحبة

المرحوم بشاره باشا تقلا

اتانا نعي هذا الفقيد الكريم والجريدة تحت الطبع فلم تتمكن من وفاته
واجب الرثاء في عددنا الماضي فاكتفينا بنقل نعيه الى القراء ونحن نشعر
بثقل الضربة وحسامة المصاب وقد اتانا الاهرام مطوقاً بالسواد مرثدياً
اثواب الحداد مصدراً برسم فقيده ومعلي مناره وتلقينا جرائد القطر على اختلاف
نزعاتها مشحونة بتعداد مناقب زعيم الصحافة العربية وركن نهضتها في بلاد

ثم يسقجة القناصل واكليروس الطوائف الكاثوليكية ثم حامل وسادة الاوسمة التي احرزها الفقيد ثم حاملو بساط الرحمة وهم كل من اصحاب السعادة محمود شكري باشا ويعقوب ارتين باشا وقليني فهمي باشا والمسيو قصيري من اركان قنصلاتو فرنسا وطوبيا بك كامل والمسيو بريفا ونقولا بك توما والدكتور يعقوب افندي صروف وكان من الراء المسيو لكونت من متولجي اعمال الوكالة الفرنسية والمسيو برتران والمسيو باروا ناظر السكك الحديدية وساداتلو اسمعيل باشا صبري وجميع رجال الصحافة وسواهم وبعد الصلاة نقل نعشه الى المدفن في مصر القديمة وابنه حيثذ المسيو بول مانس بالنيابة عن جريدة اليراميد ويوسف افندي البستاني بالنيابة عن الاهرام ثم ابنه حضرة المحامي الشهير نقولا بك توما تأبيناً موجماً بين فيه ترجمة حياته واعرب عن اياديه البيضاء ثم ارفض الحشد وكلهم آسف يمتنى للفقيد الكريم رحمة ولرزوين فيه الكرام صبراً جميلاً

وقالت جريدة الروضة

وفاة جليل

يوم السبت الماضي نعى البرق المرحوم المأسوف عليه بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام الشهيرة وجريدة اليراميد الفرنسية توفاه الله صباح اليوم المذكور اثر حى لم تمهله الا بضعة ايام فكان لهذا النبأ المفجع رنة

وقالت جريدة لبنان

رزاء وطني

رزئت الوطنية بفقد احد رجالها الافاضل المغفور له بشاره باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام الطائفة الشهرة وجريدة البيراميد الافرنسية . فقد انبأ لسان البرق ان المنية عاجلته في مصر صباح يوم السبت الماضي اثر علة لم تمهله سوى بضعة ايام فكان لنعيه رنة حزن في قلوب مواطنيه الذين يقدرون اعماله الخطيرة حق قدرها ويعرفون منزلته السياسية في عالم الصحافة التي قام بخدمتها احسن قيام فلذلك لا غرو ان شكرت بيض اياديه وعددت كريم ماتيه برد الله مثواه بصيب العفو والرضى والهلم اسرته الكريمة وجميع انسبائه الافاضل صبرا على فقده

وقال في عدد اخر

نعينا باحدى نشراتنا السابقة فقيد الوطن المغفور له بشاره باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام التي احنجت بضعة ايام عن قرائها الكرام جداداً ثم ظهرت مملوءة من عبارات التلief والحزن ذاكرة ما كان للنقيد الكريم من الاحتفال الخارق المادة بدفنه واليك خلاصة ما جاء في وصفه ببض الجرائد المصرية

مساء السبت الاسبق اقبل الامراء والسراة وذوو القربى للاحتفال بدفن المغفور له بشاره باشا تقلا ونخامة الخديوي انفذ حينئذ سعادتلو علي بك كامل لتعزية آله الكرام ومن ثم سير بالجنازة يتدمها عدد من البوليس

النبا بانحجابه عن مجالس النباهة والوجاهة والسياسة والادب بقدر ما كان قد
 سرنا اثبات الاهرام في احدى نشراته الاخيرة ان قد خفت وطأة الحمى عنه
 وشكره لجميع الذين عادوه في اثناء علته
 ولكن أبت الحمى الاّ الكرة عليه ففجعت قلوب انسابه واصدقائه ورضفائه
 فيه وقد كان رحمه الله من المتهالكين على خدمة المعارف والمتفانين في حب
 الدولة العلية بدليل ما انالته من أدلة انعاطفها نحوه وتقديرها خدمه الصادقة قدرها
 نسأل المولى عز وجلّ ان يعزي آله الكرام اجمل عزاء وان يتغمد فقيدهم
 وفقيد الوطن برحمته ورضوانه

وقالت جريدة طرابلس الشام

{ المأسوف عليه بشارة باشا نقلا }

نعت الينا انباء القطر المصري وفاة ركن من اركان الصحافة وهو رصيفنا
 المكرم بشارة باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام توفاه الله صباح يوم السبت
 الماضي اثر نزلة لم تمهله الا بضعة ايام فاسف لوفاته رجال الصحافة ومن عرف
 صفات الفقيد وما امتاز به من خدمة المعارف زمناً طويلاً نال بخلاله من
 الدولة العلية جزاء خدمه رتبة روم ايلي بكربكي ووسامات مخرقة فنقدم التعزية
 لاله وذويه ونرجو لهم صبراً على فقده

وقالت جريدة ثمرات الفنون

نمى الينا البرق من مصر وفاة رصيفنا المأسوف عليه بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام ومدير سياستها . قضى نجه صباح السبت (اول امس) عقيب حى لم تمهله غير بضعة ايام فكان لنعيه رنة لدى كل من عرف الفقيد وماله من رسوخ القدم في عالم الصحافة مدة ربع قرن خدمها وخدمته خدمة مشهورة . وقد تولى مديرية الاهرام ايام فقيد الآداب شقيقه المأسوف عليه سليم بك نقلا ثم بعد وفاته انتقل امتياز الجريدة اليه فاشتهر في خلالها بما اشتهر به من طول الباع في التحرير والتخير واحرز من الحكومة السنية باية روم ايلي بكاربك ووسامات سامية متعددة وبالجملة فان فقدته خسارة على المطبوعات فنقدم لعائلته التعزية ونرجو لها صبرا جميلا

قال لسان الحال

يوم السبت نمى البرق من مصر المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام فكان لهذا النبأ الصادع رنة في قلب الذين عرفوا التقيد وشهدوا اثار فضله وتفايه في حب الدولة العلية وتهالكه على خدمة العلم والادب منذ ست وعشرين عاما . تؤيد ذلك عواطفه التي كان يرسمها على صفحات الاهرام بمبارات صريحة تشف عن قلب صادق وحمية وطنية وقد شق علينا ورود

الفقيد الى ان يترعرع الفتى ويقتدر على ان يخلف والده فيكون خير خلف
لخير سلف

وفي هذا المقام نكرر لهما ولاخوي الفقيد ولسائر آلهم التعزية وللفقيد الرحمة
الواسعة وللجريدتين دوام النمو والازهار

وقالت جريدة المصباح

صاحب الاهرام

نشر بالاسف نبأ صادعاً كان له رنة حزن الا وهو وفاة من خدم العلم
والصحافة وتقانى في حب الدولة العلية المأسوف عليه المرحوم بشاره ثقبلاً باشا صاحب
جريدة الاهرام العربية والبيramid الافرنسية . مات في مصر بعيداً عن الاوطان
تاركاً اثاراً تذكر فتشكر تؤيد ذلك مقالاته السياسية الرنانة التي كان ينقشها
على صفحات الاهرام ولا غرو اذا ما كان الحزن عليه عظيماً . كيف لا وقد
خدم العلم والاداب ما ينيف عن الستة والعشرين عاماً قضاها رحمة الله عليه
بين المحابر والمجالس وقد عرف قدره رجال الدول العظام وكبار السياسيين فتوالت
عليه الانعامات الشاهانية والاوزمة الاجنية فحق للوطن ان يأسف عليه اسفاً
شديداً فنسأل المولى ان يعزي آله الكرام اجل العزاء وان يعمد نفس الفقيد
بالرحمة والرضوان

الوصف والتأين والمشاركة في اجلال مآثمه مما سنأتي على بيانه عند وصول
البريد القادم اواخر الاسبوع ان شاء الله

اما ما نعلمه من ترجمة الفقيد فهو ابنه ولد في كفرشيا (لبنان) من والدين
فاضلين احسنا تربينه وبعد ان رحل اخوه المرحوم سليم بك الى الاسكندرية سنة
١٨٧٥ حيث أسس جريدة الاهرام استعان باخيه الفقيد لتدبير شؤونها وولاه
ادارتها فقام بها احسن قيام حتى بلغت شأواً بعيداً لم تبلغه جريدة عربية من
قبل ودامت مواصلة نهج الترقى حتى عاجت المنية مؤسسها السليم في ٨ آب
سنة ١٨٩٢ فاستأثر بشاره باشا بالجريدة دون سائر اخوته ووسع نطاقها ثم
نقلها الى القاهرة واذاف اليها جريدة جديدة انشأها بالفرنسية باسم الاهرام
ايضاً (بيراميد) فنت وازهرت

وقد احرز فقيدنا في اثناء خدمته الوطنية من المكارم الشاهانية رتبة
رومي بيكاربك والوسام المجيدي من الطبقة الاولى وفاز من حكومة فرنسا
بوسام فرقة الشرف من رتبة كومندور وبجملة وسامات أخرى من دول
مختلفة وتجول في عواصم اوربوا عدة مرار كان في اثنائها يواجه ويمجالس اكابر
السياسيين وعظماء رجال الدول وينقل احاديثهم على صفحات الاهرام

وكان رحمة الله عليه مقداماً وفاز مع علائم المجد والشرف بثروة كبيرة لم
يسبقه اليها احد من ارباب الصحافة وكان على جانب عظيم من الدراية والحنكة
والنظنة والدهاء متمنناً بضروب السياسة كسائر عظماء الرجال

وقد اشكل بوفاته قرينة اسينة وولداً وحيداً لا يزال دون المراهقة وباسمه
كتب امتياز الجريدتين اللتين ستداومان على الغالب خدمتهما تحت رعاية ارملة

أفول الجرائد

العربية

(في سائر الامصار)

قالت جريدة الاحوال

{ فقيد الصحافة }

نعينا في عدد السبت على عجل فقيد الصحافة الوطنية رصيفنا وصديقنا
العزیز الطيب الذكر المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام العربية
والفرنسية فكان لنعیه اسف عميم شمل قومه واصدقاءه وكل محبي الوطن
ورجاله

صرعته المنية وهو لم يبلغ الحسین من عمره اثر حمى دماغية لم تم له الا
بضعة ايام وكان عشرة من مشاهير الاطباء يتناوبون معالجته ويتداولون في
افعل الوسائل لمغالبة العلة فغلبتهم جميعاً ولم تغن حيلهم فتيلاً
جاءنا بريد مصر اليوم وليس فيه اثر لهذه القاجرة لكن لا ريب بان
المصريين اقاموا مناحة عظيمة وان ارباب الصحافة اجمت مع اختلاف اغراضها
وسياستها على استعظام الخطب وقامت نحو رصيفها الجليل بما هو اهله من

وقد كان من رجال الجد والعمل وله مكانة رفيعة في عالم الصحافة عاجله
القضاء في مبدأ الاكتهال فائكل والدته وامراته الحزيتين اللتين نهدي
اليهما تـعـازينا على هذا المصاب الاليم

وقالت جريدة المساجيري اجيسيانو
توفي الى رحمة الله بشاره باشا تقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد
غالبه المنية في مستوى العمر بالداء الذي ألم برأسه ولم يدركه الاطباء وكان
مثالاً للنشاط والجد والذكاء وبها نال المرتبة العالية التي لم ينلها صحافي
عربي قبله
وسيحفل بتشييع جنازته عصر اليوم تقمده الله برضوانه وعزى قلب
قرينته ووالدته الاسيفتين

هذا وقد قالت جرائد الكايرون والامونيو والتاخيدروموس وسائر
الصحف اليونانية مثل ما تقدم في نبي الفقيد ومما نذكره آسفين ان
كثيراً من جرائد اوروبا الكبرى والجرائد العربية التي لم نذكرها نعتة
وأبته احسن تأيين ولكن دهشة المصاب شغلتنا عن جمعها ولم يتسن لنا
العثور عليها بعد ذلك . على ان فيما اوردناه كفاية في الدلالة على عظم قدره
وعموم المصاب به رحمه الله

وقالت جريدة البورصة المصرية

علمنا بمزيد الاسف ان قد توفي في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين
بعد منتصف الليلة البارحة المرحوم

بشاره باشا نقلا

صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد

في الثامنة والاربعين من العمر فهدي الى ارملة النقيب خالص التعزية
وصادق الاحترام

وقد شفعت هذه الاسطر بذكر ماخص ترجمته

وقالت جريدة الامبرسيالي

حلّ القضاء المبرم ونمي المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي
الاهرام والبيراميد وهو الرجل العصامي الذي بلغ بجمده ونشاطه الى درجة
عالية في المجتمع وستشيع جنازته بعد ظهر اليوم بالاحتفال اللائق بمقامه
فرفع الى والدته وقريته الاسيفتين خالص تعزيتنا على هذا المصاب العظيم

وقالت جريدة الكوريري اجيسانو

نمي الينا سعادة بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد

وقالت البروجرية

ننمى الى قرائتنا بمزيد الاسف المرحوم بشاره نقلا باشا صاحب جريدتي
الاهرام والبيراميد توفي في نحو الخمسين من عمره الليلة البارحة باصابة شلل
حدثت له منذ بضعة عشر يوماً وستشيع جنازته بعد ظهر اليوم من منزله بشارع
الساحة ولا تصدر جريدتا الاهرام والبيراميد اليوم

وقالت الفار دالكسندري

نعي الينا رصيفنا وصديقنا القديم المرحوم بشاره نقلا باشا . عاجلته المنية
على اثر الداء العياء الذي لم به فكان لفقده رنين حزن عام في البلاد وقد
خلف رحمه الله اثرين جليلين احدهما الاهرام العربية وهي الجريدة التي أسسها
اخوه المرحوم سليم بك نقلا فاوصلها الى اسمى مقام في عالم الصحافة العربية
وجعلها من أكثرها انتشاراً والآخر البيراميد الفرنسية وهي على حداثة عهدا
قد جازت شوطاً بعيداً في الترقى بهمة واقدامه وحدة ذكائه
ولا جرم ان جميع الذين عرفوا هذا الفقيدهم قدروا اخلاقه ومزايه قدرها
واشتركوا في الاسف عليه

وقالت الادجبتن غازت

علمنا آسفين بوفلة رصيفنا المكرم صاحب السعادة بشاره نقلا باشا صاحب
جريدتي الاهرام والبيراميد
وكان قد ظهر تحسن في صحته في ايامه الاخيرة ولكن عاودته الحمى
امس فاودت به ليلاً
وهنا ذكرت لمعة من ترجمته ثم قالت واننا نقدم لارملة الفقيد وسائر
اسرته عبارة التعزية الصادرة عن عواطف التجارة والاحترام

وقالت الريفورم

نعي الينا المرحوم بشاره نقلا باشا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد
على اثر احتقان في الدماغ وسيحفل بتشييع جنازته اليوم
ولقد كان الفقيد صحافياً انشأ جريدتين كان يدير شؤنيهما المادية والسياسية
الى آخر ايامه
وكان عصامياً ارتقى بمعاونة اخيه المرحوم سليم بك وبهيمته ومهارته واحرز
نشان اللجيون دونور
فنحن ننزي ارملة الاسيفة من صميم الفؤاد

وانما قلت الدخول في الجهاد لان هذه الكلمات تمثل احسن تمثيل
 رأي نقلا باشا في الصحافة ومقصده من جريدته وذلك لانه كان يأبى ان
 يؤثر في مصلحة احد او ان يصالح خصومه على غير حق وكان يريد محاربة
 المظالم واجباط المشاعي السيئة ودفع الارجاف وتأيد معتقده ومبادئه . وتلى
 هذه الخطة جرى الى آخر نسماته بلا ملال ولا تقوان
 وأشرف اعماله انه كان اول من قاوا الاستبداد في الشرق وجهر بمقاومته
 ولهذا اجمع رصفائه على ايفائه حقه من حسن الذكر بعد موفاة ولم يخلف
 منهم صديق او غير صديق في عاقبة هذا التجر اليه واسدائه ما هو اهله
 من الثناء عليه . وسيقرأ ابنه العزيز على جميع اصدقائه به . ما كتب عنه من
 آيات المدح فيفاخر بها ولا شك ان مثل هذه الذكرى تفضل جميع الالقاب
 والمناصب

هذا وانني لا احاول في هذا المقام ان اعزي حضرات والدة نقلا
 باشا الجليلة وقريته الفاضلة وابنه العزيز فان كلمات التأسية اضعف من ان
 تلتطف لغير ان الحزن في قلوبهم ولكن اذا نحن الملة - عليهم بعض السلوى فيسيرهم
 سماع ما قيل في فقيدهم من الاحوال الطيبة التي تخلد اسمه . اما نحن فافضل مما
 نستطيع عمله في سبيل المرحوم نقلا باشا اعلاه وان نفرغ وسعنا في تسير
 عمله على الخطة التي رسمها لنا رحمه الله

والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من اولادنا

جبا لحرفته وكان في وسعه بعد ان جمع ما جمعه من المال المكسوب حلالاً ان يستريح عقيب مشقة ست وعشرين سنة ويعهد الى سواه في القيام بعمله وتأتي شواغله المنصبة عنه غير انه كان يأبى الا مداومة العمل بنفسه ولا يزداد الا رغبة فيه ومثابرة علماً منه بان في مزيد النجاح مزيداً من المسؤولية ومن مزاياه انه كان لا يخطئ في مقياس همته بل يقدرها على الامنية ويختار للشروع في كل مسمى جديد اكثر الاوقات موافقة له ومن هذا القليل انشاؤه للاهرام الفرنسية بعد ان طال تفكره فيها ومضى زمن طويل على ترقبه الفرصة السانحة لها حتى انه كان يباحث فيها منذ بضع عشرة سنة صديقه الحميم المرحوم جبريال شارم الذي مات وهو يذكرك اسمه وكان السر في هذا الانتظار انه بعد ان تولى الاهرام العربية منفرداً بها على اثر وفاة اخيه رأى ان يصلح اولاً ادارتها ويوطد مركزها الادبي والمالي ففعل ووفق في ذلك توفيقاً عظيماً بما كان مفطوراً عليه من حسن التدبير فلما اتم هذا الاصلاح وجعل ادارته افضل نظائرها في مصر بل وفي كثير من البلاد الاوربية حقق أمنيته القديمة وأسس الاهرام الفرنسية في شهر اكتوبر من سنة ١٨٩٩ للدفاع عن مصالح مصر في الغرب وعن مصالح فرنسا في الشرق ومعلوم انه كان في حماية هذه الدولة وكان يحبها حب نزاهة واخلاص

وكان -بعض اصدقائه الباريسيين ومنهم المسيو برنو الذي كان رئيسي في فرع الاخبار بادارة البتي جورنال والمسيو كزافيه شارم - المحرر الشهير في مجلة العالمين قد اوصوه بي فاستدعاني الى مصر فحضرت ووجدت كل شيء معداً لاحضار البيرلמיד «تولدخول في الجهاد»

خبثته الحقيقة ولم تكن ليلة السبت حتى نام نقلاً باشاً نوماً ثقيلاً وجددمه على مهل في عروقه وعند حلول الاجل فتح عينيه فزود امرأته التي احبها اشد الحب نظرة الوداع وتوفي الى رحمة ربه في سكينه وسلام

بهذه السرعة وقع الخطب المدام حتى ان الاقربين الى نقلاً باشاً من اهل وصحب وعمال احبوه واجلوه وعرفوا له جميله لا يكادون يصدقون انهم جفوا به وكأنهم في كل لحظة يتوقدون روحه وجيئته على ما ألقوه منه

ولقد كنت آخر من تولى معاونته في التحرير ولهذا ادع لاخواني محرري الاهرام العربية ترجمته وتفصيل احواله المتصلة بحوادث الخمس والعشرين السنة الاخيرة من تاريخ مصر. ولست اذكر هنا الا بعض ما سمعته منه عن نفسه فانه كان يحب ان يحدث عن ماضيه منذ بدأ بالنزاع وهو رقيق الحال ضعيف الشأن الى ان بلغ مبلغه من المقام والجاه

لا جرم انه جاهد وتعب وذلل من المصائب التي كانت تحول دون غاياته ما لا يقوى عليه الا اشداء الناس وذوو الجلد والمثابرة منهم ولكنه كان من الجيل اللبناني المتين البنية الذي خلق لمثل هذا الجهاد وكان يفاخر بانه من هؤلاء القوم

وكان مجموع الجسم ربعة في الرجال عريض الصدر قوي العضل مكين منرس الرأس من البدن نافذ الاشارة مستمر الحركة صافي العينين متقدما يحدق في مخاطبه ولا يحول نظره عنه وسوف يراه الذين عرفوه زمناً طويلاً على هذه الصورة بآبائه من راسخ الذكر في قلوبهم

واشهد اني في اسناري الكثيرة التي لقيت في خلالها جمهوراً من الرصفاء في فرنسا وخارجها لم اعرف منهم رجلاً اشد من نقلاً باشاً همة في عمله ولا اصدق

أفول الجرائد الأفرنجبية

قلت جريدة البيراميد

المرحوم بشاره باشا نقلا

كانت منذ ساعات كل اسباب السعادة والإقبال متوفرة في هذا البيت وكان الرجل الذي هو عماد الجريدة وروح الحركة فيها ينهض منذ الفجر لاستئناف عمله وإدارة عمله جاعلاً نفسه قدوة لهم بالنشاط العجيب والهمة التي لا يعتريها كلال

غير ان الموت قد جاء مباغتاً من حيث لا يظن واصاب ذلك الرجل الذكي المقدم بمنبت ذكائه ومصدر اقدامه واستمر الاطباء شهراً يحاولون دفع ذلك المفاجئ الخفي فلم يهتدوا اليه سبيلاً واعتيمت فيه الحيل كما أعتت قرينته الفاضلة التي جاوزت حدود الاقتدار الانساني في العناية به وذود الداء عنه ولكن غلب القضاء المحتوم على السرر والدلاج ولم تجد الضراعة ولا الرجاء فتية

وقد ظن قبيل الاحضار ان المريض تمائل للشفاء الا انه امل لم يلبث ان

يده الشلاء المطاوعة حتى تحولت من امرأة تكلى الى ملاك ومن جسيم غض
 نتي البشرية الى روح طاهر في طيف نوراني ظاهرة فيه جراح القلب
 وكنا في هذا الموقف جمهوراً فما درينا الا ونحن نريد كأن الارض تنول
 بنا ومن لم يسرف منا طوال عمره في مدامه فقد استنزفها في تلك الساعة
 ذلك ما أفضى اليه بيت كنت شاهد سعادة اهله زمناً طويلاً وشتان
 بين رؤيتي اياهم على هذه الحال المروعة وبين رؤيتي اياهم في السابق ثلوثاً ممثلاً
 أبدع تمثيل للابوة والامومة والبنوة . فاما جلوساً على المائدة فهم الحب والعفاف
 وثمره الائتلاف . واما منصرفين الى شؤونهم فهم العقل المدير . والقلب البصير .
 والامل النائم في السرير .

فيا لله من هذا الخطاب الجلل . ولكن بهذا جرى القضاء منذ الازل .
 فلا حول ولا حيل . لطف الله بآله وبنا . ولطف من حربهم وحربنا . انه خير
 المعزين وارحم الراحمين

وفي المجلة بعد هذه المقدمة ذكر مشهد التقيد وترجمة حياته بالتفصيل
 ومرثية شعرية لصاحب المجلة نشرت مع منظومات الشعراء في الباب المخصوص بها
 في هذا الكتاب

ونالته لشريته وشراه من حواليه من الآل والصحب لو ان الروح العزيزة تسام
بارواح . ويدراً بها نزول القدر المتاح

فلما مسته يد القضاء . وآل من الفناء الى البقاء . انبسط على سريريه انبساط
الراحة بعد الدناء . والتقى جنانه لأول مرة كما يلتقي جننا الخلي النائم . واستقر
ضميره من همامة المازم . وسكن قلبه من التوثب للعظام
ورأيناه في تلك الرقدة واضح الجبين أغر الحيا عالي الصدر مرجواً مهيباً
كما كان في الحياة ورأينا على مبدسه وفي جملة وجهه نوراً قاراً لطيفاً كأنه
محصل من طلة فجر يدفع اليه الحب وينمعه منه الوقار الا وهو نور الخلود
الطافي على وجه الفناء

هناك يقف الشاهد بمقلته الناظرة . ومهجنه الحائرة . فيأخذ . الاعتبار بتجماع
قوى النفس الثائرة . ويعلم من جهل فضل من تعب ورقد . على من كان
متسقراً جمد

وما انس في عمري فلست بناسٍ موقف الوداع وقد أقبلت عليه امرأته
الاسينة فكان اول ما صاحت ان انظروا ما . اجله وما أشد تدفق الحياة فيه
ولست بناسٍ . ان هول المصاب اذهل عقلها الباهر وضرب بينها وبين العزيز
الميت حجاباً اسود كشيئاً . فزأته . من خلال . ذلك . الحجاب ضاحكاً ناطقاً ولكن
مع سكونية ومهابة فخاطبته منيرة برؤياها وقالت ايها الحبيب . انت راض عني .
ألم أفعل في حياتي كل ما يجب ان تفعله المرأة المحبة لرجلها والامة العابدة
لسيدها . ثم تمشت نحو سريريه لا تخطو على الارض ولكن تندفع بقوة
سماوية كدرج الطائر الى . مورده فلما لثمت جبينه الذي فازقته الحرارة ولمست

وقالت المجلة المصرية

بشاره باشا نقلا

يصدر هذا العدد من المجلة المصرية موشحاً بالسواد حداداً على فقيد الوطن العزيز بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام العربية والفرنسوية مخصوصاً باب الادبيات فيه بتأينه وترجمته ونقل اقوال اشهر شعرائنا وكتابنا فيه .

على ان ذلك قليل في جنب ما له من الفضل على صاحب هذه المجلة شريكه في جهاده مدة سبع سنين واشهر وصديقه الذي لم تهزده مفارقتة اياه في العمل الاحباء له وعرفانا لجميله

الاحضار والوفاة

وقد لطف من جزعي اني لزمته ايام اشتداد العلة عليه فتعليت من رؤيته وكنت في جملة الساهرين في خدمته العاملين على تخفيف الامه . ولشد ما نعت في تلك الساعات الطويلة على وداد لا يفدي . واخلاص لا يجدي . وماذا أفاده ان اسمع حشجة صدره في صدري وان يقوى خفوق قلبي بقدر ما يضعف خفقان قلبه

وشهدته قبيل حلول اجله بدقائق معدودات يلحظني بعينين بصيرتين ساطعتين من خلال اغبرار الموت كما يسطع الشرر في اثناء الرماد وكأنه يقول اشتري .

حارت فيه مهرة الاطباء . سلت عليه يد المنون وسلبت منا حراً كريماً شريف
 النفس عالي الهمة رفيع المنزلة لين الريكة بشوش الوجه صافي السريرة مشهوراً
 بالوفاء والاخلاص فآثر نعيه على كل من سمع بفضائله وعرف كرم اخلاقه
 وطيب عنصره وشاركت مصر سورية في البكاء والتعجب كيف لا وقد عاش
 التقيد ومات وهو يفكر في سعادتهما خصوصاً والشرق عموماً فكم له من ايام
 بيضاء في رفع منار عالم الاتحاد والتوفيق بين الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً
 وكم اهتم في سعادة الوطن وفلاحه وبلوغه ذروة الكمال وكم له من مناظرات
 سياسية كان لما اشتهر عنه من قوة الحجة وثاقب الافكار يخرج من ميدان
 المناظرة مكلاً بنتاج الظفر مؤيداً بالزوال والنصر وكان معروفاً بحب الحقيقة لا يخشى
 في الحق لومة لائم بصيراً بالعواقب ولا نبالغ اذا قلنا انه كان مصباح الشرق
 بل هلاله فكم له من اراء وافكار سامية دالة على علو مكانته في عالم السياسة تبتى
 ما بقيت (الاهرام) وكنا نود ان نشبع الكلام في تعداد مآثره الا اننا ارجأنا
 ذلك الى عدد يلي حيث نزين الصحيفة برسمه الكريم ونذكر تاريخه وحسن
 فعاله ونبين فضائله كل ذلك حباً في نشر تاريخ هذا العصامي الذي بجده
 واجتهاده حاز على اسم كبير ورتب عالية وثروة طائلة ليتخذ القاري الكريم
 نموذجاً له في اعماله

والآن يقدم السмир بقلب حزين الى عائلته الكريمة واجب العزاء ويطلب
 من المولى ان يحرس نجله بعين عنايته ويوفقه الى اتمام ما بدأ به المرحومان عمه
 ووالده وان يتقدمهما برحمته ويسكنهما فسيح جنته

وقالت مجلة المرأة في الاسلام

فقيد الصحافة

ليس لمجلتنا في الرثاء ولا في الهناء لأنها قصرت صفحاتها على مباحث
 خصوصية ولكنها اليوم تتعدى خطها في تأيين فقيد الصحافة المرحوم بشاره
 باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام والبيramid وصدى الاهرام ذلك الرجل
 الذي أسس جريدة الاهرام منذ ستة وعشرين عاماً هو وشقيقه المرحوم
 سليم بك تقلا فكانت لسان حال المصريين ودافعت عنهم دفاع الابطال حينما
 لم يكن لمصري قلم يجرأ على الكتابة في صالح بني وطنه فرحمه الله رحمة
 واسعة وألهم آله صبر الكرام وعزى الصحافة العربية على فقدته عزاء
 جميلاً

وقالت مجلة السمر الصنير

﴿ سبحان الحي الذي لا يموت ﴾

{ فقيد الصحافة — سعادة بشاره باشا تقلا }

الموت نقادٌ على كفه جواهرٌ يخار منها الحسان

مصائبٌ عظيم وخطب جال حيث فارقنا عميد الجرائد المصرية العربية
 وواضع اساسها ومهد طريقها ومؤيد كلمتها ورافع لوائها قضى نحبه اثر داء عضال

فيه كثيرون من الوجهاء والفضلاء ومنهم اصحاب الجرائد المصرية كلهم وصلى عليه في كنيسة الروم الكاثوليك ودفن في قرافتهم بمصر العتيقة وأبنه على القبر كل من الاديب يوسف افندي البستاني والاصولي الفاضل نقولا بك توما ورجع المشيعون وهم يستمطرون له الرحمة ويدعون لقريته الفاضلة ولولده النجيب بالزء والسلوة

وقالت مجلة انيس الجليس

بشاره تقلا

لقد فجعت الصحافة العربية في الخامس عشر من هذا الشهر بفقد زعيمها التحرير وقائدها الكبير المرحوم بشاره باشا تقلا الطيب الاثار الحميد الخبير والتذكار صاحب جريدة الاهرام النراء المنتشرة في جميع الاقطار التي اقام على خدمتها خمساً وعشرين سنة اوصلها بها الى أبعد مدى من الامتداد والانتشار وقد تلقاه قضاء ربه في القاهرة اثر علة شديدة عجزت فيها حيل الاطباء وارتدت عنها قوى العلاج والدواء فذهب تبكيه الاداب والمعارف وتندبه الاوراق والصحائف وما عسانا نذكر من مناقبه الحميدة وقد احتوى بها على امد الملاء عزةً وشرفاً ولكننا نقول ان فقيدنا بشاره باشا تقلا وكفى سقى الله ضريحه صيب الرحمة والرضوان وانزله من ديار خلد في ارفع مكان واجل عزاء اسرته الثاكلة على هذا الخطب العظيم والههمم وافر الناسي والسلوان

هذا القضاء السماوي بعشرين يوماً انذار مرضي حار نطس الاطباء في معرفة حقيقته ، ولم يهتدوا الى طريقة معالجته . والارجح انه كان في ذلك الدماغ الجوال ، الذي كان كصاحبه لا يعرف الاعياء والكلال ،

ورد الفقيه وادي النيل من لبنان مع اخيه الكاتب الشير سليم بك نقلا منشى جريدة الاهرام واشغلا بالصحافة وكانت ارضها مواتاً فاحيتها همتهما ، وغرسا واستثمرا بجدهما وعزيمتهما ، وقد كانا سليم وبشارة ، يقتسمان التحرير والادارة ، فلما اغتالت المنون احد الثرقلين ، نهض الآخر بالامرين ، وتقدمت الاهرام به وتقدم بها فاصاب ثروة طائلة وجاهاً عريضاً وما زال يرتقى في رتب الدولة العلية ويتمتع برواتبها ويتحلى بوسامات الشرف منها حتى بلغ رتبة (روم ايلي بكاربكي) التي لا يملوها في الرتب الملكية الا رتبة الوزارة وتحلى بالوسام المجيدي الاول . وكان محلى بوسامات دول أخرى كوسام ايجيون دنور الزنساوي من الدرجة الثانية ووسام سان استانس لاس الروسي ووسام المخلص اليوناني من الدرجة الثانية ووسام الافتخار التونسي وغير ذلك

نجحت الاهرام في اول عهدا بمساعدة الحكومة المصرية لا سيما في ايام وزارة دولتلو رياض باشا الذي لم تنجح جريدة من الجرائد الشيرة الغنية بمصر الا بسعيه حتى قيل ان الحكومة كانت تلزم الموظفين والوجها ، بالاشتراك وتكلف جباتها بتحصيل قيم الاشتراك منهم ثم لما انقضى هذا الدور وصار الناس مختارين في الاشتراك استمر النجاح بسعي الفقيه الموافق لحالة البلاد الاجتماعية والادبية ولما ينجح عمل مخالف لاستمداد الناس الا ان يكون بعد تأسيسه بزمان طويل

وقد احتفل في مساء يوم السبت بجمنازة الفقيه احتفالاً لافتاً بمقامه مشى

هذا هو الصبي الذي سيدير ثروة ابيه وجرائده ويحتل ان شاء الله محله
وقد كان كتاب الادارة حين زيارته لهم ينادونه «نوتر ديركتور نوتر ديركتور»
اي مديرنا مديرنا . يقصدون بذلك ممازحته . اما الان فقد صار هذا الامر والأسفاه
جدًا لا مزاحاً

هذا ما اردنا الاقتصار عليه الان وقبل ختام الكلام نسأل الله مبرد
القلوب وواهب السلوان ان يعزي حضرة والدته الفقيدة وقرينته الكريمتين
وشقيقه الفاضلين عزتلو حبيب بك وابراهيم بك وجميع اقربائه واصدقائه
ورصفاءنا محرري جرائده عن هذا المصاب الاليم والرؤء العظيم ونرجو ان
يخفف من حزنهم ما شاهدوه من اجماع الناس على مشاركتهم فيه واعتباره
حزناً عمومياً . وان يتعمد الفقيد بواسع رحمته وغفرانه ويحسن اليه في مماته بقدر
ما احسن في حياته انه السميع المجيب

وقالت مجلة المنار

مصاب الصحافة

وفاة بشارة باشا نقلا

في ليلة السبت الماضي (١٥ يونيو - ٢٨ صفر سنة ١٢٩١) تقوض ركن
الصحافة الركين ، وفات في عضدها المتين ، حيث حل القضاء المبرم ، ونزل
القدر المحتم ، فاختطف بشارة باشا نقلا صاحب جريدة الاهرام العربية والبيراميد
الفرنسوية وهو في مستوى طور الكهولة ناهز الخمسين ولم يبلغها . وقد تقدم

الصراغ او يمن الله بسده رفقا بأسرة كريمة نزلت بها مصيبة ما بعدها مصيبة؟
انه لما توفي المرحوم سليم بك نقلا مؤسس جريدة الاهرام استعظم الناس
المصاب ولكنهم عادوا فاستصغروه لان الاهرام سارت بعده بادارة المرحوم
بشاره باشا كما كانت قبله. والان سيكون ذلك كذلك ان شاء الله. فانه كما
ان تيرس توفي عن زوجة فاضلة كانت قدوة للنساء في حلولها محل رجلها بعد
وفاته في تربية اولادها وادارة طبع مؤلفات زوجها فكذلك ستكون تلك
السيدة الفاضلة القادرة التي كسر الحزن قلبها على فقيدتها. وان عمر وحيدتها
« جبرائيل بك » الذي لا يدور ذكره في الهم حتى يحول الدمع في العين يبلغ
الآن ١٢ عاماً فليمدّها الله بمعونه لتحفظ له هذا المركز الكبير ولتجعل الناس
يرون فيه بعد ثمانية او عشرة اعوام صورة ابيه فيقولون حيثذ « اب هذا
الشبل من ذاك الاسد »

وليس يعلم احدكم كان ذلك الاسد يحب هذا الشبل غير الذين شهدوه
يقرأ كتاباً منه. ولقد شهدنا ذلك مرة فشهدنا عندها نارا تنقد في عيني الاب
الخنون على ولده. وكان ذلك الكتاب فرنسوي العبارة وهو وارد من باريز
حيث بقي « جبرائيل » هناك مع حضرة والدته في صيف تلك السنة وعاد الباشا
الى ادارته في الاسكندرية. وبعد ان اتم الباشا الكتاب قال خذ واقراء فتعرف
منه نباهة « جبرائيل » وماذا يكون في المستقبل واكد انه من انشائه وخطه
وانما والدته اصلحت بعض اغلاط فيه ولا يزال موضع الاصلاح ظاهراً.
فتناولنا ذلك الكتاب ودهشنا لما قرأنا اسلوبه الرقيق الصحيح النصيح. لان
عمر جبرائيل كان يومئذ لا يتجاوز السنة التاسعة ورأينا ان قلم الاصلاح لم يجز
فيه الا في اربعة او خمس مواضع

عن حالته فقال له الطيب قولاً مسكناً ولكن التقيد كان كأنه شعر بدنو أجله
فأسندعى اهله وولده الوحيد فودعهم وأوصى ابنه بطلب العلم والأدب وسلوك
سبيل الاجتهاد. وما فرغ من ذلك حتى أصيب بنوبة شديدة أفقدته النطق
فجعل ينظر الى من كان حوله ويودعهم بعينه الى ان انتصف الليل فتدخل
في الاحضار. وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ لفظ روحه الكريمة رحمة الله عليه
ولما انتشر نفيه قامت له مصر وقدمت وبث الجناح الخديوي المعظم
رسالة يعزي بها أسرته الكريمة وعهد الى حضرة علي بك كامل التشريفاتي
ان يسير في جنازة التقيد من قبل سوه وقاطرت رسائل المزين ومركباتهم
من كل فج وصوب على المنزل الجميل الذي شاده التقيد منذ عامين في
العاصمة. وفي مساء ١٥ منه احتفل بتشييع جنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه
الباشوات ووكلاء الدول والموظفون وكبار الوطنيين والاجانب وجميع الادباء
والفضلاء واصحاب الجرائد العربية والافرنجية ومحرووها وقدمت اكاليل الزهر
الى نعش التقيد عشرات عشرات. وبعد الصلاة في كنيسة الروم الكاثوليك
على جثته الهامدة - تلك الجثة التي كانت تحمل حركة مستمرة وعزماً يدك
الجلال - نقلت الى مدفن مصر المتيقة فأبى التقيد هنالك حضرة الكاتب المجيد
يوسف افندي بستاني احد محرري الاهرام بالنيابة عن زملائه المحررين والمسيو
بول منس رئيس تحرير جريدة اليراميد وعزتلو نقولاً بك توما الحامي المشهور
فكان لكلامهم وقع اليم في النفوس. ثم غيب النش في ظلمة القبر فغابت
منه شمس ونزل معه بحر عجاج كان من قبل متلاطم الامواج
{ مصير اليراميد والاهرام } والان قد انتهى الامر وحدث ذلك الفراغ
العظيم في عمل كبير من اعمال الصحافة العربية الشرقية. فهل يدوم هذا

وساماتها الوسام المجيدي الاول وهو اسنى الوسامات دون المرصعات . ونال
ايضاً وسام جوقة الشرف (اللوجيون دونور الفرنسي) ووسام الافتخار التونسي
من عظمة باي تونس ووسام سان ستينلاس من روسيا . ونال ايضاً وسامات
غيرها من دول كثيرة

{ جرائده ومحروها } وكان للفقيد اربع جرائد تطبع وتوزع وهذا مما لم
يسبق له مثيل في الشرق . الاولى جريدة الاهرام وهي يومية . والثانية جريدة
صدى الاهرام انشأها في الاسكندرية لما نقل الاهرام الى العاصمة وكانت
يومية ايضاً . والثالثة جريدة اليراميد الفرنسية وهي يومية ايضاً وقد فاقت
جرائد القطر الافرنجية كلها في عام واحد ، والرابعة مجلة اسبوعية تصويرية
ادبية فرنسية اسمها « المائلة المصرية » توزع مجاناً على المشتركين في اليراميد
هذا ما عدا المطبعة الواسعة في القاهرة التي لا تقف آلاتها المعيدة عن العمل
ليلاً نهاراً . واكبر آلاتها تدار بالبخار

اما المحررون الذين خدموا الاهرام فهم اكثر كتاب هذه الايام
واما الوكلاء والمخبرون والمراسلون والعمال فانهم جيش كثيف يستغرق
عدم صفحات عديدة

{ وفاته وجنازته } ولكن كل هؤلاء الاصدقاء وكل تلك المنزلة السامية
وكل تلك الثروة الطائلة لم تدفع المحذور . ولم ترد المقدور . ولم تمنح ما هو
مستطور . فقد أصيب الفقيد منذ بضعة اسابيع بمرض اخلف الاطباء فيه فمن
قائل انه حمى معوية ومن قائل انه حمى تيفوئيدية ومن قائل انه اخنقان في
الدماغ . وقد رجح بعضهم هذا الداء الاخير وزادوا عليه الشلل . وفي يوم الجمعة
١٤ يونيو اي بعد انقضاء ٢٠ يوماً على مرضه انتبه من غيبوبته فسأل الطبيب

توفيق الاول الاخبار السرية السياسية التي كانت تنشرها جريدة الاهرام دون سواها وتتساءلان هل ان صاحب هذه الجريدة وزير انكترا ام وزير مصر . ومن الامور العظيمة التي اقدم الفقيه عليها تنديده في الاهرام بالخدوي اسماعيل باشا يوم مدَّ يده الى الخزانة المصرية . فكان ذلك منه منتهى الاقدام وكبر النفس لانه لم يكن احد يجسر في ذلك الزمان ان يقابل اسماعيل باشا ببسمة فضلاً عن طعنة . فاستدعاه اسماعيل باشا واساء اليه وسجنه ولكن هذه الاساءة زادته رفة في نظر الناس لدفاعه عن حقوقهم . ومنذ ذلك الحين لجأ التقيد الى الحماية الفرنسية تخلصاً من مثل ذلك

وكان فصيح المنطق حلو الحديث واسع الاطلاع طلق اللسان كأن لسانه مركب فوق لولب فكان اذا جلس في مجلس تصدر فيه وصار منه كالمرکز من الدائرة . وله صلات ومعرفة في أكثر بلاد اوربا لا سيما فرنسا التي كان كثيرون من رجال حكومتها واعظم كتابها ومديري الصحف فيها من معارفه وكان بينه وبين بعضهم مكاتبات . وقد ذكر لنا مرة انه ورده من حضرة العالم المشهور سليم افندي دي نوفل الطرابلسي صاحب المكاتبة العليا في روسيا ملاحظة على مقالة نشرت في الاهرام بتوقيع « سلامه » . . . وذكر لنا الملاحظة فسلنا سعادته وهل ان المسيو دي نوفل صديقكم فقال انه اخص اصدقائي من ابناء الشرق . وبض شهر سمعنا من احد اقارب المسيو دي نوفل انه يقول ان نقلا باشا هو اخص اصدقائه لانه الرجل الوحيد الذي عرف كيف يستفيد من الحوادث الشرقية واستخدم فيها مواهبه .

{ وساماته } اما وسامات التقيد ورتبه فقد نال منها من الدولة العلية رتبة روملي بكربكي وهي اعلى رتبة ملكية وليس فوقها غير رتبة الوزراء . ومن

هذا هو رأينا في التعليل الصحيح لميل بعض الناس عن التقيد واذا سموا هذا الامر اثره واستقلالاً مضراً فالذنب الكبير واقع على الهيئة التي خرج منها والناس الذين خبرهم قبل ارتقائه فجعلوه يتأثر منها تأثيراً سيئاً منهم بما كسبه ومتاومته بدلاً من مساعدته . فضلاً عن ذلك فان بسمارك والكونت بيلو مستشار المانيا والامبراطور غليوم والمستر تشمبرلن واللورد ملر والمستر سسل رودس حتى اللورد سالسبوري كلهم يسمون هذه السياسة « سياسة المصلحة الواجب اتباعها على من يروم النجاح » ويسوئنا ان نقول ان هذه ستجعل المعيشة في القرن العشرين صراعاً هائلاً بين البشر كما تنبأ اللورد روزبري

{ منزلته } اما منزلة الفقيد فقد كانت من السمو في الشرق والغرب بحيث يعلم القراء . فانه تشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني غير مرة فاجل جلالته . ملاطفته . وقد اجتراً التقيد في احدى مقابلاته لجلالته فقال له وكانت المسألة المصرية يومئذ في اشد حالاتها « مولاي ان افريقيا ستصبح ميداناً واسعاً للاستعمار و لجلالتكم فيها ملايين عديدة من اخواننا المسلمين المطيعين لجلالة خلائتهم فهلا صرفتم شيئاً من عنايتكم الى استمالة افريقيا قبل اقتسام اوروبا لها بدلاً من صرفها كلها في تركيا اوربا » وقد اخذنا هذا الحديث من فم سعادته . وذكره سعادته يوماً ما في احدى مقالاته وزاد عليه انه قاله لجلالة السلطان امام صاحب السماحة ابي الهادي افندي

وكان الفقيد عالي المنزلة لدى الجنب الخديوي العالي وقلماء عام ولا يتشرف بتناول الطعام على مائدة سواه بضع مرات بدعوة خصوصية وكانت جريدة الديلي ميل والتمس تستغريان بعد وفاة المرحوم الخديوي

يقول انه ما كان يداري احداً بل كان عنده الكبير والصغير على حد سواء غير ان الحقيقة ليست في شيء من كل ذلك . فقد ذكرنا أن التقيد تساقى بجده ، وكده قمة المركز الذي بلّغه دون مساعدة احد الا بيتاً كريماً اعانه يوم نكبة الاهرام بحريقة حدثت فيها وقد حفظ التقيد هذا الجميل الى آخر حياته . وهذا الارتقاء البطيء الطويل المدى يستلزم ان يكون صاحبه قد عاش الناس واختبر اخلاقهم ورأى معاكستهم ومشاكستهم وما هم فيه من الدناءة حيناً والدونان وحب الشر احياناً . فترك هذا الاختبار في نفسه أثراً شديداً حتى اذا ارتقى عن الناس واستغنى عنهم جلس يضحك منهم ويلافظهم متى تقربوا منه وهو يقول في نفسه انهم غير اهل للجمالة . فهذه الحالة انشأت في نفسه ثلاثة مبادئ (اولها) استنواؤه عن الناس واعتبارهم آلات في يده (وثانيها) عدم الاهتمام بمن كان منهم لا ينفع وعدم مداخلة عواطف القلب في مصلحة عمله (وثالثها) وجوب ان يتب العامل ويشقى ليستحق اجرته وليس من العدل ان يعطى فوق تبعه .

ولا نقول ان هذه المبادئ مبادئ يحبها الناس ولكننا نقول انها مبادئ عملية مادية وبها تُبنى المراكز العليا في هذه الحياة . وهي مبنية على قاعدة الضبط والتدقيق في العلائق بين العمل والاجرة ونبذ الضعف والمحابة من طريق المصلحة ودوس كل صوبة من اجلها . وكأنَّ التقيد قد شرّحه الله ان عصره يستلزم ذلك وان هذه المبادئ ستكون مبادئ العصر القادم - بدليل « سياسة المصاحبة » التي افترستها المانيا واكثرها في السنوات الخمس الاخيرة - فجعلها محوراً لادارته . وبناء عليه فانه يجوز ان يُعده الفقيد متقدماً في هذا الامر ابناء العصر الاتي

وكان عمر النقييد يومئذ ٢٤ عاماً . ولا نسهب في ذكر المصائب التي قامت في سبيلها لأول مرة والهمة التي قاوماها بها انما نكتفي بذكر كلمة للنقييد قالها قبل وفاته بخمسة اشهر في ادارة جريدته صدى الاهرام في الثمر . فان بعض اخيائه كتب اليه كتاباً شديد اللهجة يستعجله بشأن مطالب من المطالب فتأثر من ذلك الكتاب ولما اجتمع به قال له ما حرفيته « لا يرتقي الانسان هكذا ولو كنت بجذتك ورسزعتك لما قدرت ان اعمل شيئاً بل كنت اليوم حيث كنت امس بلا زيادة ولا نقصان »

فهذا الكلام يجوز ان يتخذ كتاريخ لكل حياة النقييد من اولها الى آخرها . فانه يدل دلالة صريحة على ان صاحبه كان راسماً لنفسه خطة يجري عليها بالتدقيق دون ان يدع للحملة او الاهمال او حوادث الزمان سبيلاً للتأثر فيها . اي انه منذ صباه رسم نصب عينيه نقطة في قمة جبل العلى ثم اخذ يسير نحو هذه النقطة بجهد وعناء دون ان يصرفه عنها شيء من المصائب والعواطف والتصورات فبلغها وجلس مسروراً يستريح عليها

{ اخلاقه وصناته } وقد ذكرنا في مقدمة الكلام اننا لا نفصل ترجمة النقييد في هذا الفصل وانما نلم بها المأمماً فقط ولذلك ننتقل بعد هذه الملاحظة الى صفات النقييد واخلاقه لما لها من العلاقة بها . ويسوءنا ان نقول ان خصوم النقييد كانوا غير قليلين في حياته وان كانوا من طيب الجيلة الانسانية قد انقلبوا الى الحزن والاسف عليه في مماته . وسبب ذلك مختلف فيه . فبعضهم يقول انهم لم يكونوا يحبونه من الحسد له وكم تثير المراكز العليا من حسد الناس سواء كانوا قريين منها او بعيدين عنها . وبعضهم يقول لانه نصر الدولة العثمانية وايدها حتى في ابان الحوادث الارمنية والحرب اليونانية . وبعضهم

الشرق والغرب . وثروة طائلة لم يجمعها احد من الصحافة قبله ولا يجمعها احد بعده . وجاه طويل عريض ساق اليه من كل جانب رتب الدول ووسامتها . ومركز ادبي سام يشرف منه على ملايين الامم في الشرق والغرب ويخاطبهم بقلمه واقلام كتبه . فوق ذلك بنية قوية ثبتت في وجه عواصف الحياة حتى بلغت ذراها . ووجه صبور باش كما تراه في رسمه يجذب القلوب اليه ولو كانت متاملة منه . وامرأة فاضلة قلما نبغ في الشرق نساء في منزلتها من الفضل والذكاء ومعرفة واجبات الزوجة والام والسيدة

فاذا كان ينقص رجلاً تمت له هذه الصفات كلها لكي يعيش سعيداً ويكمل العمل العظيم الذي بين يديه حتى اذا بلغ ابنه الوحيد اشده القاه اليه ثم مات باطمئنان وسلام

كان ينتصه ان يكون البشر اقل رداءة وخبثاً مما هم عليه وان يكون هو اقل تأثراً لاغندائهم وحسدهم . ولكن قدّر ذلك الامر فكان . ومات نقلاً باشا في اطراف الكهولة قبل استيناء ايامه كلها فأت بهوته اعظم صحافي في الشرق منذ انشاء الصحافة فيه الى هذه الايام

ولما كان لهذا الفقيه العظيم على الجامعة وعلى منشئها فضل كبير فقد وجب علينا ان نذكر جملة من سيرته واخلاقه واعماله مرجئين التفصيل الى حين تجمع لدينا المواد اللازمة لذلك فنقول

{ ترجمته } ولد الفقيه رحمه الله في ٢٢ اغسطس من عام ١٨٥٢ في قرية كنرشيما من اعمال لبنان وهي القرية المشهورة بما نبغ منها من رجال الادب والفضل حتى لقد سماها بعضهم « ذات الماء الفضية » ثم قدم الى مصر في عام ١٨٧٦ مع شقيقه المرحوم سليم بك نقلاً فأنشأ فيها جريدة الاهوام .

وعشرين عاماً يخدم الصحافة الشرقية اجل خدمة بقلده وارائه وقد كان
 مثال الجد والاجتهاد والنشاط والمثابرة على العمل . وأتيح لنا ان نعالجه في
 آخر مرضه فوفقنا الى تحسين حالته تحسناً احيى في الجميع امل الشفاء ولكن
 المرض كان قد تمكن من جسمه وتأصل فيه ففضى مبكراً عليه من الجميع لملو
 منزلته وجليل خدمته . ونأسف لدم استطاعنا اطالة الكلام عما فعله . مؤسس
 الصحافة في الشرق لان مجلتنا طبية صحية ولكن الجرائد اليومية والمجلات
 الادبية وفث الموضوع حقهُ بذكر جميع اعمال هذا الرجل العالي الهمة .
 اللهم الله قرينته الناضلة التي هي مثال الفضل والكمال وولده الوحيد وجميع
 اهله واصدقائه جميل العزاء والسلوان

وقالت مجلة الجامعة

فقيد الشرق العظيم

{ بشاره باشا نقلا }

صاحب جريدتي الامرام واليراميد

مات نقلا باشا . مات الرجل الذي علم الناس كيف يجب ان تكون
 الرجال . مات المقدم الذي وُلد صغيراً في قرية صغيرة ثم بلغ به اقدامه
 وذكاؤه الى اقصى ما يمكن للشرقي بلوغه في بلاده : فشهرة طائفة طبقت

من الاهمية في المقامات الرسمية وحاز لاجلها المكافآت الجملة من اكثر الدول
 وكان لها من الفائدة بين قراء العربية وعلى الخصوص في القطر المصري ما
 لا يسع احداً انكاره فلها بُدئت وليس في القطر المصري من يقرأ جريدة
 ولا يعلم شيئاً من امور السياسة والحقوق ولا يتمّ اسماع حادثٍ من الحوادث
 الخارجية ولا الداخلية فما لبثت بضع سنين حتى انتشرت الرغبة في المطالعة بين
 خاصة الناس وعامتهم وازداد عدد القراء سنةً بعد سنة حتى صاروا يُعدّون
 بالآلاف وتتابعت بعد ذلك الجرائد في القطر فلم تعد واحدةٌ منهم عدداً
 كبيراً من القراء فكانت منزلة الاهرام ولا جرم منزلة استاذ لاهل القطر
 وممهد لسائر الجرائد وموطئ لانتشار العلم والاقبال عليه وهو فضلٌ لو لم
 يكن لصاحب الاهرام سواه لكنى . وليس هنا محل ترجمة حياته بالتفصيل
 وانما ذكرنا ما ذكرنا بياناً لمزية الرجل والماءعاً الى ما استحق به المنزلة التي
 بلغها من الجاه الریض والدنيا الواسعة مما لم يبلغه كاتبٌ قبله في الشرق
 تتمده الله برحمته واجل جزاءه في دار النعيم

وقالت مجلة طيب العائلة

المرحوم بشاره باشا نقلا

فقدت الصحافة الشرقية في الرابع عشر من هذا الشهر زعيمها ومؤسس
 اقدم جرائدها المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام واليراميد
 أصيب منذ بضعة اسابيع بمرض عضال فذهب مأسوفاً عليه بعد ان قضى خمسة

اودعوه التراب المذكوراً بما له من الفضائل والاحسان وعادوا من قبره وهم يستمطرون عليه سحاب الرحمة والرضوان

وكان النقيذ رحمه الله رجلاً كبير الهمة مقداماً جسوراً وُلد في قرية كفرشما من سفح جبل لبنان سنة ١٨٥٢ وتلقى دروسه في المدرسة الوطنية في بيروت وفي سنة ١٨٧٥ قدم الديار المصرية فأنشأ بها جريدته الاهرام بمعاونة اخيه المرحوم سليم بك وهي اول جريدة عربية انشئت في القطر بعد الجريدة الرسمية فسلك بها مسلك الجد والثبات ولم يألها سعيًا واجتهادًا حتى بلغت اعظم مبلغ من الشهرة في القطر المصري وخارجه ولم تبرح مستقى لصحيح الاخبار معروفة بالصدق في خدمة المصلحة العامة كما يعلم ذلك كل من تتبع اعدادها . وكانت الاهرام تصدر اولاً في الاسكندرية واستمرت على ذلك الى سنة ١٨٩٨ فنقلها الى القاهرة واستخلف مكانها جريدة أخرى سماها صدى الاهرام ثم انشأ في القاهرة جريدة الاهرام الفرنسية فكان يتولى سياسة الجرائد الثلاث معاً وهو مما يشهد برحب ذرعه وقوة جلده ومقدرته على الاعمال . ثم رأى من صدى الاهرام ضعفاً وتأخراً لانها لم تثبت مع الاهرام فالانعام من عهد قريب ولبت الاهرام العربية وصنوتها الفرنسية تصدران في القاهرة الى يوم وفاته . وكان خلا ما ياتي الى الجريدتين من الاغراض السياسية وغيرها كثيراً ما يكتب فيها بقله المقالات البليغة الناطقة بسعة اطلاعه واحاطته بمعرفة سياسات الدول وتواريخ الممالك وما بينها من الصلات والمعاهدات وهو مما يدل على شدة اهتمامه بالخطبة التي اتخذها شغلاً لحياته فدرسها حق درسها واستقرى جميع دقائقها واطرافها وقد نالت جرائده الثلاث ولا سيما الاهرام العربية منها اعلی مكان

تأديه وتبكيه وتكلفه السلام على أخيه . ونجمله الوحيد يتراعى عليه ويدعوه وما
عهده به الا مجيب دعاءه ملب سوائه الا اليوم فقد خاب نداؤه وذهب
رجاؤه ضياعاً . رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعزى ارملة الفاضلة ووالدته
الثاكلة واخوته وسائر آله على فقده والهمهم صبراً جميلاً على هذا المصاب
الجسيم

وقالت مجلة الضياء

كل من عليها فان

كان هذا الشهر مشكلةً للعلوم والآداب ومناحةً للادباء والكتاب
نعي في صدره احد فتيان الوطن الالباء وغصنٌ من اغصان دوحة الكتابة
والانشاء المرحوم سبع شميل الذي ذكرنا منعه في الجزء السابق وفاجأنا
في منتصفه نعي شيخ الصحافة وكبيرها بل مقدمها واميرها المرحوم بشاره
باشا ثقلا صاحب جريدة الاهرام واشهر من تولى جريدة في قطري مصر
والشام اخترته المنية في الخامس عشر من الشهر على عقب داء عيأ
حار في تشخيصه بصائر الاطباء فكان له يومٌ على القلوب شديد
تناقلت انباءه اسلاك البرق ورُسل البريد واندفت الاقلام تقضيه حق
التأبين والرتاء وتشيئه بذكر ماله من الآثار الجميلة والمآثر البيضاء وفي
مساء ذلك اليوم احتفل بدفنه في مشهدٍ قد حفت به مظاهر المهابة
والاعظام ومشت فيه الالوف من ارباب المقامات وذوي الاقلام حتى

الاهرام واخوه يحمره ورأيناه يقضي النهار ساعياً والليل منكراً ويرى اطول الايام قصيراً والناس يتحدثون باعماله ويعجبون بنشاطه . ولم يكن سعيه قاصراً على ما ينفع به نفسه ولكنه كان ينظر في مصالح اخوانه . ويبذل السعي والمال في سبيل قضائها كأنها ضريبة عليه واجب اداؤها . وهو امر يتعرف له به اخلص العالم

لم يمض على فتيدنا بضعة اعوام منذ بكى رفيقه في جهاده شقيقه السليم واخذ امر الجريدة على عاتقه وادار العمل بده وحده حتى اضاف على الاهرام اهراماً أخرى وهو لا يزداد الا نشاطاً واقداماً ادهش به موارفه وسحر قراءه . ولم يشك الملل ولا قال تعبت من العمل . وكان له جسم لا يتب ودماع يتقد حدة وذكاء كأنه شملة من اقدام — ولكن ذلك الدماغ مازال يتوقد حتى احترق ثم التهب وكذا ما كان من انتضاء الاجل قبل حلول الاجل والناس لا يصدقون ان تلك الامة العالية وذلك العزم الثابت يصيران الى الزناء العاجل . ولكنه والأسفاه عليه حمل جسمه ما لا تستطيعه الاجسام من سهر الليل وسمي النهار

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام
قضى في الثامنة والاربعين من عمره على اثر علة عجز الاطباء عن تشخيصها ولكنهم بذلوا الجهد في علاجها فقضوا عشرين يوماً وهم يخلطون اليه جماعات ووحداً يبدلون الدواء بالدواء . وامرأته الحكيمة الكاملة واقفة بين يديه ترقبه بينيها وتخدمه بيديها وترعاه بقاياها وتشاركه بواطفها وتنشطه بلطفها وانسها وابو استطاعت الندية ان تدته بنفسها ولكن الله اراد ما لم ترده فاخطفته المنون من بين يديها وغادرتها حائرة تندب بعلمها وترثيه . واما العجوز

ولكن الحياة مع سرعة زوالها فان النفس تتطلب بقاءها وتشتاق الى اطالتها جيد طاقها

وحياة الانسان لا تقاس بطول ايامها وتوالي اعوامها بل بمقدار اعمالها وما تتركه من اثارها . فقد يمدد بعضهم طويلاً فهو قصير العمر وان طالت ايامه وتددت اعوامه وقد ييش الاخر زمناً قصيراً فيعمل فيه كثيراً ويترك أثراً جليلاً فهو طويل العمر وان كان عمره قصيراً . ويقال في حياة الاول انها طويلة ضيقة وفي حياة الثاني انها قصيرة عريضة

كذلك كانت حياة فقيد الصحافة المصرية رصيفنا ومؤسس اقدم صحفنا السياسية صاحب الاهرام بل صاحب الاهرامين . مات وقد عمل في عمره التصير ما لا يستطيعه غيره في عمري . وكان رحمه الله مثال الاقدام والنشاط وقدوة رجال الاجتهاد . مات في اوائل كهواته وقد قضى نصف العمر وخيرته دائماً لا يرف الكلل ولا يتعمده الممل والناس يعجبون من صبره على العمل جاء وادي النيل في عصر المرحوم اسماعيل ورأس ماله نشاطه واقدامه فأنشأ الاهرام مع شقيقه المأسوف عليه والصحافة المصرية لا تزال جنيماً والصحف يومئذٍ تمد على الانامل والناس لا يرفون لها قدراً . وهي كما نعلم صناعة رزقها اضيق من شق التلم جاهد في سبيلها بضعاً وعشرين سنة لاقى في اثنائها عقبات رضح لها رجال الصحافة من اسلافه ومناصريه وتغلب هو عليها بسنيه واقدامه وصدق عزيمته . حتى بلغ منها ما اراد فآثرى ونال الرتب والالقب وجالس السلاطين واسترضى الامراء . وصادق العظماء والعلماء وخدم الاقارب والاصدقاء

جئنا الديار المصرية على اثر الحوادث البراية وعرفنا الفقيد وهو يدير

اقوال المجلات العربية

قالت مجلة الهلال

بشاره باشا نقلا

صاحب الاهرامين (الاهرام والبيراميد)

اين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً ويدركها الفناء فتنبع
يجي المرء الى عالم الوجود من غير اختياره . ويذهب عنه من غير
اختياره . وينجاز طريق الحياة وهو يقنات مما انبته الارض فوق رمم اجداده
ويشب على ما يقتضيه تفاعل العناصر مع ما ورثه من ابائه . فيسدد او يشقى
تبعاً لما يكون من طبيعة مزاجه . غنياً كان او فقيراً . ولو خير وكان له رأي
صائب لاخثار الدم على البقاء لانه لا يجد في الحياة غير الشقاء والبلاء . وله
عبرة باخبار الاولين من اسلافه وقد توالوا على الارض اجيالاً لا يحصيها
عد ولم يبقَ عليها من ابنائهم غير الاثر الضيف . ولا من اجسادهم الا ما
انحل بفعل الميكروب فانبت بهضه غازاً الى الهواء فتفنسه الحيوان . وتحول
بعضه الى هباء وامتزج بعناصر التراب فامتصته جذور النبات . ثم تناوله
الحيوان فداد الى ما كان ولله درابي الملاء حيث قال

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ بـ فاين القبور من عهد عاد
خنف الوطء ما اظن اديم الـ ارض الا من هذه الاجساد
رب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من من تراحم الاضداد

وقالت جريدة المحروسة

بشاره باشا نقلا

نجعنا بل جعنت الصحافة العربية بفقد الرصيف العزيز الفاضل المغفور له
بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام العربية والبيramid الفرنسية . نجحنا
بخبير وفاته بعد ان كان الامل كبيراً بقرب شفائه من مرض دمه وهو
مملوء صحة وعافية فاودى بحياة عزيزنا الراحل وزعيمنا العظيم حق الآداب
ان تبكيه وللمعالي ان ترثيه ولاهل الفضل والكمال ان يعظموا المصيبة فيه .
وقد كان هذا الصحافي العربي من اهل الجد والكد وذوي النشاط والاقدام
الذين تضرب بذكرهم الامثال . فهو اول صحافي عربي أثقن شؤءون الصحافة
وأعلى منارها . وهو اول صحافي عربي تدرج في مدارج المعالي حتى نال باية
روملي بكاربك والنيشان المجيدي الاول واحد عشر نيشاناً من ملوك الارض .
وهو اول صحافي عربي جاب بلاد الشرق والغرب وقابل عظماءها وكبراءها
ونشر آراءهم وافكارهم . وهو اول صحافي عربي أوجد له مطبعة من احسن
المطابع واغناها . وهو اول صحافي عربي تفنن في اكتساب الثروة بالوسائل
المحللة والوسائل الاقتصادية الحمودة . وهو اول صحافي عربي عاركة الزمان
ثم عارك هو الزمان وفارقه ظافراً قاهراً منصوراً — فلتبكيه الصحافة والصحافيون
ولتنح عليه الآداب والمعالي وليرثه الادباء والفضلاء والشراء ما استطاعوا الى
البكاء والنواح والثناء سيلاً — اجزل الله عليه الرحمة وبرّد مشواة في التربة
وعزى قلوب حضرة قرينته الثاكلة ونجمله الحزين وسائر ذويه على فقد

مضى هذا التقيد الكريم وعمره ثمانية واربعون ربيعاً قضاءً في مغالبة
التقاليد واعلاء شأن الصحافة في الشرق حتى بلغ شأواً لم يدركه سواء ولقب
بالمكسد المجد والحازم العازم والنيور الصبور . وله آثار في ربع قرن عاشه
في عالم السياسة والتحرير تضيق عنها الاسفار . فهو اول من ناضل الاستبداد
في زمنه جهاراً وجراً الضعيف على طلب حقه ورفع صوته . وهو اول قدوة
للكتاب في مصر من حيث المجاهرة بالانكر وانتقاد اعمال الحكومة والحكام
وبث روح الحياة في عناصر الامة في سائر أزمته الشدة والازمة . هو العصامي
الذي جالس الملوك والسلاطين وحادث الامراء والوزراء وحاز ارفع الرتب
والنياشين ونال الاسم العظيم في مشارق الارض ولم تبطره النعمة . وهو الناضل
في عمله الاديب في قوله المحتشم عن فلتات اللسان . الصافح عن زلات حساده
ونائم اضداده . وهو الجبل الراسخ في مثابة الاعمال والرجل الحديدي في
الثبات والاقدام والمدافع المريب عن دواته وابناء جلده والموصوف بالفضيلة
وكرم السليقة وطيب الشمائل بما يعجز عن وصفه القائل . وهو نخر لبنان
منبت غرسه ومجد ابناء سوريا في كبر نفسه وهو العظيم المشهور بمقام
الاعمال في مصر فياللاسف عليه ويا للخسارة . واني لا ابكيه بدمع المقل ولا
ارثيه برائق الجمل لانه لم يمت فاسمه حي ما دامت الارض ارضاً والسماء
سماً . واني لا اذكر شيئاً من حنلات مآثمه ولا كيف ان عظماء القوم
احاطوا بنعشه وان امير البلاد اهتز لخطبه فكل ما حصل وامكن ان
يحصل قليل ودون القليل في جانب مقام الحي التقيد

القراق وطلب بكبد مقروحة سحاب الجود على هذا الفاضل بالاطلاق
وانصرفت تلك الجموع والحزن سماءً تظلمها وكان لا أرض ثقلها لشدة التأثير
على هذا الفاضل التحرير

وقالت جريدة المحاكم

فقيد الصحافة

ذبلت ريحانة الادب . في بلاد الرب . وأفل بدر الشجرة من سماء
الكتابة . وطوي العلم الاكبر من أعلام الوجاهة في عالم الصحافة . وغمد سيف
العزيمة عن المضاء . واحتجب مثال الهمة بالانزواء . وهوى طود النضل . واندك
ركن الكرامة والنبيل . مات المأسوف عليه واي اسف . والحزون عليه . بزيد
اللهف . من كان يدوي صدى رأيه في الآفاق . ويهاب امتشاق يراعه العظماء .
مات المرحوم — نقلا باشا — وضه القبر . وكان بالامس لم تسعه مصر . فوقع
نعيه وقوع الصاعقة . وحل خطبه حلول الناجمة . وهلع لاجله قلب النشاط
والهمة . وصدعت به افئدة الكرام من الامة . جاءه الموت فاحمله الصوت .
في الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ بعد منتصف ليلة الجمعة الواقعة في الخامس عشر
من هذا الشهر المشؤوم بعد ان مرض عشرين يوماً سمعنا في خلالها روايات
اختلف الاطباء في تشخيص علته وفي نهايتها انه جاوز الخطر وتماثل الى الشفاء
ولكن اذا حل القدر . فلا طب ينفع ولا علم بشر .

الرجال منازل فضلها وشيعة جنازته من منزله باب اللوق في الساعة الرابعة
بعد ظهر ذلك اليوم الى الكنيسة الرضوانية بجهة قنطرة الدكة حيث مشى امامها
من سكان مصر اعاضلها وأواسطها وكل عين من الاعيان تذرف الدموع على
فاضل كان مشكور الصنيع محمود السبي حر الافكار مقتدٍ بفضائل شقيق سبقة
الى الرضوان فرياً له مكاناً ثم ناداه فلباه كما هيأ له حياته الدنيا ونعيم عيشه من
المال والجاه وبعد الصيت وشرف النفس وعلو الهمة وخدمة الدولة فكان
منظوراً من الجميع ومهبط انعامات الدول ومحل الالتفات بالحسنى كانا ولهم المنة على
هذه الامة لانهما كانا لا يتحيزان الى باطل ولا يرهبان قوة سيطرة امام الحق
فهما الامامان الكاتبان الزيهان النشيطان لم يسمع عنهما اكتساب من غير وجه
لائق ولم ير احدهما بمجلس سياسة الا وهو الفائق فنأسف عليهما وننزي
انفسنا على مصيبتهما كما ننزي اهل ذاك الحي الكرام ونطلب من الله عزّ
وجلّ ان يحفظ الخلف ويطول في الاجل حتى نراه وفق الامل ولا بدع فان
هذا الشبل من ذاك الاسد وعهدنا به في الرأي الاسد

وحق علينا ان نشكر عواطف سمو ولي النعم لاسدائه على تلك العائلة
حال الانعام والكرم حيث ارسل من قبله مندوباً على القدر لتعزيتهما والسعي
في جناز فقيدهم فسارت الالسن تدعو الله ان يديم عزيز مصر وملك هذا
العصر آمين

ونرجع بالحديث الى ذلك المشهد فلما ان وصل الجمع بذلك القعيد الى
قبر توارى فيه شمس الفضائل قبيل وقت الاصائل قام فأنبه صاحبه الناضل
نقولا بك توما بما أجرى الدموع وجلب الهلوع فحارت وخارت النفوس
وذهب جيش الصبر وانهزم امام جيش الجزع حتى انثلم وعلم الناس مقدار تأثير

اصاب دماغه المتوقد بالذكا منذ ثلاثة اسابيع كابد في خلالها آلام الداء العيا الذي افنى مهارة نطس الاطباء وبينما كنا نعال النفس ان نفتتح الانباء الحلية بشرى عمومية لاهل النضل ولرجال النبل بزوال بعض الخطر الذي كان محققاً به نزل علينا نبأ المصاب بوفاته والجريدة ماثلة للطبع فشطبنا بشرى الهناء وانزلنا مكانها عبارات العزاء لاسرته الكريمة . عامل الله فقيد الوطن بوافر عفوه ورضوانه واسكنه فسيح جنانه وقبض لآله الصبر الجميل على احتمال هذا الرزء الجليل وسيحفل بتشييع جنازته في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم الى كنيسة الرضوانية للروم الكاثوليك وبعد الصلاة عليه يوارون منه بدرأ في الثرى ويدفنون في قبره المكارم والمحمد والتقى

. وقالت جريدة البوسطة

وامصيتاه

لم تبزغ شمس يوم السبت الماضي الا وقد ورد اليها نعي حضرة رصيفنا الناضل بشارة باشا ثقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيramid الاغرين الذي خدم البلاد وأحسن في عشرة العباد مما كان سبباً لتأثر الجميع عليه ولم يداو جرح فقيد اخيه سليم بك الا وكان جرح على جرح وهو اصعب ما يتألم منه الانسان فتكسرت النصال على النصال وسرى النعي حتى كدر البال وغير صافي الحال بلون الحداد على فقيد خدم البلاد وسعى في زوال الاستبداد كما اقر به الكثير من المصريين الذين يقدرون الاعمال حق قدرها وينزلون

الآن عن ايفاء التقيد حقه من الرثاء والندب فنكتفي بان نقدم من صميم
 النؤاد لاسرة نقلا الكريمة التي رزئت بوفاته رزءا ما بعده رزوء عواطف
 التعزية والمشاركة في احزانهم سائلين الله تعالى ان يبرد قلوبهم بماء السلوان
 ويتغمد التقيد بالرحمة والرضوان

وقالت جريدة ابو الهول

والموت نقاداً على كفه جواهرٌ يختار منها الجياد

لو كانت السعادة خالدة حقيقة في هذه الحياة القانية لما مات بشاره باشا
 نقلا صاحب السعادة والوجاهة صاحب الثروة والاريجية صاحب النيرة والوفاء
 صاحب المرؤة والولاء صاحب العلوم والسياسة صاحب الآداب والكياسة
 صاحب الافكار الثابتة والآراء انصائية صاحب الصفات الحميدة والسجايا الزيدة
 صاحب المقالات المشهورة والحركات المشكورة صاحب العزم والاقدام في خدمة
 الصالح العام صاحب النهضة والاجتهاد في ترقية شؤون البلاد صاحب السهم
 القائر في مضمار الصحافة العربية فجعت بوفاته حيث ترك لها جريدته الاهرام
 والبراميد يتيمتين تظلان تحت الوصاية والرعاية الى ان يبلغ شبلة القاصر عن
 درجتي البلوغ والرشد اشده فيخلنه بآثاره المبرورة وبجسنته المشكورة

سقط عليه يد المنون فاحترمت نفسه الطاهرة الساعة الثانية والدقيقة
 الخامسة والثلاثين بعد نصف ليلة امس في منزله الكائن في شارع الساحة
 بالعاصمة عن ثمانية واربعين عاماً قضاها في خدمة الانسانية على اثر داء

ولم يقابل في اوروبا وزيراً او اميراً الا وقد بني القصد من مقابلته على
استطلاع رأيه بشأن مصر واحوال مصر ومصير المسألة المصرية . ولا شك
ان المصريين واحفادهم سيذكرون ذلك على توالي الاعوام ما ذكرت بينهم
اثار مصر والاهرام

رحم الله فقيدنا واجمل عزاء آله وذويه والهم قلب والدته الحزينة بوجه
خاص صبراً مقيماً فقد جاء مصابها اليوم بعد فقد السليم مصاباً عظيماً

وقال الرقيب

{ المرحوم بشاره باشا نقلا }

رزاء عظيم وخطب جسيم اصيبت به الصحافة العربية الشرقية بوفاة احد
اقطابها المأسوف عليه المرحوم سعادتلو افندم حضر تلري نقلا باشا مدير
جريدة الاهرام والبيراميد شقيقتها الفرنسية . وقد اتصل بنا هذا النبأ والجريدة
تحت الطبع فوقع علينا وقع الصواعق على الرؤوس ولا سيما واننا كنا نؤمل
لسعادته الشفاء القريب بناءً على الاخبار السارة التي وردت امس واول امس
عن تحسن صحته . اما عائلة الفقيد رحمه الله فقد كانت حمي شديدة وشلاً
بالدماغ وهو داء عيا لا تنج فيه حيل الاطباء . وقد قامت مصر وقعدت
لمصرع فقيدتها الذي قضى ربع قرن في خدمتها وحق لها ذلك وحق
لجرائدها ان تلبس السواد وتندب فيه اول صحافي رقى شأن الصحافة في
الشرق باقدمه وهمته ووسع نطاقها الى الحد الذي وصلت اليه والقلم ليقف

كل ابن اثني وان طالت سلامته يوماً على آله حذاء محمول
ونحن كما نعزي نجله الصغير ووالدته الشكلى وقرينته الفاضلة واخوته
واقرباءه وانسابه نعزي الصحافة بفقده ونسأل الله لعائلته الصبر وجزيل
السلوان وللنفيد الرحمة والفران

وقال الاتحاد المصري

نقلا باشا

هوى اليوم طود من اطواد النضل وركن من اركان الصحافة وعلم من
اعلام النهى والحصافة بفقد الفاضل المأسوف عليه زعيم الصحافيين المصريين
وكبيرهم ورافع رايتهم المرحوم بشاره نقلا باشا صاحب الاهرام والبيramid
وصدى الاهرام والوقت وصدى الوقت من قبلهما فما كدنا نفرغ يوم الخميس
من نشر البشائر بنجر تقدمه الى الصحة حتى عاودته الحمى بكل ما اجتمع فيها
من قوة الداء ففضى مساء الجمعة الماضي وحملت اسلاك البرق خبر هذا
المصاب فما كنت ترى الا رؤوساً مطرقة ونفوساً جازعة وعيوناً دامية وانفاساً
تصعد الزفرات ويحق لمصر ان تبكيه وللشام ان ترثيه فقد كان في اولاهما
مؤسس الصحافة الوطنية وخادماً اميناً لمصر وابنائها وكان للثانية نفراً ثانياً
تعتز به بين اكفائها

وللفقيد ترجمة حال واسعة تضيق دونها بطون الصحف والاوراق واهم
ما يذكر منها انه قضى خمساً وعشرين سنة في خدمة البلاد بالصدقة والاخلاص

حسام قلعه للزود عن حقوق الامة المصرية في وقت كان من المستحيل فيه على انسان ان يفوه بنت شنة الا وهو الطيب الذكر المأسوف عليه بشارة نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيramid

عاجلته المنون بعد مرض عشرين يوماً حار فيها الطب واعترف بان الله وحده الشافي من كل داء فلم ينفعه طب الاطباء ولا نطس الحكماء — مات عن نحو خمسين عاماً قضاها في الجد والكد وسهر الليالي على ترويح بضاعته بعزم اشد صلابة من الحديد وما انتشر نعيه في العاصمة صباح امس حتى علت الكآبة الوجوه وانقض الخبر على نفوسهم انقضا الصاعقة على الاجسام وخصوصاً على الصحافة لانه كان صاحب المقام الاول بين القائين بها مات وخلف من بعده ذكراً حسناً وثروة طائلة اوجدها بما فطر عليه ايام حياته من النشاط والاجتهاد ولكن المقطع للاكباد انه لم يخلف وارثاً يمكنه ان يقوم باعماله حق القيام لان ولده الوحيد لم يبلغ عشرين عاماً من عمره ولم يتم دراسته لحد الآن مع شغف المرحوم بتربيته تربية حسنة ايام حياته وعندما سمع الجناب العالي مناه اصدار امره لاحد رجال التشريفات بان ينوب عن سموه في تشييع جنازته بالنيابة عنه وهي مأثرة من سمو الخديوي يستحقها فقيد مثل المرحوم بشارة باشا خدم البلاد المصرية ربع قرن من الزمن وبالجملة فقد اثر نبي الفقيد في جميع طبقات الامة اذ لم يحن وقت تشييع الجنازة حتى ازدحمت الشوارع بالسائرين

ساروا بها ولكل باكٍ حولها صعقات موسى حين ذك الطور الى الكنيسة فصرى عليه لفيف من الكهنة برئاسة احد المطارنة وعادوا معددين فضائله متأسفين على جده واجتهاده

رحمه الله ان المرء خلق ليعمل وادرك ان اشرف عمل انما هو القيام بخدمة الوطن فلم يترك دقيقة تمر من حياته دون عمل بين التحرير والتعبير والانشاء فيما يهدي الامة الى الصواب ويدفع عن الوطن شر النوازل فكان العامل المجتهد والوطني الحر ولم تشغله الثروة والغنى ووجاهة ما هو فيه من رفعة القدر وعظيم المنزلة عن واجب الخدمة العامة والجهاد في سبيل وطنه المحبوب خطاة اتخذها عن فقيد الوطن والعلم اخيه السليم الذي جددت هذه المفاجعة عليه الاحزان . وحركت الاشجان لولا بقية امل بقيت في النفس بقاء اخويه القاضين الدكتور ابراهيم بك وحبيب بك ونجل الفقيد الكريم جبرائيل فان منهم من يحفظ لهذه الاسرة الكريمة شرف الغاية التي سارت اليها وطريق المجد التي توختها في سلم هذه الحياة الدنيا . اذا مات منا سيدٌ قام سيدٌ

رحم الله فقيدنا الكريم عداد حسناته واسكنه فسيح جناته وامطر ضريحه شآبيب الرحمة والرضوان وغيث التوبة والغفران وبرد فؤاد تلك الوالدة الثاكلة وذرا على جرح قلبها بلسم الصبر وعزى قريته الحزينة واخويه ونجله وسائر آله واصدقائه ووطنه والهمنا جميعاً صبراً على فقدته ومصيبتنا العظيمة فيه

وقال الكمال

كل من عليها فان

واذا المنية انشبت اظفارها ألقيت كل تمية لا تنفع
رزئت الصحافة المصرية فجر امس بفقد اعظم اركانها واول من امتشق

رجل يمز في جنبه العزاء . ويجول في تأيين عظيم في مقدمة الكبراء والعظماء .
عماد الصحافة في الشرق وكبيرها . ومقدامها الفرد ونحريرها صاحب الايدي
البيضاء والافكار الثاقبة والسياسي المحنك والمطلع الخبير بشارة باشا نقلاصاحب
جريدتي الاهرام والبراميد اليومييتين

وصل الينا هذا النبي والجريدة معدة للطبع فنزل على قلب هذا الحزين
نزول الصاعقة فمين تدمع . وفؤاد يتقطع . ومهجة حرى . ومقلة شكرى . وانا
لله وانا اليه راجعون

انتقل الى رحمة ربه في مصر القاهرة اثر داء عيائ قصرت عنده حيل
الاطباء . ولم ينجح فيه دواء . ولا استجاب الله سبحانه وتعالى فيه دعاء . فلي
دعوة ربه تاركا دار الفناء والشقاء الى مقر النعيم في دار البقاء
اشتد عليه المرض رحمه الله في اوائل هذا الشهر فهلعت له القلوب
وانبسطت الايدي بالدعاء لله بسلامته وحنظه وجعلت الاهرام تصدر فطمئن
خواطر قرائها في كل يوم والناس متطلعون اليها مشفقون عليها والرسائل
التلغرافية تترى في كل ساعة بالاستخبار عنه حتى صدرت الاهرام يوم الجمعة
فتحاطفتها الايدي وقتشتها الانظار لتقف على ما يكون فيه الاطمئنان فلم ير
الناس فيها خبراً عن صاحبها فقلقت افكارهم وكثرت هواجسهم الى منتصف
ليلة السبت حيث حل القدر ولم ينفع الحذر . ولا اغنى الاشفاق ولا
استجيب دعا

كان الذي خفت أن يكونا انا الى الله راجعونا

مات هذا الفاضل العظيم فبكاه الفضل والعلم والعمل والاجتهاد . وقضى
الى رحمة ربه نفخر الوطن اعظم رجل له في الدفاع عنه اعظم جهاد . عرف

باجتهاده ونشاطه فبساط الرحمة يمسكه اربعة من اكابر التضلاء ووراء الدربة نبه
الاسيف وعزة اخيه حبيب بك نقلا والاهل والانساء وارباب الصحف العربية
والاجنية واكابر الوطنيين والاجانب وفي مقدمة الجميع حضرة عزتلو علي بك
كامل احد رجال التشريفات الخديوية نائباً عن سمو عزيز مصر فحضرة صاحب
السعادة والاقبال محمود باشا شكري رئيس ديوان تركي خديوي سابق فسادة
قليني باشا مراقب الاموال النير المقررة فحضرة الكونت سكايني باشا فئات
من الشعب وكلهم آسف مترحم عليه يذكر من مآثره ما يحمد ومن محامده
ما يذوق فساروا حتى بلغوا به الكنيسة حيث صلى عليه نيابة المطران
اثناسيوس وعموم الكليروس الكاثوليكي ثم خرجوا بالنعيد في مثل المشهد الذي
جاءوا به ولما وصلوا المدفن في مصر العتيقة أبته حضرة الكاتب الاديب
يوسف افندي البستاني احد محرري الاهرام مودعاً من قبل ادارة الاهرام
فالمسيو بول مانس رئيس تحرير جريدة البيراميد الافرنسية فحضرة المحامي البارع
والخطيب اللسن نقولا بك توما فأنزل الدموع واستنزف الدبرات فواروا منه في
اللحد بقية الفضل والمجد وعاد الجميع يسألون للثاوي في رحمة ربه صيب الرحمة
والرضوان ولآله وذويه جميل العزاء والسلوان

وقال الصباح

رزء عظيم

يزء على قلم هذا الحزين ان يخط نبأ فاجعة ولا كالانباء . ويكتب نبي

فحملت عنه قسماً كبيراً من مشاق الحياة كانت راحته اذا تعب وعزائه اذا
 حزن وربحه اذا خسر وكانت كنزه الكبير في بيته فلها قسم كبير من عمله
 لانها فسحت له الوقت للعمل ولها قسم كبير من حياته لانها كانت كل حياته
 الكبيرة في حياته الصغيرة

بلغ الثامنة والاربعين من سنيه ففضى في العمر الذي قضى به المرحوم
 اخوه او اكبر قليلاً فكأنهما اتفقا على ان يعملوا سوياً وان يموتا في عمر واحد
 وكأنهما كانا على ميعاد

رحمه الله رحمة واسعة قدر جهاده وعزى قلب ارماته الحزينة وامه
 الثاكلة وابنه الوحيد الاسيف الذي عرف اليتيم قبل ان يكتمل بدره واخويه
 الكريمين وجميع مأموريه واجمل عزاء اصدقائه ومحبيه فيه انه اكرم مسئول
 وأقرب محب

(حنلة الجنازة)

ما ازفت الساعة الرابعة من بعد ظهر اول امس حتى اجتمعت مئات
 من الخلق امام دار المرحوم المأسوف عليه بشارة ثقلاً باشا ليشيعوا الراكب
 عربته الاخيرة والذاهب الى مسكنه الاخير فزلوا به من مسكنه ضمن
 نعش من النحاس الابيض الجميل واركبوه العربّة تجرها ستة جياذ من الخيل
 وقد امتلأت باكلة الزهر واحاط بها اربعة من الفرسان ومشى امامها يسقجة
 قناصل الدول وجنود من الفرسان والمشاة ثم بنات الراهبات تتقدمهن راية الصليب
 المتمسك يحملان الشموع فحضره صاحب النيافة المطران اثناسيوس ناصر وقد
 حضر من الاسكندرية واتيف الاكليروس الروم الكاثوليكي وباقي الاكليروس
 الكاثوليكي فامل وسادة من الحرير الجميل وضعت عليها اوسمة التقيد التي احرزها

عهده به انه وضع في صدره اعظم سر عنده وقد كانت الحرب سجالاً والمداولات مشتتة بين ابيه وقناصل الدول فعمل بما عهد اليه حتى كان من امره ما كان ومن حوادثه ما ليس من غرضنا بيانه الآن

ساح فقيد الصحافة عواصم الزب فقابل كبراءها وعظماءها وساستها وكان له معهم كلمة ثقالة وفكرة تسمع ورأي يجمل وهو اول من صنع هذا الصنيع من رجال صحافة الشرق وآخر من يستطيع ان يصنع مثله منهم فقابل وخاطب وناقش وحدث وروى فكان الخادم لوطنه سراً وجوراً المخلص لمواطنيه عملاً وفكراً

اشتهر بحسن ادارته حتى انه كان يدير الاهرام وصدى الاهرام في الاسكندرية والبيراميد وهي ثلاث جرائد يومية يعجز عن ادارتها ثلاثة رجال من اعظم مديري الصحف في الزب ثم ينظر في المطبعة واطيانه واملاكه ويقابل مردييه ويسعى لسائليه ويجالس محبيه فكان اثني عشر رجلاً في رجل واحد . وعرف بثباته على العمل ونشاطه وكفى على هذين برهاناً انه كان يدور الريف يوم كان لا يقرأ احد صحيفة ولا يطالع امروء جريدة فيرجع من دورته كلها بمائة مشترك او اقل ومع كل هذا فلم تضعف قلة قراءه ثباته ونشاطه فهو اعظم رجل تستطيع ان تكرمه الصحف العربية في مصر لانه اعظم رجل سعى في خدمة الصحف العربية في مصر فلولا له لما رأينا هذه الحركة الصحفية الكبرى ولولا له لما قام للصحافة قائمة على ضفتي نهر النيل ومما زاده نشاطاً وعملاً وسعيّاً راحته الداخلية فهي اكبر عامل يريح الرجل او يتعبه فقد وهبه الله امرأة مثلت فيها كل مواهب النساء الفاضلات المرأة الناضجة زوجة الرجل والام الحنون مربية البنين والسيدة الكريمة ربة البيت

وليس انساناً فليس بمجيب بعد هذا ان يتعب دماغه فيحققن فقد استسلم هذا
الدماغ للراحة بعد ان اشتغل ٢٥ عاماً

ما رأت الصحافة العربية منذ كان الشرق عهداً لها ومنذ ولدت اما فيه
ولداً من اولادها المديدين عرف ان يخاطبها بلغتها وتخطبه بلغته وان يفهم
سرهما وتفهم سره مثل فقيدنا العزيز فقد حق لنا ان نقول انه ابن الصحافة
الوحيد فقد أحب امه واحبته هذه الام فارادت له كل ما تريده ام لولدها .
الجاه والثروة والمقام ووهبته كل ما تملكه من هذه النفائس

مرض الفقيد منذ ايام وكان مرضه شديداً عليه مثل شدة دعاء محبيه
بشفاءه فلبث يتقلب على فراش الداء اياماً يتراوح الموت بين دماغه وامعاءه
فيشتد عليه احياناً ويرفق به حيناً وهو بين هذا وذاك مستسلم للقضاء مسلم
للعناية متكمل على الله الى ان وافته دعوته فنعاه لنا الناعون بعد ان نعي مراراً
من قبل حتى حق له ان يقول

ان كان ما بلغت غني كاذباً فقد آسِ صدق ليس حي باقيا
ومما لا يخلف فيه اثنان ان الرجل كان كبيراً في فكره كبيراً في علمه
كبيراً في ادبه كبيراً في كل مواهبه رأى ان كفرشياً وطنه الاول ومسقط
رأسه مرشحاً صغيراً له ففادها يطالب مرشحاً اكبر ودائرة اكثر اتساعاً
نخطر له اذ ذاك ان يجي مصر فجاءها كاتباً رأس ماله علمه واجتهاده وليس
هذان بالرأس مال القليل فكتب مفكراً وعمل نشيطاً حتى لب دوراً كبيراً
في بلاد وادي النيل وكان تاريخه متصلاً بتاريخ حوادثها الاخيرة فكان المنبه
الموقظ والمرشد الحكيم والمحذر العاقل يبصر كل ما يمثل داخل الستار ويعرف
كل ما يدور في الفكر من المشاريع وكان من وثوق ابن اسماعيل وولي

وقال الاخلاص

دمعة محرقة

ماكدنا نفرغ من رثاء كاتب حتى جاءنا نعي عظيم فاتبعنا النعي بالنعي
كما تتبع الدمعة الدمعة فبالامس انطفأت اول روح صحفية نفخت في مصر
واحتوت اول فكرة طبعت فيها على ورق فالرحمة للروح المنطفئة والرحمة
للكرة المحترقة

توفي بعد منتصف ليل السبت المنصرم المرحوم المأسوف عليه بشارة
تقلا باشا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد الافرنسية الرجل الشرقي الفرد
الذي فهم الصحافة فقدمها وعرفت الصحافة رجلها فرفعت شأنه . فقد سكنت
غرفته بعدما كانت ممتلئة به حركة وعملاً وانقطع صدى صوته من ذلك
البناء النخيم فما عادت تستأنس الطاولة بيده الحديدية بعد ان اعتادت عليها
ربع قرن او اكثر كانت تجاهد فوقها جهاد الانبياء . ولا عاد يرجف السلم
تحت قدميه القولا ذيتين ولقد كان ينفق النهار نازلاً صاعداً عليه بين مكتبه
وادارة العمل كاتباً امراً ملاحظاً منبهاً منشطاً عاملاً يتعب السلم من دوس
قدميه ولا تتعب قدماه من دوس السلم فقد مات الرجل الذي يحق له ان
يقول انني عشت ولم انم فقد كانت كل حياتي نهارة لان كل حياتي كانت
عملاً

كان في صدر فقيد الصحافة العربية روح كأنها قطعة من نار تلهم العمل
الهاماً فقد اخبرني عارف به قال ان هذا الرجل آلة للعمل لا تهدأ ساعة

انه اجتمع في الخطيب حسن الالتقاء والشعور الحقيقي لان دموعه لم تكف عن الانهمال مدة وقوفه مؤبناً وقبلها وبعدها وخلاصة ما قاله ان الفقيد وجد في وقت كانت فيه الناس طبقات يمتاز بعضها عن بعض من حيث المال والجاه ولم يكن احد من طبقة معلومة ليطلع في الوصول الى الطبقة التي فوقها ولكن الفقيد كان اول من رأى ان الدنيا مجال واسع للمجتهد وان الفقير باجتهاده يصبح غنياً فسافر وكافح حتى وصل الى اسمى ما تطمح اليه ابصار ذوي الجد وكان بذلك قدوة لكثيرين ممن هدوا هديه وجروا على اثاره وخرج منهم اناس تفاخر بهم الاوطان

ولما انشأ جريدته انتشرت في البلاد مع كثرة ما كان يحول دون ذلك من الموانع وكان اول رجل في الشرق اذاع فكراً وابدى رأياً في مهام الامور والسياسة ولم يكن الجري قبله يجسر على اكثر من الهمس فيما بين اهله واخصائه بشيء من هذا القبيل وقد عانى دون ذلك ما عانى ثم فاز واقتنى اثره بعض الفضلاء فأنشأوا الصحف المتعددة واصبح ما كان لا يجراً اعظام الناس على المذاكرة فيه امراً عادياً يقوله من يشاء ويعيده من يشاء

وفي الختام عزى الخطيب آل الفقيد بارق العبارات ثم نظر الى نعش صديقه والدموع جارية من عينيه فودعه بصوت متهدج تقاطعه الزفرات وداعاً تظرت له القلوب

ثم حمل النعش الى المدفن وأودع التراب في مشهد متناه في الجلالة نسأل الله ان يتعمد هذا الراحل العزيز برحمته ويفسح له في جناته ويهب الصبر الجميل والعزاء الحسن لارملته الفاضلة ونجله الاسيف ووالدته الجليلة واخوته المحزونين انه ارحم الراحمين

تجارات لم تكن للفقيد يد فيها فكان هو يجمع وغيره يفرق ومع ذلك فقد ترك ثروة لذويه من بعده

مآثر الفقيد — من مآثره رحمة الله عليه انه اول من استمال عقول الزلاحين

الى الصحافة وعلمهم ان يرفعوا شكواهم على صفحاتها

امرأة الفقيد وابنه — كان لهذا الرجل سعي مقرون بالتوفيق وقد اتم له

الله ذلك التوفيق بالسيدة الفاضلة التي اقترن بها فانها فريدة في عقد النساء

جامعة للعلم والعقل والفضيلة والنبيل وقد عاشا معاً اثنتي عشرة سنة كانت عهد

نعيم لهما ولم يرزقهما الله الا غلاماً هو في الحادية عشرة الان من عمره

وعنده من مخائل النجاة والنشاط ما يدل على انه سيكون خير خلف لابه

ان شاء الله تعالى

مشهده — أصبحت العاصمة يوم السبت الماضي كما تصبح المدن الكبيرة

عقيب اصابتها بكارثة عامة ولم يكن للناس حديث الا ذكر الفقيد وذكر

مآثره والترحم عليه ولما كانت الساعة ٤ بعد الظهر مشى مشهد الجنائز من

منزله بشارع الساحة الى كنيسة الرضوانية وتقدم التابوت بساطان للرحمة

حملهما اصحاب السعادة محمود باشا شكري ويعقوب باشا ارتين وقليني باشا

ونقولا بك توما وطوبيا بك كامل والافوكاتو بريفا والمسيو قصيري من

رجال قنصلاتو فرنسا

وبعد اقامة الصلاة سار الموكب الى مصر القديمة وقبل ان واروه

التراب ابنه حضرة يوسف افندي البستاني احد محرري الاهرام والمسيو

مانس محرر البيراميد بما يليق بالمقام ثم تلاهما حضرة الخطيب اللسن نقولا

بك توما فاستدر الدموع من العيون والذي زاد في التأثير على سامعي كلامه

في خدمة جرائده وكان يقضي معظم وقته في تلقف الاخبار من مصادرها ومبادلة الافكار في كل موضوع مع من تكون لهم علاقة به حتى اذا ملأ وطابه كتب ما يكون قد تحصل عليه من الافكار والاخبار وعلق عليها اراءه الخصوصية ونشرها على صفحات جرائده ولم يكن يهتم في ما يخطر له نشره ان كان يرضي بذلك زيدا أو يغضب عمراً وآخر الادلة على ذلك قيامه ضد السماسرة من عهد قريب فانه مع علمه باقتدار تلك الزمرة انتقد اعمال افرادها وتصرفاتهم بلا مبالاة بهم ونوادره من هذا القبيل كثيرة يد منها ولا تعد

جراًة الفقيد - وكان رحمه الله يقدر نفسه قدرها ولهذا كانت فيه جراًة يندر ان يكون بعضها عند غيره ممن وجدوا في ظروف كظروفه وبهذه الجراًة نهض بنفسه الى مقام الوجهاء الكبار فتشرف مراراً بمقابلة جلالة السلطان وكانت له دالة على الخديوين السابقين ومعاشرة ومباشرة مع كثير من الامراء والوزراء فاذا ضمه مجلس وعظيماً لم يكن يخطر بباله ان بينهما تفاوتاً في المقام

القباه ورتبه - وقد نال الفقيد كثيراً من الرتب والالقباء فتحصل على رتبة روم ايلي بكربكي وعلى المجيدي الاول من الدولة العلية ونيشان سان استانس الروسي ونيشان لجيون دنور الفرنسوي ونيشان المخلص اليوناني ونيشان الافتخار التونسي ونيشان الصابات الاسباني وغير ذلك من علامات الشرف والنشانات التي تبلغ الاربعة عشر عدداً

ثروة الفقيد - لو سلمت جميع الاموال التي دخلت ادارة الاهرام من عادات الايام لكان من اكابر الاغنياء في الشرق ولكن معظمها ضاع في

وقال الرائد المصري

فجعت الصحافة العربية عامة والصحافة المصرية خاصة ب وفاة اقدم رجالها
واكبر زعمائها المرحوم المأسوف عليه بشارة باشا نقلا وقد كان لمنهارة رنة اسف
وحزن في القطر المصري والبلاد العربية كلها وجاءت وفاته كارثة شديدة على
المحارب والافلام

أصيب رحمه الله بمرض تخبط الاطباء في تشخيصه فلم يهتدوا الى علاجه
فكثر بينهم الحجاج واللجاج والمرض لا يعبأ باختلافهم ويعضل من يوم الى
يوم الى ان دنا الاجل المحنوم فامهل المريض يومين يودع بهما اهله ويقبل لآخر
مرة ولده الاسيف فحسب الاطباء ذلك تحسناً وبشرونا فبشرنا القراء وقبل
ان يتم انتعاش النفوس فاجأها نعيه فبكته العيون وشقت عليه المرائر

اخلاق الفقيده - امتاز المأسوف عليه بشارة نقلا عن جميع رجال الصحافة
العربية بالجرأة والاقدام والمزاولة والثبات وهذه الفضائل كانت اساس تقدمه
ودعامة نجاحه وكان في اخلاقه الشخصية وافر المروءة لا يتأخر عن السعي
لخدمه كل من طلب مساعدته ولم يعد مرة الا وعد صادق منجز ولم يكن
يألف بطبعه الرياء والمداهنة فاذا غضب من امر او استاء من احد ظهرت
دلائل ذلك على وجهه وفي اعماله وكان غيوراً على عمال ادارته يتنى لهم الخير
ويحثهم على الكسب والاقتصاد واذا بلغه ان واحداً منهم اقتصد شيئاً من
ايراده كان يفرح ويحثه على استزادته

الفقيده صحافياً - وقد امتاز من حيث الصحافة بانه كان لا يكل ولا يمل

يكن لها فيها ادنى اعتبار او شأن يذكر وقد قدرت الامة بعد ذلك اتعاها
حق قدرهما واعترفت لهما بالفضل والسبق فصادفا من كبار رجالها واعاظم
قوادها مزيد التعضيد والتنشيط واحرز في سابق ايامهما من النجاح والفوز
والفلاح اوفر نصيب

اما نقلا باشا فقيد اليوم فقد اشتهر بين الملا بالجد والاجتهاد والمثابرة
والنشاط مع حسن الطوية وهي صفات يمتزف له بها كل من عاشره او كان له
بسعادته سابق معرفة ولذلك شق نفيه على الجميع وحزن لفقده كل ذي احساس
وشعور على اختلاف المذاهب والمشارب حتى كآثنه المقصود بقول الشاعر
كآثك من كل النوس مركبٌ فانت الى كل الانام حبيبٌ

ومما زاد في طنبور الحزن نعمة ان زعيم الصحافة المرحوم كان لم يزل في
سن الكهولة وامارات الصحة وكمال العافية على محياه ولذلك الامة كانت تستظر
ان يعمر اكثر من ذلك ويخدم البلاد بقله السبال وافكاره السديدة عدة سنين
أخرى ولكن

ما كل ما يتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وستشيع جنازة الفقيد بعد ظهر اليوم باخفاله يليق بأسرته الكريمة تغمده
الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه والهم آله وذويه وجميع زملائه من
الصحافيين جميل الصبر وجزيل العزاء

أُسلتِ العبرات وضاعفت الحسرات وكان التأثير شديداً في نفس الخطيب
 ظاهراً على كلماته ثم خففته العبرات فاقتضب الرثاء وحمل الفقيد الى لحده
 فوسمته حجرة ضيقة وقد كانت الدنيا تضيق بآماله ومطامح نفسه الكبيرة
 وتفرق المشيعون وهم يطلبون ان يجعل الله الجنة مثواه ويحسن عزاء اهله ومحبيه
 وهكذا ذهب نقلاً باشا الى العالم الثاني ولكن ذكره سيبتى حياً في
 النفوس والخواطر ما بقيت الصحافة والاقلام

وقال الوطن

المصاب العظيم

يحق اليوم لارباب الصحف ورجال الاقلام ان يحملوا شعار الحداد
 ويذرفوا العبرات ويصعدوا الزفرات على فقد اقدم زعمائهم واعظم رجالهم
 وهيات ان ينفع البكاء او يفيد الرثاء امام هذا المصاب العظيم والخطب الاليم
 أجل فقد انتشر صباح اليوم خبر انتقال صاحب السعادة { نقلاً باشا } الى
 رحمة الله بعد داء عيا لم تنجح فيه حيل الاطباء فهاهنا هذا الامر كل اصدقائه
 وزملائه الذين كانوا يتنظرون له الشفاء ويطمثون بقرب نقاهته وتمافيه
 جمهور القراء

قضى نقلاً باشا بعد ان خدم الصحافة العربية مع المرحوم شقيقه سليم
 بك نقلاً اجل خدمة وجاهدا في سبيل احيائها واعلاء منارها في بلاد لم

حياته وهذا من أكبر الشواهد على سمو منزلة الفقيد حتى في نفوس الذين كانوا يخالفونه في المبدأ والرأي ولقد كان الاحتفال بجنائزه اول امس العصر مؤثراً مهيباً فتقدم مشهده كوكبة من البوليس فرساناً ومشاة ثم تلميذات مدرسة اليتامى حاملات الشموع ثم قواصة القناصل فاحد محرري الاهرام حاملاً الاوسمة التي نالها الفقيد في حياته من الدول لجمهور الكهنة فبساطا الرحمة يحملها ثمانية من الكبراء نذكر منهم صاحبي السعادة محمود باشا شكري وقليني باشا فهمي والباقون من اصدقاء الفقيد الاوروبيين ثم النعش وعليه عشرات من الاكاليل التي لم يبق في المركبة التي نقله موضع لها خملت في مركبات أخرى ثم جمهور المشيعين من القناصل وكبراء الموظفين ورجال الصحافة وكتابها يتقدمهم نجله الصغير الوحيد مطرق الرأس حزناً واكتئاباً وقد تفضل سمو الخديوي المعظم فارسل تلغراف تعزية الى عائلته الحزينة وكان حضرة علي بك كامل ينوب عنه في تشييع الجنازة

وعلى هذا الترتيب سار مشهده من منزله في باب اللوق الى كنيسة الرضوانية للروم الكاثوليك في قنطرة الدكة والناس من ورائه يبكون ويذكرون محاسنه آسفين لماته وعظم المصاب على قرينته المكرمة وولده ووالدته الثكلى واقاربه . ثم صلي عليه الصلاة الاخيرة وحمل الى مدفن مصر التيقية وهناك وقف حضرة الكاتب الاديب يوسف افندي البستاني احد محرري الاهرام فودعه بلسانه ولسان زملائه في جريدة الاهرام ثم تلاه جناب المسيو مانس محرر البيراميد برثاء فرنساوي العبارة ووقف بعدهما حضرة الاصولي البارع نقولا بك توما فعدد مناقبه والهمة التي حواها في صدره فصيرته عظيماً والوفاء الذي كان احدى صفاته الحسناء في معاملة اخوانه واصدقائه الكثيرين بعبارة

الشرق . وقد كان الفقيد من اصحاب الهمة العالية والاقدام الكبير والنشاط
 الغرب جمع ثروة بجمده وسعيه ووصل الى حيث لم يصل اصحاب الصحف
 العربية بعد باقدامه وحسن تديره فلا غرو اذا قلنا ان الصحافة المصرية
 خسرت بفقده اكبر رجالها او اذا عم الاسف على فقده بين المصريين والسوريين
 والذين عرفوه من الاوروبيين . اللهم الله حضرة قرينته المكرمة ونجله الوحيد
 وشقيقه ووالده الثكى جميل الصبر على هذا المصاب

وستشيع جثة الفقيد الساعة الرابعة بعد الظهر من منزله بشارع الساحة
 الى كنيسة الرضوانية للروم الكاثوليك بمشهد حافل يتقدمه قناصل الدول وجمهور
 كبير من كبراء الموظفين ووجهاء الوطنيين والاجانب
 وقد اتانا من ادارة جريدتي الاهرام والبياسيد ان الجريدتين لا تصدران
 في ايام المأتم الثلاثة حداً على فقيدهما ورئيس تحريرهما

وقالت في عدد آخر

وفت الصحف المصرية على اختلاف مشاربها وانواعها فقيدها الطيب الذكر
 نقلاً باشا حق التأين والرثاء يوم مماته واتفق كتابها على مدحه في تفننه واجتهاده
 في اعلاء شأن الصحافة وكان كذلك طيب الله ثراه يتنى ان ينظر الاتفاق في
 خدمة الصحافة وكان رائده طول حياته فلم تبق جريدة إلا اعترفت له بالفضل
 الاكبر في خدمة الصحافة والاداب في هذه الديار وبانه اول من اُعلى شأن
 القلم ومهد للنشئين طرق الكتابة ونشر الافكار

ولم يكن بين الباكين عليه والذين شيموا جنازته اول امس اشد تأثراً
 على فقده من زملائه الذين لم يكونوا وياه على اتفاق في المبادئ والآراء حال

عاوده اول امس شيء من العافية فاستبشرت القلوب بانها مقدمة لتمام شفائه ولكن ابى الله الا اصابتنا بفقدته فقضى تنفطر على اثره الاكباد والنفوس ومضى والصحافة تقول لا عطر بعد عروس رحمه الله عداد مبراته وحسناته وعزى والدته وارملته وسائر اسرته الحزينة على فقدته واسكنه في دار النعيم من جناته

وقالت جريدة مصر

نقلا باشا

فجعت الصحافة المصرية في الساعة الثانية ونصف من صباح هذا اليوم بفقد المرحوم المأسوف عليه بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي الاهرام والبيramid توفاه الله عقب المرض الذي اشرنا اليه قبل الآن فكان لخبر انتقاله وقع شديد في النفوس لانه كان رحمه الله اكبر اركان الصحافة العربية وجريدته اقدم الجرائد المصرية اليومية وقد نال الرتب العالية وآيات النخبر والاکرام أكثر من اصحاب الجرائد الاخرى . انعمت عليه الدولة العلية برتبة روملي بكاربيكي وبالوسامات العثمانية والمجيدية ومنحه دولة فرنسا وسام اللجيون دونور وجاءته الاوسمة من دول اخرى كثيرة حتى انها جاءت بطلب منه لكثير من اقاربه واعوانه لانه نال حظوة عليا في الاستانه وتشرف بمقابلة جلالة السلطان غير مرة وتعرف بالاكبراء والامراء والوزراء في هذا القطر وغيره وكان يقابل العظماء من حين الى حين وينقل عنهم الافكار والاخبار الى حد لم يرو عن غيره من اهل

وقال البصير

بشاره نقلا

رنت اليوم اسلاك البرق بنجر اشتد وقعه على الصحافة والاداب وعظمت فيه رزية المنشئين والكتاب فقد نني الينا من القاهرة رصيفنا القديم وصديقنا الفاضل الحميم المأسوف عليه بشاره باشا نقلا منشي الاهرام وزعيم الصحافة العربية بالاطلاق وصاحب الشهرة الذائبة المائلة الافاق الذي انشأ معالم الصحافة في الشرق ورفع منارها واجمل بحسن مساعيه اثارها واخبارها بل الصحافي العظيم الذي لبث في خدمة الصحافة خمسا وعشرين سنة ما كل له في خدمتها قلم ولا ونت له في حسن السعي لها يد او قدم حتى نشر مبداهها في الشرق كله فلم يخل منه بلد وجبها بحسن ذوقه الى نفوس القارئين بعد ان لم يكن يقبل عليها احد فاذا حزنت عليه الصحافة فانما تحزن على واضع اساسها وحامل نبراسها والقيم على جبرها وقرطاسها واذا بكاه كتاب الصحف العربية فانما يبكون شيخهم الافضل واستاذهم الاول اذ اي كاتب من كتاب صحائفنا لم تكن الاهرام له مدرسة وأية جريدة نشأت بعدها ولم تكن على طريقها مؤسسة ولقد كان من هم الصحائف في هذا الحين ان نقيم اليوبيل الفضي لزميلها الاستاذ القديم فابي القدر الا استبدال حفلها بحفلة الماتم الاليم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ولقد كانت وفاة فقيدنا رحمه الله في القاهرة عن نحو خمسين عاما اثر علة شديدة لزمته اياما قليلة فاشتد الجزع والقلق عليه في جميع البلاد حتى

وقال في عدد آخر

نشرنا بالامس خبر وفاة الطيب الذكر الباقي الاثر نقلا باشا صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد. ونقول اليوم انه لم يبلغ نعيه المسامع حتى صدع كثيراً من قلوب العارفين بشمائله وأدى سائر عيون محبيه وهرع الجم الفقير الى منزله يقاسمون اهله وذوي قرابه احزانهم ويشاركونهم في مصابهم ولم تأت الساعة الرابعة بعد ظهر الامس حتى خرجت جنازته وسارت الى كنيسة الرضوانية في مشهد محافل بالدوات والاعيان وارباب الصحافة وغيرهم من رجال الافلام على اخلاف نزعاتها . وكان الكل كأنما على رؤوسهم الطير تأثراً من الحزن وهيبة لجلال المقام . وان تحركت يد فل مسح العيون من مدامعها او تفقد القلوب في مواضعها وان فاه فم فبذكر محاسن التقيد وما أكثر محاسنه

وصل الجناز على هذا الحال الى كنيسة الرضوانية حيث أقيمت عليه الصلاة والرسوم الدينية ثم سار سريره مخفوفاً بهذا الجمع الى مصر القديمة حيث ووري التراب مودعاً بأسف القلوب وحسرات الصدور وقد قام الخطباء على رمسه معددين مناقب التقيد واعماله في امسه وما قبل امسه ومنهم حضرة يوسف افندي البستاني وجناب المسيو بنس وعزتلو نقولاً بك توما وقد اطلال هذا الخطيب فيما ذكر من شمائله واعماله وهيمته التي كانت لا تعرف الكمال فاطاب وأثر أشد تأثير . طيب الله ثرى التقيد وعزى آله واصدقاءه خير العزاء والهمهم جميل الصبر

لها مثل في كمال الاخلاق وسمو الاداب وحدة الذهن ورقة الشعور فشاركته في اطوار حياته واحاطته بعناية فائقة وحنان لا مزيد عليه . ورزقه الله ولداً بالغ في الاعناء بتربيته ليكون رجلاً كاملاً قادراً على القيام بالعبء الذي تركه له والده

ارتبط بالدولة العلية فالتفت اليه جلالة مولانا السلطان الاعظم التفاتاً عظيماً فانعم عليه باسمى الرتب والنياشين حتى نال رتبة روملي بكربكي والنيشان المجيدي الاول وتوالت عليه رعايته الملوكانية والتفاته السامي

كان التقيد ممن يخلصون لفرنسا ويعجبون بكتابها وادبائها فتعارف بالكثيرين منهم وارتبط بالحكومة الفرنسية فعرفت له اخلاصه وعاملته معاملتها لكرام ابنائها

لم نكن مع التقيد متفقين في كل رأي وفي كل مبدأ . ولكننا كنا نقدر صفاته وخلاله قدرها . ونعرف له نشاطه وجده وعزمه واهتمامه بشؤون محرري جريدته وعماله وعنايته براحتهم وسعادتهم وكل ما يؤدي الى نمو مداركهم وحسن معيشتهم وغير ذلك من الصفات المحمودة والاعمال المشكورة . فموت اليوم في بهجة الحياة ونضارتها يحزننا ويحزن كل اصدقائه وعارفيه ويهدم ركناً من اركان الصحافة المصرية

فندم الى قريبته الاسيذة ونجله وشقيقه وسائر اعضاء عائلته عبارات التعزية الصادقة ونسأل الله ان لا يريهم مكروهاً بعد هذا ويلهمهم جميل الصبر والسلوان

وقال اللواء

كل من عليها فان

نمي الينا النعاة صباح اليوم المأسوف عليه بشارة بلشا ثقلا صاحب
جريدتي الاهرام والبيراميد . فحزنا غاية الحزن على فقدده واسفنا أزيد الاسف
على موته

توفي ليلة البارحة في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد منتصف
الليل فبكاه الاهل والاصدقاء وندبته عائلة كان فيها مثال العمل والنشاط
والحنان عليها والانعطاف نحو الصغير والكبير فيها
واقته المنون بعد ان مرض اياماً قلائل عاد اليه في اواخرها شيء من
الصحة والقوة فامل أهله وأملنا خيراً . الا انها الاجال محددة لا تتأخر
لحظة ولا تتقدم أبداً

مات التقيد في الثامنة والاربعين من عمره وهو في غاية من القوة
والصحة والعافية تضرب به الامثال في الجد والنشاط والاقدام وعدم القنوط
من غاية يسعى وراءها ومطالب يرمي اليه . فلم يكن يعرف الراحة في عمله .
ولم ير مرة لاهياً عن شيء يقدم جريدته أو يزيد في اقبال الناس عليها
خدم الصحافة اعواماً طويلاً وذاق حلوها ومرها وساح الممالك وطاف
البلدان وارتبط بالكثيرين من كتاب الغرب وساسته . وقد نالت الاهرام في
كثير من الاوقات والحوادث شأناً رفيعاً وشهرة عالية بجده وعزمه
أقبلت الدنيا عليه فوفق الله له زوجة صالحة مهذبة كاملة قل ان يوجد

الكنيسة الرضوانية تتقدمها رجال البوليس مشاة وفرساناً وقواصة القناصل
نخمة الدين وفي اولهم نيافة السيد اثناسيوس ناصر مطران الروم الكاثوليك
في العاصمة ونياشين النقيد على وسادة من القطيفة فبساطا الرحمة يحملها حضرة
محمود باشا شكري وعزتلو طوييا بك كامل مراقب املاك الميري الحرة
والمسيو جورج عيد قنصل البلجيك في العاصمة ونقولاً بك توما والمسيو نقولا
قصيري ترجمان قنصلية فرنسا والمسيو بريفا واحدا الدكتور يعقوب صروف
فتلامذة الراهبات بالملابس البيضاء فنعش النقيد نقله مركبة يجرها ستة جياد
وعليه بدلة النقيد الرسمية وكثير من الاكالييل الازخرة ويتلوه حملة الاكالييل
فالمشيون وراءهم المركبات المديدة وما زالوا سائرين على هذا النظام الى ان
بلنوا الكنيسة حيث صلى عليه نيافة المطران وبقية الكهنة المحترمين
ثم ساروا به الى مدفن الروم الكاثوليك في مصر القديمة ووضعوا
النش في كنيسته حيث أبه حضرات يوسف افندي البستاني بلسان محرري
جريدة الاهرام وغيرهم من الاهل والاصدقاء وتلاه المسيو مانس محرر
البيramid فوفاه حقاً من الرثاء والتأبين وعقبهما حضرة نقولا بك توما فأبته
ذاكراً فضله واجتهاده وقال انه كان قدوة لمعاصريه في الجد والاقدام لاحراز
المعالي فنالها بسعيه فكان لكلامه وقع في النوس ثم أودعوا النقيد اللحد
وعادوا يستمطرون له سحب الرحمة والرضوان ويسألون لنجله وباقي آله الكرام
الصبر والسؤلوان

نسأل الله ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ونطلب لحضرة والدته
الشكلي وحضرة قريته التي كانت مثال الزوجة الفاضلة في حياتها معه وسهرها
عليه مدة مرضه وحضرات نجله وشقيقه الوجهاء وسائر الانساب والاقرباء
والحررين عنده والاصدقاء الصبر الجميل لهم في مصابهم وان يكون حزنهم
عليه خاتمة احزانهم

وما نحن الا ركب موت الى البلى تسيرنا ايامنا كالرواحل -
قطعنا الى نحو القبور مراحلاً وما بقيت الا اقل المراحل -
وهذا سبيل العالمين جميعهم فما الناس الا راحل بعد راحل -

وقال في عدد آخر

احفل اول امس بتشيع جنازة المرحوم بشاره باشا نقلا صاحب جريدتي
الاهرام والبيراميد فأم منزله جمور غفير من الكبراء والعظماء والاصدقاء
يتقدمهم جناب المسيو له كونت وكيل الوكالة الفرنسية والمسيو برتران
قنصل فرنسا في العاصمة وجناب المسيو لويس العضو الفرنسي في صندوق
الدين وجناب المسيو باروي العضو الفرنسي في السكة الحديد . وحضر من
رجال الحكومة وغيرهم سعادة يعقوب باشا ارتين وكيل المعارف العمومية
واسماعيل باشا صبري وكيل الحقاية ومحمود باشا شكري وقليني باشا فهمي
مراقب الاموال غير المقررة وهراري باشا مدير عموم الحسابات وعزت لوطويا
بك كامل وعزت لودكتور علوي بك وجميع ارباب الصحف اليومية العربية
وكثيرون من ارباب الصحف الاخرى وكل وجهاء السوريين الذين حسبوا
ان المصاب مصابهم . ثم سارت الجنازة في موكب حافل من دار التقيد الى

وزانت ربه في كل يوم تحيات الى يوم التلاقي
 ولد الفقيه في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥٢ بكنرشيما من قرى لبنان وجاء
 هذه الديار سنة ١٨٧٦ حيث أنشأ جريدة الاهرام مع الراحوم اخيه سليم
 بك نقلا فكانت له خير ميدان راض فيه ما أوتي من المواهب والمزايا
 كلاجتهاد والنبات والمثابرة والنية وانتهاز الفرص وقوة المداخلة فارتقى بين
 الاقران وبلغ شأوا رفيعا في الوجاهة وعلو الشأن ونال الشيء الكثير من
 الرتب والنياشين

وله في تاريخ القطر الحديث شان لا ينكر وخلف لنجله بمجده. وكده
 من الجاه والثروة ما يعز على ارباب الاقلام ولا سيما في الشرق وفي هذه
 الايام

وقد ادرك النقيذ تلك الغايات كلها واتم ما أتم من الاعمال قبل ان
 يتم الثامنة والاربعين من عمره ولو فسح الله في اجله لرأى الناس منه جدّا
 على جد واقداما على اقدام

ولما بلغ نفيه سمو الخديوي المعظم بادر اعزّه الله فارسل حضرة علي
 بك كامل التشريفاتي للتعزية وامره ان يسير من قبل سموه في تشييع
 الجنازة. واستدعي نيافة المطران اثناسيوس ناصر من الاسكندرية لحضور
 الجناز. وجعل المعزون من العظماء والوجهاء يتقاطرون افواجا الى منزله
 ويشاركون ذويه في الحزن عليه والتمازي ترد تباعا بالتلفراف والبريد وأقفلت
 ادارة الاهرام اليوم ولا يصدر الاهرام والبيراميد حدادا على النقيذ. وستشيع
 الجنازة اليوم الساعة الرابعة بعد الظهر من منزله الى كنيسة الرضوانية للروم
 الكاثوليك

وقال المقطم

خاب الرجاء وخابت بشارة الاطباء بعد ما بشرنا القراء بان سعادة رصيفنا
 المرحوم بشاره باشا ثقلاً جاوز الخطر وتماثل الى الشفاء
 ولكن اذا حل القدر فلا طب يفيد ولا علم بشر
 واذا رجوت المستحيل فانما تبني الرجاء على شفير هار
 فالعيش نومٌ والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سار
 مرض الفقيد اياماً طوالاً وكنا نسمع كل يوم ان الاطباء غيروا رأيهم
 في تشخيص علته الاولى وشخصوا مرضه بعلّة أخرى حتى قيل لنا ان احتقان
 الدماغ قد زال والقلب قد عاد الى سابق حاله من النبضان وان الفقيد جاوز
 الخطر وجعل يكلم الاهل والخلان ولكن صدق من قال ان من القلب
 لدليلاً فقد نقل الينا انه سأل الطبيب عن حالته فقال له انك بخير والحمد لله
 فاستدعى اليه حضرة زوجته وولده وودعها وداع من ايقن بدنو منيته واوصى
 ابنه بتعلم العلم والادب وسلوك سبيل الاجتهاد والكمال ولما فرغ من وداعهم
 اصابته نوبة شديدة افقدته قوة النطق فجعل يلتفت الى من حوله ويودعهم
 بحركات عينية والحر الشديد يجهدده لعسر التنفس عليه حتى انتصف الليل
 فابتدأ يخضر وبعد نصف الليل بساعتين و٣٥ دقيقة فاضت روحه فقارق الديار
 الفانية ولي دعوة ربه الى الديار الباقية

عليه سلام ربي كل حين يلاقيه الرضى فيما يلاقى
 واسقت لحدّه سحب النوادي اذا نهلت همت ذات انطباق

الرضوانية بالازبكية وقد مشى في حفلة الجنازة جميع اصحاب الجرائد والعدد
الجم من الباشوات وفي مقدمتهم اصحاب السعادة يعقوب ارتين باشا وكيل
نظارة المعارف العمومية واسماعيل صبري باشا وكيل الحقانية ومحمود شكري
باشا رئيس الديوان التركي الخديوي سابقاً ورجال قنصلاتو فرنسا وكثيرون من
كبار الاعيان وطينين واجانب ومن المحامين وغيرهم وقد سار موكب الجنازة
يتقدمه الرؤساء الروحانيون وبجانب سرير الفقيد بساط الرحمة يحمله كبراء
الذوات وخلفه المشيعون من كل قبيل وحوله رجال البوليس فرساناً ومشاة
وهكذا سار المحفل في نظام ووقار وعظيم عظة واعتبار الى الكنيسة حيث
أديت شعائر الصلاة عليه ثم سار النعش يتلوه عربات المشيعين الى قرافة
الروم الكاثوليك في مصر العتيقة . وقبل ان يدفن الفقيد وضع في كنيسة
سعادة سكاكيني باشا هناك حيث زود الزاد الاخير من رجال الكهنوت ثم
ودع الوداع الاخير من خطيبين حزينين اولهما حضرة الاديب يوسف افندي
بستاني بلسان جميع موظفي جريدة الاهرام والثاني حضرة الفاضل نقولا بك
توما الذي كان من اصدق اخلاء الفقيد واعرف الناس بتاريخ حياته فذكر
الفقيد مثلاً حسناً للمجتهد كيف يكون صغيراً فيصبح كبيراً وللمجتهد كيف
يعمل فينجح وللمجتهد كيف يصبح غنياً بعدما كان فقيراً وللمجتهد كيف يقدر
ان ينشر فكره وقال ان هذه البلاد مدينة له من حيث كونه قدر ان ينشر
فكره يوم لم يكن يستطيع احد ان يقول ويكتب . وبعد ذلك غيب الفقيد
في لحده وتبادل المشيعون له الغزاء فيه ورجعوا يسألون الله عز وجل ان
يلهم قرينته ووالدته الاسيفتين وبقيّة آل الكرام جميل الصبر والسلوان

ونيشان الافتخار التونسي وكثيراً غير هذه من وسامات الدول وكلها من درجات عالية وكلها برهان صادق على ما امتاز به في صناعة الصحافة وما كان له فيها من جد ونشاط في سبيل ترقيتها . صفات ومزايا يجب ان يتعرف لها بها كل صحافي في مصر اتفق معه في السياسة والوجهة او اخلف كما هو واجب الانصاف وحق كل عامل بهـ

ولكن اضعاف ما رزئت الصحافة اليوم بفقد هذا العظيم رزئت تلك السيدة المحترمة والقرينة التي كانت قرة عين قرينها كمالاً وادباً وتهذيباً ومكارم اخلاق من كل قبيل . بل كانت اصدق امرأة لبها كما كان هو اسعد الازواج حظاً بها . بقدر ذلك كان رزؤها عظيماً ومصائبها أليماً . فكانت هي وولدها الذي لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره قضاها في زهو حنو أبيه عليه كما تحنو الرضيع على ولدها أحق بالبكاء والعزاء

وبمثل ذلك رزئت والددة الفقيد الاسيذة وحضرات اخوته وبقية آله الكرام الذين نسأل لهم جميعاً الصبر والسلوان .

هذا وستشيع جنازة الفقيد الساعة الخامسة بد ظهر اليوم من منزله بباب اللوق الى الكنيسة الرضوانية فيشيه اليها كل مصاب بفقده او مشارك لآله معزّ لهم . ومن اين للمصايين في مثله عزاء . جعل الله لهم جميل الصبر جميل الجزاء

وقال في عدد آخر يصف المشهد

احزنل في الساعة الخامسة بد ظهر امس بتشيع جنازة الطيب الذكر فقيد الصحافة المصرية (بشاره باشا نقلا) من منزله بباب اللوق الى كنيسة

المنون لم تفضل وسهم المنية لم يخطئه فوافاه الاجل المحنوم في الساعة الثانية بعد نصف الليل الماضي عن نحو خمسين سنة من عمره وما هي بالعمر الطويل حتى يقال

كل ابن أثني وإن طالت سلامته يوماً على آلة حذاء محمول
ولقد أثر نعيه في نفس كل سامع بمقدار ما كان يحفظ للفقيد من
المكانة والاحترام

ذلك لانه كان ركناً عظيماً للصحافة في مصر خدمها نحو ٢٦ سنة بجرائده العربية والافرنجية وفي مقدمتها [الاهرام] التي ثبتت بين زلازل الحوادث في ربع قرن ثبات تلك الاهرام الشاخنة في اربعين قرناً

ولسنا الآن في مقام ترجمة حياة الفقيد حتى نوفيه اوصاف المؤرخ ولكننا في مقام النعاة نبكي رصيفاً قديماً عرفناه مكداً مجداً نشيطاً في ترقية صناعته ونشر صحفه بهمة لا تعرف الكلل وعزيمة كان يغبطه عليها كل صحافي في مصر اذ الكل لم يدركوا له شأواً في هذا المجال حتى اشتهر عنه انه كان يطوف الدواوين والقنصلات وكثيراً من منازل الامراء في ساعة واحدة ليعود بملء الصحيفة من الاخبار وكانت له مهارة في استقراء الحوادث لا يدانيه فيها صحافي هذه قصارى فخاره من مهنته . وقد اضاف الى ذلك جاهاً حازه وثروة طائلة أحرزها ورتباً وألقاباً لم تكن من نصيب غيره بين الرصفاء . أحرز من رتب الدولة العلية الى (روم ايلي بكاربكي) وهي أعلى رتبة ملكية دون رتبة الوزراء ومن نياشينها المجيدي الاول وهي أعلى النياشين من صنفه لا يفوقه غير المرصعات كما انه حاز نيشان اللجيون دونور الفرنساوي من الدرجة الثالثة ونيشان سان استانس لاس الروسي ونيشان المخلص اليوناني من الدرجة الثانية

وعهدٌ عليّ اذا ما رجعت وكان الى مصر ذاك الرجوع
 أزور الضريح الذي قد حواك واسكب فوق الضريح الدموع
 والآن فالسلام ايها الهلال البازغ والشبل الناهض السلام يا جبرائيل
 الذي رأيته طفلاً على ذراعي أمه وفتى يتلن العلم الى جانب ايه . اننا نرى
 مخايل النجاة تلوح على جبينك ونور الهمة يضيء في عينيك فكن كما نتوسم
 واكبر باراً بأمك الكريمة واخلف في الاقدام والنشاط والجد من كان لنا في
 الجد والنشاط والاقدام مثلاً لنقهر بك الايام وننشد الاقوام
 اذا مات منا سيدٌ قام سيدٌ قوول لما قال الكرام فعولُ
 باريس في ٢٦ يونيو سنة ١٩٠١ خليل زينه

قالت جريدة المؤيد

انا لله وانا اليه راجعون

أصبحنا اليوم واسلاك التليفون تتساءل من كل جهة ومكان في القاهرة
 عن فقيد الصحافة العظيم القديم العهد بها ونعني به الطيب الذكر الماسوف
 عليه المبكي من المحابر والاقلام ؛ بشاره باشا ثقلاً ؛ صاحب جريدتي
 الاهرام والبيراميد

أصيب هذا التقيد منذ عشرين يوماً بمرض اخلف الاطباء في تشخيصه
 فمن قائل انه حمى معوية ومن قائل انه احتقان في الدماغ ومن ذاهب انه
 حمى تيفوسية كما اختلفوا في الدواء واستعملوه على ضروب شتى ولكن عين

مات الذي كان في الصحافة استاذي وفي ظلاله ربيت وقضى الذي قضيت
 في قربه اثني عشر عاماً كاملاً فلا بكينه ما حييت مات الذي انكأ على ذراعه
 اثني عشرة سنة بلا انقطاع مات الذي كنت في خدمة الوطن استمد منه
 حركة الافكار ومن انفاسه يستمد حركته اليراع مات الذي اتخذني اثني عشر
 عاماً عوناً له في خدمة البلاد واتخذني صديقاً ودعاني له اخاً وسماي ابنه
 وعاونني على صروف الحداث مات واحسرتاه وانا بعيد عن مصر لا اسمع
 انه مريض ولا اسمى الى عيادته ولا آخذ عنه خبراً ولا أسهر الليل عليه
 جزاء ذلك الاحسان مات وانا بعيد عنه حيث فاضت انفاسه فواحر أنفاسي
 اذ لم ازود منه نظرة الوداع ولم ألهم له يداً وأذرف على جثته الهامدة دمة
 فيا لحرقة فؤاد الخليل

ايها الراحل العزيز والفقيد المبكي هذه أمك قد جدد لها مصابها بك
 احزان السليم السابق وهذه قريتك التي احببتها واحبتك لا تصدق لهول
 المصاب انك قد هجرتها وهذا جبرائيل وحيدك الذي كنت تبده من
 بعد الله يبكي ويتعجب فحنن كحزنهم نحزن عليك وكبكائهم نبكيك ونحن مثلهم
 نستعظم المصيبة فيك

أودعك يا سيدي واستاذي وكنت على رجاء أن القاك نخاب الرجاء أودعك
 والسمع يتساقط من عيني وقد صغرت لدي الحياة وهان البقاء . أودعك
 وأبكيت وليتي كنت كاتباً بليغاً فاعدد صفاتك وأرثيك لكنك عدتني صوغ
 المعاني في خدمة الاوطان لانظم القوافي في رثاء الخلان والاخوان . فانا أودعك
 ابسط وداع ذاكرآ اياك كيئما كنت باكياً فقدك حافظاً عهدك مستمداً لك
 الرحمة والرضوان حيما كنت

شمر عن ساعد الجد بما فطر عليه من الهمة السماء وقام يحارب اهل البني
والعادين على اموال المصريين بهمة لا يدانيه بمثلها احد في الانام فظهر لنا
حقيقة عملهم ونصح لنا ان لا نخدعنا غشهم او ان نفرنا اباطيلهم وتلك بعض
خدمه الجلية المشهورة واعماله المدوخة المبرورة فتمكنت محبته في قلوبنا
وعظمت قيمته في نفوسنا . ولكن وآسفاه لقد وافته المنية بهذا الداء الذي لم
ينفع فيه طب ولا دواء فاييكنه اذاً اللم والعلماء ولييكنه الصحافيون والخطباء
وليكنه الشعراء . لقد مات عماد الصحافة الشهم العظيم رب السياسة ذو الاصل
الكريم . فارحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناتك انك السميع المجيب
والهنا اللهم جميل الصبر على فقده وعزّ قلب والذته الحزينة وحضرة قرينته
الفاضلة وبارك اللهم نجله واعطه العمر المديد فيكون مثلاً صالحاً وشهماً عاملاً
لخدمة وطنه كما كان والده المرحوم انك السميع المجيب وعلى كل شيء قدير
القاهرة
نقولا بوتاري .

وورد فيها تحت عنوان

وداع وسلام

هذا بريد مصر فعسى ان يكون فيه نبأ عن أحد من الذين نحبهم
نم فيه النبأ الصادع والخبر القاجع مات صاحب الاهرام فاسعفني
يا دموع العين
ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي اسفاً عليه ويا دموع أجيبي

اصوات المتأسفين الصاعدة من اعماق القلوب كلما ذكرت مناقبه ومحامده وشيمه
وصدق وطنيته

فرحم الله من تلك صفاته ورحم الله الوطني النيور الصادق المرحوم
بشاره باشا نقلا وامطر على ضريحه سحاب الرحمة والرضوان
وحق علينا وعلى الجمهور ان نرفع هذه التذية الى الاهرام الزراء
والى اسرة التقيد الكريم اجل الله صبرها وأجزل اجرها

وجاء فيها تحت عنوان

المصاب العظيم

والموت نقاد على كنهه جواهر يختار منها الجياد
مات الشهم الهمام والبطل المقدم صاحب الآثار العديدة والمآثر المفيدة
الحميدة بل مات الرجل الجليل العالم الناضل النبيل الموثل الذي تركز اليه
البشر في دفع الخطوب وكشف كل ملة فيا له من مصاب اليم وخطب
جسيم . لقد فقدت مصر والمصريون . بل واهل الشرق اجمعين اعظام
مرشد لهم ومعين . ذلك البطل الذي كان ينار على مصالحهم والذي وقف
نفسه وقلمه لخدمتهم ونفعهم فيحق بل ويجب علينا ان نبكيه وبمداد الحزن
والاسف نرثيه . كيف لا وهو الذي قام رحمه الله في اخر ايامه بتلك الخدمة
الجليلة بل ذلك الجهاد المحمود الذي عرفه الخالص والعالم . وذلك انه رحمه الله
لما رأى تلاعب الاجانب باموالنا ومصالحنا ورأى اننا لا نميز بين النافع والضار

وقال مكاتبا السماوطني

كان لخبر مصاب الوطنية والعالم الادبي بوفاة صاحب السعادة الطيب
الذكر بشاره باشا ثقلا رنة حزن واسف تردد صداها في كل الافئدة والقاب.
واني لي ان اظهر ما استولى على قلوب افاضل مديرية المنيا واكابرها من الحزن
والاسف وانا قاصر ولا بدع ان كان البكاء عليه شاملاً فقد عرفناه رجلاً قام بين
ظهرانينا باجل الاعمال وقاوم في وسطنا اعظام المصائب حتى فاز بامنيتها وهي
ايجاد صحينة تدافع عن الصالح الامم وتخدم الجمهور خدمة يحسد ابنا المشرق
سكان النيل عليها فاقبل القوم على مطالعتها اقبال الظمان على الماء القراح وظلّ
النقيد مداوماً على خطته مثابراً على تنشيط اهل الوطن باذلاً جهده في
بث الافكار الصحيحة والمبادئ الحرة فيهم حتى دعاه ربه اليه فلباه وما شاع
نميه حتى شمل الحزن والاسف العموم فالخطب عظيم والرزة جسيم نسأل الله
ان يلهم الجميع على نقده صبراً

وقال مكاتبا في اتاي البارود

صائقة انقضت على رجال الادب بل حلت بالشرق كله بوفاة شيخ
الصحافة وسراجها الوهاج ومصباحها الرقاد
ولقد كان لوفاة هذا النبيل رنة حزن بارض مصر يسمع لها دوي مع

اصابت النؤاد وانتشت من بيننا من تبكيه وتندبه البلاد والمعارف والاقلام
والصحافة فما تطاير خبر تلييته امر ربه حتى كنت ترى دموعاً تتساقط وقلوباً
تصعد الزفرات

فافسح له اللهم في جلال خلدك وامطر على ضريحه سحاب رحمتك
ورضوانك وانزل على قلوب آله جميل الصبر وثلي الوطن والصحافة احسن
الزء انك اكرم من يسأل

وقال مكاتبا في كوم حماده

صاعقة انقضت على مصر فاخذت منها عميداً كنا نجنّي خيراً من
مشوراته في ملاتنا ومصائبنا ونكبة رمانا بها الدهر الخوون فاقتلعت من
بيننا شجرة العلم والفضيلة وخطب جسيم حل بنا فانأى عنا من لو طالب
منا ان نفتديه لبذلنا نفوسنا في سبيل فدائه . ابى الين الا ان يكون نصيبه
ذاك الشهم الجليل المرحوم { بشاره باشا ثقلا } فقيد الفضل والمرؤة ووحيد الشهامة
والاعمال المبرورة سحمان البلاغة الذي يقصر عن وصف سجايه ابلغ الكتاب
فاتبكه العيون ما شاءت ولترثه الانلام ما استطاعت ولولا اننا نقرأ من
وقت الى آخر عن وفاة الكبير والصغير والغني والفقير لحق لنا ان نعز وجوهنا
بالتراب اسفاً على ذاك الهيكل الذي فقدناه ولكن قدر الله فكان وانا لله
وانا اليه راجعون

وراحل الجلد لآحياء ذكر فقيد البلاد بنجله العزيز الذي نسال الله له قوة
وعمرآ هنيئآ وهو المسؤول ايضآ ان يرد لوعة تلك الام الحزينة وذينك
الاخوين العزيزين ويحمل صبركم جميعآ على فقيدكم العظيم . رحمه الله عداد حسنآه
وكفى بها رحمة ان الله غفور رحيم
رشيد سعادہ

وقال وكيل الاهرام في الوجه القبلي

المصيبة

اي كبد لا تتوجع واي فؤاد لا يتصدع واي عين لا تدمع واي قلب
لا يتقطع من الرزء الجسيم والمصاب العظيم فقد سطا الدهر واقتطف زهرة
زاهرة ودوحة ناضرة

الدهر خصمي والحكم فهو المسيء اذا حكم
فقدت البلاد رجلاً كانت ترتجي ان يعيش بين بنينا دهوراً عاملاً في
مصلحتهم مهماً بامرهم قائلاً القول الفصل السديد فقدت المآرف عالماً متضلماً
كانت تفتخر به وتستمد منه فقدت الافلام راعاً كان اذا ما خط حرفاً
اصاب قلب الحوادث فكشفها للعيان واطلع الجمهور على غوامض الامور
فقدت الصحافة بطلاً وقف والصروف في ميدان خصام فخاربه وحاربها
وتغلب عليها بعزمه فقام يخدم الصحافة حق الخدمة ربع قرن لم تأخذه في
نشر الحق والدفاع عن الوطن لومة لائم . فما بالك يا موت رميتنا بسهام

المتفضل المحب خير البلاد فلنعم سيرتك المستقيمة وسيرتك الطيبة واخلاقك
الكريمة وروحك الطاهرة وما ترك الكثيرة التي لا يقوى الدهر على محو اثر
منها كما غدر بك وانت في ذروة المجد والفضل . لست انسى لك ايها المحسن
احسانك الشامل ورعايتك الكافلة واراك السديدة . لست انسى ذلك الزاد
الاخير القليل الذي تزودته من نور طلعتك في ساعة رهية حمات فيها
الاملاك روحك الزكية وسطا فيها الموت على هيكلك اللطيف وهي ذكرى
تصدع قلبي ولا تبرح من ذهني ابد الدهر اذكر لك بيتاً شدته والمصائب
محبة بك وثباتاً عرفت به والمخاطر حولك فما زلت ترقى حتى ظن انك
تبغي معارج السماء وما زالت الرتب والوسامات تتوالى عليك حتى كادت تملأ
صدرك الرحب . ان الملة التي تدك ركناً لها تبكيك وتأسف عليك والامة
المصرية التي احببتها تذكر اياديك البيضاء ومحبتك المجردة ودفاعك عن حقوقها
دفاع الابطال يوم لم يكن يدافع عنها الا المخاطر بروحه المستهدف للنفي
والشتات تبكيك سوريا لانها تكت ابناً برّاً بها كاسياً رأسها تاج غر وديلاً
اما لبنان فهو من قته الى سفحه الى قرية كفرشما التي هي مسقط رأسك
يحسد مصر على ضمها رفاتك واشتمالها على ما ترك . انك لم تمت وكيف يحسب
ميتاً من يملأ ذكره مشارق الارض ومغارها ولكن عندنا لوعة واسفاً على
فراقك فلا بد لهذا القلم ان ينطق بها حتى تضيق بهما الصحف كما ضاقت
عنها الصدور

واما انت ايها القرينة الكريمة فاذا كان اساك يقبل عزاء وان كان
فؤادك يحمل سلوة فانظري الى مشاركة الامة لك في هذا المصاب والى
مشاركة الوطن واهله والمشرق والمغرب واستبقي ما بقي لك من ذاهب الصبر

وقالت تحت عنوان

لوعة الاسف

ما اصبحت مصر في شؤم وبؤس ولا مرّ بها يوم نحس مستمر اشد سواداً واسوأ وقعاً من صباح اليوم الخامس عشر من هذا الشهر وهو تاريخ لوعة وأسى شديد شاع فيه بين الناس نبأ نفرت الآذان من سماعه وتردد الناس في تصديقه وهو نبأ مصاب الامة بفقيدها والادب باخص رجاله والصحافة بزعيمها ومديرها ونخرها فالمصاب عميم والاسى شامل مات الاب البرّ بنا والرئيس المشفق علينا وفارق دنيانا مبكّي الشمائل مأسوفاً على ما اودعه الله فيه من خلال كريمة وآداب سامية وذكاء نادر وهمة عالية فبكاه الوطن ورجاله والنضل وذووه والمجد واهلوه . اما الانلام التي كانت تستمد من نفثات قلعه فهي تبكي الآن على فراقه وتود لو ملأت الارض بمدادها حداداً واما حملتها فقد قضوا بعض ما فرضته عليهم حقوق التقيد من تأيين ورتاء وتعديد وبكاء وبقيت لهذا العاجز كلمة وداع لهذا الفقيه العظيم الذي كان لي ولعيلتي والداً كريماً في مدة هي ربع قرن لم ار منه فيها الا تفضلاً ومحبة وعوناً على الضراء ورحمة ونوراً في غياهب المشكلات وشياً كلها فضل وكرم وشرف مبدئ وحنان

فيا ايها الفقيه العظيم لقد قضيت عمرك القصير وكأنه اعمار بما اودعت فيه من عظامم الاعمال وعزائم الاقدام وانصرفت فيه الى توخي الاعمال الوطنية والمنافع العامة غير ملتفت الى شيء من ملاهي الحياة وغير منثن عن طلب المعالي بما في سبلها من العقبات . كنت القريب من الضيف والرفيق الرفيق والجواد

نحن اليوم حيارى كما كان بنو اسرائيل في التيه ولكننا نود ان لا يطول
 علينا الزمن كما طال عليهم في نيل بنيتهم فانهم جنبوا عن ملاقة الاهوال
 فعقبوا اما نحن فلا تزال فينا بقية مما عودنا عليه رئيسنا المرحوم من العزم
 في جلائل الامور . لذلك نرجو من الله ان لا يطيل علينا زمن الوصول الى
 بنيتنا وهي اللحاق بعبيدنا وبطلنا اذ لو كان في هذا الوجود من خير يرجى
 وسعادة تؤمل لما مات رجل هو الوحيد الذي كان يمكن ان ينال بيده السماء ويسخر
 في خدمته الجوزاء فأني طمع بعبده لانسان في نيل مجد واكتساب ذكر
 ولقد وددت اني ما عرفت هذا الرجل ولا نظرت رشاقته وهمته حتى
 لا تقع في قلبي من وفاته حسرة تأكل حشاي وتضني جسمي وتفرغني في
 نومي . فاني ما وليت وجهي الى الشرق او الغرب او الجنوب او الشمال حتى
 تمثل امامي بجده ونشاطه وابتسامه الجميل بل ما نقلت قدمي الى مكان حتى
 تذكرت لطف شأله بل ما اغورني غناء او ألم حتى تصورته امامي وهو
 مريض تساوره الحمى ولم يبق فيه سوى حشاشة نفس يملو بها الصدر ويهبط
 فلم ير مرة شاكياً او متلاً

فالوداع الوداع يا نقلاً باشاء . امدد يدك من اعماق القبر لاقبلها . ولم لا
 تمدّها الآن وقد مددتها الى ما وراء أسوار الملوك والظالمين لتفسد عليهم ما
 دبروه من كيد وما هيأوه من ظلم . الوداع الوداع ايها القلب الرحيم
 والنفس الطاهرة الزكية . الوداع الى الملتقى في دار النعيم واعلم ان ارواحنا لم
 تكن لتقيم في الدنيا بعدك اذا لم يكن لها امل في نجلك الكريم ان يجذو
 حذوك في صناتك الدالية واخلاقك الفاضلة فالهم اجله خلاً صالحاً لاكرم

توفيق فرغلي

سلف

تلك الصفات العالية وغدت هباءً كما انحل الجسد الشريف الذي كان يعيها
 أم هي خارجة عن حكم الماديات قد طارت مع روحه الشريفة ولا تبرح
 مقبلة على عهده حتى يشاء أن يخلعها لنجله الكريم ويملاً بها صدره ليتم في
 هذا الوجود ما ابتدأ به أبوه

سلام عليك يا روح التقيد والرفق سلام . سلام على تلك الهمة العالية
 والنفس السامية . وعلى المروءة والوفاء وعلى الاجتهاد والنشاط . سلام يهديك
 إياه فان في الحب وفان في البقاء . سلام يرفعه اليك رجل قدمه في الفناء
 وقلبه ناظر اليك في سماء علاك وجنة خلودك . سلام يودعك به محب كان
 أهون عليه ان يودع روحه قبل ان يودعك وان يفتديك بنفسه قبل ان
 يقضي عليه الشقاء بتشيع جثتك

ان من الخطوب ما لا ينفع معه العزاء ولا يخفف منه الصبر ولا يهون
 من لوعته مر الزمان بل هو كلما تقدم له عهد ونفدت فيه عبارات السلوان
 ازداد تعمقاً في القلوب فانسجمت على اثره المهج واشتدت بذكره الاحزان
 واحتترقت من ناره الصدور ويكون للمرء منه ذكرى اسى وحرقة حزن
 ولوعة مشتاق وأنة اسف في كل خطوة يخطوها في الحياة ومرأى يراه في
 الوجود فيذكر فقيده بما ينظره من حسن وفضل ومروءة وشهامة وجد ونشاط
 ويذكره كذلك اذا رأى عكس تلك الصفات فيقول ما كان ابداً فقيداً عنها
 اجل نحن في مقام من الحزن وموضع من الالسى اعظم من ان تطاوله
 كلمة عزاء . بل ان الكلمة من هذا القبيل تهيج فينا الاشجان وتحرك في
 قلوبنا الاحزان . وما نحن الا جسوم كانت تشرق علينا روح فحمينا
 وتهدينا فانطفأت تلك الروح فما نحن بعدها

المرقلية وهو الذي ذلت له الصعاب فكانت مطية. ذلولاً وانذكت امامه العقبات
فكانت سلاً مكيناً ونفذت اشعة قلبه في السرائر فكشفتها وفي الضمائر فاستجلتها
وفي الخفيات فاستوضحتها وفي الرموز ففسرتها. وكيف يقال ان القبر بيت وحشة
وظلام وبين اطباقه مصباح الدجى ومنار الهدى بل في ثنياه من كان يفكر في
خير البشر واساد البرية والناس حوله نوم والاعين مغضية

لقد كان لنا أمل في السادة والراحة فانقطع هذا الامل وخاب ذاك الرجاء
وأيقنا الان ان السعادة من موضوعات الشراء وبنات التخيلات وان ليس لها
في الحقيقة وجود. بل ايقنا ان الطبيعة والانسان خصمان متضادان وعدوان
للدوان فهي ان رأته يسر بامر سائته وتنصته وان رأته سائياً الى مجد قاطعته
وثباته. فان كان ذا عزم قوي وبطس قوي عاجلته بشيء خفي لم تدركه عقول
البشر لان لتوقاه وتدفعه

نم لقد كان لنا أمل في السادة وهي غاية ما تنتهي اليه مجهودات النفس
ومراتب النكر. ولم يكن ليمنع هذا الامل في القلب عجز الفلاسفة الاقدمين
والتأخرين عن كشف السعادة وهداية البشر اليها لاننا كنا نرى في المرحوم
ثقلاً باشا همة فوق الهمم وعزماً لا يثنيه ملل عن اي عمل واردة
يضعف امامها كل جبار في الارض. فليس من الغريب ان يهتدي الى ما لم
يهتد اليه احد في العالمين

كنا وثقلاً باشا في الوجود نخال الطبيعة احدى توأمي والثاني جده
وعزمه والتوأمين صنوان خاضعان لامره اذا اراد شيئاً كان. لذلك نستغرب
من الطبيعة ان تمكر به على غرة منه ونكر على الزم والحزم والقوة
والشدة ان تغادره وقت الكريمة وفي مقام الطعان. وليت شرى هل انحلت

الزوجات والكرائم الفاضلات . واسأله جلّ وعلا ان يعزي قلوبهم وقلوبنا عن
هذا المصاب الجلل

وقالت تحت عنوان

وداع

من حي فإنّ الى ميت باقٍ
وكلمة

عن فقيدنا العظيم

لا اكاد اصدق ما بلغ المسامع وشق الاضالع واجرى المدامع وأذاب
المهج واشعل في القلوب الوهج واسال النفوس واطار الرشد من الرؤوس . الا
وهو النبا العظيم والرزّ الاليم والمصيبة الكبرى والكارثة الجلى وفاة رجل الشرق
علماً وحكماً وذكاءً وحلماً وشهامة واقداماً وجداً واجتهاداً واخلاصاً وولاءً وصدقاً
في القول والعمل وسعيّاً في تأييد الوطن بهمة لا تدرف الكلال والملل . رئيسنا
وعميدنا استاذ الصحافة ومدرس الفضيلة ورب النشاط والهمة المرحوم بشارة
باشا تقلا

احقاً قد انتقل هذا الرجل العظيم من عالم الشهادة الى عالم الغيب وهل وسعه
القبر بعد ان لم تكن تسعه الدنيا باسرها وضائق رحباتها عن عزيمته وهمته . بل
كيف غلبته المنية وهو ذو العزم الشديد والبأس الاكيد والنفس الالية والقوة

المرقلية وهو الذي ذلت له الصعاب فكانت مطية ذاولا وانذكت امامه العقبات فكانت سلا مكيئا ونفذت اشعة قلبه في السرائر فكشفتها وفي الضمائر فاستجلتها وفي الخفيات فاستوضحتها وفي الرموز فقسرتها . وكيف يقال ان القبر بيت وحشة وظلام وبين اطباقه مصباح الدجى ومنار الهدى بل في ثنياه من كان يفكر في خير البشر واساد البرية والناس حوله نوم والاعين منفضية

لقد كان لنا أمل في السادة والراحة فانقطع هذا الامل وخاب ذاك الرجاء وأيقنا الان ان السعادة من موضوعات الشراء وبنات التخييلات وان ليس لها في الحقيقة وجود . بل ايقنا ان الطبيعة والانسان خصمان متضادان وعمدان لدودان فهي ان رأته يسر بامر ساءته ونصته وان رأته ساءيا الى مجد قاطعته وثباته . فان كان ذا عزم قوي وبطش قوي عاجلته بشيء خفي لم تدركه عقول البشر لان لتوقاه وتدفعه

نعم لقد كان لنا أمل في السادة وهي غاية ما تنتهي اليه مجهودات النفس ومرارة النكر . ولم يكن لينع هذا الامل في القاب عجز الفلاسفة الاقدمين والمتأخرين عن كشف السعادة وهداية البشر اليها لاننا كنا نرى في المرحوم نقلا باشا همة فوق الهمم وعزما لا يثنيه ملل عن اي عمل واردة يضعف امامها كل جبار في الارض . فليس من الغريب ان يهتدي الى ما لم يهتد اليه أحد في العالمين

كنا ونقلا باشا في الوجود نخال الطبيعة احدى توأمية والثاني جده وعزمه والتوأمين صنوان خاضعان لامره اذا اراد شيئا كان . لذلك نستغرب من الطبيعة ان تمكر به على غرة منه وننكر على الزم والحزم والقوة والشدة ان تناديه وقت الكريمة وفي مقام الطعان . وليت شرى هل انحلت

الزوجات والكرائم الفاضلات . واسأله جلّ وعلا ان يعزي قلوبهم وقلوبنا عن
هذا المصاب الجلل

وقالت تحت عنوان

وداع

من حي فإنّ الى ميت باقٍ
وكلمة

عن فقيدنا العظيم

لا اكاد اصدق ما بلغ المسامع وشق الاضالع واجرى المدامع وأذاب
المهيج واشعل في القلوب الوهيج واسال النفوس واطار الرشد من الرؤوس . الا
وهو النبا العظيم والرزق الاليم والمصيبة الكبرى والكارثة الجلى وفاة رجل الشرق
علماً وحكماً وذكاءً وحلماً وشهامة واقداماً وجداً واجتهاداً واخلاصاً وولاءً وصدقاً
في القول والعمل وسعيّاً في تأييد الوطن بهمة لا تترف الكلال والملل . رئيسنا
وعميدنا استاذ الصحافة ومدرس الفضيلة ورب النشاط والهمة المرحوم بشارة
باشا تقلا

احقاً قد انتقل هذا الرجل العظيم من عالم الشهادة الى عالم الغيب وهل وسعه
القبر بعد ان لم تكن تسعه الدنيا باسرها وضائق رحلتها عن عزيمته وهمته . بل
كيف غلبته المنية وهو ذو العزم الشديد والبأس الاكيد والنفس الالية والقوة

لندرا وباريس والاستانة وغيرها من العواصم وتلك الاحاديث التي رواها عن اعظم السياسيين اعظم شاهد واكبر دليل على ارائه الصائبة وعلو منزلته عند كبار الاوروبيين والوطنيين. وذاك تاريخ حياته فان كل حرف منه يدل على همة لم يخامرها كلال ولم ينلها ملال بل كانت تتعالى وتتعاظم كلما كانت المصائب تتراكم وتتعاظم في سبيلها

واذا اردت ان افصل كل ما اعرفه - وهو قليل من كثير - لم تكفي رسائل عديدة لا رسالة وحيدة . فحسب الفقيد اعماله فهي تشير الى فضله بنير لسان ولا مادح مثل الاعمال فهي ادل الدلائل على فضل الانسان اما هول المصاب فقد كان عظيماً في نثر الاسكندرية كما كان في سائر البلاد فان شمس السبت لم تنشر اشعتها على النثر حتى انتشر منعى الفقيد فشمع الاسف كل من عرفه - ومن لا يعرفه - فكنت لا تسمع الا السنة لاهجة بتعداد اعماله او بذكر همته العالية واجتهاده العجيب ومشاريعه المفيدة . ولقد رأيت اناساً من الذين لم يكونوا من اصدقائه يوفونه حقه ويذكرونه ذكراً جميلاً وينطقون بما يجب ان ينطق به اهل الضمائر الشريفة ومحبو الحق والصدق ويحق للاسكندريين ان يأسفوا على فقيدنا ويستعظموا المصاب به لانهم اول من عرف مآثره واعماله واذا اتبع قول القائل « من علمني حرفاً كنت له عبداً » فان الاسكندريين في مقدمة الذين جنوا من فوائد الاهرام واستنادوا من اخبارها ومباحثها فعرفوا فضلها وكان اسطع الادلة على معرفة الاسكندريين لقدر الفقيد ما ظهر في نثرنا من الاسف وما انتهى اليكم من الرسائل البرقية والبريدية التي تعد بالملئات

فاقدم واجب العزاء الى الامة والى المروءة والشهامة والى اسرة فقيدنا العظيم واسال الله ان يتي نجله وشقيقه الوجيهين وسائر آله الكرام ولا سيما قدوة

وقالت تحت عنوان

المصيبة الكبرى

امكاتينا الاسكندري

ما ذرف الدموع وما شق الضلوع . ما التأين والرناء وما التجمع والبكاء . ما
الحزن والاسف والتلف والاسى الا قليل في جنب الخطب الجسيم والرزؤ الاليم
الذي نقله الينا البرق . اجل لقد فقدنا ركناً من الاركان الوطنية ودعامة من الدعائم
الادبية ومصباحاً من المصابيح الشرقية .

اذا عدت رجال العصر يوماً فان « فقيدنا » بمقام الف

مات بشاره باشا ثقلوا سبحان الحى الذي لا يموت — فحن نبكي اليوم صاحب
الاهرام والبيراميد وصدى الاهرام فاي المصريين لا يعرف الرجل الذي نبكيه
وزريه ونستعظم الخطب فيه . واي المصريين لم يعرف خدمه الجليلة الجزيلة .
بل ايهم لم يسمع بنشاطه وهمته وعزيمته وفواضله وعوارفه . فاتبكه الاقلام انه كان
من اربابها ولتبكه الآداب انه كان من جوهرها ولبابها وليبكه العصاميون انه كان في
طليعتهم وليبكه الصحافيون انه كان في مقدمتهم وليبكه الوطنيون انه كان متفانياً في
خدمتهم . وليبكه المجتهدون انه كان مثاهم وقوتهم . وليبكه السياسيون فقد كان
سياًياً ينفذ رأيه حجاب الغيب ولا يخاف في الحقيقة لومة لائم . تلك رسائله من

العارضة صادق النظر جامع الفكر بلا مكابرة عدوّاً لا ييادى بشر فاذا
بودى به فهو مكافح جلد اشوس حتى ترتد عنه يد المدوان فهو ناسٍ حليم
وكان لا يزدهي ولا يعجب بشيء ملكه او بمجد ادركه ولم اعلم عدة ما
عنده من الاوسمة على طول عهدي به الا يوم دفنه

وكان متلفاً في معاشرة زوجته حتى انها لا تذكر له سيئة لفظ او
اشارة وكان حسن الاسلوب في تربية نجله وتأديبه بحيث تحسن ظواهره
وسرائره وينمو العلم فيه مع نمو عقله

وكان محباً للقائمين بعمله شكوراً للمحسن منهم صبوراً على المسيء
يعتدّم ابناً ليت ويعاملهم معاملة الاب المتيقظ وشيمة الاب الرافة الواسعة
قبل القسوة النافعة وشاهدي على ذلك غير بعيد وهو ان المتكلمين
يديكم انما هو غراس نعماء الفقيد واثر من اثار فضله

هذه اشارة موجزة الى ما كان عليه فقيدنا الذي نبكيه اليوم ولئن جلّ
مصابنا به حتى لا مصاب بعده فمن لنا بالفاظ مسلية معزية تطف من نار
امراته الفاضلة الحزينة التي عايشته اثني عشرة سنة مرت كيوم العرس بل
كساعة الاكليل في الصفاء والهناء

ومن لنا بصيب الندى يبل صدى امه الجليلة التي يتلهب فؤادها حسرة على
ولئنها العظمين وشوقاً اليهما

ومن لنا بما يسكن من روع الشقيقين الجزعين ابراهيم وحنيب بك
اللهم اياك نسأل ان تمن بالصبر الجميل على هؤلاء الاعزاء المحزونين
جميعاً وان تخفف اشجانهم وان ترعى الحبيب جبريل وتجعله خلفاً صالحاً لايه
وان ترحم كثيراً هذا الفقيد العزيز فقيد العلم والامة والوطن

الداء ويعرف ان له دواءً هو في يده لا في يد قاذته فان كان هو صابراً ذليلاً جبائاً دون حقه كان المولى عليه مطعماً طلاباً جريئاً عليه بالمنازم والا كان الامر على العكس ولهذا كان ابداً ينبه الفلاح ويناضل عن الفلاح ولا يدخر وسعاً في اصلاح حال الفلاح ومن أجل الفلاح أوشك السيف ان يدق عنقه باشارة من المغفور له اسمعيل لو لم يندره بقوله وهو نهاية الشجاعة « ايها الامير ان دون رأسي عرشاً يثله الظلم على نفسه » . وكان يقول ان الفلاح من حيث هو اساس الامة فهو الذي يرجى لترقيتها دون السراة الذين لا يشعرون بوطأة الجور كما يشعر هو بها ولا يرضون الكثير الذي لديهم بمثل ما يسهل عليه ان يعرض يسير ما لديه في اخداث حدث عام نافع وكان شديد الرغبة في تعميم العلم بين العامة ولكن على الطريقة المثلى وهي التي لا تبعد عن مزاولة الحرف والقيامة على الارض الا النابغين الذين كان اكثرهم في كل زمن من ابناء هذه الطبقة بين الناس . وكان لا يمل من الدعوة الى العناية بالصناعة وتوفير اسبابها وتكثير معاملها وتدريب الكثيرين عليها وهذا كله نقرأه في الاهرام بقلبه منذ البدء كما نقرأه في مکتوباته الى ايامه الاخيرة . وكثيراً ما كان يكرره ويؤيده في احاديثه مع أولياء الامر من اسامهم مقلماً الى ادانهم اقتداراً وقد حصل من امانيه هذه على نتائج عظيمة كنا شاهداً ولا جرم ان له القدر المثل من الفضل فيها اما من حيث اخلاقه الذاتية فقد كان رجل جد وكد لا يبارى فيهما حتى كان عمره كان ممدوداً عليه باللحظات وكان شجاعاً بلا دعوى كريماً بلا سرف عزيز النفس عزة الامارة وديماً دعة التاجر صديقاً لا يداهن ولا يلاطف ولكنه لا يتخلف عن اسداء معروف ودفع اذى مناظراً شديداً

بيته وفي دائرتي عمله وفكره يستبد في شؤونه كما يشاء وانه فضلاً عن ذلك
 مسيطر على الحاكم يطالبه بحقه كما يطالبه ذاك بمقتضيات القانون المسنون له
 واذا كان هذا شأنه في السياسة وهذه بعض النتائج الكاكية التي تولدت
 منه فان عمله الاجتماعي لم يكن اضيق نطاقاً ولا اضعف ثماراً فان بشاره نقلاً كان
 منذ ربع قرن على ما ذكره صديقي العالم نقولاً بك توما اول من نبذ
 التقاليد ظهرياً وأول من رأى ان الدنيا مجال واسع للجهد وأول من حمل
 الراية بين قومه في طلب المعالي فاخذ البر نهياً والبحر وثباً وسار في طريقه
 الوعرة حتى ادرك سلم الارتفاع فصعد جاهداً غير وان والراية لا تزال في
 يده يراها الجميع تعلو وكما علت ورف ظلها واتسع لمن ينضم تحتها من طلاب
 المجد وذوي العلم والاقدام والجد . وهكذا سما التقيد فمن بشارة نقلاً بلا
 لقب الى بشاره نقلاً باشا بكركي ومن الرداء الساذج الى الرداء المحلى باربعة
 عشر وساماً ومن الاحتشام في مجلس شيخ القرية الى الانطلاق في مجلس
 اعظم السلاطين والملوك

ولم يكتفِ بان يكون قدوة للناس اذ ان كبار الرجال تزن هممها وتترف
 مقاديرها ولا تقيس بها همم الآخرين فاراد ان يكون للمقتفين اثره والمخندين
 على مثاله عوناً ونصيراً ولا اذكر في خلال المدة الطويلة التي عاملته فيها
 انه خيب املاً او رد قاصداً عظم مطلبه ما عظم وعز املة ما عز على
 انه كان مثلاً بالبرورة والاقدام فلا ارى حاجة الى المزيد من البيان
 وكانت له في المجتمع آراء لم يتطرق فيها الى ما يجاوز منة الاهلين
 وصبر الحكومة في مثل هذه البلاد القديمة العهد بالنير والاستبداد ومحصل
 تلك الآراء ان الفلاح مظلوم في ماله وتربيته وينبغي عليه ان يعرف هذا

وليس في الحوادث اصدق شاهداً على ما اقدمه من الحادثة التي جرت
 للاهرام اخيراً في مسألة البورصة فان الفقيد بجراته التي لا مثيل لها خاض
 منها غمراً وركب بحراً وهو لا ينظر الى ما حوله من الجموع الناقاة بل
 ينظر الى غاية واحدة وهي انقاذ البلاد من موبقات المضاربات وقد افلح
 بعد الجهد وفاز فوزاً باهراً بما ربي اليه من القصد اذ عرفت محكمة الاستئناف
 المخلطة اصابة فكره واصالة رأيه فايدته بحكم جاء حاسماً للنزاع قاطعاً لقول
 كل خطيب وهكذا نجى القطر من مصيبة فادحة وكارثة فاضحة

ومن نتائج سياسته هذه الحياة الجديدة التي نراها في الامة المصرية
 فانها كانت قبل صدور الاهرام بعيدة عن هذا العهد بعد مئات من السنين
 فلما تولى ارشادها وجهر بصوته لايقاظ الهمم النائمة فيها وعودها ان تقرأ
 حوادث كل يوم وتباليها بمبالاة المستبصر المستفيد واشربها حب الحرية وافهمها
 معناها واوضح لها بعمله وبقلمه طرق استخدامها نهضت نهضتها التي تحسدها
 عليها الان سائر امم الشرق وكان اول علائم تلك النهضة شعور المتقدمين
 في الامة من اعضاء شوارها وجمعيتها العمومية بواجب يتعين عليهم مكافأة
 لخادمي الوطن الامنيين سليم وبشاره تقلا واهدائهم اليهما تينك الساعين
 الذهبيتين المكتوب عليهما بحروف من الالماس «شعائر وطنية»

ومن نتائج سياسته ايضاً تمدد الصحف حتى اناقت على المئة الان
 بعد ان مهد لها السبيل وغير خاف ما للصحف من العمل الجليل في انارة
 الافكار ودفع المظالم وتقرير الحقائق

ومن نتائج سياسته وهو الامر الاجل ادراك الجماعة المحكومة انها
 ليست بقطيع انعام يملكه الحاكم وان كل من لم يتعد القانون منها ملك في

ان قسماً من حياة هذا الفقيه تاريخ مكتوب يوماً يوماً في الاهرام منذ خمس وعشرين سنة وهو القسم الشامل لعمله السياسي والاجتماعي وقسماً آخر لم يسجل له في صحيفة ولكنه مكتوب فقرأ في قلوب جميع الذين عايشوه وواذوه وعرفوه برؤيته وفضله. وهو القسم الشامل لاعماله الخاصة به وبالأفراد الذين كانت لهم به صلة

كان رحمه الله واسع العلم والخبرة بالسياسة عارفاً بفنونها واساليبها متضلعا من تواريخها بصيراً بأسرارها وقلما اخطأ له رأي فيها وكان يتفق لي اثناء معاونتي له في تحرير الجريدة ان اقرأ في اكبر صحف اوربا فصولاً بتواقيع اشهر رجال السياسة فاذا هي عين ما يكتبه في المواضيع الحادثة وذلك لصحة حاكمته ولتسلسل الحوادث غير منقطعة في ذهنه ولشدة ذكائه النادر الذي كان يتناول به كليات الامور من جزئياتها وخواتمها من فوائدها وكان مشهوراً بشبانه على مبادئه لا يحول عنها وان ندع عنها قليلاً لامرئ نقضي به حكمة فلا يلبث ان يعود اليها . ومعلوم ما عاناه دونها من المشاق وما تعرض له من الاخطار فكانت لا تزيد الا تشبهاً بها وجرأة في الذود عنها

وكان يجب مصر حباً خاصاً ويحاول ان يجعل سفره كل عام الى اوربا ضرباً من السفارة لخدمتها فيتكاف مقابلة الملوك والزعماء الاعاظم في كل بلد ويباحثهم عن مصر ويصف لهم ما خفي عليهم من احوالها ويستمد مودتهم لها ولا اذكر منذ ثمان سنين اني خلوت به مرة او رأيته مع صديق له ذي شأن ايا كان مكان اجتماعهما الا كان حديثه عن مصر او عن امر ترجع منه فائدة اليها ولهذا كان عمله مبنياً على الاعتقاد والاعتقاد اساس الحب والحب اعظم باعث للهمة وافضل مؤثر في البلاغ

التأثر من هيمية الموقف وهول المصائب ولوعة التفجع وتباريح الحزن فقال
ايها السادة

دفعناه مبكياً نضير شبابه ومبكية آدابه وفضائله
كأننا نواريه الثرى كل ساعة أسي وكأننا كل آن نزائله
هوى بين ايدينا وقد ودت المنى لو ان لفضل ساعداً فهو ناشله
كما سقطت في البحر درة باخل احاق به يم من اليأس شامله
فراح يعيد الطرف لا هو صابر ولا هو يدري أي امر يحاوله
يزيد مياه البحر سائل دمه ولا يدرك الشيء الذي هو سائله

اللهم لا تتراض على احكامك ولكننا حيارى جزعون

قد اذهلنا هذا المصائب حتى عي اللسان وعصى القلم وجد الزكر . افما بين
مساء وصباح عميد وطن يهوي ومنار أمتين يطفأ وبيت مجد يتداعى وصحيفة
عمر حافل بجليل الاعمال تطوى وتاريخ خمس وعشرين سنة يختم
أفما بين صباح ومساء يصبح الطفل يتيماً والمرأة أيتماً والأُم تكولاً ويصبح
الرأي الذي كان عملاً والتمل الذي كان رجلاً والرجل الذي كان فرداً في ملائ
شيئاً من الهوى الجامدة في رسم ساكن

نعم ايها السادة والريب كاذب مات بشارة نقلا باشا - مات مؤسس
الصحافة في هذا الشرق الاسيف . مات العامل غير التعب . الجواد غير المتان .
الصادق غير المداهن . الصديق غير المداجي . مات نصير المظلوم وعدو الظالم
مات قدوة الابناء والآباء ومثال البعولة الاوفياء

ولولا ان الجزع عليه يقبض صدري ويشد وثاق فكري لحدثكم طويلاً
عما اعلمه من فضائله ولم آت على شيء يذكر منها

فاللهم ايدنا بروحه بروح من عندك وأعضنا عن فقدته الثبات في الخدمة التي
وقف عليها نفسه حتى آخر نفس تصاعد من صدره واسكنه فسيح جناتك جزاء
حسناته ومبراته فانت الفوت المحيى وعليك وحدك الاتكال

جناز التاسع

أقيمت في الساعة التاسعة من صبيحة اليوم صلاة الجناز عن نفس فقيدنا العزيز
قتولى الصلاة سيادة الحبر النبيل اثناسيوس ناصر يعاونه حضرات الالباء الاجلاء
وتوافد الى المعبد الاهل والاصدقاء والكبار وبعض القناصل والاعيان وارباب
الصحف والاقلام وكان المعبد مجللاً بالسواد وفي وسطه النعش تحيط به الشموع
المسرجة والى جانب النعش نجل فقيدنا وصاحب امتياز الاهرام ترمقه العيون
ويعوده الدعاء ويحيط به التمني والامل ثم شقيق فقيدنا فالال والموقف مهيب
وذكر الخسارة يدي القلوب ويرسل الدموع عندما والقلوب والابصار خاشة
والنفوس ضارعة الى الملجأ الوحيد والمبدئ المعيد من تأبى احكامه جلت حكمه
إلا التسليم لما يشاء ويريد فدامت الصلاة نحواً من ساعة والضراعة ترفع الى
العرش الالهى بان يسكن فقيدنا جنات خلدته ويجزل ثوابه عداد حسناته

وبعد ختام الصلاة وقف حضرة خليل افندي المطران صاحب
المجلة المصرية بل صديق فقيدنا الشاهد مدة ثماني سنوات صرفها في معاونته
في عمله على جليل اثاره فالتى الخطاب الآتي يقطع صوته شديد

طرفه ائلا يرى ومما نذكر في ايامه الاخيرة ان مستخدماً اخل بالامانة فلم يشأ ان يخرج من الادارة فلما ارتكب هذا المستخدم جريرته ثانية ولم يبقَ للادارة صبر على ابقائه سلم معنا بطرده على شرط ان يعطى راتب شهر يستعين به على معيشته الى ان يجد عملاً واشترط ايضاً ان يخرج ذاك العامل وهو غائب في الاسكندرية لانه يعز عليه ان يراه خارجاً من عمله

وكان النقيض متقد الذهن فكان اذا وصل البريد الاوروني يأخذ الجريدة والقلم بيده فيضع علامة على ما يريد نشره وهكذا يقرأ الاعداد الكثيرة من جرائد مختلفة ويدفعها للمترجمين فاذا عرضت عليه الترجمة عرف مواضع الخلل ولو في كلمة الامر الذي كنا ندهش له ويستغربه الكتاب والمترجمون وما رأيناه يوماً خط سطرًا او اشار على واحد منا بكلمة الا وهو معتقد تمام الاعتقاد انها الحقيقة وما اراد يوماً خط سطر الا واقلام التحرير متفقة على انه الصواب وكانت الاستشارة عنده ركن كل عمل وكان يأنف كل طعن في الافراد فكنا اذا تولت الحدة اقلامنا الرد على معتدٍ نختلس لذلك فرصة غيابه او غفلة منه فنكتب ما نكتب ونحن نتوقع منه توبيننا ولما انتظم كاتب هذه السطور في خدمة الاهرام كانت اول وصاياه له « اذا رأيت ان كلمة نقولها يخسر معها شخص قرشاً وتربح الاهرام آلاماً فلا نقلها ولو خسرت الاهرام فوق الربح المنتظر اضعافاً واعلم ان الشرق هو وطننا وفي الشرق محصورة خدمتنا وخدمة الوطن هي ضالتنا ننشدها في كل آن ولا محاباة ولا مراعاة فالاهرام وقف على ذلك من يوم وجدت ولا تبدل خاتمها »

هذا ما نقوله للقراء الكرام بياناً لحق فقيدنا وفقيده ودرساً لنسطره على صنحات الاهرام بايدينا لانهما لا ينسنا فيكون نصب عيوننا منهج الاهرام في كل حال

ونال من جلاله مولانا السلطان غير الرتبة الاولى من الصنف الاول رتبة روملي بيكاربكي وكفى بما ذكرناه دليلاً على ما كان عليه فقيدنا من رفعة المقام والخطوة عند السلاطين والملوك والامراء والوزراء فلم يبارحه صحافي في مضماره ولم يصل شرقي الى ما وصل اليه بجده ونشاطه وفضله ولقيدنا مذكرات عن ربع قرن تعد تاريخ السياسة في الشرق والغرب وبنوع اخص في مصر لا تصل اليها ايدينا الان فنحن نكتفي بأخذ ما اخذناه من الاهرام فاذا تسنى لنا في المستقبل استخراج ذاك المكنون آخذنا ببعضه القراء في مجموعة ستطبع على حدة كما قلنا في عدد امس

ولقد انصفه حضرة اللوذعي العالم المفضل عزتوا نقولاً بك توما اذ ابنه فقال « ان فقيدنا على رفعة قدره وعلو مكانته في ذروة اعظام الرجال وعلى حلمه ولطنه ورقة طباعه واتضاعه في معاشره العامة والخاصة لم يداخله الكبر ولا عرفته اخلياء ولا فارقه الاتضاع ولا رفع نفسه بنير فضله وفضائله وشجائله عن سائر الناس »

اما اخلاقه التي عرفناها ونحن اقرب الناس اليه فهي الاتضاع والمجاملة والرافة والحنان وسلامة النية وطيب السريرة وحب النضيلة فكان باتضاعه ينكر علينا تلقيه اذا خاطبناه وبمجاملته كواحد منا في العمل ومشاطرة كل أمر وبرأفته كواحد من عيلة كل عامل ومشتغل بادارته يهيمه أمر كل واحد ويعتني بكل شخص وبمخائنه كالإم أو كلاب فاذا مرض عامل أو أصيب بمصائب جعل تأسيته وتخفيف مصابه شغله الشاغل واهمل كل عمل وأمر إلا مساعده وكان بسلامة نيته وطيب سريره لا يصدق عن عامل اذا خانه أو مستخدم اذا قصر ويدهش لمثل هذا اذا بيناه له باوضح برهان وقد يرى من واحد ضرراً بأعماله فيفيض

(سوا الخديوي عباس الحالي) الى باريس ليزور الممرض زيارة رسمية فاحتفت به وبأخيه الحكومة الفرنسية كل احتفاء وأعدت اكراماً له مأدبة شائعة كان الفقيد في اول المدعوين اليها ولم يحضرها من ارباب الصحف الا هو ومدير جريدة الطان وفي سنة ١٨٩٢ زار الاستانة وهو يقصد اوربا للاصطياف فتشرف بمقابلة الحضرة السلطانية بمقابلة خصوصية وقبل ان يدخل على ذاتها الكريمة انعمت عليه بالنشان المجيدي الاول فتقلده ودخل القاعة التي يقيم فيها جلالاته وكان يتلى النطق السلطاني بواسطة السيد ابي الهدى فسأل جلالة السلطان ان يتفضل بسماع كلامه دون وسيط فاجاب ملتصقاً وعده ذلك امراً فوق المادة تحدثت به الصحف الاوروبية ومكث التقيد بحضرة الذات الشاهانية نحواً من ساعة فبسط لها كل آرائه في الاصلاح وما يظن ان فيه خير الدولة والوطن وكتب الكلام الذي القاه عن الاصلاح ومن جملة انشاء السكة الحديدية الى الحرمين كما هو مسطور في الاهرام

وقبل خروجه من الحضرة السلطانية انعم جلالاته بالرتبة الاولى من الصنف الاول على المرحوم سليم بك ثقل الشقيق الفقيد وبشأن الشفقة على قرينة الفقيد وبالرتبة الثانية على عزتو رشيد بك شميل مكاتب الاهرام في القاهرة وبالمجيدي الرابع على المسيو كرسى مكاتبها في باريس

اما النياشين التي نالها من الملوك والسلاطين فهي النيشان المجيدي الاول والثاني والثالث من جلالة السلطان ونشان اوفيسييه دي لاجيون دونور من حكومة فرنسا ونشان الاكاديمي من جمعية العلوم ونشان استنسلان من دولة روسيا ونشان الخالص من دولة اليونان ونشان ايزابل من دولة اسبانيا ونشان شير خورشيد من دولة العجم ونشان الافتخار من باي تونس الخ الخ الخ

بما يستحقونه» وبعد هذا النطق الشاهاني امره بالاقامة في الاستانة الى ان يحضر حفلة السلامك فصعد بالامر وقبل ان يحضر تلك الحفلة انهم عليه جلالة السلطان بالرتبة الاولى من الصنف الاول وبعد حفلة السلامك زار فقيدنا الماين مودعاً فصدر الامر السلطاني بان يرفق باحد الياوران الكرام ليريه دار الخزانة العثمانية وتحف آل عثمان وعروش السلاطين وما في الكنوز من الجواهر وهي حظوة لم ينلها واحد قبله من الرعايا العثمانيين

وفي سنة ٨٩ برح التقيد مصر الى اوزوبا فلما حلّ بمسيليا هداه الحظ الحسن الى عقد خطبته على قرينته الفاضلة دون سابق عزم او عقد نية على الزواج لان التقيد كان — كما حدثنا عن نفسه — لا يفكر في ان يتزوج ولا عجب فان قواه وافكاره ودقائق حياته كانت كلها منصرفة الى الشغل والكد والجد والاهتمام بالاهرام وخدمة الاوطان فكان من توفيقه عقد تلك الخطبة في يوم هو الان تذكاري نعيمه ١٢ سنة كاملة يوماً فيوماً وتذكاري اشجاننا ومصابنا به لان خطبته عقدت في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٩ وتوفي في ١٥ يونيو سنة ١٩٠١ وبعد عقد الخطبة تزوج وسافر مع عروسه الى جهات ايطاليا وسويسرا وباريس وعند حلوله بباريس وصل جلالة ناصر الدين شاه العجم فتعرف التقيد بوزيره الاكبر ثم قابل الشاه مقابلة دامت طويلاً فحدثه عن سياسة اوربا والشرق وافكار السياسيين وما عرفه وما وقف عليه فسر الشاه كثيراً وعجب به كل الاعجاب وانهم عليه بنشان شير خورشيد وقال له « اذا كانت اقوالك هذه تردد صداها الاهرام فانا اشترك بخمسين نسخة من جريدتك لانها مرآة السياسة الصحيحة الصادقة »

وفي ١٠ ستمبر من تلك السنة وصل دولة ولي عهد الاريكة المصرية

اعطاه للرهبنة البلدية وذهب منذ سنوات لافتتاح المبدد فقرّر انشاء مدرسة الى جانبه لتليم القراءة مجاناً

ومن عوائده انه يوزع الصدقات في بلدته كل سنة مرة اما خدمته لكل محتاج وغيرته على كل انسان يلجأ اليه فانها لاشهر من ان تذكر ولربما ذكر ذلك عند تلاوة هذه السطور الوف في مصر ومما فعله قبل مرضه بايام قليلة انه كان يجالسه محرر هذه السطور فدخل عليه رجل كهل فسأله عن حاجته فقال اني رجل اطلب عملاً لاني بلا عمل واعرف الفرنسية والانكليزية والعربية وعيلتي بحاجة الى النفقة فاجابه ان محلي ليس بحاجة الى عامل ثم اطرق قليلاً ونهض من على كرسيه فاخذ عصاه وخرج وخرجت معه والشمس تصر الاجساد فما رأيته في جميع الدوائر والادارات التي دخلها إلا طالباً عملاً لهذا الرجل الذي لا يعرفه فما نال يومه ذلك غير الزمير فلم ترضه وبات ليلته كلها منكراً ضجرأ اذا حدثناه يكاد لا يصنى الينا واذا تكلم فعن الرجل الذي جاءه يطلب عملاً وعيلته ببوز واحتياج فما جاء ظهر اليوم الثاني حتى كان الرجل في عمله يأخذ راتباً كبيراً ويحبل كثيراً ولا نذكر هذا الا دليلاً على ما كان في صدره من الغيرة على قاصديه وطالبي مساعدته

وفي شهر اكتوبر من سنة ٨٨ زار فقيدنا الاستانة فنال حظوة كبيرة في عيون الوزراء وتشرف بمقابلة الحضرة السلطانية وتلق منها هذا النطق السامي ونصه . « اني عارف بصدق وطنيتكم واخلاصكم وجريدتكم التي اقرأها في اوقاتكم اكبر شاهد على ذلك لاطرادها طريق الاخلاص في الخدمة الوطنية واني ساهر ابدأ على حقوق الامة والوطن ومهم في اصلاح الشؤون والاحوال فثابروا انتم على خطتكم هذه الوطنية فليس يفوتكم التفاني لاني اكافي الصادقين

بصداقتكم لدولتي العلية ولي على ذلك أكبر شاهد جريدتكم التي اقرأها كل يوم فتأبروا على خطتكم هذه واعلموا اني اكفى عبيدي المخلصين »
ثم أمره بارسال جريدة الاهرام باسم الحضرة الفخيمة السلطانية فصعد بالامر وهي لا تزال الى اليوم تتشرف باعقاب مولانا السلطان باسم جلالة الخاص

وبرح فقيدنا الاستانة الى اوروبا فزار عواصمها حتى وصل الى عاصمة الروس وكان سفير الدولة الداية هناك دولتو شاكر باشا قدمه لمستشار الامبراطورية الذي لبث عنده ساعة ونصف ساعة فحدثه عن مسائل الشرق وعن المسألة المصرية فأعجب المستشار بأرائه وبسعة اطلاعه فأمر بان تفتح له دار التحف والمكاتب القيصرية ليشاهد ما فيها ووعدوه بان يقدمه للقيصر ولما احتفل بانزال بعض الدوارع الى البحر دعاه مستشار الامبراطورية الى هذه الحفلة فحضرها مع السفير العثماني فاهدى اليه المستشار رسوم تلك الدوارع تذكراً له واعجاباً به واستعرض القيصر الجنود فاغتم مستشار الامبراطورية القرصة وقدم فقيدنا للقيصر واثني عليه بحضرة جلالاته

ثم غادر بطرسبرج الى مدريد وكان سفير الدولة العلية هناك وقتئذ طرخان بك قدمه للوزراء والعظماء وفي شهر ديسمبر من تلك السنة عاد الى الاستانة وطلب الانعام على شقيقه سليم بك بالنشان المجيدي الثاني اسوة به لانه لا يشاء ان يكون اكبر رتبة من شقيقه فأجيب طلبه وعاد الى الاسكندرية ليكافح ويجهاد في خدمة مصر والمصريين كما تشهد اعداد الوقت والاهرام ولم ينس فقيدنا البلدة التي ولد فيها وهي بلدة كفرشيا بل انه زارها فألف فيها جمعية خيرية وجعل لهذه الجمعية راتباً سنوياً يدفعه لها وانشأ هناك معبداً

«أصحیح ان المستر لوید نشر قانون البوليس بمصر قبل ان يعرضه على مجلس شورى القوانين واذا لم يكن ذلك صحيحاً فلماذا اقام المجلس المذكور الحجة على اجراءات المستر لوید ونشر نص حجه في الجريدة الرسمية
أصحیح ان المستر لوید كان حجر عثرة للمجالس الاهلية على حين يدعي الانكليز انهم لم يخلوا مصر الا لتمضيد ابناء الوطن
أصحیح ايضاً ان المستر المذكور اهتم في حالة وصوله الى مصر باقتال ابواب مجلس الشورى»

فالمحتلون ظنوا ان فقيدنا هو المدير لهذه الحركة في مجلس نوابهم وانه هو الذي يكشف القناع عن اعمالهم فأوعزوا الى الحكومة باضطهاده ففعلت مستندة على سبب ليس بالسبب
ولما اتصل الخبر بالفقيد وهو في لندرا قصد باريس وفاوض نظارة الخارجية بالامر وشدد غزيمتها لتمضده وتؤيد مطالب شقيقه لانها كانت في حماية فرنسا ففعلت ونال الترضية التامة بعد اصرار نوبار باشا على عدم الاعتذار الى قنصل فرنسا

وفي سنة ٨٧ سافر الفقيد الى الاستانة للوقوف على مسألة قبرس وبعض شؤون المسألة المصرية فر ببلاد اليونان فأجله كبارها واحترمه وزراؤها ثم سافر الى ازمير ومنها الى الاستانة فاطلع على اسرار مسألة قبرس كما بسط ذلك في رسائله يومئذ ثم قابل نخامة الصدر الاعظم والتمس مقابلة الحضرة السلطانية فجاز بامنيته وقبل ان يمثل امام جلالتهم امر جلالتهم بان يهدى النشان المجيدي الثاني . ولما مثل بحضرته سأله رايه في المسائل الافريقية فابداه فقيدنا بكل صراحة فسر جلالة السلطان به سروراً كبيراً وقال له « انني لا أشك

رأينا ان نرسل اليكما كتابنا هذا شاهداً غداً على امتناننا من جريدتكما مشفوعاً
بتذكرا لا ننظر فيه الى حقارة قيمته بل الى حسن الغاية التي استدلت اليه حيث
قد سطر عليه هذه العبارة [اهرام - شاعر وطنية - سنة ١٣٠١] فاقبل ايها
العزیزان ذلك وتأكدنا اننا حافظون لكما الذكر الجميل الذي يخلد في بطون
التاريخ الجليل وعلى المتقدم ان يراجع ما سطر باهرامكما والله ولي التوفيق »

فاستاءت الحكومة من ذلك شديد الاسياء واقفلت جريدة الاهرام في
٢٠ ستمبر سنة ٨٤ بحجة ان مديرها فقيدنا كتب فصلاً قال فيه ان الحكومة
المصرية لا تخدم مصر بل انكثرت الخ

وتفصيل ذلك ان الحكومة تأملت جداً من عمل مجلس شورى ونواب
الامة فارادت مناهضة الاهرام لتخيفه وتسكته عن الدفاع فاجتمع النظار
برئاسة نوبار باشا واصدروا القرار الاتي الذي لا يخلو ذكره من فائدة وعبرة
وهو بنصه

« نظراً لان جريدة الاهرام نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش
سلطة واعتبار الحكومة الخديوية

ونظراً لان المدد الصادر من هذه الجريدة بتاريخ ١١ اغسطس سنة ٨٤
نشر فيه مراسلة من لندرا من هذا القبيل أشد طعنًا مما سبق نشره فيها الخ
تقرر ان يصير تعطيل الاهرام مدة شهر الخ »

ومن قرأ هذا القرار ظن ان في رسالة ١١ اغسطس شيئاً كبيراً ولكن
في رسالة فقيدنا لا يوجد غير هذه العبارة وهي بنصها

استلفت انظار حضرات القراء الى ملاحظة ما يأتي . ذلك ان المستر هيلي
النائب الارلندي قد سأل الحكومة في جلسة امس هذه الاسئلة

مكتوباً عليها [اهرام - شوائر وطنية سنة ١٣٠١ - بشاره بك نقلا] وقدم
له هذه الرسالة وهي بنصها

جناب الاكرمين الفاضلين صاحبي العزة سليم بك نقلا صاحب ومحرر
جريدة الاهرام البهية وبشاره بك نقلا مديرها اطال الله بقاها
بعد التحية والاكرام . اننا ما برحنا نطالع جريدتكم الوطنية عما يتعلق
بالمسألة المصرية وتوابعها وان الخطة التي سلكتماها في سبيل المدافعة عن
حقوق مصر والمصريين هي خطة حميدة تدعو كل وطني الى ابداء الشئ
الجميل وان جريدتكما اظهرت حقيقة حالة هذه الديار واتت بجميل بيانها على
ابداء وسائل الاصلاح بما يبقى لكما الذكر الطيب الذي لا يبرح مقروناً بالاعتبار
لسعيكما المشكور ومحافظتكما على عهد الاخلاص والصدقة والوطن الهمنا الله
جميعاً الى ما فيه التوفيق وحسن العاقبة والسلام

وتألف وفد آخر من الاسكندريين من ذواتهم ونوابهم في مجلس الشورى
وزار ادارة الاهرام وقدم للفقيد ساعة مع الرسالة الاتية
سعادة سليم بك نقلا صاحب امتياز جريدة الاهرام وبشاره بك مديرها
المكرمين

« خير الناس من ينفع الناس . وخير الشرف ما تولاه صاحبه عن اخلاص
وحرية في سبيل الذود عن الحقوق الوطنية والمصاحبة العمومية . ذلك ما تيناه كل
التبين في اسلوب جريدتكم الفراء الاهرام وقد سلكتما فيها مسلك الجد والثبات
بدفاعكما عن الوطن وخدمتكما البلاد بالاخلاص والصدق وحسن الرأي مما طبع
على افئدتنا حسن ذكره . فكانت بما اثبتته في محاماتها عن الوطن ناطقة بلسان
ابناء القطر وذويه الصادقين . واذا لم يكن لهم بد من مقابلتهم ايديكما بالشكر

المصرية كانت في عين شدة دهر فرح يستصع صاع حط من قدمت ميرة
وما رأى لها تحت من لاستة في بربر وشعر ما تبت مدينتين وبه من
عن نسخة مصرية رسائل لا تزل حقيقة شبة وبعد شيئ من معرفة
لستقبل

وفي سنة ٨٢ عاد إلى مصر فاجته سمو خديوي وعترف بحجج خدمته
فانعم عليه بمرتبة ثانية

وبعد حدوث مذبحة الاسكندرية في تلك السنة هجر تقعيد في سور
وما استقر به المقام حتى عاد إلى الاسكندرية والدمار عظيم فوقها وشؤون
قد أحرقوا مطبعة وداره قاصد الأهرام وحده في إحدى المطابع وكانت
رحمة الله يحدثنا عن نفسه انه كان يكتب الجريدة ويقابل سمو الخديوي يومياً
ويصنع طبامه يده لان الاسكندرية كانت خالية وليس فيها ساكن وكان
البرابيون يناهضون الأهرام لانها كانت مخصصة لسمو الأمير ومادية لهم
اذ عرقهم يهدمون الوطن ويمدون للانكيز هذا الاحتلال الذي نراه
فضل يتحمل هذه المشاق وحده شهراً ونصف شهر ثم دخلت الجنود
الانكليزية العاصمة وسكنت البلاد وعاد شقيقه من سوريا فابتاع مطبعة
واستأنف العمل

وفي سنة ٨٤ سافر إلى لندن لحضور المؤتمر الذي عقد فيها لحل المسألة
المصرية فجاهد هناك بين الوزراء والسفراء والمندوبين حق الجهاد وكانت
تلفرافاته اليومية للأهرام تملأ عموداً من أعمدتها ولما رأى اعيان البلاد خدمته
هذه تألف منهم وفد من ذوات الاقاليم المصرية ونوابها في مجلس شورى
انقوانين والمجالس الوطنية العمومية فزار ادارة الأهرام واهدى التقيد ساعة

وفي سنة ٧٩ حدث ما حدث في مسألة المالية المصرية ورأى النقيب الظلم المحيط بالفلاح المصري فانتفض قلمه في دواته فكتب فصلاً بعنوان « ظلم الفلاح » لا يزال صدها يدوي في البلاد حتى الآن فبث اسماعيل باشا بعض الجنود للقبض على اخيه سليم فلما درى بذلك صاحب الترجمة ارسل اخاه الى الوكالة الروسية وذهب هو مع الجنود الى سراي عابدين وارضاها تنتفض جزعاً من غضب اسمعيل باشا فدخل غير وجل ولا خائف والخطر محقق به فامر الخديوي بسجنه فسجن ثلاثة ايام لم يقابل فيها احداً ولم يسمع من فم كلمة سوى صديق بذل للوقوف على احواله في سجنه كل وسيلة وعند خروجه من السجن وجد الصدى مقللاً فأصدر جريدة جديدة باسم الوقت وصدرها بمقالة لا يزال الكثيرون يذكرونها حتى اليوم

واول فصل كتبه في الاهرام بتوقيه كان في ٢٠ نوفمبر سنة ٧٩ تكلم فيه عن سياسة المانيا وفي اواسط سنة ٧٨ توفي المرحوم والده وهو في الخامسة والستين فكان جزعه عليه شديداً وكان والده مديناً لبعض الناس في سوريا لانه خسر بالتجارة ولم يكف ما يمتلكه لدفع ما عليه فاتفق مع اصحاب الديون ولكن الفقيد ابى الا ان يفي ما تنازل عنه اصحاب الديون فسافر في سنة ٨٠ الى سوريا واخذ يبحث عن اصحاب الديون فدفع لهم ما لهم على ذمة والده مع الثوائد وكان قد مضى على دينهم ٣٠ سنة وكانوا قد اتفقوا مع والده على التصفية وهو لم يسمع بمثله حتى ان الدائنين سألوه ان يدفع رأس المال دون الثوائد فأبى الا دفع رأس المال وفوائده

اما اول رحلاته الى الاستانة فلوروبا فانها كانت في ٢١ اغسطس سنة ٨١ اذ برح الاسكندرية ماراً بأثينا فازمير فقابل الوزراء والعظماء لان المسألة

المصرية كانت في إبان اشتدادها فراح يستطلع طلع حالها من المقامات المالية ولما رأى أنها انتقلت من الاستانة الى باريز ولندرا امّ تينك المديتين وله منها عن المسألة المصرية رسائل لا تزال الحقيقة الثابتة وتمد شيئاً من معرفة المستقبل

وفي سنة ٨٢ عاد الى مصر فاجله سمو الخديوي واعترف بجليل خدمته فانم عليه بالرتبة الثانية

وبعد حدوث مذبحه الاسكندرية في تلك السنة هاجر التقيد الى سوريا وما استقر به المقام حتى عاد الى الاسكندرية والدمار نعيم فوقها والثائرون قد أحرقوا مطبعته وداره فاصدر الاهرام وحده في احدى المطابع وكان رحمه الله نحدثنا عن نفسه انه كان يكتب الجريدة ويقابل سمو الخديوي يومياً ويصنع طبامه بيده لان الاسكندرية كانت خالية وليس فيها ساكن وكان البرايون يناهضون الاهرام لانها كانت مخصصة لسمو الامير ومادية لهم اذ عرفهم يهدمون الوطن ويمدون للانكاز هذا الاحتلال الذي نراه فظل يتحمل هذه المشاق وحده شهراً ونصف شهر ثم دخلت الجنود الانكليزية العاصمة وسكنت البلاد وعاد شقيقه من سوريا فابتاع مطبعة واستأنف العمل

وفي سنة ٨٤ سافر الى لندرا لحضور المؤتمر الذي عقد فيها لحل المسألة المصرية فجاهد هناك بين الوزراء والسفراء والمندوبين حق الجهاد وبكأت تلغرافاته اليومية للاهram تملأ عموداً من اعمدها ولما رأى اعيان البلاد خدمته هذه تألف منهم وفد من ذوات الاقاليم المصرية ونوابها في مجلس شورى القوانين والمجالس الوطنية العمومية فزار ادارة الاهرام واهدى التقيد سائة

وفي سنة ٧٩ حدث ما حدث في مسألة المالية المصرية ورأى الفقيد الظالم المحيط بالفلاح المصري فانتفض قلمه في دواته فكتب فصلاً بعنوان « ظلم الفلاح » لا يزال صدها يدوي في البلاد حتى الآن فبعث اسماعيل باشا بعض الجنود للقبض على اخيه سليم فلما درى بذلك صاحب الترجمة ارسل اخاه الى الوكالة الروسية وذهب هو مع الجنود الى سراي عابدين وارضاها تنتفض جزعاً من غضب اسمعيل باشا فدخل غير وجل ولا خائف والخطر محقق به فامر الخديوي بسجنه فسجن ثلاثة ايام لم يقابل فيها احداً ولم يسمع من فم كلمة سوى صديق بذل للوقوف على احواله في سجنه كل وسيلة وعند خروجه من السجن وجد الصدى مقفلاً فأصدر جريدة جديدة باسم الوقت وصدرها بمقالة لا يزال الكثيرون يذكرونها حتى اليوم

واول فصل كتبه في الاهرام بتوقيه كان في ٢٠ نوفمبر سنة ٧٩ تكلم فيه عن سياسة المانيا وفي اواسط سنة ٧٨ توفي المرحوم والده وهو في الخامسة والستين فكان جزئه عليه شديداً وكان والده مديناً لبعض الناس في سوريا لانه خسر بالتجارة ولم يكف ما يملكه لدفع ما عليه فاتفق مع اصحاب الديون ولكن الفقيد ابى الا ان يفي ما تنازل عنه اصحاب الديون فسافر في سنة ٨٠ الى سوريا واخذ يبحث عن اصحاب الديون فدفع لهم ما لهم على ذمة والده مع الثوائد وكان قد مضى على دينهم ٣٠ سنة وكانوا قد اتفقوا مع والده على التصفية وهو امر لم يسمع بمثله حتى ان الدائنين سألوه ان يدفع رأس المال دون الثوائد فأبى الا دفع رأس المال وفوائده

اما اول رحلاته الى الاستانة فلوروبا فانها كانت في ٢١ اغسطس سنة ٨١ اذ برح الاسكندرية ماراً بأثينا فازمير فقابل الوزراء والعظماء لان المسألة

مستكن الفضل والعلم فاخذ يسمى لنيل الامتياز بانشاء الاهرام من المرحوم اسمعيل باشا الخديوي فلاقى عقبات كثوودة لم ترد عزيمته ولم تصد همته الى ان فاز بامنيته وظفر ببنيته فكتب الى اخيه بشارة - فقيدنا - يستقدمه للاستعانة به على العمل فجاء الفقيد هذه الديار سنة ١٨٧٥ فاخذ يعاونه اخاه ويعضده ويشجعه واذا حدثت ملة او أمر جلال او مناهضة حمى أخاه بصدره وعرض نفسه لكل اضطهاد وركوب كل مركب خشن حتى ضربت الامثال بشجاعته واقدامه وكان اول عدد اصدره من جريدة الاهرام في ٥ اغسطس سنة ١٨٧٦ فلقيا ما لقيا من كساد هذه التجارة فلم يحجبا ٠ وفي ٢ ستمبر من تلك السنة عزم الفقيد على اصدار جريدة يومية باسم صدى الاهرام وفي ٩ منه صدر صدى الاهرام فكان موضوع اهتمام صاحب الترجمة لانه كان فيه متسع لبث افكاره يوماً فيوماً وفي ٩ يناير اجتمعت عمدة بورصة الاسكندرية وقررت الاشتراك بالاهرام وصدى الاهرام « لانهما باكورة الصحف العربية » وكان الفقيد ينزع في كتاباته الى الحرية وطالب الاصلاح فتتف الحكومة في وجهه وتمنعه تارة باقتال جريدته وطوراً بتهديده حتى اكرهته اياماً على ان لا ينشر الا ما تسمح له بنشره واشدة وله بتقديم الحرفة التي اتخذها صناعة له أخذ منذ ٥ يناير من عام ٧٧ يترجم التلغرافات ويوزعها على المشتركين في الصباح وفي المساء فكانت المطبعة تشتغل ليل نهار وكان المشتركون يتلقون الاخبار ساءة فساءة ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية والروس وضاق نطاق صدى الاهرام اليومية والاهرام الاسبوعية عن وسع التلغرافات اصدر جريدة على شكل مجلة سماها « حقيقة الاخبار » كان يجمع فيها التلغرافات الواردة عن الحرب وخصص نصف دخل تلك المجلة بمساعدة الجنود العثمانية

ترجمة حبيب

هو المرحوم بشاره نقلا { باشا } ابن المرحوم خليل نقلا وندى نقلا ولد في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥٢ في قرية كنفريشيا من اعمال جبل لبنان اي بعد ولادة شقيقه المرحوم سليم نقلا { بك } بكر والديه ثلاث سنوات وكانت مخايل النشاط والذكاء والنجابة تلوح عليه وكان وهو طفل صغير يجمع صبيان قريته ويتولى رئاستهم ويذكرون من اخباره في حداثة سنه شيئا كثيرا يدل على نجابته ونشاطه وهو طفل لم تحل عنه التأمم ولما ترعرع ارسله ابواه الى مدرسة القرية يتلقى الدروس الابتدائية فلما اتمها أرسل وهو في العاشرة من عمره الى المدرسة الوطنية للمرحوم المعلم بطرس البستاني الشهير فامتاز على اقرانه بحدة الذهن وتوقده وبالنشاط والاقدام على حداته وبشبات الجأش على صغر سنه ثم ارسله ابواه الى المدرسة البطريركية فأنم علومه وبعد اتمامها وكل اليه امر التدريس مدة لانهم كانوا يرون في ذلك العهد ان كل دارس يصير مدرسا فلم يكن الفقيد — رحمه الله — يميل الى التدريس ولكن ابواب الاعمال كانت مقفلة في وجه شاب لم يدرك العشرين فترك المدرسة البطريركية في بيروت وتولى التدريس في مدرسة عينطورة مدة ستين كاملتين وهو يرى ان ذاك البناء المحدود اضيق من ان يوسع همته العالية ونفسه الكبيرة فترك التدريس وأراد الاتجار فلم يوفق به وكان المرحوم سليم بك نقلا شقيقه قد قدم هذه الديار سنة ١٨٧٤ وثقرب الى رجال الفضل والتبيل فاجلوه واكرموه وعرفوا ما في صدره من

المشاق والمخاوف فالأفضل في هذه الخطوة الواسعة التي خطونهاها الى الامام
انما مرجعه الى هذا الفقيه

وفي اعتقادي ان ذكره سيكون خالداً وستردده الالسنه والقلوب كلما ذكر
الجد واربابه وكلما ذكرت حرية الضمير ورافعو لوائها في اطراف الارض
واعظم به جزاء للفقيه وغراً واعظم بسيرته قدوة لكل مجتهد ماضي الهمة
طالب للعالي بالسعي الحق والاستقامة

وعندما وصل الخطيب الى ختام موضوعه هذا التفت الى نجل الفقيه
وشقيقه الاسيفين وعزاهما بارق عبارة والطف اشارة وعزى قرينته ووالدته
الثاكتين بما يلطف الشجن ويخفف الحزن

ثم اتجه نحو النمى وخاطب لآخر مرة صديقه الراحل فودعه وداع الاخاء
الصادق والحب الشديد والاحترام الاكيد وكانت لكلمته الاخيرة رنة اسف
رددت صداها القلوب بين الضلوع وجرت على اثرها سيول من الدموع
وعلمنا انه كان في نية بعض الافاضل الآخرين ان يؤبنوا الفقيه فحال
ضيق الوقت دون مرادهم

ولما انقضت تلك الساعة المشهودة وأودع الفقيه مرقدہ الاخير آب الجمهور
الفقير الى منزله يلهجون بذكر مآثره ومفاخره ويزنون آله الذين يقول كل
منهم بلسان الشاعر

تموت ولا اموت عليك حزناً وحق هواك ختتك في هواكا

فقد كان التقيد حين دخوله في معان الحياة وذلك منذ ربع قرن في زمن متأصلة فيه التقاليد مشيدة فيه البيوتات ثابت فيه اعتقاد الناس بان النفي والجاه هبة من الله خست بها اسر ثوارثها وانه لا مطمع لاحد من اهل طبقة دون هذه الطبقة ان يصل اليها

ولكن بشارة نقلا بما فطر عليه من صحة النظر في الامور الاجتماعية ادرك خطأ هذا الرأي وعمل على تقويضه في طلب المعالي فبعد ان كان لا يجلس في مجلس شيخ القرية الا وهو محتشم توصل الى مواجهة اكابر السلاطين والملوك ومحادثة الامراء واتخاذ اصدقاء من الوزراء والسفراء وفتح بتقدمه هذا باب التلاح رحياً لطالبيه فتبعه جمهور من ذوي الهمم والاراء والعلم وان لم يلبثوا شأوه فقد جروا شوطاً بعيداً في ميدان الارتقاء وكان الفضل في ذلك عائداً اليه

هذا هو الركن الاول من ركني عمله الاجتماعي اما الركن الثاني فهو انه اول من أقدم في الشرق على بث فكره . وبقطع النظر عما كان ذلك الفكر فان اذاعة ما في الضمير كان أمراً كبيراً في ذلك الوقت الذي لم يكن اكابر الناس فيه يتسامحون بغير التحدث همساً بما يدور في خلدكم ولا سيما في مؤاخذة الحكام والشكوى من المفارم والمظالم

اما الآن فقد أصبح بث الفكر شيئاً مألوفاً وتمددت الصحف وكثر مذبذبو الآراء ومقررو المبادئ المختلفة ومتقدو الاحكام والحكام وطلاب الحقائق آلت من آلت والمدافعون عن المهضوم والمطالبون بحق الضعيف ولا يكاد الانسان يتقطن لما كان يحول دون ذلك منذ خمس وعشرين سنة من

واسسا فيه جريدة الاهرام وعاليا ما عاياه من المشاق في سبيل انجاحها
فادركا الغاية ولكن بعد مكافحة تقصر دونها همم الرجال وتعجز عنها عزائم
الابطال في ميادين النزال

وكان جديراً بالفقيد ان يختار هذا الاسم لجريدته وقد قلب نظره فلم
يجد شيئاً ادى على ارادته الثابتة مع تداول الايام وعزمه الراسخ على تناوب
العوادي من هذه الجبال المصنوعة التي تحار العقول في متانتها وجلالها
ولا يسعني المقام ايها السادة ان اذكر لكم ترجمة التقيد تفصيلاً على انكم
تعلمونها جميعاً ولكنني اخلص من نتيجة حياته تاريخين يصحان قدوة للمقتدي
وعبرة للمعتبر

التاريخ الاول وهو الصغير ان سليم وبشاره نقلا لما افلح عملهما واجتمع
لديهما من المال ما يربو على حاجة الجريدة كان اول ما فكرا به ان ييرا بابيهما
في شرفه وسمعته وهو احسن ما يظهر به بر الابناء الطاهري الاعراق
بالاباء الذين تكبرهم الدهر في اموالهم وذلك ان اباهما كان يتجر فربح وخسر
كما هو شأن المتجرين ثم تقلبت عوادي الايام على نزاهة مقاصده فخرج من
تجارته وقد خسر وبقي عليه مال لم تكن له حيلة في وفائه فرأى ابنه المشار
اليهما وهما غير مدتيون ولا مكلفين ان يфия ذلك المال وان يظهر بالفعل ما
كان في ضمير ابيهما بالنية

هذا هو التاريخ الصغير الذي يدل على ما كان التقيد عليه من خلق
الاستقامة

واما التاريخ الكبير فهو تاريخ جده وكفاحه وناهيك بهما من جد وكفاح
لم يجار بهما اخذ

فانا نودعك الآن باسم الاهرام التي سألتنا عنها وأنت في حالة النزاع
والاحضار . نودعك باسم المروءة التي كنت تظهرها لنا . نودعك باسم الخزم
والعزم والنشاط والهمة التي نتمثلها لنفوسنا عبرة وتبصرة وقدوة
أما أنتم ايها الاخوان فتودعوا بنظرة اخيرة من هذا الطود الذي اندك
والركن الذي انهدم والمصباح الذي انطفأ ثم واروا في قيد ذراع الرجل الذي
لم تكن البلاد تسع نشاطه . الرجل الذي كنا نلقبه بالحركة الدائمة فاصبح الآن
جثة هامدة

ثم تلاه المسيو بول مانس رئيس تحرير اليراميد فودع الفقيد بالاصالة
عن نفسه والنيابة عن محرري اليراميد وعماله
ثم تكلم العالم الفاضل نقولا بك توما وكانت علائم الحزن الشديد بادية
على وجهه وكان صوته الرنان يتهدج من الجزع والالم فارتجل تأبيناً مسبباً
وقع اشد الوقع في الذنوس لما تضمنه من الحقائق الباهرة في وصف الفقيد
وهذا محصل خطابه
ايها السادة

آل اليّ ان اقف هذا الموقف بينكم والاسف ملء فؤادي فان الرجل
الذي اجتمعنا اليوم لوداعه كان مقدامنا في جلائل الامور ومقدمنا الذي نفاخر
بنبله وفضله وكان لي خاصة صديقاً حميماً فانا الآن ابكي منه الصفي الكريم
واؤبن العميد العظيم

ولد هذا الفقيد سنة ١٨٥٢ في قرية كفرشما من ابوين كريمين فلما شب
وتأدب ورأى مجال الشرق ضيقاً على مطمح نظره حدثته نفسه الكبيرة
بالرحيل الى بلد يرحب بعزمه فجاء هو واخوه المرحوم سليم الى القطر المصري

أيها التقيد الكريم والراحل العزيز . لا أريد الآن ان أبسط تاريخ حياتك الذي ملأته بالماثر والمفاخر ولا ان اعدد اعمالك الجليلة وأياديك الجزيلة وانما اريد ان اقول كلمة وداع بالاصالة عن نفسي والنيابة عن اخواني وزملائي الذين يلتفون حولك الآن وأنت جثة باردة هامة كما كانوا يلتفون حولك وأنت ممتلئ من الحياة . أريد ان أودع النشاط الذي كان يبتش باشمته الى كل صوب ويستنهض فينا الهمم ويشدد العزائم . أريد أن أودع المهمة التي كانت مصر تضيق عنها . بل أبني ان أودع هماماً تسري عن يده انوار ادبية منذ بضعة وعشرين عاماً ورجلاً عصامياً ارتقى الى اسمى المراتب وليس له عضد ولا سند سوى جده وكده وركناً أدبياً ربى الصحافة طفلة حتى شبت وترعرعت . لا بل أود ان اودع اباً غيوراً ووضياً كبيراً

ثم أود ان أقول كلمة حق فوق رأسك وأنت لا تحب ولا تجامل ولا يمكن التزلف اليك وهي انك لم تطالب الينا ان نكتب كلمة او نخط حرفاً سحابة المدة التي كنا فيها مهبط آرائك ومستودع افكارك الا اذا كنت معتقداً ان قولك حق وصدق — وحسب المرء الاعتقاد السليم — ولقد عرفت الامة مقامك ودلتنا على معرفتها جميلك بما اظهرته من الميل اليك والاهتمام بك ابان مرضك وبما شملها من الاسف عليك بعد ان فجنا الدهر بفقدك

فتقبل منا وداعاً أخيراً يا من كنت لنا اباً غيوراً فاننا لا نرى بعد اليوم عينيك البراقتين ولا نترك البسام ولا وجبك الطاق الصبوح ولن نراك ذاهباً أبياً تحمل الينا من الاخبار كل ما فيه خير للصحة العامة التي مت وأنت تجاهد في سبيلها

منهم جناب المسيو لكونت متولي اعمال الوكالة الفرنساوية والمسيو برتران قنصل
فرنسا في العاصمة والمسيو جورج عيد قنصل البلجيكي والمسيو لويس المصو
الفرنسوي في صندوق الدين وغيرهم من القناصل وموظفي القنصليات . وسعادة
اسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقاية وسعادة يعقوب باشا ارتين وكيل نظارة
المعارف وكثيرين من الباشوات وارباب المقامات واصحاب جميع الجرائد اليومية
والاسبوعية ونخبة من كبار المحامين والاطباء والماليين والتجار من وطنيين واجانب
في ذاك الموكب زایل فقيدا داره لليرة الاخيرة تاركا قرينة فاضلة لم يفارقها
من قبل الا ليمود اليها بمزيد الجاه ورفيع القدر وبعيد الذكر . ونائياً أبد الدهر
عن أم تكللى لم تكن تصبر على فرقة شبر . ومخلّماً جريدتين لم تهرحا خاطره طرفة
عين بل ظلتا موضع عنايته حتى لفظ الانفاس الاخيرة وفارق الدنيا

ومرّ موكب الجنائز على الترتيب الآنف الذكر في شارع عابدين فيدان
الاورا فشارع كامل فشارع وجه البركة والنظام تام والجموع الجمعية محتشدة الى
اليمين والشمال والكل سكوت لا تنفتح افواههم الا لذكر منقبة من مناقب
الفقيد والارض كأنها تلين تحت النمش حتى لا تفلق راحلاً كريماً بذل دماء
القلب وسواد العين في خدمة هذه الديار ولما وصل الموكب الى الكنيسة الرضوانية
في قنطرة الدكة صلى على الفقيد سيادة المطران اناسيوس ناصر ولقيف الكهنة
ثم سير بالنمش الى مدفن الروم الكاثوليك بمصر العتيقة يشيعه عدد عديد في
نحو مئة مركبة من بيتية ومأجورة فصليت عليه الصلاة الاخيرة في حضرة
الجمع . ثم وقف حضرة يوسف افندي البستاني المحرر في جريدتنا يسكب دمة
الوداع ويقول الكلمة الاخيرة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن اخوانه المحررين
وموظفي الاهرام فقال ما خلاصته

ويتقدمه بساطان للرحمة بين ايدي ثمانية من علية القوم وهم اصحاب السعادة محمود باشا شكري رئيس القلم التركي الخديوي سابقاً وقليني باشا فهمي مدير الاموال غير المقررة والمسيو جورج عيد قنصل البلجيك والمسيو قصيري كنشليز قنصلية فرنسا في العاصمة والدكتور يعقوب افندي صروف احد اصحاب المقطم والمحاميان الشهيران نقولا بك توما والمسيو بريقا وعزتلو طوبيا بك كامل مراقب الاموال المقررة في نظارة المالية فكان اجتماع هؤلاء الاماثل على اختلاف المهن والاجناس كاشارة الى اشتراك جميع الملل والنحل في الاسف والكتابة على فقيدنا الكريم وبلي البساطين نياشين التقيد ثم سيادة المطران اثناسيوس ناصر الذي قدم خصيصاً من الاسكندرية للصلوة على التقيد وانيف من كهنة جميع الطوائف الكاثوليكية وبيمات الراهبات اليوسنيات وشرذمة من مشاة البوليس وكوكبة من الارسات

ثم مشى وراء النعش نجل التقيد صاحب امتياز هذه الجريدة فكان يجذب القلوب ويسترق العواطف لان المحبين كانوا يؤملون ان يروه ماشياً في الخلة الاولى الى جانب ابيه في الاعمال العظيمة لا في تشييع جنازته . ومشى ايضاً الى جانبه حضرة شقيق التقيد عزتلو حبيب بك ثقلا وسائر ذويه من الال والمحربين

وكان في صدر الجموع المشيعة حضرة صاحب العزة علي بك كامل الموفد خصيصاً من قبل اميرنا ومولانا الخديوي المعظم - حفظه الله - فاضاف حضوره الى الموكب هبة على هبة بما نقل من عواطف الامير السامية وما حمل من دلائل تمطته العالي . اما ارباب المراتب العالية وعديد الوجهاء والاعيان الذين شهدوا خروج النعش فكثير ما هم والذاكرة تخوننا في تعدادهم كلهم على اننا نذكر

والصدق فبمثل هذا نرضيك وانت في جو الآخرة ترقبنا عينك ويرمقنا ناظراك
فسامحنا على التقصير عن ايفائك حقك على صدر اهرامك المصدوعة القواد فأنما
فضلك ظاهر بعد رحيلك ومبسوط بعد وفاتك في جو البلاد وعلى صدور العباد
تحرير الاهرام

مشهد التقيد

ما ازف اصيل السبت ودنت الساعة الرابعة بعد الظهر حتى غصت الدار
بعيون القوم وصدور البلاد وخفقت القلوب وانحبست الانفاس وسكتت اللسنة
وساد الخشوع بين الجموع ثم أقبل على التقيد الآل والاقرباء وهم يحترقون حزناً
ويذوبون دمعاً وأكبوا عليه وقبلوه القبلات الاخيرة وفيها من اللفف والحرارة ما
يعيد الحياة ويرد الارواح الى الاجسام الهامدة لو كانت الحياة تعاد والارواح
ترد. ثم دخل المحررون والكتاب وعمال الادارة فتودعوا بنظرة من ذاك الرجل الذي
كان لهم في المقام رئيساً كبيراً وفي الحقيقة أباً غيوراً . ثم افسحوا اسائر
الاصدقاء والاحباء ولما انتشوا عن ذاك الموقف المهيّب والمشهد المؤلم علت النغمات
الدينية بما فيها من الهية والوقار مؤذنة بنقل التقيد من المرقد الزمني الى المرقد
الابدي فرفع النعش وفي النعش الهمة والجد والنشاط والاقدام ووضع على مركبة
فاخرة تجرها ستة من الجياد ووضعت عليه الملابس الرسمية لرتبة روملي بكاربك
ثم سارت المركبة بالنعش تحيط به الانظار الخاشعة وتحوم حوله القلوب الجازعة

سئل عن حسناته عدّ منها ولا تعدّ وإذا سئل عن سيئاته اعبي الجيب الا قوله
حياة فضل ومجد ونفع وفضيلة ومبرات وحسنات وجد

فكان الثامنة والاربعين وهي عمره كله مئاة بجمعها من آثار فضله ما لا
تجمعه المئاة من مآثر غيره وكان تاريخ حياته مدرسة لنا - كما قال وقوله الحكمة
البحثة « ان حياة السلف مدرسة للخلف » وقوله في اول فصل كتبه في الاهرام
بتوقيعه « ان نقطة الدائرة في كل عمل ان يعرف الانسان ماذا يريد وما عليه وما
يستطيع » فكان ذلك عنوان حياته حتى مماته

بل كيف نسطر في قليل من السطور مآثره في ستة وعشرين عاماً ومنها على
صفحات الاهرام وحدها كل يوم آثار فلسنا اذا نفية حقه اذا طمعنا في عدم مناقبه
ولكننا نخفف بهذه الكلمات ما وقر على القلب من هول المصاب به اذ بالملأنا
الى اعماله الخالدة ومناقبه الشريفة نبرد شيئاً من حرّ الاحزان وان ما نراه في
الامة من استعظام المصاب به يعامنا ان المرء ولو ميتاً يعيش بآثاره وعمله فكل
منا يقول لفقيدنا العزيز

وكانت في حيوتك لي عظاتٌ وانت اليوم اوعظ منك حياً
فيا ايها الراحل عنا وقد كنت فينا الركن الركين لقد ثلمت بوفاتك حدّ الهمة
والنشاط ودككت برحيلك طود المكارم والفضل واخرست بدينك اصوات الحق
ويا راحلاً عنا مودعاً بالافئدة والقلوب لقد خلّفت لنا مع فضلك الباهر وادبك
الزاهر شجناً مدمياً وحزناً مضنياً فلئن غاب بدرك عنا افلاً فما زال سنا نورك
بيننا كاملاً شاملاً فانت تنيب عنا كما ينيب والد الصنير فينا وأخ الكبير منا
ومنيث ضعيننا ومسدد خطواتنا وانما نحن نصبر النفس بما نستدير به من سابق
ارائك وكريم صفاتك نستعين بذلك على مواصلة العمل وخدمة اهرامك بالحق

الصحيحة والحقيقة المفيدة احداً واجنبوا المثالب واسكتوا عن المطاعن ولو كانت عليّ » ثم نظر الى ولده وقبلة وقال « لماذا انت هنا ولست في المدرسة » فاجابه « اني اليوم في عطلة الخميس » فقال « اذهب وادرس والله يحرسك » ثم نظر الى قريته الفاضلة وعيناها الساكبتان الآن الدمعة الحرى عليه تبرقان مسرة به وقال لها اتعبتك ايتها العزيزة فجزاك الله خيراً عني » وسأل الطبيب عن صحته فقال له « انك تتقدم الى الشفاء باذن الله » فقال « وهل انهض لاعمالى بعد اربعة ايام » ثم نظر الى اخيه وقال « انت هنا » والى والدته وسألها عن صحتها وهكذا كان يحدث الاقرباء والانساب الذين دخلوا حجرته فرقت قلوبنا فرحاً بشنائه وبشرنا الاطباء بالتحسن الكبير والشفاء القريب ولكن الحمى عاودته في المساء وفي صبيحة يوم الجمعة بدت على وجهه الشاحب دلائل التيب ثم اخذت الحمى بالارتفاع والاطباء الخمسة يكافونها ولا يقوون على مدافعتها بل لا يقوون على دفع المنون المستكنة في طياتها فهلمت قلوبنا ووجعت وظللنا بين مخالب اليأس وبارقة الرجاء الى ان فاضت روحه الطيبة ولم يبقَ لنا من الرجاء الا ان نقول

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي اسفاً عليه ويا دموع اجيبي

وقبل ان ينبلج وجه الصباح عن ذاك اليوم المشؤوم الطالع طار نفيه في الدامة فاصطكت المسامع وشقت الاضالع وسحت المدامع واعنقت اللسنة وذكت القلوب وذابت الاكباد وتحرقت الضلوع وهلمت النفوس لموت من كان يتقد حمية ويتفرق حياءً وتفيض أخلاقه كرمًا وأفلامه حكمة وحكمًا ويدها مبرات وراحته حسنات لا يعرف الراحة الا في العمل ولا اللذة الا في الخدمة ولا خدمة الا بفائدة الوطن فلم يشغل ساعة من عمره الا في هذا السبيل وفي كل اثر جليل حتى خلد في الاهرام اثرًا يبقى ما بقيت الاهرام ويظل غرة في جبين الايام واذا

الطائفة بسريره واماها الحائمة فوق جسده وكان فقيدنا العزيز العظيم في داته
 كما كان في صحنه ثابت الجاش والعزم والقوة والجلد والصبر يغالب الآلام
 فلا يشكو المأ ويكافح السقام فلا يظهر مضضاً وكان اذا خفت وطأة الداء عن
 صدره ينظر الى من يحيط به نظرة الظافر بعدوه فيرسل اليه ابتسامة او كلمة
 تفرج عن صدورنا المتحرجة ونفوسنا المنقبضة فتزف بشرى راحته الى الامة
 فتشاطرنا المسرة بها كأن انبساطاً في وجهه وصدره ابتسامة في ثمر هذه الامة
 الكريمة التي تعرف فضله وصادق خدمته باغنائها به وبعرفانها قدره وبدعائها
 له وبتمنيها شفاؤه من امراضها الى عامتها بل كأن تلك الابتسامة تنصب قطرة
 على قلوبنا المتحرقة ونفوسنا المتلهية فتبرد تباريح القلق والاضطراب وكانت
 الرسائل والسؤال عن صحنه وتقلبات مرضه في اطواره والجواب عليها شغل
 الادارة باجمعها ولم نقدر على القيام بذلك حتى اضطررنا الى الاعتذار الى المحبين
 وهم الامة كلها . وما عرف اخواننا ارباب الصحافة والاقلام شدة الداء حتى
 اظهروا كل عناية واهتمام فكانوا وهم في ابان اعمالهم يرسلون السائلين تبعاً وابان
 الفراغ يأتون عواداً فما كنا نرى وجنة في قلب فقيدنا الكريم إلا وهي وجنة في
 كل قلب

وقد كان والاولصاب تحمل جسده يشغله عنها شاغلان ولده الوحيد وتربيته
 والوقوف على اعماله وتقديمه في العلم والادب ثم الاهرام وسيرها وما تخدم به
 الامة من مبحث مفيد ورأي سديد الى ان استمناق صبيحة الخميس الماضي ورئيس
 تحرير الاهرام الى جانب فراشه فقال له « كيف الاهرام » فاجابه على ما
 تشتهي لا هم لها غير شفائك فقال — وهي ما نعهدا الى الابد وصيته للاهram
 وارادته في حياتها — « تحروا المباحث المفيدة للامة ولا تخشوا في الخدمة

علم الوطنية رب الاقدام والزم وعنوان الفضل والحزم فقيدنا الكريم ورئيسنا
العظيم منشىء الاهرام ومديرها وواضع اساس الصحافة في الشرق ومنيرها
رافع علم الوطنية بين احوال الجهاد ومحكم رباط الجامعة الامية بين زعازع
الاهواء وشدائد الاضطهاد من نبكيه اليوم بعبوات ثقل ولو كانت دم الثؤاد ومن
تجف اقلامنا وتجف محابرنا دون ايفائه حقه من التأين والرثاء الذاهب الى ربه
بجبهة ناضرة وعين ناظرة وحسنات كثيرة ومبرات وفيرة . الخالد الاثر
والفضل السابق الى كل غاية من المجد والنبيل

بشارة تعلق بابشا

فاضت روحه الطيبة الى ربها في الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ بمد منتصف
ليلة الجمعة

فاظلمت البلاد واورثتها مصيبتها المججلة اغتالا
« وباتت مصر يرجف جانبها » لركن العز حين هوى فالا
فان يعمل البلاد به خشوع فقد كانت تطول به اخيالا
مضى الى ربه بعد ٢٤ يوماً من اغتاله ولم تدفع عنه القدر المخوم
عناية قرينة فاضلة ما عرف جفنها مع دائه الكرى ولا غرارا تسهر عليه مع
النجوم الساهرات وتططف وتحنو عليه حنو الجسد على الروح ولا تطيق مفارقة
فراشه وتحويل نظرها عن مضجعه بل لم تدفع عنه منيته حيل الاطباء وقد
حاروا في دائه ودوائه بل لم ترد عن قلوبنا هذا السهم النافذ ادنية الامة

أفول الجرائد لعشرية

قالت جريدة الاهرام تحت عنوان

ففيدينا

وهول المصاب بفقدته

ليست الصاعقة تنقض على الرؤوس فتطير منها النفوس شعاعاً ولا السهام
تمزق الاكباد وترسلها فضاءً . ولا الكوارث تفتط القلوب وتذيب المهج .
ولا النوائب تفتت الاكباد وتشق الصدور . باعظم فتكاً واشد هولاً واقسى
يداً واصلب قلباً من خطب جليل خلّ بنا فارتدت له اعصاب البلاد ومصاب
عظيم انقض علينا فاربد له وجه الشرق ورزء اليم رزئنا به فبكت له الاقلام
وقد اسود يومها وتلفت الصحافة وقد عظم رزؤها وجفت المرؤة وقد تكاثرت
بعميدها وهلع لاجله قلب النشاط والهمة وقد دهمت بوحيدها شيخ الصحافة

وكان مع ذلك دمث الطبع حسن العشرة كارهاً للزهو والخيلاء شديد
الثقة بمن يصطفيه لطيفاً بماله محسناً اليهم مضافاً لهم في الشدائد مستقيم
المعاملة عدو المماطلة

خطبُ الأمتين فيه

لهذا عظم فيه خطبُ الامتين المصرية والسورية وبكتاهُ ووفاته حقه
من التأين بالسنة فصحاتهما وأقلام أدبائهما واشتركتا في مناحته اشتراكاً لم
يسبق له مثيل . لانهما كما قال الاخ شوقي قد فقدتا رجلاً والرجال قليل

وداعُ الصديق

فيا أيها الحبيب الذي تبدد جسمه عن روحه . كما يتفتق الطيب عن
ريحه . وأحلت هيلواه عن فكره كما تتحل الظلمة عن النور . والخفاء عن الظهور .
اما الآن وقد ذكرت من شأنك على كبره مقدار ما سمح به تقصيري .
ووضحت دون وفائه معاذيري . فاني استودعك الله متسلياً بآثرك عن العين .
متاسياً برسمك في الفكر عن رسمك في العين . حريصاً ابدأً على ودك .
أميناً الى آخر السمات على عهدك

(خليل مطران)

كان لا يمضي عليه يوم بلا انتقاد عمل غير مستحسن لحاكم او محكوم وكان
يوجه اكثر كلامه الى الجماعات فاذا وجهه الى فرد فلانه يكون في مقام جمع
وربما طيب نقده بملح مستلطفة كما فعل يوماً في رسالة برقية اورد بها خبر
ناظر لجأ الى جريدة النيل ليدافع بها عن نفسه من انتقاد الاهرام فقال
ان ذلك الناظر لما يش ان يبرأ لدى الناس من الوصمة التي وصم بها دفعته
الحمية فالتى بنفسه في النيل... واذكر ان الناس ضحكوا من ذلك اياماً وليس
في الاسلحة امضى من هذا السلاح لاذلال خصم عنيد قدير اذا احسن
الكاتب اعماله

اخلاقه

كان بشهادة عارفه وتزكية آثاره
جريئاً يتقدم ولا يتهجم
فصيحاً اذا اجتمع القوم فهو الذي يتصدر ويتكلم
صريحاً لا يخفي رأيه ولو كدر سامعه
حرّاً يأبى الضيم والذل
حليماً يرضى على اثر الغضب ويعفو حين يقتدر
رفيق القلب يستمال ويستبكي ويستغفر للاعانة
كريمياً ينزل الاحسان في محله ويبدله خفياً حتى عن اهله ولا يرضن
بسميه وجهده على قاصد
باراً بقريته الفاضلة الكاملة وبابنه النجيب الحبيب برأ لا يجاريه فيه احد
ولهذا كان من اسعد الناس في بيته

بلغتها مطالعاً نكتب أدبائها وخطبائها وعلماؤها ذا صلة مع اكبرها من الرئيس الى ادنى ذي منصب مرموق بباريس . وأما الاسباب العامة فهي انه وجد الخطة التي جرت عليها فرنسا من قديم الازل وفق مرامه من حيث صداقتها التاريخية للاستانة وانه رآها المناظرة الحلى للدولة الانكليزية في مصر لا بالنظر الى مصالحها فيها فقط بل فيما وراء التربة وهي مصالح جسيمة لايهون عليها التخلي عنها

على اننا قد رأينا بالفعل ان فرنسا اهتمت بمصر كل الاهتمام الى ان كان ما كان من مسألة فشوده وفشلها فيها ولكن فشلها لا يعني انها طالبت بحقنا عنا اكثر مما طالبا به نحن عن انفسنا وانها بذت جهدها وبثت فينا روح التقاضي لحقنا المبهوم وهو ما سيدرك قيمته ابناؤنا ان لم ندركه اليوم وفي الجملة فانها فعات ما استطادت اليه سبيلاً حتى اوشكت الحرب ان تنشب بينها وبين انكلترا فأحججت وصانت بذلك اساطيلها وقوتها الى ان يأتي يوم يكون فيه الدهر مصافياً لها اكثر مما كان مصافياً في ذلك الوقت ففرنسا من اجل هذا جديرة بشكرنا لابشمانتنا وصداقتنا لها قد لا تخلو من فائدة كبيرة في المستقبل كما لم تخل منها في الماضي وهذا فيما اظن رأي جمهور العقلاء وكان رأي المترجم

نقد

كان مذهبه في النقد مذهب الفريق الذي يحمل 'مؤلفاً غير مؤيد' ولم يحمل حملة شعواء الا على الذين استنزوه وأخرجوه اخرجاً ذاتياً وله على هؤلاء حملات لا ينساها معاصروه ولا مراجعوا الاهرام من بعدهم . على انه

صاحبيها الساعتان المرصعتان من وجوه الامة ومعتديها وهي التي حاربت فيها الحكومة المصرية الاهرام محاربة الخصيم للخصيم ثم انجأت الموقعة عن حضور نفس المأمورين الذين اقبلوا المطبعة الى الباب الذي اوصدوه وختموه وفتحهم اياه باليد بعد الاعتذار والترضية الرسمية لتفصلية فرنسا من قبل رئيس الحكومة المصرية بالذات وكان يومئذ نوبار باشا الذي لا يخفى دهاؤه وهي التي جلست فيها الاهرام على قاعدتها الثابتة التي لا تزعزعها الايام وأصبحت بعدها عن ثقة لسان الضعيف والمظلوم سواء كان الامة بخذا فيرها او اي فرد من افرادها وهي التي بلنت فيها شهرة الفقيد اوجها الذي استقرت فيه بعد ذلك بلا نزاع ولا مناظرة

سياسته الخارجية

اوردنا في عرض هذا الكتاب شيئاً يسيراً جداً من اقواله في السياسة العامة وكان له فيها اوسع باع واصدق نظر بدليل ما تراه في بعض منقولات هذا السفر من الامور التي اشار اليها فوقت والتي شرحها على حقائقها فلم تزد الايام تلك الحقائق الا ثبوتاً ووضوحاً. وانك لتتظار فيما نقلناه من اقواله ما يشير قبل الاوان بزمن طويل الى التحالف الفرنسي الروسي والى التقرب الفرنسي الايطالي والى الاتفاق الانكليزي الياباني والى كثير من امثال هذه الحوادث الجسيمة التي دله على ضرورة وقوعها صفاء ذهنه وتوقد ذكائه وتتبعه سير السياسة بعين يقظان وفكر فطن

وكان في سياسته الخارجية يميل خاصة الى فرنسا وذلك لعدة اسباب جوهرية ذاتية وعامة فأما الاسباب الذاتية فهي ان فرنسا حتمت من اسمعيل باشا ايام سجنه وكان على وشك ان يأمر بقتله في خبر مشهور وانه كان عارفاً

وكان ابدأ يعود الى ذكر الدولة العلية ويتقاضى لها حقوقها ويحضرها مرة على ارسال جيش الى السودان ومرة على مخالفة دولة او دولتين في سبيل استرجاع مصر حتى اذا اعيته الوسائل لم يجد الا الرابطة الاسلامية وسيلة للتقرب وقد ادرك ذلك سمو الامير الحالي فجرى عليه وغير خاف ما تحمله من صنوف الملام في دفاعه عن تركيا من المصريين ومن سوائم فلم يخل بكل ما يحسنه بل كان نصب عينيه ان لاصلاح يرجى الا ومصر والدولة العلية على اتحاد ووافق

ولا يسعني في هذه الاسطر القليلة ان آتي على عشر معشار ما فعله وما كتبه في هذا السيل وان من ذلك في مجموعات الاهرام كلها وخصوصاً من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٥ لمجلدات ضخمة اذ ان مدار الكتابة اليومية في اعظم قسم من الجريدة كان على هذا المحور سواء كان المترجم في مصر يسمى ويقابل ويناضل ويكتب او في باريس ولندره وبرلين وفيينا والاستانة حتى وفي العواصم الاوروبية الصغرى يسمى ويقابل ويناضل ويكتب

ولقد خصصت آنفاً بالذكر ثلاث سنين ارى ان ملخصها كان في سنة ١٨٨٤ وهي السنة التي عقد فيها مؤتمر لندره فسافر اليها ليحضره ودعا جمهور اعيان مصر وكبارها ونوابها لانهاز هذه الفرصة وحمل حجتهم على الاحتلال الى ذلك المؤتمر فلم يجبه أحد. ومن طالع اعداد تلك السنة من الاهرام قضى عجباً مما يراه من آثار تلك المساعي الجسام بين ذهاب واياب ومناقشات وخطب وكتب ومقارعات في الجرائد الاوروبية الى آخر ما هناك مما اوردنا شيئاً قليلاً منه في هذا الكتاب اكتفاء به للدلالة على الباقي

على ان تلك السنة كانت السنة الذهبية للاهرام وهي التي فيها أهديت الى

الحوادث على اضاءة هذه البلاد ثم يكرره كلما رأى من الامة غفلة او تنافلاً او استماتة وفي كل آن يرجع اليه بارادة اصدق وعقيدة اتم وسريرة اكثر اخلاصاً لانه كان لا يتصور كيف يقتل قوم في اعز شيء لديهم واكرمهم عليهم ثم يرضون صاغرين صابرين

وغير خاف ما في هذه السياسة من الحكمة وصدق النظر فان مصر لا تقوى بنير الدولة العثمانية على مقاومة المطامع المحدقة بها بالنظر الى مركزها والدولة العلية بلا مصر لا ترجع ابدأ الى ما كانت عليه من العزة والمنعة في البحر من حيث هي دولة بحرية متسعة الاطراف ولا تكون في امن على بلادها الشاسعة بأفريقيا من حيث هي دولة اقرب الى ان تكون استعمارية من كل مملكة سواها ولا تستتب لها سلطة الخلافة اذ ان المحتل في مصر مجاور للحرمين وادنى الى امتلاك زمامهما واطاعة امكن قوة بيد الخلافة

ولا ينكر احد ان اعظم عامل لتقريب مصر الى الدولة العلية وتوثيق العرى بينهما وتوطيد احدهما بالآخرى انما كان هو وكانت بذلك منفرداً ايام استحكام الجلاء بين الاستانة والقاهرة بسبب العتب الذي عبثه بعض كبار السلطنة بمصر في خلال الفتنة العربية حيث كانوا آنأاً مع السلطة الشرعية المخوفة بالخطر وآنأاً مع السلطة المتعدية الفاصلة وحينئذ يدون بارسال الجنود لاختاد الفتنة وحينئذ يدلون عنه الى ان تمكن في خلال ذلك الاجنبي من الدخول الى القطر والريان مع دمه في عروقه . كل ذلك احدث موجدة بين التابع والمتبوع ولكن المترجم مع انه طالب كل المطالبة بانفاذ المساكر العثمانية الى مصر وندد ماندد في تردد السياسة العثمانين لبث في موقف الرجاء لعل الحاضر او الآتي يصلح الماضي

من الجريدة ويتابعه ويفضله ويسابق به أكبر جرائد أوروبا حتى اتى عند
مراجعت مجموعات الاهرام منذ سنه الاولى لاختار منها المقالات التي في
هذا الكتاب دهشت لما رأيت فيها من مقدمات اخوان هذه الايام
واسرارها ووقائع العاملين فيها فكأني عشت هذه السنين الخمس والعشرين
وأنا مجاور كل كبير في الحكومة او في التجارة من كبار مصر جاعل أذني
في موضع سره ونظري في دائرة مسعاه ومطلبه وكنت استقري كل حادثة
من بدئها الى نهايتها كأني أقرأ قصة لذينة وعندي ان المترجم بما اورده
من الانباء المتسلسلة التي لم يقطع موردها عن القراء يوماً واحداً في ربع
قرن لا يضارعه اخباري في النرب فضلاً عن الشرق واذكر اتى كنت لا ارى
واحداً او غادياً في مصر من شرقي او غربي وأسأله عنه إلا يوافيني بحديثه
من مولده الى يومه الذي هو فيه وربما افاض في الشرح فذكر لي أناساً
من أسرته وشيئاً مما امتازوا به في الخير او الشر. أفلم يكن جديراً بسبق
كل مجار وهذا مبلغ علمه بالناس وأحوالهم

سياسته الداخلية

كانت سياسته الداخلية مصرية عثمانية وقد اراد في وصيته ان تستمر
الجريدة على هذه الخلية وستلبث عليها عملاً بأشارته الى ماشاء الله . ومعنى هاتين
الكلمتين على ما عرفه القراء من جماع كتاباته ان ينادى ابداً بان مصر يجب
ان تكون للمصريين تحت سيادة الدولة العثمانية التي تكون لها بمثابة سياج
مصر للمصريين - ذلك نداء طالعه في مقالاته ما ينيف على مئات من
المرار وكان يجهر به ويعيده بلا ملل ويعيده كلما اشتدت الازمات وتكالبت

نقله من مقالاته في هذا الكتاب يرى انه كلما تأنق في الكتابة اجادها من كل وجه . على ان الناس لا يزالون يتناقلون الكثير من كلماته الماثورة التي كان يقولها في ختام بعض الحوادث الكبيرة فيلخصها بها تلخيصاً عجيباً .

معارفه

كان يعرف من اللغات الدرية والفرنسوية مع مشاركة في الانكليزية وقد تعلم هذه اللغة مكتملاً وتوصل في زمن يسير الى ادراك كل ما يقرؤه فيها وفهم الحديث وابلاغ مقصده عند الحاجة . وكانت له من العلوم أساسيات مشتركة اهمها حقوق الدول وحقوق الافراد والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والحسابة بفنونها وانما كان تضله من هذه العلوم ليستعين بها على خدمته وقد احسن لانه بالتخصيص اتقن

مقدرته الصحافية

شهد العدو قبل الصديق انه كان صحافياً لا يشق له غبار في هذا المضمار ولم يبلغ هذه المرتبة يوم عظم مقامه وفتحت له جميع الابواب واصبح سفير الامير وصاحب الوزير وأليف الساسة الاجانب ولا يوم قابل السلاطين والملوك وعرف اساطين الدول في الغرب ولا يوم كثر مزاحموه ومناظروه ومناضلوه والناقون عليه لفوزه مع انه اشتراه خللاً باعز ما ينفقه الانسان من عمره ويجود به من نفسه ونقيسه بل قبل ذلك بسنين يوم كان في مبدأ امره وكان سير الحوادث يدعوه الى تعرف الناس واحداً بعد الآخر وتسم انباء كل واقعة من جماعة يجلبهم فكان يملأ بما ياتي به اكبر قسم

وليس في الحقائق أثبت من هذه الكلمة ولكن الشرقي لا يفطر على
التدبير ولا يربي عليه فهو فاقده خلقاً واكتساباً ولهذا لا يحسن القيام على
المال ولا يجيد ادارة الاعمال إلا افراد شذوا عن القاعدة كالمترجم فانه كان لاتفوته
شاردة ولا واردة من امره وامر بيته وامر عمله وكان ينظر في كل دقيق
وجليل ويسير وكثير ويكره الخلط وتشويش النظام وتأخير الشيء من يوم
الى يوم حتى اتى لم اره قط ارجا عملاً عن الوقت الذي هو فيه الا ان
يستحيل عليه في ذلك الوقت ولهذا كانت ادارته لا تضارع بنظامها واتقانها
وكانت ثروته في نمو مستمر ودخل جريده ومطبعته يربو على دخل مثلها
بسبب التدقيق في المراقبة وانفاذ كل عمل في حينه

نظمه ونثره

قلما نظم ولكنه اجاد سبك القريض حين اراده وكان كلامه فيه حسن
الاسلوب يشف عن مزاولة قديمة ومن امثلة نظمه مرثيته لاختيه فمن
راجعها رأى فيها من قوة التصور وشدة التأثير ما يراه في ترسله . اما نثره
فانه خطف برق وتدفق سيل من حيث السرعة ولكن قد تلقي فيه الكلمة
الجامعة باللمظة العامية وتحمل البلاغة العبارة المرسله على علاقتها فتصلحها وتحليها وتحشر
الحكمة العالية في اشارة موجزة تكاد احياناً تخفيها . وذلك لا لانه كان ينكر
على اللفظ شأنه العظيم في العبارة ويقول كبعضهم ان كل ما ابلغ المراد الى
الاذهان في الصحف اليومية فهو مقبول بل لانه كان ذا دالة على قرائه
واكثرهم من عارفي قدره واصدقائه فكان يكتبني لديهم بعظم عمله عن عظم
قوله ويستغنى بجلال معناه عن جمال مبناه ومع ذلك فمن يطالع ما آثرنا

جلد ٥

إذا اقترن الجد بالجد فتلك سعادة الحياة الدنيا وهذا كان شأنه فانه كان لا يجد سعادة الا في العمل وكان عمله مقروناً بالتوفيق وقد سمعته من أراء يقول « اني قلما نلت امنية لم اسع اليها سعيًا حثيثاً ومع ذلك لم استبشر قط بشيء اصبته بلا عناء » فكانه كان لا يريد ادراك وطرا الا جزاء عمل ليم به سروره ولعله كان مبالغاً في جده الى حد انه هو الذي اودى به في النهاية فانه على اعتداله في معيشته اراحة للجسم وتقوية له على تحمل المتاعب كان لا يمل ساعة او دقيقة من التدبير والتفكير والحسابات حتى في اوقات الرياضة والتنزه وقد كان زمام طبعه بيده إلا في هذا الامر فان طبعه ظل متغلباً عليه الى النهاية ومن اعظم ادلة جده بل من غريب تنبهاته انه عند ماصحا صفحة الاحتضار في نحو الساعة الثانية بعد الظهر كان اول ما قاله « أبدأ وأطبع الجريدة » مع انه كان منذ عشرين يوماً ذاهلاً لا يعلم الزمن ولا يفتح عينيه لشيء. ولا جرم انه كان بهذا الجد منفرداً عن سائر الشرقيين ولو اقتدى به جمهور منهم بعض الاقتداء في فنون مختلفة لادرکنا غاية النجاح

تدبيره

من اقواله الماثورة « ان سوء التدبير ادعى الى الافلاس وتخريب البيوت العامرة من السرف المتجاوز حده بل هذا السرف انما هو نتيجة سوء التدبير »

تقدم ويكون صاحب المقالة فيها خديماً على منبر يسميه الاكابر والاصاغر
في داني البلاد وقاصيها ويجد المستصرخ فيها صدى لصراخه والظالم عقوبة
لظلمه بالافشاء والتشهير

انشاؤه اول صحيفة يومية عربية

كان اذا رام غاية وشقت عليه وبعدت على منال سواه سعى اليها وتدبر
وجوه ادراكها وسهر واستشار واستخدم كل ذي يد فيها ولم يتكبر الا
وقد فاز بها . مثال ذلك انه اراد تحويل الجريدة من اسبوعية الى يومية فظن
اصدقاؤه ذلك منه ضرباً من التهور وعده اقرب الناس اليه محالاً وابوا
ان يساعدوه فيه فأصر على عزمه ولما جاء الموعد اخرج الاهرام يومية وكانت
صفيرة الحجم جامعة من المباحث والاخبار ما هكاد نبسم استخفافاً له اذا قابله
بما نعهده اليوم ولكن ترتيب الجريدة كان بجملة اساساً للوضع الحسن الذي
انتهت اليه الاهرام بعد ذلك بزمن يسير ثم جرت عليه جميع صحف الشرق
بعدها . قال لي رحمه الله يوماً ونحن نتذاكر في هذا المني « وزعت الجريدة
وتوزعت وراءها في كل مكان اسمي وأقتضي وألح فكانت ثمرة ذلك النماء
ان زاد عدد مشتركينا خمسة فقط فلما رأى ذلك ابر الناس بنا جزعوا
وقالوا هذا اول الافلاس والسقوط غير انني لم احفل بالحاضر وانطلقت انتقل
بين مصر والارياض واعرض بضائتي بين ايدي الناس من كل طبقة وكنت
كمن اتاهم ببدعة عجيبة فلم ارجع الا وقد ضمنت للجريدة اليومية البقاء ولم
أبال السهر والجوع والعطش والسفر والحر والبرد »

فرصة سنحت ودخل في مدرسة عين طوره يعلم ويتعلم وهناك اخذ من
المادة ما وافق مشربه بمعنى انه اتقن الادب وشارك من العلوم فيه ما يكون
له معواناً على السلوك في مسالك الحياة .

وكان اذ ذاك عزمه يخفق فيه وهو مقيد كما يخفق البخار بالقاطرة المهيأة
للسير فادعاه اخوه المرحوم سليم وكان قد سبقه الى القطر المصري إلا وهو
بجانبه لم يبطئ اغضاء جنن فاصدرا الاهرام معاً وقد حدثني المترجم عن
شأنه يومئذ قال « كنت اطوف على الناس صباحاً أترفهم واعرض عليهم
الجريدة وقل من كان يرضى بالاشتراك فيها إلا نفرأ من الذين نصبوا انفسهم
في منصب المحسنين الينا ثم اقصد احد متنديات القهوة فأول ما اطلبه جريدة
اوربية أطلعها واعرب اهم اخبارها ومقالاتها اذ لم يكن في وسعنا ان نشترك
في جرائد غربية توفيراً فاذا فرغت من الترجمة أتيت الادارة ونظرت في
حسابها من دخل وخرج واشتغلت بالتصحيح وكتابة بعض الحوادث ثم
جلست أعاون الفعلة على طي الاعداد وتهيتها للتوزيع وكنت اتناول غدائي
في الغالب وانا بين صحيفة اطويها ولقمة ازدردها . على انني كنت اشارك من
وراء هذا العناء الجمل اقبالاً ونجاحاً »

ومفاد هذه العبارة الاخيرة انه كان يرى في نفسه من العزم والحزم
ما يوصله الى يوم تستبدل فيه تلك المطبعة الهزيل البطيئة باثنتي عشرة مطبعة
مختلفة الحجم متناسقة في قاعة رحبية بقصر شاهق يدار اكثرها بنفس الغاز
المحترق وتعمل فيها ادق المطبوعات وأجملها ويكون الصانع فيها نحو الستين
من ذوى العيال الذين يرتزقون وتستبدل تلك الصحيفة الاسبوعية الصغيرة
بجريدة يومية تكون عدة محرريها ومراسليها ووكلائها وحاسيها مالا يقل عما

طفولته

كان مولده في قرية كفرشيا من قرى لبنان وهي بلدة مجاورة لبيروت مظلة عليها من سفح الجبل قائمة بيوتاً منضودة من صعد الى صلب على جانبي واد خصيب نقي الهواء عذب الماء زاهي الخضرة ينسل فيه الآباء الأذكاء الأشداء أبناء اذكاء أشداء أكسبتهم وعورة الصخر بأساً وأثبت في قلوبهم جمال الطبيعة فطرة شعرية ودمت اخلاقهم مجاورة المدينة وموالاته المعاملة بينهم وبين اهلها وربما علمهم ذلك الاناة والحيلة فهم عند الاقتضاء يرقون كملس الحرير الذي يصطنعونه وعند المنافسة يصلبون صلابة الجبال التي يعيشون بينها

وكان في طفولته جريئاً متفحماً متقد المزاج إلا انه لم يشب عن الطوق حتى حدثته نفسه بأن يكون رجلاً مذكوراً بين قومه كما كان قبله افراد من بيت اليازجي ومن بيت الشميل سمع ما كان يتناقله اهلهم من سيرهم ومناه الضمير بمجاراتهم فلماذا غلب قصده على طبعه فأكب على الكتب يحبس فيها نظره الطامح الى الغايات البعيدة وضيق نطاق حركته على وسع المدرسة وهوّن عليه تحمل استبداد المعلم ومشاكسة الاتراب وكانت تلك اول اماره من امارات مستقبله الحسن

صباه ودخوله في الصحافة

فلما فرغ من تلقي الدروس الاولى لم يجد مალأ متوفراً بين يديه لامرٍ يقوم به في بلاده او رحلة يرحلها عنها فيأتي فيها مائى عظيماً فانهز اول

بشارة تهللنا بها

٤٧٨١
٩١٢٢

اكتب هذا الفصل ويكاد الحول يحول عليه منذ أودعناه في ذلك
البلد البلقع . الذي يمرّ به الشجاع فيفزع .
ولقد زرته في تلك الدار الموحشة ووقفت تجاه ذلك الباب الموصل وقلت
يا بقية من ترابٍ سحق وعظم بال أعيدي عليّ ذكر تلك الخلائق والخلال
وحدث تلك الهمم والاعمال فقد كنت أيتها البقية هيكلًا وثابًا للمجد ولسانًا
داعيًا الى الخير ناهيًا عن الشر وقلبا خافقا بالآمال الكبيرة بعيدا عن اليأس
الذي هو مقتلة الافراد والامم وفكرا مائتا مسمع الشرق ونظره اما الآن
فانك قطعة من جمود . متحيرة الاجزاء بين سلب المدم وجذب الوجود .

تمهيد

اني أحاول بهذه المقدمة ان أصف فقيده الصحافة الشرقية في اعماله
واخلاقه من بدء امره الى نهاية عمره اذكر جلها اقتضابا واقلا إسهابا ولو
اردت استيفاء البيان لوجب عليّ ان انقل من اقواله اضعاف هذا الذي
نقلته مما يكاد يكون تحصيل قطرة عطر من حديقة زهر ولي في ذلك عذر
فان ترجمة مثل فقيدنا العزيز لا تستوفي في صفحات معدودة ولعل الله يقيض
نشر مذكراته يوما من الايام فيتسع لوصفه ووصف عمله العظيم مجال الكلام

تقدمة الكتاب

يعزّ على قلبي الحزين ان يكون اول ما أخطه رثاء لابي وتأيناً لتلك النفس الطاهرة والاخلاق العالية التي سأبكيها مدى العمر . ولكنني اذكر مع ذلك ان عليّ واجباً ترتاح الى قضائه تلك الروح الشريفة وهو ان أتمم عمله بما يصل اليه جهدي على ضعفه وأرجو ان اقوم به حين يقوى عليه ساعدي ويتم له تأهبي واستعدادي

وقد رأيت ان البر بفضلهِ والتحدث بنعمته يقتضيان مني ان اجعل بين يدي محبيه ومريديه اثرأ حسيّاً يذكرهم ما طالما اعجبوا به من آيات عقله الكبير وعمله الخطير فسألت الصديق المخلص خليل افندي مطران ان ينوب عني باداء هذا الغرض وجمع كتاب يخص قدما منه باقوال الصحف ومرائي الادباء والشعراء وقدما بنقل مختارات من مقالات ذلك العزيز منذ بدأ بالتوقيع على مكتباته في الاهرام فأجابني الى طلبي ونظم هذا الكتاب بحيث يكون وافياً بالغرض على قدر ما يسهه ضيق المقام من تلك المطالب الواسعة واني أجمله هدية برسم قراء الاهرام الكرام وأسديهم اعظم الشناء لمشاركتهم إيانا في الاسف على فقيدنا الجليل واشكر خليل افندي مطران هذا الصنيع الذي هو برهان مجدد على صدق الاخاء وكرم الولاء والله أسأل ان يجعل ما اذكاه في قلبي من جرة الحزن غلى والدي الحبيب برداً وسلاماً عليه في دار السكينة والنعيم

جبريل بشاره تقلا

القاهرة في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٢



3-22-58 1943

(RECAP)

2276

823

588

البريد - ١٢٠٠٠

١٢٠٠٠

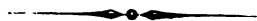
١٢٠٠٠ - ١٢٠٠٠

١٢٠٠٠ - ١٢٠٠٠

Bishārah Taglā bāshā

بشارة تقي الدين باشا

١٨٥٣ - ١٩٠١



اقوال الجرائد — مرآة الشعراء

مختارات

من اقوال الفقيه المنشورة في الاهرام



طبع بمطبعة الاهرام بمصر سنة ١٩٠٢

Princeton University Library



32101 076413796

